بيار روفايل

صقر الصحراء

قصة البطولة والفروسية والشهامة الخالدة

منشورات
حمد ومحيو - بيروت

الطبعة الأولى ١٩٧٢
بيروت – لبنان



صاحب الجلالة المعظم الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

« ... من فيصل بن توكي ، الى فيصل بن عبد العزيز ،
صفحات خالدة من البطولة والشهامة والنبل والعدل والعز والامجاد » .

بيار روفايل

مقدمة

الصحراء موطن العربي الاول ، فيها نشأ ، وفوق رمالها درج ، وتحت سمائها الصافية عاش وترعرع .

والعربي ــ منذ القدم ــ اتخذ الصحراء موطنا له ، ينصب مضاربه فوق رمالها ، تحرقه شمسها ، وتضن عليه ارضها بالماء وبالكلأ فيأبى ان يبتعد عنها وينأى .

ولم يكن العربي الجاهلي يعرف له وطنا ، فهو يتنقل من صحراء الى صحراء ومن واحة الى واحة ، ومن رمال منبسطة الى رمال منبسطة بحثا عن ماء وعن كلأ . ومورد رزقه الماشية والغزو والفن والشعر .

وخلا الشعر الجاهلي ، على سعته ووفرته وقوته ، من كلمة «وطن» .

وخلا ايضا من العاطفة والروح والشعور .

ذلك لانّ الشاعر ابن بيئته ، والبيئة ، وهي الزمان والمكان والسكان ، كانت في الجاهلية بيئة مادية ترابية وثنية جاهلة .

فكان من الطبيعي ان يكون الشعر الجاهلي متينا قويا الا انه يخلو من الروح والوطنية والدين .

حتى اذا بزغ نور الاسلام اضاء ارجاء البيئة الجاهلية ، فاذا

بالجاهلي يتعرف الى ما وراء الافق البعيد ، ويرتفع بقلبه وبتفكيره وبعقله الى الله ، سبحانه وتعالى ، ويدرك معنى الوطنية وقيمة الاوطان .

وانتشرت دعوة الرسول العربي الكريم فعمت الصحراء .

ووصلت الى ما وراء الصحراء ، فقضى الدين الاسلامي الشريف على الوثنية ، وهدم الخرافات والاساطير والاوهام واقام على انقاضها دينا راسخا متينا .

ومع الدين الشريف اقام الاسلام ايضا مدنيـــة واسعة الاطراف وحضارة بعيدة المدى عميقة القرار واسعة الارجاء .

وتوالت فتوحات الاسلام في عهد الرسول العربي الكريم ، وفي العهود التالية ، حتى اذا انقضت قرون قليلة بدأت الوثنية المهزومة تتأهب للعودة الى الصحراء ، فعادت الخرافات الى الظهور ، وعادت الاساطير الى محاولة احتلال مركزها البائد ، وعاد قوم من العرب الى تكريـــم بعض الاشجار ، والغيوم والكواكب .

وبدأ الخطر يبزغ من خلال هذه الاوهـــام على الدين الاسلامي الشريف .

في هذه المعمعة الطاغية ، اطل على الصحراء فتى في الثانية عشرة من عمره اسمه محمد ابن القاضي عبد الوهاب بن محمد بن علي التميمي .

وكان الفتى محمد قد حفظ القرآن الكريم على يـــد ابيه القاضي عبد الوهاب في بلدته « العيينة » في نجد ، ثم رحل الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج .

ولم يلبث ان انتقل الى البصرة حيث راح يدعو المسلمين الى نبذ الاوهام والعقائد والخرافات والعودة الى الدين الاسلامي الحقيقي والى

صفاء تعاليم الرسول السامية •

وكان من الطبيعي ان تلقى دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب التميمي المعارضة والمقاومة ، وان يلقى صاحب الدعوة الاضطهاد فعاد الى بلدته العيينة ، ناشرا دعوته الكريمة •

غير ان حظه في بلدته لم يكن بافضل منه في البصرة ، فرحل عنها الى «الدرعية» وهي يومذاك امارة آل سعود فناصره الامراء السعوديون ونشروا دعوته ، وأحلوه من امارتهم في اعلى مقام •

يومذاك ، والعام عام ١٧٥٠ م — ١١٥٨ هـ• وكان امير الدرعية محمد بن سعود ، بدأت دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب توطد دعائمها •

وراح الامراء السعوديون ينشرون اعلامها في الصحراء العربية •

وفي عام ١٨٠٣ م ١٢١٨ هـ• قتل امير الدرعية عبد العزيز بن محمد في مسجد الدرعية غدرا فتولى شؤون الامارة بعده ابنه سعود فسار على خطى والده في نشر دعوة الامام محمد عبد الوهاب •

وسار بالامارة السعودية في طريق النضال والجهاد ووسع اطراف امارته وخاض معارك دامية في سبيل تحرير وسيادة الجزيرة العربية •

وبعد وفاة الامير سعود بويع ابنه عبد الله بالامارة فخاض معارك طاحنة ضد جيش محمد علي المصري •

وكانت قيادة الجيش السعودي معقودة للامير فيصل بن سعود شقيق الامير عبد الله •

واستبسل الامراء السعوديون في الدفاع عن بلادهم واستطاعوا ان يصمدوا شهورا طويلة في الدفاع الا ان كثرة العدة والعدد تفوقت

على الشجاعة فانتصر القائد المصري ونفى الامــراء السعوديين وابنــاء الامام محمد بن عبد الوهاب الى مصر .

وهب الامير السعودي فيصل بن تركي للاخذ بالثأر .

فاصطدم جيشه بالجيوش المصرية وبالجيوش التركية .

وبعد معارك طاحنة دامية استسلم الامير فيصل فأرسله الظافرون منفيا الى مصر .

وتحركت الدول الكبرى وفي طليعتهــا الدولة البريطانية لتقضي على النفوذ المصري وعلى النفوذ العثماني في نجد ، فاضطر محمد علي الى التراجع والى سحب قواته العسكرية من الجزيرة العربية ، وكــان ذلك في عام ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ . والامام فيصل بن تركي لا يزال منفيا في مصر .

وخلال هذه‌الحقبة من الزمن تبدأ حوادث رواية «صقر الصحراء» .

الفصل الاول

فيصل بن تركي آل سعود

من الضارب في الصحراء على همة وقدرة وشباب ؟

من الفارس العربي الطاوي ، على صهوة الجواد الاصيل ، رمال الصحراء طيا ، تلفح الشمس المحرقة وجهه ، وتتراقص الكوفية فوق راسه في مهب الرياح كانها اجنحة بيضاء تصفق في الفضاء ؟

من تراه يكون الفتى المغوار ، الدافع بجواده العربي الجموح الى كبد الصحراء على سرعة واندفاع ، ووراءه كوكبة من الفرسان الاشاوس تندفع كانها العاصفة العاتية الهوجاء .

من هو ؟

انه امير ابن امير .

الامير فيصل بن تركي يعود من منفاه في مصر الى وطنه الحبيب المفدى .

يعود الامير فيصل الى نجد ، الى ارض اجداده وآبائه ليستعيد امارته ، ويبسط سلطانه على الصحراء .

والامير فيصل بن تركي كان قد ابعد الى مصر مكرها اثر انتصار الجيوش التركية والجيوش المصرية على الجيش السعودي ، فأقام في

مصر سنوات خمس ، «منذ عام ١٨٣٨-١٨٤٣ م» «١٢٥٤-١٢٥٩ هـ» .

وخلال السنوات الخمس اكرهت الدولة البريطانية العثمانيين والمصريين على الجلاء عن نجد .

وزحف الامير فيصل برجاله الى الصحراء ، وقد عزم على استرداد امارة آبائه واجداده .

وطوى الامير السعودي ورجاله الصحراء على سرعة واندفاع لا يأبهون لحرارة الشمس المحرقة ، ولا للرياح السموم التي تلف الصحراء وتذري الرمال .

وكانوا في اندفاعهم كالعاصفة الهوجاء تدفعهم الشجاعة ويثير همهم الحنين الى الوطن الحبيب .

وطال بهم المسير ، فالمسافة شاسعة بعيدة ، وما هناك واحة ولا جدول ولا نسمة باردة تدفع عن الفرسان شدة الحر ولهيب الهجير .

وخيل للفرسان العرب ان الصحراء الشاسعة الاطراف تفغر شدقيها لابتلاعهم ، وهم كلما اجتازوا مسافة لاحت امامهم مسافات ، وكلما عبروا صحراء تراءت لهم صحاري بعيدة المدى واسعة الاطراف .

الا انهم كانوا على ضلال ، فالصحراء لم تبتلعهم ، والهجير بدأ يتوارى .

واذا نسمة باردة تهب من خلال الرياح السموم على وجوههم فصاح بهم فارسهم الاغر الامير فيصل بن تركي : ايها الفرسان ! ها هي الواحة الخضراء تطل علينا لقد اقتربنا من « القصيم » .

و « القصيم » كانت محجة الفرسان الابطال .

واندفعوا الى الواحة الخضراء ، فاذا بهم عندها بعد مسير قليل .

وتنفس الامير فيصل الصعداء ، وقد توقف الركب في الواحة الخضراء •

وترجل الامير ، فترجل فرسانه •

ورفع نظره الى السماء متمتما : « شكرا لك يا رب ، يا ارحم الراحمين » •

واندفع الفرسان الى المياه يبردون بها غليلهم •

ونصبوا مضاربهم وجلسوا يستريحون من عناء الطريق البعيد ، ويتناولون بعض ما لديهم من طعام •

وعرفوا لذة الراحة بعد المسير المضني الطويل •

واذا بالامير السعودي ينتصب بينهم ليقول : ها نحن في نجد بعد سنوات طوال قضيناها في ارض بعيدة نائية ، ارضنا ستعود الينا ، بعد ان عدنا اليها ، غير انني اخشى ان يكون قومنا في منأى عنا ، اخشى ان يكون الغرباء قد سطوا على عقول اخواننا وابنائنا وابعدوهم عن عشيرتنا ، لذلك علينا ان نستقصي الاخبار قبل ان تطأ اقدامنا ارض « القصيم » • نحن سنقيم هنا وسنوفد احدكم الى القصيم ليستقصي لنا الاخبار وينبىء اخواننا بقدومنا •

وتطاولت الاعناق واشرأبت : من ؟•• من تراه يكون الرسول الذي سيقع عليه اختيار الامير الكريم ؟

ولاذ الامير فيصل بالصمت •

وراح يستعرض الفرسان لينتقي من بينهم رسوله الى الاخوان في القصيم •

ولاح من احد الفرسان انه يتمنى ان يكون الرسول •

الا ان الامير السعودي جاز عنه الى فارس آخر ليقول : انت يا سالم ستكون رسولي الى الاهل والاخوان في القصيم •

وخبا نور الامل في عيني الفارس الآخر ، وابتعد عن رفاقه ، على اسف واضطراب •

وناداه الامير فيصل اليه : تعال يا فهد بن عامر التميمي •

واقبل فهد ليقول : بماذا يأمر مولاي الامير ؟

قال الامير : يخيل الي انك راغب في الوصول الى القصيم قبل الجميع • أتراني اخطأت ؟

فلمعت الابتسامة على شفتي الفارس المغوار وهمس : الامير لا يخطىء يا مولاي •

قال الامير : اذن ستكون رفيق سالم العويصم الى القصيم • اطمئن ستشاهد خطيبتك ونسيبتك هند قبل ان تتوارى الشمس وراء الافق البعيد •

واتسعت الابتسامة على شفتي فهد التميمي •

وتقدم من الامير يقول : شكرا لك يا مولاي •

فربت الامير على كتف الشاب الوسيم وهمس : لك الله يا ابن التميمي • لقد حرمت من مرأى خطيبتك مدة طويلة من الزمن ، وها انت تعود اليها الان • ستشخص الساعة مع رفيقك في الجهاد سالم العويصم الى القصيم وتستقصيان اخبار الاهل والاخوان ، ثم تشخص الى حيث تقيم هند • الوطن قبل العاطفة والقلب يا فهد • اننا اليوم في موقف تقرير المصير • الحكم يجب ان يعود الى اصحابه ، بعد ان توارى عن ارضنا الغزاة المستعمرون • مهمتكما تنحصر الان في الاتصال بشيوخ القبائل من اخواننا لمعرفة رأيهم في عودتنا الى الحكم • هذا

كل ما اطلب منك ومن رفيقك سالم العويصم •

وكان سالم العويصم يقف على مقربة من فهد التميمي ويسمع كلام الامير فهتف : روحنا فدى مولانا فيصل بن تركي • لك ان تأمر وما علينا الا الانصياع يا سمو الامير •

قال فهد : سيكون لمولانا الامير ما يبتغي ويريد • سنشخص الى القصيم ونعود يا مولاي حاملين اليكم كل ما تريدون من اخبار •

قال الامير : رافقتكما السلامة • اننا لنقيم منكما على انتظار ممض ، لا تبطئا في العودة الينا ايها الفارسان الباسلان •

وودع فهد التميمي وسالم العويصم أميرهما ورفاقهما •

وامتطيا جواديهما وانطلقا يسابقان الريح في طريقهما الى مقاطعة القصيم •

والقصيم لم تكن لتبعد عنهما الا فراسخ قليلة طواها الفارسان العربيان في ساعات خمس •

وعندما وطأت سنابك جواديهما ارض القصيم ، كانت الشمس قد بدأت تخلع على الصحراء نورها الواهي ، وقد اشرفت على المغيب •

واوقف الفارسان جواديهما ، وراحا ينشقان هواء بلادهما على شوق ولهفة وحنين •

وادمعت عينا فهد التميمي وهو ينشق هواء نجد •

وهاجه الحنين الى الاهل والاخوان ، والى هند التميمية ، خطيبته ونسيبته الحسناء التي غاب عنها مدة طويلة من الزمن ليلحق باميره المفدى فيصل بن تركي الى مصر •

وتمنى فهد ان يطير الساعة الى هند ، الا ان اوامر الامير كانت صريحة واضحة لا مجال فيها للتأويل وللاجتهاد •

وماذا قال الامير ؟

قال : « عليكما ان تستقصيا اخبار الاهل والاخوان • ثم تشخص يا فهد الى هند • الوطن قبل العاطفة والقلب » • اذن عليه اولا ان يتصل بالشيوخ وبالزعماء ثم ينطلق الى حبيبة القلب والروح • اوامر الامير يجب ان تنفذ دون تردد ولا ابطاء •

والتفت فهد الى رفيقه سالم ليقول : ها نحن في القصيم الان يا سالم • الى دار من من الاهل والاقارب والاخوان ترانا شاخصين ؟

قال سالم : دور الاهل لا تزال بعيـــدة عنا • الا ان عمي جابر العويصم يقيم على مقربة من هذه الربوع • ارى ان نشخص الى دار عمي جابر فنبيت ليلتنا في داره ثـم نباشر الاتصال بالزعماء والشيوخ مع مطلع الصباح •

قال فهد ، وهو العاشق المتيم الولهان : لا •• لن نبيت الليلة الا في منازل ابناء القصيم • اذا اردت، نمر بدار عمك جابر فنطلعه على عودة الامير ونقف على رأيه في اعادة الحكم الى اصحابه ثم نكمل المسير •

قال سالم : هيا بنا يا فهد • فلنشخص الى دار عمي • ثم يكون لكل حدث حديث •

وانطلقا بجواديهما الى دار جابر العويصم •

ولم تكن دار جابر بعيدة ، فهي على مقربة من حدود القصيم •

ووصلا الى تلك الدار الصغيرة المنزوية تحت شجرات قليلة من النخيل فترجلا ووقفا يطرقان الباب •

دقائق قليلة وفتح الباب •

واطل منه جابر العويصم •• ودهش جابر وهو يرى ابن اخيـه ورفيقه الفارس في الباب •

وهس : سالم ؟ أأكون على خطأ ؟

ووثب سالم الى عمه يعانقه ويتمتم : لا يا عمي . ما انت على خطأ . انا سالم ابن اخيك .

فعانق جابر ابن اخيه ليقول : علمت انك في مصر منذ سنوات . متى عدت يا ابن اخي ؟

قال : ها انا اعود الان . ومعي رفيقي فهد بن عامر التميمي ، نحن قادمان من مصر ، داركم يا عماه هي اول دار نطرق بابها في نجد .

وتمتم جابر : مرحبا بكما يا ابن اخي ، تعال . تعال .

وقادهما الى الداخل ، ونادى اليه زوجته نائلة : لقد عاد ابن اخي سالم يا نائلة من سفره البعيد . الينا بما يبرد الظمأ ويروي الغليل .

واقبلت نائلة زوجة جابر العويصم ترحب بالفارسين وتحمل لهما شراب البلح .

ونادت ابنتها راغدة اليها : تعالي يا راغدة ، تعالي يا ابنتي رحبي بابن عمك .

واقبلت راغدة تخطر في الحسن والجمال .

ورحبت بابن عمها وبرفيقه الفارس الوسيم ثم انصرفت تهيء للفارسين الطعام ، في حين جلس جابر العويصم يتحدث الى ابن اخيه مستعلما عن حاله وعما صادفه في سفره من المتاعب والصعاب .

وراح سالم يروي لعمه كل ما حدث له .

ولم يخف عنه اخبار الامير فيصل ابن تركي .

ولاح من جابر العويصم انه شديد الاهتمام باخبار الامير فيصل ابن تركي فراح يستعلم من سالم ومن فهد انباء الامير واخباره .

وانصرف سالم الى قص ما لاقى الامير من المتاعب في منفاه .

وتساءل جابر العويصم : وما هي حال الامير فيصل الان؟ واين هو؟

قال سالم : انه هنا • في نجد يا عمي •

ـ في نجد ؟ الامير فيصل بن تركي في نجد ؟

ـ اجل • انه على مقربة من القصيم •

ولمعت الدهشة في عيني جابر العويصم •

قال بتساؤل ملحاح : وكيف استطاع العودة الى نجد يا سالم ؟ وهل ينوي الاقامة في ربوعنا ؟

وتولى فهد التميمي الكلام قال : الامير فيصل ما جاء الى نجد ليعود الى ديار الاغتراب • لقد جاء يا سيدي ليستعيد حكم آبائه واجداده • الامير فيصل صاحب حق وقد عاد ليستعيد حقه في الحكم والامارة •

وصمت جابر العويصم •

وصمت معه الفارسان •

وساد الصمت ارجاء المكان برهة من الزمن ، عاد بعدها فهد التميمي الى الكلام ليقول : نحن ما جئنا اليكم يا سيدي الا لنقف على رأيكم في عودة الامير فيصل وفي بسط سلطانه على نجد •

وهمس جابر العويصم : ان اشهى امانينا العذاب هو ان يعود الحكم الى اصحابه يا ابني • الا ان الامر اصبح بعيد المنال الان •

ووجم الفارسان ، ماذا يقول جابر العويصم ؟

ولماذا تكون عودة الحكم الى اصحابه في نجد بعيدة المنال بعد ان نأى العثمانيون والمصريون عن تلك الديار ؟

وساد الصمت بينهم برهة من الزمن •

وعاد جابر العويصم الى الكلام بعد صمت قصير ليقول موضحا :

يخيل الي ان شيوخ القبائل لن يرضوا بعـودة الامير فيصل الى الحكم في نجد •

وتساءل فهد التميمي : لماذا يا سيدي ؟ هل لنا ان نعلم السبب في النقمة على الامير فيصل ؟

قال : ليس ثمة من نقمة على الامير يا فهد ، الا ان ثمة عبد الله بن ثنيان يأبى ان ينافسه منافس على الحكم في نجد •

فوجم فهد التميمي وهمس : عبد الله بن ثنيان ؟ انه عميل الامير فيصل ، وهو ما تولى الحكم الا باسمه ، ولولا غياب الامير في المنفى القاصي البعيد لما عرف عبد الله بن ثنيان الى الحكـم في نجد طريقا • وما دامت هذه حاله فمن الطبيعي ان يهـرع عبد الله لاستقبال الامير فيصل وللانضواء تحت لواء الامير العائد من منفـاه على انفة وعظمة وشموخ •

قال جابر العويصم : لقد بـات عبد الله بن ثنيان حاكما قوي الشكيمة واسع الثراء ، ذا سطوة وقدرة وسلطان ، وهو لن يتخلى عن الحكم من اجل سواد عيني العائد من منفاه •

فتمتم فهد : العائد من منفاه يا سيدي صاحب حق ، وهو ما عاد الى بلاده الا ليستعيد حقه السليب •

فانبرى سالم العويصم يقول لعمه : الامير فيصل الحاكم الشرعي يا عماه • وما دام رب البيت قد عاد الى بيته فما علـى الغرباء الا ان يخلوا البيت ويرحلوا •

قال سالم العويصم : يلوح لي ان عودة الامير فيصل الى الحكم الان باتت املا واهيا بعيد المنال •

فهمس فهد التميمي : بل هي حقيقة يا سيدي • انها حقيقة ناصعة

وضاحة الجبين • الامير يجب ان يعود الى بلاده حاكما كما غادرها منذ سنوات خمس حاكما • ان الامير فيصل ما ذاق مرارة النفي والتشريد الا من اجل بلاده ، من اجل حرية هذه البلاد واستقلالها وسيادتها • وقد بات عليها الان ، وقد استقلت وسادت ، ان تكافىء بطلها الفيصل وتعيد اليه الحكم الذي اغتصبه منه الاجنبي •

قال جابر : هذا هو رأيك يا فهد ، وربما كان هذا الرأي رأيي ايضا ، الا ان رأيك ورأيي يختلفان عن آراء شيوخ القبائل وابناء نجد •

فوجم فهد التميمي ، ودهش سالم العويصم وكلام جابر يقع منهما في الآذان • اذا صح ما يقول جابر العويصم تحتم على الامير فيصل ان يخوض معارك دامية للوصول الى حقه في الحكم •

واذا براغدة ، ابنة جابر ، تطل عليهم حاملة الطعام •

وجلسوا يتناولون الطعام ، في حين اقامت راغدة على خدمتهم وهي ترمق ابن عمها سالما من حين الى آخر بنظرات حالمة بعيدة المدى عميقة القرار •

وكان سالم يبادلها النظرات باشتياق •

وتفاهم القلبان ، قلب راغدة وقلب سالم ، دون ان ينبس احدهما بكلمة •

وما ان فرغوا من تناول الطعام حتى استأذن فهد وسالم رب البيت جابر العويصم بالانصراف •

وابى جابر ان يسمح لهما بالانصراف •

قال : ستبيتان ليلتكما عندنا ، وتغادراننا مع مطلع الصباح •

قال فهد : نحن في سبق مع الزمن يا سيدي • علينا ان نكمل المهمة التي قطعنا الفيافي وطوينا الصحراء من اجلها ، قبل ان يدهمنا

الزمن ويقطع علينا سبيل الفوز بما نريد لاميرنا •

قال جابر : الاخطـار تكمن لكما في مكامن الصحراء ، ليلا ، والسير في النهار اضمن لكما واسلم يا ولدي •

فأبى فهد ان يذعن لنصيحة الشيخ جابر •

قال : السير ليلا ايسر واهون يا سيدي ، ثم ان المسافة بيننا وبين ما نقصد ليست بالشاسعة ولا بالبعيدة •

قال بتساؤل ملحاح : والى اين تقصدان ؟

قال سالم : اننا لنقصد قبيلة تميم • وهدفنا طلال التميمي عم فهد• اننا لنبغي زيارته والوقوف منه على رأيه ورأي انصاره في عودة الامير فيصل الى الحكم •

فوجم جابر العويصم •

قال : ارى ان تكتفيا بما سمعتما مني ، وتعودا الى الامير ناصحين اياه بالعودة الى مصر •

فبادر فهد الى القول : بل نرى ان نكمل سيرنا وان نقف على آراء سائر شيوخ نجد يا سيدي •

فهمس جابر : لكما الخيار ، الا انني اؤكد لكما انكما لن تسمعا الا ما سمعتما مني • الحكم اليوم معقود اللواء لعبد الله بن ثنيان ولن يجرؤ شيخ من شيوخ القبائل ان يعلن على عبد الله التمرد والعصيان •

قال فهد : مهمتنا تنحصر في الوقوف على الآراء كلها يا سيدي ، ونحن لن نعود الى الامير الا وقد قمنا بهذه المهمة خير قيام •

قال : لكما الخيار في ما تبغيان • رافقتكما السلامـة • وليسدد الله خطواتكما في طريق تحقيق هدفكما النبيل •

وودعاه شاكرين له حسن وفادته وسخاء ضيافته •

وامتطيا جواديهما ، واطلقا لهما العنان .

واذا بصوت عذب شجي يرن في مسمعيهما قبل ان يتواريا عن دار جابر العويصم : سالم ! يا سالم !

وأوقفا الجوادين ..

والتفتا الى مصدر الصوت ، فاذا براغدة ابنة جابر العويصم تلوح لهما من بعيد ، وهي تعدو نحوهما .

واقتربت منهما ، وفي يدها صرة تحتوي على بعض الطعام .

وهمست راغدة ، وهي تقترب من سالم : سالم ! اليك بشيء من الطعام يا ابن عمي . قد تطول بكما الطريق فلا تجدان ما تسدان به الرمق .

وترجل سالم عن متن جواده واقترب منها هامسا : راغدة ! لماذا تتعبين نفسك وتتكبدين مشقة اللحاق بي ؟ لم يكن لك ان تغادري الدار والليل يرخي سدله القاتمة على هذه الربوع يا ابنة عمي .

قالت : في سبيلك تهون المشقات يا سالم .

قال وهو يتناول من يدها ما جادت به من طعام : شكرا لك يا راغدة . ارجو ان استطيع يوما ان افرح قلبك وان اعيد لك ما تبدين نحوي من جميل .

فهمست : هلا عدت الينا يا سالم ؟

قال : ان شاء الله .. ان شاء الله .

وامسك بيدها يشدها مودعا .. وهمس : الى اللقاء يا راغدة .

فتمتمت شفتاها بأسى وحنين : رافقتك السلامة يا سالم .

ووثب الى جواده يمتطيه ويطلق له العنان .

ووقفت راغدة تشبعه بنظرة حالمة فيها كل معاني الهوى العذري

النبيل الشريف •

وتمتم فهد التميمي ، وهو يسير بجواده قرب جواد صديقه سالم العويصم : فلتهنأ بحبها يا سالم •

قال سالم : اتراها تحبني يا فهد ؟

قال فهد : كما تحبها يا صديقي •

وانطلق الجوادان بهما يطويان بساط الصحراء الرحيب على خبب واندفاع ، ولاذ الفارسان العربيان بالصمت ، وهما يطويـان الصحراء وكل منهما يفكر بحبيبته • فهد التميمي يفكر بهند ، وسـالم العويصم يفكر براغدة ، والليل يرخي عليهما سدله السوداء ، والنجوم ترنو اليهما وهي تسطع لامعة في كبد السماء •

★ ★ ★

وصل الفارســان فهد وسالم الى حمى آل التميمي في القصيم وخيوط الفجر تكحل مقلة الليل البعيد •

وكانت انوار الفجر تسكب ذوبها علـى رمال الصحراء فتزيـد رهبتها رهبة ، وخشوعها خشوعا •

وشجيرات النخيل تتمايل بين ايدي نسيم الصباح العليل •

وكل شيء هادىء صامت ساكن في حمى آل التميمي •

وسار الفارسان بالجوادين بين المنازل الصغيرة والبيوت والدور الى دار طلال التميمي •

وتوقفا امام دار صغيرة تحيط بها شجيرات النخيل من كل جانب•

وتقدم فهد من باب دار عمه يطرقه ..
ووقفا ينتظران .
ولم تطل وقفتهما .
برهة وجيزة ، وفتح الباب .

واطل طلال التميمي ليقف مندهشا وهو يرى ابن اخيه فهدا امامه : فهد .. أأكون في حلم ؟

وتمتم فهد : لا يا عماه . ما انت في حلم ، ابن اخيك فهد امامك .
وتعانقا ..

ودخل فهد وراء عمه الى الدار ، وتبعهما سالم العويصم .
وفي صحن الدار استقر بهم المقام ..

وراح طلال التميمي يسأل ابن اخيه اسئلة عديدة : كيف حالك يا فهد ؟ ومتى عدت من رحلتك الطويلة ؟ وماذا تحمل الينا من انباء ؟

وتمتم فهد : لقد وصلت ليلة امس الى نجد ، انني عائد من مصر يا عمي .

ـ من مصر ؟ وكيف حال اميرنا الفيصل يا فهد ، هلا انبأتنا عن حاله في المنفى القاصي البعيد ؟

قال فهد : الامير بالف خير ، وهو الان في نجد . لقد عاد الى بلاده بعد طول النوى والبعاد .
ـ عاد ؟ الامير في نجد ؟

وهمس فهد : اجل .. عاد الامير فيصل ليستعيد الحكم يا عماه ، وانا ما جئت اليك الا لاقف منك على موقفك من الامير واطلب اليك مد يد المساعدة والعون .
ووجم طلال التميمي .

والتفت الى رفيق ابن اخيه ، سالم العويصم ، وكأنه يخشى ان يبوح امامه بما في صدره من اسرار •

وادرك فهد ما يجول في خاطر عمه من حذر فقال : لا تخش شرا يا عماه ، ولا تكن من رفيقي على حذر • انه سالم العويصم • من جنود الامير البواسل •

فقام طلال التميمي الى الباب يوصده ثم يعود الى مجلسه قرب ابن اخيه ليهمس : اسمع يا فهد • الحال خطرة والزمن ليس زمن الامير، ولا العهد عهده • خير للامير ان يتريث في السعي لاستعادة الحكم •

قال فهد : يلوح لي انكم تعارضون عودة الامير الى نجد •

قال طلال : لا والله لم نكن لنعارض عودة الامير الى الحكم ولا عودة الحكم الى الامير وهو صاحب حق فيه ، لم نكن لنعارض العودة يا ابن اخي لو لم يكن ثمة عبد الله بن ثنيان ، وعبد الله غادر بطاش • اننا نخشى منه على اميرنا • يلوح لنا ان عبد الله لن يتوانى عن الفتك بالامير ، والبطش باتباعه ومناصريه ، ونحن منهم •

قال فهد : سنكون له بالمرصاد • الامير لن ينام على الضيم ، ولن يعود سيفه الى غمده الا وقد استعاد حكم آبائه واجداده ، هو يريد ان يعلم الان ، هل انتم في جانبه ؟ اتناصرونه على اعدائه وتنصرون الحق على الباطل ؟

قال طلال : اننا معه • نقف بجانبه ونحارب في صفوفه اذا اضطر الى امتشاق الحسام • غير اننا نخشى غدر ابن ثنيان وهو كما قدمت غادر بطاش •

قال : لم يكن ابناء نجد الاشاوس الابطال ليخافوا يوما عواء الثعالب • نحن اصحاب حق ، وصاحب الحق ابدا على انتصار •

فصمت طلال التميمي برهة لينصرف الى التفكير البعيد : فهو من انصار الامير فيصل ، وقد حارب الى جانبه يوم قاوم الامير الجيوش العثمانية والجيوش المصرية ، وهو على استعداد لمناصرة الامير كل آن وحين ، الا انه يخشى عبد الله بن ثنيان المالك سعيدا والجالس على مقعد الحكم .

ان هو ناصر الامير فيصل فلن يأمن شر بن ثنيان ، واذا ما قدر للامير فيصل الاندحار امام عبد الله بن ثنيان ، فان عبد الله لن يتورع عن البطش بكل من مد الى الامير يد المساعدة والعون .

ولمس فهد التردد والخشية في نفس عمه .

فهمس : الامير عاد من منفاه وحوله فرقة من الفرسان ، وهو عازم على استعادة الحكم ، ان لم يكن بالحسنى فبالسيف . وليس لكم يا عماه ان تقفوا موقف التردد والتخاذل . اما ان تنصروا الامير واما ان تقفوا الى جانب اعدائه .

فهتف طلال التميمي : نحن الى جانب الامير يا بني . لن نقف موقف المتخاذلين ، ولن نتردد في مناصرة الامير على اعدائه . ولكن علينا ان نكون على حذر وان نعمل سرا على تحقيق ما نصبو اليه .

قال فهد : انا سأجول في القصيم لاقف على آراء الشيوخ والزعماء في عودة الامير .

قال طلال : كلهم يناصرونه ، كلهم يقفون بجانبه ، ان عبدالله بن ثنيان بغى وتجبر وظلم . وابناء نجد ، ينتظرون الخلاص من عبودية عبد الله بن ثنيان بفارغ صبر الا انهم يخشون بطشه وانتقامه ، فهو بطاش غادر هدار وليس لهم طاقة على عدائه .

قال فهد : ما دام الامير فيصل هنا فهو يحميهم ويرد عنهم غدر

الغادرين وبطش الباطشين وانتقام المنتقمين .

قال طلال : وثق يا فهد انهم سينصرون الامير علـى عبد الله بن ثنيان . ما عليك الان الا ان تتصل بانسبائنا وباقاربنا واهلنا واصدقائنا وتبلغهم رغبة الامير ، وانا سأساعدك في المهمة السمحاء .

ونهض فهد يهم بالذهاب فاعترض طلال سبيله .

قال : لا .. لن تخطو خطوة قبل ان تتناول الطعـام مـع رفيقك وتشاهد خطيبتك يا فهد .

وهمس فهد : علي ان اقوم بالمهمة اولا يا عماه ثم اعود اليكم .

واذا بهند تطل عليهم .

فشعر فهد برعشة محمومة تسري في عروقه وعينـاه تقعان على حبيبة القلب والروح .

ولاح من هند انها مضطربة ساهمة .

رؤية خطيبها ، بعد طويل البعاد ، اثار في فؤادها كوامن الهوى والحنين .

وابتسم سالم العويصم وهو يشاهد الحبيبين في وقفتهما الحالمة الساهمة العصماء .

وتذكر موقفه من راغدة ابنة عمه ساعـة وقعت منها العين عليـه ووقعت منه العين عليها .

وهمس في سره : يا لقلوب الهائمين المحبين .

وتقدمت هند بخطوات مرتجفة واهية مـن فهد ، ومدت يدهـا تصافحه برعشة واضطراب وهمست : اهلا بابن عمي . انني لفي قمـة السعادة وانا اراك قربي يا فهد .

وشدت اصابع فهد ، اصابع هند .

وهمس : سعادتك ليست بأرحب ولا هي بأعمق من سعادتي وانا اراك يا هند • انني لاتربع الان على قمة السعادة والهناء •

وتبادلا النظرات الحالمة البعيدة المدى العميقة القرار •

وودا لو انهما في خلوة لا تقع عليهما عين •

ودا لو انهما في منأى عن والد هند وسالم العويصم ، اذن لافاضا في بث لواعج الحنين ولهيب الشوق والهيام •

وانبرى طلال التميمي يقول لابنته : اسرعي يـا هند في اعـداد الطعام • ابن عمك وصديقه مضطران الى مغادرتنا على سرعة وعجل •

فلمع الحزن في عيني هند ، ووالدها يعلن لها رغبة فهد في الرحيل، غير انها لم تستطع العصيان ، فأسرعت الى امها سليمى تبلغها اوامر ابيها في الاسراع باعداد الطعام •

واسرعت الام والابنة فاعدتا الطعام •

وحملت هند ما جهز من طعام الى الضيفين •

وتناول فهد وسالم الطعـام على عجـل ، وودعا طلال التميمي واسرعا بالذهاب •

ووقفت هند تشيع ابن عمها بنظرات تغمرها الدموع : يا لحظها التعس البائس المنكود • ما كاد فهد يعود اليها حتى عـاد الى الابتعاد عنها • وهكذا يتحتم عليها ان تقضي حياتها في ألم وشقاء ونوى وبعاد•

٢

مع شيوخ القصيم

قام فهد التميمي بالمهمة الملقاة على عاتقه خير قيام ، فاتصل بالزعماء وبالشيوخ في نجد ، واستطاع ان يجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم حول الامير فيصل بن تركي .

وابناء نجد كانوا يحملون للامير فيصل المحبة والتقدير والاحترام والوفاء .

وكانوا ينتظرون عودته بفارغ صبر وهم يأملون ان يرفع عن كواهلهم العبء الثقيل الذي القاه عبدالله بن ثنيان على تلك الكواهل.

فما ان حمل اليهم فهد التميمي نبأ عودة الامير ورغبته الملحاح في استعادة الحكم حتى هبوا لمناصرة الامير العائد من منفاه على امل باسم وارف الظلال .

وكان شيوخ وزعماء بلدة العنيزة اكثر النجديين حماسا ورغبة في مناصرة الامير فيصل بن تركي .

ولاقت دعوة فهد التميمي في العنيزة التربة الصالحة والآذان الصاغية والهمم الشماء ..

وقال الزعماء العنيزيون : ارواحنا فدى الامير ..

واطمأن فهد التميمي وقد لمس في شيوخ نجد وزعمائها التعصب لاميرهم والرغبة الصادقة في نصرته وفي اعادته الى الحكم .

الا ان خشية النجديين من انتقام عبد الله بن ثنيان اهابت به الى

التريث في الاسترسال بالتفاؤل والآمال •

وعزم فهد التميمي وسالم العويصم على العودة الى الامير ، ليحملا اليه النبأ السار ، نبأ تأييد الشيوخ والزعماء عودته الى الحكم •

وسارا عائدين الى الامير •

ولم يكن ثمة بد من التعريج على دار طلال التميمي في طريق العودة •

سيشاهد فهد ابنة عمه هند ويكحل عينيه بطلعتها قبل ان يعود الى الامير •

وشخص الفارسان الباسلان الى دار طلال التميمي ، فاستقبلهما صاحب الدار بالترحيب الشديد •

واستطلعهما الاخبار : ماذا لديكما من اخبار شيوخ القبائل وزعمائها ؟

ورد فهد : ما هناك الا روائع الاخبار يا عماه • شيوخ القبائل وزعماؤها يرحبون بعودة الامير فيصل الى الحكم •

قال طلال : اطمئنا يا ولدي • الامير سيعود الى الحكم في نجد ، وسينقذ ابناء نجد من ظلم عبد الله بن ثنيان •

فتساءل سالم العويصم : وهل انت على يقين يا سيدي مما تقول ؟

قال : كل اليقين • لقد اتصلت بالاهل وبالاصدقاء من الشيوخ والزعماء مستطلعا رأيهم في عودة الامير ، فلم ألق منهم الا كل ترحيب وتأييد • لن ننتظر وصول الامير الكريم الينا ، بل نحن سنوافيه الى ضواحي القصيم ونعود به في موكب من تكريم واجلال الى ارض آبائه واجداده • بلغا الامير فيصل تحياتي واحترامي ، واحملا اليه مودة ووفاء ابناء نجد •

فلمعت الفرحة في عيون الفارسين العربيين ، وطلال التميمي يعلن

لهما النبأ المفرح السار : الحمد لله العظيم ، مهمتهما تكللت بالفوز والنجاح .

وأقام فهد يرقب اطلالة هند .

فهو في اشتياق رحيب اليها .

انه ليقيم منها على شوق وحنين .

وهو يرقب عودة الامير واستتباب الامن في البلاد ليتم زفافهما وتكمل فرحتهما وتشبيع السعادة في القلبين النديين الهائمين ..

ولم يطل انتظار فهد التميمي .

فقد اطلت هند تحمل الى الضيفين شهي الطعام .

وخفق قلب فهد وهو يشاهد حبيبته هند . وخفق ايضا قلب هند، وعيناها تقعان على الحبيب ..

وتبادل الحبيبان نظرات هائمة سريعة ، الا انهما لم يهمسا بكلمة .

فلا هند تكلمت ، ولا فهد .

ومدت هند الطعام امام الضيفين .

ورجعت ادراجها الى خدرها .

وعاد فهد وسالم والشيخ طلال الى تبادل الاحاديث والى تناول الطعام .

وهم فهد وسالم بالرحيل وقد اشرفت الشمس على الأفول .

الا ان طلال التميمي ابى عليهما الرحيل .

قال : لن تغادرا الدار في مثل هذه الساعة ستشدان الرحال مع مطلع الفجر البعيد .

وحاول سالم العويصم الاعتراض ، فهو يريد ان يصل الى دار عمه جابر ليشاهد راغدة ، الا ان رب الدار اصر ، وفهد لم يكن متحمسا لمغادرة تلك الدار ، وفيها حبيبة القلب والروح .

وقضى فهد وسالم ليلهما في دار طلال التميمي .
ومع مطلع الفجر ، نهضا وراحا يستعدان للرحيل .
واذا بهند تطل عليهما حاملة اليهما بعض الطعام ليكون زادا لهما.
وتقدمت ابنة طلال التميمي من خطيبها تدفع اليه بالطعام وتهمس : ارجو الا يطول غيابك عنا يا ابن العم .

قال : وهل يستطيع فهد التميمي ان يبتعد طويلا عن هند ؟
قالت : وهي تخفض نظرها حياء : لقد ابتعدت عن هند مدة طويلة دون ان تذكرها ودون ان يهزك الشوق والحنين اليها .

وشاهد سالم العويصم الحبيبين في همساتهما فابتعد عنهما .
وتقدم فهد من هند يمسك بيدها ويهمس : هند ! ثقي بانك لم تغيبي عن خيال فهد لحظة واحدة . ثقي يا هند انك تعيشين في قلبي وفي روحي وفي خيالي ، لو لم اكن مضطرا الى الابتعاد عنك لما ابتعدت . كم اتمنى ان اظل قربك يا هند ، كم اتمنى ان ينتهي جهادنا وان نعود الى وطننا ، وان يسود الامن والسلام والاطمئنان ارض نجد الحبيبة .
فهتفت هند : كلنا فداء نجد يا فهد ، حياتنا واموالنا وارواحنا نبذلها رخيصة من اجل هذا الوطن العزيز .

قال : انني لسعيد يا هند وانا المس في نفسك الابية هذه الروح الوطنية السمحاء . الوطن دائما بحاجة الى قلوب عامرة بالوطنية الصادقة وبالكرامة المئناف . وما قلبك النبيل الا قلب من هذه القلوب الطاهرة الابية العصماء يا حبيبتي .

وشدت اصابعه اصابعها على شوق وحنين ، فاغمضت هند عينيها وهمست : سر يا حبيبي على بركات الله . فلترافقك السلامة ، وليأخذ الله بيدك ويصونك وينصر اميرنا المفدى فيصل بن تركي .
وهمس فهد : الى اللقاء يا حبيبتي .

فتمتمت : الى اللقاء القريب يا حبيبي •
واذا بوقع خطى يتكسر في آذانهما •
فأسرعت هند بالعودة الى خدرها وهي ترمق حبيبها بنظرة هائمة حزين ••

واطـــل طلال التميمي ، واقترب من فهد ليقــول ، وهو يشاهده هاما بالرحيل : رافقتك السلامة يا ابنـــي • بلّغ الامير فيصل تحياتنـــا واشواقنا • سنسير اليه قريبا وستزحف نجد لاستقباله استقبالا رائعا مهيبا • الى اللقاء القريب يا فهد •
وودع فهد وسالم طلال التميمي •

وامتطيا جواديهما واطلقا لهما العنان ، فراح الجوادان الاصيلان ينهبان الصحراء نهبا ويطويان الرمال في طريقهما الى ضواحي القصيم•
ولم يكن ثمة بد من المرور بدار جابر العويصم ، فالدار تلك تقع في طريق الفارسين الباسلين •
وقبل ان يبلغا تلك الدار بقليل شاهدا سربا مـــن الصبايا يوردن الماء عند بئر تحنو عليها شجرات النخيل ••
وشعر سالم العويصم برعشة خفية تسري في دمه وعيناه تقعـــان على الصبايا الواردات : ترى اتكون راغدة بينهن ؟
واقتربا منهن فراح سالم يبحث عن حبيبته بينهن • قلبه يحدثه بان ابنة عمه بين الصبايا ••
ولم يخطىء حدس قلبه •
لقد كانت راغدة بينهن ••

وما ان شاهدت الفارسين حتى ابتعدت عـــن الرفيقات الصديقات على رعشة وخشية واضطراب : ها هو سالم يعود من رحلته • ترى هل وفق في المهمة التي انتدبه اليها الامير ؟

واقترب الفارسان من راعدة ، فوثب سالم عن جواده هاتفا :
ـ راغدة ! انني لسعيد في لقائك يا ابنة عمي الحبيبة •
ومد يده يصافحها ، فاذا بيدها ترتجف في يده •
وهمست : سالم ! كنت ارقب عودتك بفارغ صبر يا ابن عمي • هناك امور رهيبة اود ان اطلعك عليها •

فخيل اليه ، ان تلك الامور الرهيبة لا تتعدى معضلات القلب •
خيل اليه انها امور عاطفية : ترى هل هناك من يسعى لسلخ راغدة عنه ؟ هل هناك من يريد ابعادهما عن بعض ؟

وتساءل سالم : ما هي هذه الامور يا راغدة ؟
فأمسكت بيده هامسة : فلنبتعد •• تعال •• الى هناك يا سالم •
وسارا الى بعيد •
وجلسا تحت شجرة نخيل باسقة وارفة الظـلال • في حين وقف فهد التميمي ينتظر عودة رفيقه اليه •
وهمس سالم العويصم ، وقد جلس قرب راغدة تحت ظلال النخلة العالية : ما هي هذه الامور الرهيبة التي تريدين اطلاعي عليها يا راغدة؟
فهمست بقلق وخشية : امور تتعلق بحياة الامير •
فوجم سالم •
وتمتم : ماذا تقولين يا راغدة ؟ اتكون حياة الامير فيصل في خطر؟
قالت ، وهي ترتجف : اجل يا سالم •• اجل •
قال : ومن نراه ذاك المجرم الذي يهدد حياة الامير !
فهمست بذل وانكسار : انه والدي يا سالم •
وتحول الوجوم في وجه سالم الى ذعر وهمس : عمي ؟ مستحيل !
فتدحرجت الدموع على خديها الاسمرين وقالت : ان والدي من انصار عبد الله بن ثنيان يا سالم • وهو من اصدقاء الحاكم الاوفياء •

ما ان علم برغبة الامير فيصل في العودة الى الحكم حتى حمل الخبر الى صديقه الحاكم ، الى عبد الله •• وجاء الحاكم بنفسه مع زمرة من اتباعه الى دارنا ليلة امس ، وعقدوا اجتماعا سريا استمر طيلة الليل •• لقد استطعت ان استرق السمع وأقف على ما دار بينهم من حديث •

قال سالم : سأدعو رفيقي فهد التميمي للاستماع الى مـا تقولين يا راغدة •

فعارضت ، قالت : لا •• لا اريد ان يقف غريب على خيانة والدي يـا سالم •

قال : فهد التميمي اخي ورفيقي • وهو ليس بغريب عنا • يجب ان يقف فهد على السر يا راغدة •

ونادى اليه فهدا •

فأقبل ابن التميمي متسائلا : ما بك يا سالم ؟

قال سالم العويصم : تعال يا فهد ، تعال واستمع معي الى ما تحمل الينا راغدة من اسرار رهيبة مروعة •

وجلس فهد قرب سالم •

وراحت راغدة تروي للفارسين تفاصيل المؤامرة على حياة الامير•

قالت : تباحث المجتمعون في دارنا ليلـة امس في امر الحرب • فارتأى البعض منهم مفاجأة الامير فيصل ورجاله ليلا والانقضاض عليهم والفتك بهم ، الا ان الحاكم عبد الله بن ثنيان عارض الرأي وقد خشي ان يكون الامير ورجاله على حذر وان ينتصر الامير •• وبعـد مداولة وآراء عديدة اتخذ المجتمعون قرارا بالقضاء على الامير قتلا •• لقـد حكموا على الامير فيصل بالقتل غدرا •

فتمتم فهد بقلق واضطراب : كيف ؟ وبماذا يريدون قتل الامير ؟

قالت : بالسم ؟ الامير فيصل سيموت مسموما اذا لم تسرعا الى

نجدته ، حياة الامير رهن بهمتكما ايها الفارسان •

فعاد فهد الى السؤال : ومن هو الذي اتتدب لتنفيذ المؤامرة ؟

قالت والخجل يسحقها : ابي •• لقد شخص ابي صباح اليوم الى حيث ينشر الامير فيصل مضاربه حاملا اليه هدية من الطعام والحلوى مسمومة •• سيتناول الامير الطعام •• ولكما ان تتصورا ماذا سيكون•

والتفت فهد الى رفيقه سالم العويصم قائلا : علينا بالاسراع يا سالم لئلا يفوت الاوان • الويل كل الويل لعبد الله بن ثنيان اذا حل بالامير مكروه •

وأمسك سالم العويصم بيد حبيبته راغدة يشدها هامسا : شكرا لك يا راغدة على ما ابديت لنا ولاميرنا من جميل لن ننساه •

قالت : لي عندكما امنية يا سالم •

قال : امنيتك مضمونة التحقيق يا راغدة • ما هي ؟

قالت : ان تنظرا الى والدي بعين الرحمة يوم ينتصب ميزان العدالة لمحاكمة الخائنين •

ونزل ما قالت راغدة في اذن فهد فتمتم : اذا لم يصب اميرنا بأذى فان والدك سيعود اليك يا راغدة اما اذا ••

وقطع سالم على فهد حديثه قال : نرجو ان نصل الى الامير قبل فوات الاوان وان ننقذ والدك يا راغدة •

ولمع الحزن العميق في عيني راغدة ، وقد ايقنت ان حياة والدها اضحت في خطر ، اذا قضي على الامير فيصل فسيقضى على والدها ، رجال الامير ، ومنهم حبيبها سالم ، لن يعفوا عن حامل السم لاميرهم المفدى •

ورنت راغدة الى ابن عمها سالم بنظرة حزن •

وهمست : لا تنس يا سالم ان والدي عمك ، ارجوك ان تعيده

اني سالما •

وهمس سالم : ارجو ان نصل الى الامير قبل فوات الاوان يا راغدة •

ووثب الفارسان الباسلان، فهد وسالم ، الى جواديهما يمتطيانهما• واطلقا للجوادين العنان في الطريق الى ضواحي القصيم ، الى معسكر الامير •

٣

مؤامرة أثيمة

اقام الامير فيصل بن تركي بين رجاله ، في المعسكر يرقب عودة الفارسين ، فهد التميمي وسالم العويصم ، بفارغ صبر •

وكان الامير العربي الابي يرسم الخطط في خاطره ويعد العدة لاقتحام القصيم واحتلالها اذا لم يوفق الفارسان في مهمتهما •

اما اذا وفقا ، واذا لقيا بين شيوخ القبائل وزعمائها آذانا صاغية وترحيبا كريما وانتصارا له، فان دخول القصيم لا يحتاج الى اراقة دماء•

وطال انتظار الامير فيصل •

وبدأ القلق يستبد به •

وبدأت الهواجس والافكار السوداء تقض مضجعه : ترى ماذا حل بفهد التميمي وبسالم العويصم ؟ ايكون رجال عبد الله بن ثنيان قد احتجزوهما ؟ اتكون حياة الفارسين في خطر ؟

واشتد القلق بالامير فيصل ، وقد اشرف الاسبوع على الانقضاء والفارسان فهد وسالم ما بان لهما اثر .

وعزم على مهاجمة القصيم برجاله القلائل .

وسينتظر الى الغد ، اذا لم يعد الفارسان في الغد فهو سيغير على القصيم وسيلقى العون والغوث والمساندة من بعض الشيوخ والزعماء الذين ما زالوا يدينون لاسرته الكريمة بالولاء وبالوفاء .

وجمع الامير العربي رجاله حوله ، يستشيرهم ويقف منهم على الآراء ..

وتداولوا ..

وارتأوا التريث الى الغد ، ان غدا لناظره قريب .

وفيما الامير ورجاله يعقدون اجتماعهم اقبل عليهم احد الرجال ليقول للامير : ارى على بعد قافلة مقبلة الينا يا مولاي .

ــ قافلة ؟

وخرج الامير ورجاله من مضاربهم ، فاذا بهم امام قافلة تقترب من المضارب .

ووقفوا يرقبون اقتراب القافلة على حيرة وتساؤل : اتراهم اعداء ام اصدقاء ؟

واقتربت القافلة ..

وشاهد الامير ، على رأس القافلة ، جابر العويصم على ظهر بعير.

واطمأن الامير بعض الاطمئنان وهو يرى جابرا ، لقد كان ابن العويصم ، من الانصار قبل ان يغادر الامير نجد الى مصر ، وهو قادم الان على رأس قافلة بلا سلاح ، اذن فرجال القافلة ، من الاصدقاء لا من الاعداء .

ووصلت القافلة ، وترجل جابر العويصم .

وترجل رجاله .
ووثب جابر الى الامير يعـــانقه مرحبا بقدومه الى ارض الآباء والاجداد .
وامسك الامير فيصل بيذ الصديق القادم اليه من القصيم ، ودخل به الى مضربه .

وهناك اجلسه الى يمينه ليسأله : ما اتى بك الينا ايها الاخ العزيز؟
قال جابر : انا رسول الحاكم عبد الله بن ثنيان الى مولاي الامير، لقد وصل الى الحاكم نبأ قدومكم فارسلني لأرحب بكم باسمه ، وارسل معي شيئا من الطعام والاثمار والحلوى هدية ولاء وتقدير واحترام .

قال الامير : وكيف وصل اليكم والى الحاكم نبأ قدومنا ؟
قال جابر : لقد حمل الينا النبأ السار ، الفارسان فهد التميمـــي وسالم العويصم .
قال الامير : واين هما الان ؟
قال : انهما في القصيم يتصلان برجال القبائـــل وزعمائها ، وهما يلاقيان كل ترحيب وتقدير . يكفي انهما رسولا مولانا الامير فيصل بن تركي ليلقيا الترحيب والاحترام في نجد ، من اقصاها الى اقصاها .

فاطمأن الامـــير فيصل بعض الاطمئنان ، الحمد لله ، فهد وسالم بخير ، وعودته الى الحكم باتت وشيكة التحقيق .
وعاد جابر العويصم الى الكلام ليقول : ان عبد الله بن ثنيان ، وهو الحاكم باسمكم في نجد يا مولاي ، يرحب بعودتكم اجمل ترحيب ويدعوكم لاستلام الحكم الذي اثقلتم عاتقه بحمله .

فارتاح خاطر الامير كل الارتياح . يبدو ان عبد الله بن ثنيان لا ينوي التمرد والعصيان ، سيعود الامير الى الحكم دون اية مقاومة ولا اي عناء .

قال الامير العربي الباسل : احمل الى عبدالله بن ثنيان ، محبتنا، وعطفنا • سيكون له مقام رفيع لدينا ، وقد بدا منه ما بدا من كرم خلق ونبل وشهامة • ونهض جابر العويصم ليقول : ارجو ان يسمح لي مولانا الامير بالعودة • لأكون ، مع الحاكم ، في استقباله يوم يدخل مقاطعة القصيم •

قال الامير : لن تعود قبل ان تتناول الطعام معنا يا جابر •

فاعتذر جابر العويصم عن تلبية دعوة الامير الكريم قال : ارجو ان يسمح لي مولاي بالعودة الى الحاكم •

وخرجا ، فاذا برجال جابر العويصم ورجال الامير يتعاونون على انزال الاحمال عن ظهور الابل والجياد •

وكانت الاحمال تحتوي على شهي الطعام والاثمار المجففة والحلوى

ومع رغبة رجال الامير الملحاح في ذوق تلك الاطعمة الشهية ، فقد ابوا ان يمدوا اليها يدا قبل ان يأمر لهم الامير بذلك ، واكتفوا بمعاونة رجال جابر العويصم على انزال الاحمال عن المطيات •

وعندما انتهى الرجال من اعمالهم صافح جابر العويصم الامير فيصل مودعا ، ومتمنيا له السعادة والتوفيق •

وهم جابر العويصم بامتطاء ناقته •

الا ان ما حدث منعه من تنفيذ ما يريد •

فقد اطل الفارسان فهد التميمي وسالم العويصم وهما يجدان في المسير ••

ووجم جابر العويصم وهو يشاهد الفارسين المقبلين على سرعة واندفاع •

الا انه لم يخش شرا ، وقد جهل انهما وقفا على سره •

وخيل اليه ان الفارسين سيكتفيان بابداء النفور منه ، الا انه ذعر



وإذا بهند تطل عليهم فشعر فهد برعشة محمومة تسري في عروقه
وعيناه تقعان على الحبيبة هند .

عندما سمع فهدالتميمي يهتف : يا سمو الامير ! هذا الرجل مجرم خائن.
ودهش الامير .
وخيم الصمت على الجميع .

ووثب فهد التميمي مقتربا من الامير ، هاتفا : جابر العويصم عميل عبد الله بن ثنيان يا مولاي ، وهو يحمل اليكم السم الزعاف .
وهلع جابر العويصم وقد ايقن ان امره فضح .
وادرك ان نجاته باتت ضربا من المحال .

وفكر جابر العويصم بالهرب .
فكر في الوثوب الى مطيته الا ان رجال الامير كانوا قد احاطوا به وبرجاله ليحولوا بينهم وبين الهرب .

وتمتم الامير فيصل بدهشة وباستغراب: ماذا تقول يا ابن التميمي؟
قال فهد : الحقيقة الناصعة ما اقول يا سمو الامير . عبد الله بن ثنيان اراد القضاء عليكم وعلى رجالكم فأرسل اليكم طعاما مسموما .
قال الامير : سنتأكد مما تقول ، والويل كل الويل لجابر العويصم ولعبد الله بن ثنيان اذا ثبت اتهامك يا فهد .
ولم ينبس جابر العويصم بكلمة .
لم يستطع ان ينطق بحرف فالمفاجأة عقدت لسانه وهدت قواه ، وكادت تذهب بعقله .

ووقع نظر الامير على جابر العويصم فاذا به اصفر الوجه ، واهي القوى . شارد الذهن فأيقن ان التهمة التي الصقها به فهد التميمي على صحة .

غير انه اراد ان يكون على يقين فنادى اليه احد رجاله وطلب منه ان يحضر كلبا من كلاب القافلة .
وجاء الرجل بالكلب ، فأمر الامير بان يقدم للكلب شيئا من الطعام

الذي جاء به جابر العويصم ..
وما ان تناول الكلب الطعام حتى انطرح يئن ويتلوى ..
ولم يلبث ان اصبح جثة هامدة .

واطبق رجال الامير على جابر العويصم وعلى رجـاله يعتقلونهم ويكبلون ايديهم ويلقون بهم في مضرب من مضارب القافلة .
ودعا الامير فيصل الفارسين فهد التميمي وسالم العويصم اليه .
ووقف منهما على تفاصيل رحلتهما وعلى ما دار بينهما وبين الزعماء والشيوخ من احاديث .

وادرك الامير من خلال تقرير الفارسين ، ان اهالي نجد يؤيدون عودته الى الحكم الا انهم يخشون بطش عبد الله بن ثنيان .
كما ادرك ان الشيوخ والزعماء سيقفون الى جانبه اذا ما حارب عبد الله بن ثنيان فقال : لا بد من الحرب اذن والله الذي نصر اباءنـا واجدادنا لن يتخلى عن نصرتنا انه سبحانه وتعالى ناصر الحق ونصير المظلوم .

وهتف رجال الامير ، وقد بلغ منهم الحماس حدا قصيا : الـى الحرب ، الى الحرب ، الويل ثم الويل لعبد الله بن ثنيان ولكل مـن يناصره وينصره ويحميه .
قال الامير : سنحارب عبد الله بن ثنيان وسننتصر عليه . لنا في نجد اخوان واهل وانصار لن يستطيع عبد الله بن ثنيان ان يستأثر بهم ولا ان يرغمهم على الانضمام الى صفوفه .

قال فهد التميمي : لقد ابلغنا الشيوخ والزعماء انهم قادمون الينا للانضواء تحت لواء الامير . واخالهم في طريقهم الينا يا مولاي .
فارتاح الامير فيصل وفهد التميمي يعلن له النبأ السار .
قال : لم اكن لأشك يوما في نصرة الاهل والاصدقاء . غدا مـع

مطلع الفجر البعيد سنزحف الى القصيم ولن يثنينا عن عزمنا وعيد ولا ارهاب ولا قوة ولا تهديد •

ودعا الامير رجاله الى الاخلاد للراحة استعدادا للزحف الى القصيم في الصباح •

وخلا بفهد التميمي وبسالم العويصم يستمع اليهما ، ويطلع على ما قاما به من اتصال وابحاث ومساع مع الشيوخ والزعماء •

ولم يلبث ان طلب احضار جابر العويصم ورجاله •

وانصرف الى التحقيق معهم والوقوف منهم على تفاصيل المؤامرة التي حيكت للقضاء عليه وعلى رجاله الميامين ، على مسمع من فهد التميمي وسالم العويصم •

وبكى جابر العويصم، وهو يروي للامير تفاصيل المؤامرة الدنيئة•

واعلن ندمه وتوبته •

واظهر رغبته الصادقة الملحاح في خدمة الامير والتفاني في تقديم الخدمات لانصاره ومعاونيه •

وتمتم الامير ، وهو يشاهد دموع الندم تجول في عيني جابر العويصم : لقد ارتكبت جريمة كبرى يا جابر بحقنا وبحق بلادك وعقاب المجرمين الخائنين الموت •

فذعر جابر العويصم والامير يعرض بذكر الموت •

وايقن انه هالك وان الامير عازم على انزال عقاب الموت به وبرجاله

وتكلم الامير بعد صمت قصير ليقول : سننفذ بك وبرجالك حكم الاعدام بعد ان ندخل القصيم يا جابر • الموت للخائنين •

ورمق الامير ، سالم العويصم بنظرة فاذا بالحزن العميق يعلو محياه ، وهو يسمع الامير يلفظ حكمه على عمه ، فعاد الى الهمس : ولكن ثمة ما يشفع بك يا جابر •

فعاد الامل يغمر قلب جابر العويصم •

ومضى الامير في كلامه قال : ما قام ويقـــوم به نسيبك سالم العويصم من خدمات لنا ولبلادنا يهيب بنا الى النظر اليك بعين الرحمة والعطف • حسنات نسيبك سالم تمحو بعض سيئاتك • لن ننفذ حكم الاعدام بكم ، الا انكم ستظلون سجناء عندنا ريثما يتم لنا النصر •

فأطبق جابر العويصم على يد الامير يقبلها شاكرا •

وتقدم سالم العويصم من الامير متمتما : شكرا لكـم يا مولاي على ما ابديتم نحونا من عطف وحنان ، انا سأكون مسؤولا عما يبدر من عمي منذ هذا اليوم •

فارتسمت ابتسامة زاهية على شفتي الامير وهمس : ارجـو ان يكون عمك يا سالم عند حسن الظن •

وانصرف الامير الى الاهتمام بوضع خطة الهجوم •

لقد عزم على اقتحام القصيم عنوة بالرغم من ضآلة عـدد رجـاله وعتاده ، ووفرة عدد اعدائه وعتادهم • غدا ، مع اطلالة الصباح سيزحف الامير برجاله الى القصيم •

ولجأ الامير الى فراشه وقد انقضى الهزيع الاول من الليل •

وساد الهدوء والسكون المضارب ، وقد هجع الجميع ••

وقبل انبلاج الصباح ، عند مطلع الفجر البعيد ، استفاق حرس الامير على ضوضاء فهبوا الى سلاحهم ••

وخرجوا من مضاربهم فاذا بهم امام قافلة تتقدم من المضارب •

وكان الامير ورجاله قد افاقوا مـن نومهم وخرجوا يستطلعون الخبر ••

وبدأ رجال القافلة يقتربون •

وبدأت الوجوه تنجلي على انوار الفجر الوردي البعيد فاذا بتلك

الوجوه وجوه شيوخ وزعماء منطقة القصيم .

وكانت تلك الوجوه متهللة طلقة ، والشفاه باسمة سمحاء ..

وراح القادمون ، يهتفون وينادون بحياة الامير فيصل ، وقد اقتربوا من المضارب .

ووثبوا عن مطياتهم الى الامير يصافحونه ويعانقونه ويرحبون به شديد الترحيب .

ووقف الامير يستمع الى ما يحمل اليه الوفد من انباء واخبار .

وعلم ان عبد الله بن ثنيان يثقل عاتق القصيم بالضرائب والجزيات، وان القصيميين ناقمون على الحاكم ابن ثنيان وانهم ينتظرون يوم الخلاص منه ومن حكمه بصبر نافد بعيد .

وعلم الامير ان عبد الله ينكل بابناء القصيم ويضطهدهم ، وانه شن حملة قاسية على بعض القصيمين واعتقلهم بعد ان علم بمقدمه وعلم ان القصيميين يرحبون بعودة الامير ويناصرونه .

وقال الشيوخ والزعماء : كان انصارنا يتجمعون في بلدة عنيزة لملاقاة مولانا الامير ونصرته فوقف عبد الله بن ثنيان على نواياهم ورغباتهم وهاجم عنيزة . فقاوموه ، وعصت عنيزة عليه ، وهو اليوم يحاصرها على امل انهيار المقاومة فيها والاستسلام القريب .

واشتد الغضب بالامير .

وهتف : سنسير الساعة الى القصيم لمنازلة عبد الله بن ثنيان والقضاء عليه .

وتعالى الهتاف يشق عنان السماء : الله اكبر .. الله اكبر .. النصرة للامام فيصل بن تركي ، النصر لنا .. النصر لنا .

وسار الامير برجاله الاشاوس يواكبهم الشيوخ والزعماء لملاقاة عبد الله بن ثنيان والحماس يستبد بهم ويدفعهم الى الجد في المسير .

وكانوا يتوقعون الاصطدام بجيش عبد الله بن ثنيان في كل وقت، وعند كل منعطف ووراء كل ربوة من رمال .

الا انهم دخلوا الى القصيم ، وتوغلوا فيهـا دون ان يبين لابن ثنيان ولا لرجاله اثر .

وهب ابناء القصيم لملاقاة الامـير بالاهازيج والهتافات واكاليل الغـار .

واعلنوا العصيان على الحاكم عبد الله بن ثنيان وانضمت صفوفهم الى رجال الامير، فاضحوا جيشا كبيرا شديد الوطأة كامل العدة والعدد.

وكان جيش الامير فيصل بن تركـي يزداد عـددا كلما توغل في ارض القصيم .

واعلن القصيميون الثورة على الحاكم والحكم وابوا ان يعترفوا بغير الامير فيصل حاكما عليهم .

وهتفوا : ارواحنا فدى اميرنا المحبوب .

وكان فهد التميمي وسالم العويصم من الجيش العربي الباسل في المقدمة ، وقد اسند الامير فيصل الى كل منهما منصب قيادة رفيع .

ومثل سالم العويصم بين يـدي الامـير متوسطا لعمه جابر في العودة الى داره .

وتمتم سالم : العفو من شيم الكرام يا مولاي وانتم بين الكرام في اعلى مقام .

فرد الامير : ليكن لك ما تريد يا سالم ، فليعد عمك الى داره اذا شاء ، ليس لنا ان نرد لك طلبا يا سالم .

وعاد جابر العويصم الى داره ، الى ابنته راغدة ، والندم على ما بدر منه يعصر قلبه ويؤلم روحه .

وارتاحت راغدة بعض الارتياح ، وقد عاد اليها والدها الضال .

واقامت ترقب الارتياح كله يوم يعود اليها سالم ، حبيب القلب والروح •

اما فهد التميمي فقد شخص الى دار عمه طلال التميمي ، وقد اصبح جيش الامير على مقربة من تلك الدار ، وكان فهد قلقا ، قلبه يحدثه بوقوع مصاب اليم لا سيما ، وهو لم يشاهد عمه بين الزعماء والشيوخ المنضمين تحت لواء الامير ••

ووصل فهد الى الدار ، ووقف يقرع الباب ، الا انه لم يلق جوابا •

واشتد الذعر بفهد ، وقد اعاد الطرق مرارا عديدة دون ان يلقى جوابا ، ليس ثمة احد في تلك الدار •

وتساءل فهد : ايكون عمي طلال في خطر؟ وهند؟ اين تكون هند؟

وطاف فهد التميمي بالحي يسأل عن عمه وعن ابنة عمه •

فقلبت الشفاه ورددت : لسنا ندري •• منذ ايام لم نشاهدهما في الحي •

وعاد فهد مع بعض جنوده الى الدار يحطمون الباب ويدخلون •

ووقف فهد على دهشة واستغراب وهو يشاهد اثر التخريب والتحطيم في الدار •

وايقن ان ثمة معركة وقعت داخل تلك الدار وان عمه وابنته اصبحا في قبضة عبد الله بن ثنيان •

واشتد القلق بفهد التميمي •

واقسم على ان يمضي في البحث عن عمه وابنته • فهد التميمي لن يرتاح ، ولن يعرف للسعادة معنى الا وقد وقف على مقر هند وابيها •

ومضى فهد في البحث والتفتيش ولكنه لم يستطع ان يقف لهما على اثر •

وفي هذه الاثناء كان الامير فيصل قد جهز جيشه واستعد لمنازلة

عبدالله بن ثنيان عند بلدة عنيزة التي يحاصرها عبدالله ، وكان على فهد ان ينصرف عن البحث والتفتيش والاستقصاء الى عمله كقائد لاحد فيالق جيش الامير .

وانقطع فهد عن البحث على ان يعود اليه بعد انتهاء المعركة الحامية الوطيس .

وزحف الامير بجيشه الباسل الى عنيزة .

وفوجىء عبد الله بن ثنيان بذلك الجيش القوي المدرب الذي يقوده الامير فيصل .

وكان قد خيل اليه ان الذين يحاربون تحت لواء الامير لا يتعدون بضع رجال من ابناء القصيم . الا انه ابى الا ان ينازل الامير وقد عزم على على الدفاع عن منصبه دفاع المستميت .

ونشبت المعركة .. معركة حامية شديدة بين الجيشين ، جيش الامير فيصل بن تركي وجيش عبد الله بن ثنيان .

وكانت الحرب سجالا بين الجيشين ، حينا ينتصر جيش عبد الله ويدحر جيش الامير ، وحينا ينتصر جيش الامير ويهزم جيش عبد الله .

وكان الامير فيصل يقود جيشه الباسل ، ويتقدم الفرسان في هجومهم واستبسالهم ، لا يهاب الموت ولا يخشى الاستشهاد ، اذا كان في استشهاده حياة بلاده وسعادة ابناء عشيرته .

وكان فهد التميمي يلازم الامير فيصل ويحارب الى جنبه لا يبتعد عنه الا قليلا .

وعلى مقربة من الامير فيصل كان فارس ملثم يمتطي صهوة جواد عربي اصيل ويبلي البلاء الحسن في الدفاع وفي الهجوم .

ولم يكن الفارس الملثم ليبتعد عن الامير فيصل ، فكأنه يخاف على الامير وعلى قواده من حراب وسيوف الاعداء .

وفيما رحى المعركة الحامية تدور على ثورة وجنون وثب جندي من جنـود عبد الله بن ثنيان الى الامير فيصل منتضيا حربـة مسنونة محاولا اغمادها في ظهر الامير .

وذعر فهد التميمي ، وهو يشاهد الجندي العدو يقترب من الامير محاولا اغماد الحربة في ظهره .

وهجم فهد على الجندي محاولا الفتك به قبل ان يتمكن من الفتك بالامير فيصل ، والامير فيصل لا يشعر بالخطر الذي يهدد ظهره ، الا ان فهد التميمي لم يستطع الفتك بذلك العدو لان الفارس الملثم كان قد سبقه الى اغماد سيفه المصقول في صدر الجندي الطامع برأس الامير .

وابى الجندي ان يموت رخيصا فصوب الحربة الى صدر الفارس الملثم وطعنه .

وهوى الفارس الملثم على مقربة من جواد الامير .

وهوى قربه الجندي العدو المصاب بالطعنة في صدره وهو يلفظ انفاسه .

اما الفارس الملثم فقد اصابته الحربة في كتفه .

وشاهد الامير فيصل الفارس الملثم الذي انقذ حياته يسقط عن ظهر جواده فأسرع اليه ، غير ان فهد التميمي كان قد ترجل عن جواده ووثب الى الفارس الملثم محاولا اسعافه .

وهمس الفارس الملثم : عد الى ساحة المعركة يا فهد التميمي .

ووجم فهد التميمي ، والفارس الملثم يتلفظ باسمه . انـه يعرف اسمه ، من تراه يكون هذا الفارس الملثم الشجاع ؟

وابى فهد التميمي ان يبتعد عن الفارس الملثم قبل ان يمـد له يد المعونة والغوث .

وعاد الفارس الملثم الى الهمس : فهد ! اميرك بحاجة اليك . عد

اليه .. دعني وشأني .

واشتد الوجوم بفهد التميمي وهمسات الفارس الملثم تقع منه في الاذنين : هذا الصوت ليس بغريب عنه . انه يعرف صاحب هذا الصوت الشجي . من تراه يكون ؟ من تراه يكون ؟

وحاول فهد رفع اللثام عن وجه الفارس الملثم ، الا ان ذلك الفارس وقف متمتما : لا ، لا ، لا تحاول معرفة من انا .. اليك عني . عد الى ميدان القتال . ان جرحي ليس بذي قيمة. انه خدش بسيط في الكتف. اليك عني ايها الفارس العربي الكريم .

ووثب الفارس الملثم الى جواده يمتطيه ويطلق له العنان .

ووقف فهد التميمي على دهشة وحيرة وذهول . ما قام به هذا الفارس الملثم الجريء من بطولة اثار دهشته ، واختفاؤه وراء ذلك اللثام الكثيف واصراره على اخفاء اسمه وهويته ووجهه اثارا حيرته ووجومه .

واسف فهد التميمي شديد الاسف لانه لم يتمكن من اكتشاف هوية ذلك الفارس الشجاع النبيل .

وعاد الى جواده الاصيل يمتطيه ويعود الى الامير فيصل الذي كان يرقب عودة فهد .

وسأل الامير فهدا : من هو هذا الفارس الذي انقذ حياتنا يا فهد ؟

ورد فهد : لست ادري يا مولاي . انه ملثم ، وقد ابى علي ان اكشف القناع عن وجهه الا انني اجزم بانه ليس بغريب عنا .

قال الامير : وددت لو عرفته لاشكره على ما بدر منه من شجاعة وبسالة وتضحية واخلاص .

ومضى الامير وفرسانه في القتال .

وشعر عبد الله بن ثنيان بالخطر الداهم ، وقد مضت ايام قليلة

على المعركة الطاحنة الضارية التي بدأت سجالا وتكـاد تنتهي بانتصار الامير فيصل ، ذلك لان جيش عبد الله الذي كـان يحاصر بلدة عنيزة اصبح محاصرا بين جيشين ، جيش ابناء البلدة ، وهم من انصار الامير، وجيش الامير .

وادرك عبد الله ان الانتصار سيكون للامير فيصل ، وانه خاسر لا محالة ، فرأى ان ينسحب باتجاه مدينة الرياض .

وعندما ارخى الليل سدله على نجد كان عبد الله بن ثنيان يجمع شمل جيشه المشتت وينسحب من ميدان القتال .

وتم النصر للامير فيصل ، ودخل بجيشه الباسل بلـدة عنيزة فاذا بالشيوخ والزعماء يهبون لملاقاة الامير بالاهازيج والورود والرياحين .

وعمت الفرحة تلك البلدة الباسمة التي عـانت من اضطهاد وظلم وقساوة ابن ثنيان الكثير .

وارتاح الامير بعض الارتياح وقد تم له النصر في معركة عنيزة .

الا انه ادرك ان طريق الجهاد لم ينته بعد ، وان عليه ان يطهر نجد بأسرها من ظلم عبد الله بن ثنيان .

وراح يترصد اخباره .

فعلم انه لجأ الى الرياض ، وانه جعل من تلك المدينة مقرا لجيشه، وانه يستعد في الرياض لمحاربته والاخذ بالثأر واستعادة الكرامة المهيض التي خسرها في معركة عنيزة .

وعزم الامير على ملاقاة عبد الله في الرياض .

الامير فيصل لن يرتاح ولن يهنأ ولن يطمئن له بـال ، الا وقد قضى على عبد الله القضاء المبرم .

وبدأ الامير يستعد للمعركة التالية ، وقـد اضحى جيشه جيشا كبيرا بانضمام زعماء وشيوخ عنيزة اليه .

الا انه رأى ان يمنح جنوده قسطا من الراحة قبـل الزحف الى الرياض فأعلن قضاء فترة من الراحة لجنوده ولقواده تمتد الى اسبوع .

وما ان تبلغ القواد الامر حتى كان سالم العويصم يطـير الى دار عمه جابر للاطمئنان الى سلامة راغدة .

ووصل سالم الى دار عمه فاذا بجابر العويصم يلقى ابن اخيه بعين دامعة وقلب كسير ..

ووجم سالم وهو يشاهد عمه في تلك الحال ووثب اليـه يسأله بقلق وارتباك : ما بالك يا عماه ! اتراك في محنة او مصاب ؟

وتمتم جابر العويصم بحزن وارف عميق : راغدة .. لقد ضاعت راغدة يا سالم .

وذعر سالم وعمه يعلن على مسمعه نبأ ضياع راغدة ..

وتمتم بقلق وهلع : وكيف ضاعت ؟ ومتى ؟

قال : ما ان عدت الى الدار حتى لاح لي منها القلق والوجوم ، فكانت تبدو قلقة واجمة ساهمة . وعبثا حاولت العودة بهـا الى الهنأة والصفاء . وذات صباح تفقدتها فما وقعت لها على اثر .

قال سالم والقلق يعصف بقلبه الحزين : اما بحثت عنها يا عماه ؟

قال : بحثت الا ان بحثي ذهب ادراج الرياح .

قال : ما العمل ؟ اين تكون اذن ؟ والى مـن لجأت ، واين حطت منها الرحال ؟

فجالت الدموع في عيني جابر العويصم وهمس : لست ادري ، لست ادري .

واحتار سالم في الامر .

وعزم على البحث عن راغدة .

الا انه لم يكن ليعلم اين سيبحث ولا من يسأل عنها .

وبالرغم من كل ذلك فهو قد راح يسأل الاهل والاصدقاء والجيران عن ابنة عمه ، غير انه لم يجد من يحمل اليه عنها اي خبر .

وكان لا بد من العودة الى عنيزة ، الى مقره في جيش الامير ، فعاد على قلق والم وحزن واضطراب .

ولجأ سالم العويصم الى صديقه فهد التميمي يشكو له بلواه قال : لقد ضاعت ابنة عمي راغدة يا فهد . رحلت عن دار ابيها الى حيث لا يعلم احد . اريد مساعدتك في البحث عنها يا صديقي .

فارتسمت على شفتي فهد التميمي ابتسامة واهية صفراء وهمس : مصيبتك هي نفس مصيبتي ، وبلواك لا تختلف عن بلواي . لقد اضعت انا ابنة عمي هند ايضا .

فدهش سالم العويصم وتمتم : الا يخيل اليك ان لاختفاء هند علاقة باختفاء راغدة ؟

قال فهد : اجل هذا ما يخيل الي يا سالم . اذا استطعنا ان نقف على اثر لهند استطعنا ان نقف على اثر راغدة ، الا ان ما يحيرني ويثير بي كوامن القلق والاسى هو ان هند لم تختف وحدها بل اختفى معها والدها ايضا وهذا ما يحدو بي الى الاعتقاد ان عمي وابنته هما في قبضة عبد الله بن ثنيان . وقد بت اخشى على حياتهما .

قال سالم : ارجو ان يوفقنا الله يا فهد الى العثور عليهم ، على عمك وابنته وعلى ابنة عمي .

قال فهد : وهذا ما ارجوه يا صديقي .

٤

السجينتان

اين تكون هند التميمي ؟
واين هو ابوها ؟
واين هي راغدة ابنة جابر العويصم ؟
وماذا حل بهم ؟

راغدة العويصم ، فرت من دار ابيها بعد ان ارتكب ذلك الاب تلك الهفوة المروعة وحاول اغتيال الامير فيصل بالسم •

فقد رأت راغدة ان تكفر عن جريمة والدها وان تعيد اليه الشرف الضائع والكرامة السليب •

فغادرت تلك الدار ، وقد اقسمت على ألا تعود اليها الا وقد استعادت ما فقده ابوها من عزة وكرامة وشرف •

اما هند ووالدها فكانا قد وقعا في قبضة عبد الله بن ثنيان ، كما قال فهد •

وكان عبد الله بن ثنيان قد امر باعتقال انصار الامير في منطقة القصيم قبل ان يصل الامير ، فهاجم رجاله مضارب ومنازل انصار الامير واعتقلوهم •

وكان طلال التميمي يستعد لموافاة الامير مع شيوخ وزعماء القبائل عندما دهم جنود عبد الله بن ثنيان داره محاولين اعتقاله •

وابى طلال التميمي ان يستسلم للجنود الطغاة فحاول الدفاع ، تساعده في الدفاع ابنته هند .

ودارت المعركة في دار طلال التميمي بين هند ووالدها وبين جنود عبد الله .

وتغلب الجنود على الوالد والابنة فكبلوهما واقتادوهما اسيرين الى مضارب جيش ابن ثنيان .

والقى عبد الله بن ثنيان بطلال التميمي في السجن مع بعض انصار الامير فيصل الذين كان عبد الله قد اعتقلهم .

اما هند فقد سجنها في غرفة مظلمة صغيرة على مقربة من الدار التي يقيم فيها وقد عزم على ان يضمها الى حريمه بعد انتهاء الحرب .

واقام على تلك الغرفة حارسا من جنوده وامره بان يقدم لها الطعام مرة كل يوم وان يحرص كل الحرص على تلك الفتاة اذا اراد الحرص على حياته .

واقامت هند التميمية في سجنها المظلم الرهيب تضرع الى الله ان ينقذها وينقذ والدها من ظلم وجور وطغيان ابن ثنيان .

وكأن الله سبحانه وتعالى استجاب دعاء هند .

فما أطل اليوم الثالث لدخولها الى ذلك السجن ، حتى اقبل الحارس يدفع امامه فتاة في عمر الندى والزهور .

وفتح الباب ليدفع بتلك الفتاة الى سجن هند صارخا بها : هنا سيكون مقرك ايتها الشقية .

وتفرست هند بالفتاة لترتد على دهشة هاتفة : راغدة ؟ كيف وقعت في قبضة الاشقياء المجرمين ؟

ووجمت راغدة العويصم وعيناها تقعان على هند .

وتمتمت : هند .. أأنت ايضا في قبضة ابن ثنيان ؟

وجلست الفتاتان وراحت كل منهما تروي لصديقتها قصتها .

قالت راغدة : حمل ابن ثنيان والدي على ان يحمل للامير فيصل طعاما مسموما ، الا ان الله سبحانه وتعالى انقذ الامير ، وكان الامير شهما نبيلا كريما فعفا عن والدي واطلق سبيله فصعب الامر علي وعزمت على ان استعيد ما فقد والدي من شرف اثيل وكرامة مئناف ، فحملت بعض السم وخرجت من دار والدي متنكرة لا الوي على شيء الى مضارب عبد الله بن ثنيان عازمة على ان ادس السم في طعام عبد الله بن ثنيان وقواده وانتقم منهم للامير ، غير انني لم استطع تنفيذ ما عزمت عليه ، لان جنود عبد الله اعتقلوني قبل ان اصل الى مقر عبد الله .. وها انا كما ترين في هذا السجن .. والان اخبريني يا هند كيف وصلت انت الى هنا ؟

وروت هند لصديقتها راغدة ما كان .

قالت : كان والدي يهم بموافاة الامير فيصل مع الزعماء والشيوخ عندما دهم منزلنا جنود عبد الله واعتقلونا .. ذهبوا بوالدي الى حيث لا ادري وأحلوني في هذا السجن . انني قلقة على والدي يا راغدة واخشى ان يفتك به ابن ثنيان .

قالت راغدة : لا اخاله يفعل يا هند . ابن ثنيان لن يفتك بالاسرى فهو ليس من النزق والحمق والجهل الى درجة يبيد فيها اسراه ، ولا يجهل انه سيستطيع المساومة على حرية هؤلاء الاسرى يوم تضع الحرب اوزارها .

قالت هند : ماذا سنفعل الان ؟ وهل تقدر لنا النجاة من هذا السجن ؟ هل سنرى يوما النور ؟

قالت راغدة : لست ادري ماذا سنفعل ، يبدو ان سجننا سيطول ويخيل الي اننا لن نخرج من هذا السجن ونحن بين الاحياء .

قالت هند : هذا ما يخيل الي ايضا .

وصمتت الفتاتان .

وانصرفتا الى التفكير العميق تنغمسان فيه على الم وشجن .

وجنحت هند بتفكيرها الى فهد ، الى خطيبها الممعن في النوى ، المتشق الحسام تحت لواء الامير فيصل : ماذا سيفعل فهد يوم يكتشف اختفاءها ؟ وهل يقدر له ان يقف على مقرها ؟

وفي حين انصرفت هند الى التفكير بفهد ، كانت راغدة تنصرف الى التفكير بابن عمها سالم : ماذا سيحل بسالم ، وقد وقف على نبأ اختفائها ؟

وطال صمتهما ..

واخيرا ، وبعد صمت وتفكير طويلين ، التفتت راغدة الى هند لتقول : لقد خطرت فكرة في رأسي يا هند .

قالت هند : وما هي يا راغدة ؟

قالت : يخيل الي ان عبد الله بن ثنيان سيضمنا الى حريمه ، سنكون بين جواريه .

فذعرت هند وصديقتها راغدة تعلن لها ما يجول في خاطرها .

وهمست : والله لانتحرن اذا ساقني عبد الله الى حريمه . لن ادع الوغد يلمس يدي .

قالت راغدة : وهذا ما افكر به .. الانتحار .. سننتحر ، سننتحر الان ، لن ننتظر الى الغد .

قالت هند : ولكن كيف وبم ننتحر ؟

فاقتربت راغدة من هند هامسة : وسيلة الانتحار لدي . وهي وسيلة تكفل لنا الموت في العاجل الوشيك .

فتساءلت هند : ما هي هذه الوسيلة يا راغدة ؟

قالت السم الذي كنت انوي دسه في طعام ابن ثنيان ما زال في يدي .

فلمع بارق من امل بعيد في خاطر هند التميمي .

وهمست : اين هو ؟

ومدت راغدة يدها الى صدرها لتخرجها قابضة على قارورة صغيرة تحتوي على سائل احمر اللون .

وتمتمت : هذا هو . انه سم زعاف ، هو بعض السم الذي دفع به عبد الله بن ثنيان نفسه الى والدي ليدسه في طعام الامير ، وقد دس والدي بمساعدة رجال ابن ثنيان بعضه في الطعام الذي حملوه الى الامير فيصل وبقي القليل منه في هذه القارورة . وقد كنت انوي ان ارد هذا السم لصاحبه ، كنت انوي ان اسمم به صاحبه عبد الله بن ثنيان ورجاله الا ان الاقدار انقذته ورمت بي في هذا السجن .

واتسعت ابتسامة هادئة على ثغر هند التميمي .

وتمتمت : وسيكون لك ما تريدين يا صديقتي . بهذا السم سيموت رجال عبد الله بعد ان عجزت عن قتله هو .

فلمعت الدهشة في عيني راغدة العويصم وهمست : ولكن أنى لنا الوصول الى رجال ابن ثنيان ونحن سجينتان في هذا السجن ؟

فأمسكت هند بيد صديقتها راغدة وتمتمت : لن نصل اليهم ، هم الذين سيصلون الينا . اطمئني يا راغدة ان الخروج من هذا السجن اصبح قريب المنال ، هذا السم الزعاف سيكون المفتاح الذي يفتح لنا ابواب هذا السجن .

قالت راغدة بتساؤل ملحاح : ولكن كيف ؟ كيف يا هند ؟ انا لا افهم شيئا مما تقولين . اوضحي يا اختي ، اوضحي .

فأوضحت هند قالت : اسمعي يا راغدة •• بعـد قليـل سيأتينا الحارس بالطعام ، نحن لن تتناول الطعام ، سنذوقه ثم ندس السم فيه وندفع به الى الحارس • سنقول : « طعـامكم مر المذاق • اعده الى مولاك » ومن المؤكد ان الحارس سيذوق الطعام ، ولك ان تتصوري يا صديقتي ماذا سيكون ؟

قالت راغدة : لقد فهمت •• سنفتك بالحارس •

قالت هند : ونهرب ••

فابتسمت راغدة العويصم هامسة : اذا استطعنا تنفيذ هذه الخطة، اصبحنا طليقتي الجناح والا ••

قالت هند : والا فمجال الانتحار يظل فسيحا امامنا •

واطمأنتا ••

واقامتا ترقبان اقبال الحارس اليهما بالطعام •

ولم يطل انتظارهما ••

دقائق قليلة واقبل الحارس يقود جنديا يحمل الطعام الى الفتاتين•

وتبادلت هند وراغدة نظرتي ارتيـاح وهما تشاهدان الحارس والجندي ••

وهمست هند في سرها : سنفتك بالاثنين • بالحارس وبالجندي معـا •

واقترب الحارس من الباب يفتحه ويهدر : هذا هو طعامكما ايتها الشقيتان المجرمتان •

وردت هند : الينا به • اننا جائعتان •

ودفع الجندي بالطعام الى هند فاذا به ارز مسلوق وخبز وتمر ••

وقبل ان يعـود الجندي والحارس ادراجهما كانت هنـد تصرخ بهما : انكما مجرمان لا تختلفان عن سيدكما في شيء •

فارتد الحارس والجندي معا اليهما .

وصرخ الحارس بهما : اتعرضان بذكر مولانا عبد الله بن ثنيان ؟ والله لاذقينكما الهوان .

وهم الجندي بالانقضاض عليهما وصفعهما ، الا ان هند دفعت اليهما بالارز هادرة : هذا الطعام مر المذاق .. انه فاسد أتأتياننا بالطعام الفاسد الموبوء ؟

قال الجندي بغضب : كاذبة.. هذا الطعام سليم لا يعرف الفساد.

قالت : المرارة تنضح منه ، خذ .. ذق ..

ودفعت بالطبق اليهما ..

وتناول الحارس الطبق ..

وراح يلتهم ما فيه بشهية وجشع وهو يتمتم : يا له من طعام لذيذ شهي .

ودعا الحارس الجندي الى مشاركته الطعام قائلا : تعال يا حمدان، تعال وتذوق هذا الطعام اللذيذ الذي تأبى هاتان المجرمتان ان تذوقاه . وتدعيان انه مر المذاق . انهما لكافرتان بالنعمة .

ووثب الجندي الى مشاركة الحارس الطعام وراح يلتهمه التهاما. ووقفت هند وراغدة تراقبانهما بحذر .

ولم يبد على الحارس ولا على الجندي اي تعب ولا اي وهن مما اهاب بهند الى القاء نظرة عتب وقلق على راغدة ، وكأنها تقول لها : «يبدو ان قارورتك لا تحتوي السم يا راغدة» .

الا ان تلك النظرة العاتبة تلاشت من عيني هند ، وهي تشاهد الحارس يترنح ثم يرتمي ارضا وهو يئن .

وهرع الجندي الى الحارس محاولا اسعافه ولكنه لم يلبث ان سقط على مقربة منه وهو يتلوى من الالم .

واطمأنت الفتاتان •

وشاعت الفرحة في العيون الاربع ، عيني هند وعيني راغدة الحمد لله ثم الحمد لله ، لقد فتح امامهما باب السجن المظلم الرهيب •

ووثبت الفتاتان الى الجندي والحارس تجرانهما الى داخل السجن ثم تجردانهما من ثيابهما على عجل •

وارتدت هند ثياب الحارس في حين ارتدت راغدة ثياب الجندي•

ولفت كل منهما رأسها بكوفية •

وتناولت هند مفتاح السجن من جيب الحارس ، وخرجت متمتمة في اذن راغدة : اسرعي يا اختي قبل ان يفوت الاوان •

واسرعت راغدة بالخروج •

واقفلت هند الباب على الحارس والجندي وانطلقت مع راغدة لا تلويان على شيء •

ولم يكتشف رجال ابن ثنيان الامر الا في اليوم التالي ، بعد ان اصبحت الفتاتان في مأمن من كل خطر وشر •

وكان ذلك قبل ان يتم النصر للامير فيصل ، وقبل ان يدخل الى بلدة عنيزة بايام قلائل •

★ ★ ★

عزم الامير على اللحاق بعبد الله بن ثنيان الى الرياض بعد ان استتب له الامر في القصيم ، وبعد ان التف ابناء منطقة القصيم حوله وجددوا له الولاء واقسموا على مناصرته ومحاربة ابن ثنيان تحت لواء الامير العائد من منفاه على كرامة مئناف وشرف وارف اثيل •

وعقد الامير فيصل اجتماعا مع قواده ، وبينهم فهد التميمي وسالم العويصم •

ورسموا خطة الزحف الى الرياض •

وقال الامير : غدا ، مع مطلع الفجر البعيد سنزحف الى الرياض ، وسيكتب لنا النصر بعون الله ، ان الله سبحانه وتعالى الذي نصرنا في معركة عنيزة لن يتخلى عنا ، وسينصرنا عز وجل في معركة الرياض ، لاننا اصحاب حق ، ولن يضيع لصاحب حق حقه •

وهتف القواد : ارواحنا فدى الامير •

قال : الامير لن يعرف للراحة طعما ، ولن يذوق لذة السعادة في الحياة ، الا وقد استعاد الحكم السليب من ابن ثنيان •

قالوا بطفرة وحماس واعتداد : نعاهدك ايها الامير على المضي في الجهاد حتى يتم النصر لنا •

فارتاح الامير فيصل كل الارتياح ، وهو يلمس في قواد جيشه الاخلاص والوفاء •

قال : الجيش الذي يقوده قواد مثلكم يا ابنائي لا يعرف الاندحار فلنسر ، مع مطلع الفجر على بركات الله الى الرياض في اثر عبد الله ابن ثنيان •

فهتفوا : ولن نرتد الا وقد وطأت سنابك خيولنا ارض الرياض الحبيبة •

وتم للامير فيصل ما اراد •

ونفذ قواده اوامره • ما ان سكبت انوار الفجر البعيد ذوبها على نجد حتى كان الامير فيصل يزحف بجيشه الى الرياض •

وشاهد ابناء القصيم جيش الامير في زحفه الميمون ، فاجتمعوا ليتخذوا قرارا حاسما سريعا بمرافقة الامير الى الرياض •

واصبح جيش الامير فيصل جيشين : جيشه الخاص ، وجيش ابناء القصيم الذين كانوا قد شكلوا جيشا شعبيا جرارا •

وكان عبد الله بن ثنيان يعتصم مع رجاله في الرياض • وقد خيل اليه انه اصبح في مأمن من خطر الحرب •

خيل اليه ان الامير فيصل سيكتفي باحتلال عنيزة وبمد سلطانه على القصيم ويدعه وشأنه •

ستكون للامير منطقة القصيم ، وتكون لعبد الله الرياض •

الا ان عبد الله ذعر وقد حمل اليه احد جنوده خبر زحف الامير فيصل بجيشه الى الرياض •

قال الجندي : الامير قادم الينا يا مولاي في جيش جرار رهيب ، يواكبه ابناء القصيم باسلحتهم وجيادهم وعتادهم •

فهدر ابن ثنيان بخوف وقلق : واين هو جيش الامير الان ؟

قال : انه يزحف بسرعة واندفاع ، لن تغيب الشمس الا ويكون الامير بجيشه على مقربة من الرياض •

فاشتد الذعر بعبد الله •

ودعا قواده الى اجتماع طاريء سريع داعيا اياهم الى الاستعداد للدفاع عن الرياض ، وهو لا يجهل ان سقوط الرياض في يد الامير فيصل معناه القضاء عليه القضاء المبرم •

فليدافع اذن عن الرياض وفي الدفاع عنها دفاع عن سلطانه وعن كلمته ، وربما عن حياته •

وجمع رجاله واقام يرقب وصول جيش الامير •

ولم يطل الانتظار ، قبل ان تتوارى الشمس وراء الافق البعيد كان الامير فيصل بن تركي يطل على الرياض بجيش كامل العدة والعدد•

وهتف عبد الله بن ثنيان برجاله : انني لأهيب بكم الى الدفاع عن الرياض، الرياض لن تسقط في يد ابن تركي• الرياض لنا ايها الشجعان•

وتحفز رجال عبد الله للدفاع ، حتى اذا اقترب جيش الامير من

المدينة كانت السهام تنهال عليه من عبد الله بن ثنيان ورجاله .

ودارت معركة طاحنة بين الامير وابن ثنيان .

واستطاع عبد الله بن ثنيان ان يصمد اياما امام جيش الامير .

وكما قاد الامير فيصل المعركة في عنيزة قادها في الرياض .

فكان يتقدم القواد ويهاجم العدو بشجاعة وبطولة وبأس .

وظهر الفارس الملثم ..

ظهر فجأة يدافع عن المدافعين ويهاجم مع المهاجمين ويستبسل في الدفاع وفي الهجوم ويستميت .

واثارت شجاعة الفارس الملثم جنود الامير فاندفعوا نحو الرياض لا يهابون الموت ولا يخشون الاستشهاد .

وعلى ابواب المدينة دارت معركة هائلة رهيبة ، التحم فيها الجيشان بالسيوف فسالت الدماء العربية الزكية واستشهد الكثيرون .

وكان الفارس الملثم يندفع في ميدان الجهاد كالعاصفة العاتية الصاخبة الهوجاء ، وهو لا يبتعد عن الامير ..

كيفما اتجه الامير كان الفارس الملثم الى جانبه .

فكأنه الحارس الامين يأبى ان يبتعد عن ذاك الذي يحرس ويصون .

وكان فهد التميمي في المعركة الى جنب الامير ايضا يستبسل في المعركة ويندفع اندفاع الابطال الميامين .

وبدأ عبد الله بن ثنيان يشعر بالخطر الداهم الذي يحدق به .

بدأ يشعر ان الاندحار بات قريبا منه وبان الانتصار يقترب من الامير فيصل بن تركي فعزم على ان يمضي في الدفاع عن الرياض ، واذا كان لا بد من الموت فعبد الله بن ثنيان لن يموت الا في ساحة الوغى .

ودفع بجيشه كله لمجابهة جيش الامير .

فاما موت او حياة •

عبد الله بن ثنيان لن يمضي في الحرب السجال •

انه ليريد ان يضع حدا لهذه الحرب المجهولة المصير ، فاما ان ينتصر ويبسط سلطانه على نجد باسرها واما ان يكتب له الاندحار ، والاندحار يعني الموت الزؤام •

وكانت المعركة فاصلة •

ارادها عبد الله بن ثنيان معركة فاصلة فكان له ما اراد •

معركة فاصلة ، الا انها ضارية رهيبة حمراء •

وبدأ جيش عبد الله يتراجع الى قلب الرياض •

وبدأ جيش الامير يدخل المدينة المخضبة بالدم •

ودارت المعارك الاخيرة من تلك الحرب الضروس داخل الرياض•

واستمات عبد الله في الدفاع الا ان استماتته لم تفده في شيء فقد كتبت له الهزيمة في الرياض كما كتبت له في عنيزة •

وادرك عبد الله انه خسر الحرب •

ورأى ان يركن للفرار •

ان يكن قد خسر الحرب فهو لا يريد ان يخسر حياته •

الا ان جيش الامير احاط به وبرجاله من كل صوب يقطع عليهم طريق الهرب والنجاة •

لقد اندحر جيش عبد الله بن ثنيان وانتصر الامير •

وفيما المعركة الاخيرة تشرف على النهاية •

وفيما الامير يجاهد جهاد الابطال وفهد التميمي الى يساره والفارس الملثم الى يمينه اذا بحربة مسنونة تقع من الفارس الملثم في الصدر •

وهوى الفارس الملثم عن جواده قرب الامير يخضب الارض بدمه•

وقلق الامير •

وذعر فهد التميمي •

ووثب عن جواده ، وانحنى على الفارس الملثم يغيثـه وينجـده ويضمد جراحه الثخينة التي كانت تنزف بغزارة من الدماء •

وحاول الفارس الملثم النهوض فعجز •

وحاول ان يقصي عنه فهدا فعجز ايضا •

لقد ابى ابن التميمي ، ان يبتعد عن الفارس الملثم •

فهد سيكتشف سر هذا الفارس •

سيعلم من هو ••

وامتدت يد فهد الى اللثام ترفعه عن وجه الفارس ليرتد على ذعر وقلق واضطراب •

وهتف : هند ؟

وهمس « الفارس الملثم » اجل ، ابنة عمك هند يا فهد •• ما اعذب الموت في ساحة الجهاد •

وانحنى فهد التميمي على ابنة عمه هند يضمد جرحها البليـغ ، ويعمل على اسعافها •

وكان الدم ينزف بغزارة من الجرح •

فأدرك فهد ان حياة هند في خطر وان شبح الموت الرهيب يحوم حولها ، فرفعها بين يديه وسار مبتعدا بها عن ساحة المعركة •

وشاهد الامير القائد فهد التميمي يحمل الفارس الملثم بين يديـه فاقترب منه ليسأله : من هو هذا الفارس الملثم يا فهد ؟

وهمس فهد : هذه ابنة عمي هند يا مولاي •

وتمتم الامير بدهشة واستغراب : هند ؟ فتاة تحمـل السيف وتشترك في القتال وتستبسل في الدفاع ؟

قال فهد : هند مصابة بجرح بليغ يا مولاي يهدد حياتها بالخطر •

قال الامير : احملها الى خارج الميدان ، الى حيث مضرب الطبيب الذي يعتني بالجرحى .

وقبل ان يبتعد فهد عن الامير هتف الامير به : فهد ! ابق بجانب ابنة عمك ولا تعد الى الميدان .

وسار فهد التميمي يحمل حبيبته هند على ذراعيه والاسى والهلع يطلان من عينيه . كان فهد يخاف على هند ، يخاف ان تمتد يد المنون الى ذلك الغصن الندي الرطيب وتقصفه ، يخاف ان يسلبه الردى هند الحبيبة .

وكانت هند واهية القوى ذابلة العينين صفراء الوجـه ، فالدماء الغزيرة التي نزفت من جرحها البليغ هدت قواها وشلت فيها كل حركة.

كانت هند في شبه غيبوبة .

وبلغ فهد بابنة عمه هند مضرب الطبيب .

وكان ذلك المضرب كبيرا فيه الكثير من الجرحى .

وكان الطبيب وبعض الفتيات يعتنـون بالجرحى ، ويضمـدون جراحهم ويمدونهم بالادوية وبالعقاقير .

كان ذلك المضرب شبيها بالمستشفى ، وكانت الفتيات اللواتـي يساعدن الامير كالممرضات في عصرنا اليوم .

فقد ساهمت المرأة العربية منذ القدم في النضال والجهاد .

وكانت ترافق الجيوش الى الحروب وتعتني بالجرحى .

وما ان دخل فهد بالفتاة الجريح الى المضرب ، حتى هبت احدى الممرضات لاستقباله هامسة : فهد ؟ فهد التميمي ؟

واقتربت الممرضة من فهد تتفرس بوجه الفارس الجريح لترتـد على هلع وخوف واضطراب .

وتمتمت بخوف وقلق : هند ؟ هند التميمي ؟

وشاهد فهد التميمي وجه الممرضة يضطرب ويقلق •

وتعرف الى ذلك الوجه فورا وتمتم : من أرى ؟ راغدة ؟ راغدة العويصم ؟

وهمست الممرضة : اجلْ راغدة يا فهد •

قال : وماذا جاء بك الى هنا ؟

قالت : انها قصة طويلة يا فهد سأخبرك تفاصيلها بعد ان نسعف هند ونطمئن الى سلامتها •• تعال •• تعال معي •

وقادته الى فراش وثير قائلة : فلتسترح هند هنا قليلا ريثما ادعو الطبيب •

والقى فهد بابنة عمه هند فوق السرير •

واسرعت راغدة الى الطبيب تدعوه لمعالجة صديقتها هند •

قالت : ارجوك يا سيدي ان تسرع لاسعاف فتاة حملها القائد فهد التميمي الينا وهي مصابة بجرح بليغ •

واسرع الطبيب الى الفتاة الجريح •

وما ان وقعت عيناه عليها ، ولمس خطورة حالها حتى قطب حاجبيه، وأبدى اهتماما شديدا بها وتمتم : مسكينة • انهـا لفي خطر شديـد خطير • نرجو ان نستطيع انتشالها من اشداق الموت الرهيب •

وسمع فهد ما قال الطبيب فذعر : هل يخسر هند ؟ اتكون هند قد ضحت بحياتها من اجله ومن اجل اميره ، ومن اجـل الوطن الحبيب ؟ ايقدر لها الاستشهاد ؟

واقترب فهد من الطبيب واجما خائفا حزينامتمتما : ارجوك ياسيدي ان تبذل كل ما في وسعك من جهد لأنقاذ حياة هند • ارجوك ان تأخذ حياتي اذا استطعت وتهبها الحياة •

فأدرك الطبيب انه حيال عاشق متيم ولهان ، قال : ثق ايها القائد

ان الطبيب لا يدخر وسعا في انقـاذ جريـح او مريض • ليس لك ان تحث همتي ولا لك ان تثير حماسي من اجل هذه الفتاة الجريح • سأبذل كل ما في وسعي من اجل انقاذها •

قال : اتكون في خطر ؟

فصمت الطبيب • الفتاة في خطر •• اجل ••

ان الخطر ليحوم حولها •

والموت ليس ببعيد عنها •

الا ان الامل بالله كبير ، والطب ــ وهو في وسائله البدائيـة ــ سيعمل جاهدا على انقاذ حياتها •

وادرك فهد التميمي ان صمت الطبيب يشير الى خطورة حال هند فترقرقت الدموع في عينيه •

الا ان فهدا ابى ان يسمح لدموعه بالانهمار على وجنتيه •

فهو قائد بطل ، والابطال لا يبكون •

وفيما كان الطبيب يندفع لاسعاف هند ومدها بالادوية وبالعقاقير كانت راغدة تمسك بيد فهد وتبتعد به عن هند •

وحاول فهد الاعتراض •

قال : لا •• لن ابتعد عنها • سأظل قربها يا راغدة • دعيني اراها، دعيني اطمئن اليها •

ومسحت راغدة دمعة انحدرت على وجنتيها •

وهمست : لا يا فهد ، لا يا اخي • وقوفك هنا يسيء اليهـا ، ويعرقل مهمة الطبيب الذي يتفانى في انقاذ حبيبتنا هند • تعال • تعال معي يا فهد •• تعال •• وابتعدت به هند •

ودعته للجلوس على مقعد بعيدا عن الجرحى ، الذين كان انينهم

يرتفع ليقع في الآذان لحنا حزينا كئيبا ٠

وعادت الى الطبيب لتساعده في مد هند بالعقاقير وبالادوية ، وفي تضميد جرحها البليغ ٠

وسألت راغدة الطبيب ، والالم والخوف على حياة هند يحزان في نفسها : ماذا يا سيدي ٠ هل يساعدنا الطب في انقاذ حياة هند التميمي؟

وهمس الطبيب وهو مقطب الحاجبين عابس الوجه : الامل في انقاذها بات ضعيفا واهيا يا ابنتي ٠ فالدماء الغزيرة التي نزفت من جرحها الثخين تجعل مهمتنا صعبة ، ان هذه الفتاة الجريح اضحت اقرب الى الموت منها الى الحياة ٠ مسكينة ، يا ضياع صباها وجمالها ٠

وانهمرت الدموع غزيرة على وجنتي راغدة ، وهي تلمس الخطر الشديد على حياة هند ٠

وراحت تعمل على مساعدة الطبيب بوهن وحزن وعياء ٠

واقام فهد ينتظر عودة راغدة اليه وهو في حالة من القلق والخوف والاسى تفتت الاكباد ٠٠

ورفع فهد التميمي نظره الى السماء متمتما : يا رب ! انقذ هند يا رب ٠٠ فلتكن حياتي فداء حياتها ٠٠ اذا كان لا بد للموت من اختطاف روح ، فلتكن هذه الروح روحي لا روحها ٠

وطال انتظار فهد التميمي دون ان يلوح لراغدة او للطبيب اثر ، فاشتد القلق به ، واستبد الهلع بفؤاده ، فوثب يعدو الى حيث ينصرف الطبيب وراغدة الى اسعاف هند ٠

وكان الطبيب لا يزال منصرفا الى التضميد والاسعاف ، وراغدة تساعده والدموع تتدحرج من وجنتيها ٠

وسمع فهد الطبيب يتمتم في اذن راغدة : يا ضياع صباها ٠٠ يا ضياع صباها ٠

فانفجرت الدموع في عينيه وصرخ : هند ! يا حبيبتي !.

ووثب الى الطبيب هاتفا : هل ماتت ؟ هل ماتت هند يا سيدي ؟

وشاهد الطبيب فهدا في هلعه وخوفه واضطرابه فأشار الى راغدة بان تبتعد به عن هند .

وتقدمت راغدة من فهد تمسك بيده وتتمتم : تعال معي يا فهد ، فلنبتعد عن هذا المكان . تعال .. تعال .

وابى فهد ان ينزل عند طلب راغدة العويصم .

ابى ان يبتعد عن حبيبته هند .

فهو يريد ان يراها ، يريد ان يودعها قبل رحيلها عن هذه الحياة..

اما اذا كان الامر قد قضي واذا كانت هند قد رحلت ، فهو يريد ان يظل قربها .

يريد ان يشبع عينيه من مرأى وجهها الطاهر الجميل .

وافلتت يده من يد راغدة .

وعاد يندفع نحو هند صارخا : دعوني اراها ، دعوني اودعها بنظرة قبل رحيلها ، اتركوني .. اتركوني .

واندفع الطبيب يساعد راغدة عليه .

وامسك بيده هامسا : تعال .. تعال معي يا ابني .

وهتف فهد : اريد ان اعلم الحقيقة ، قل لي هل ماتت هند يا سيدي ؟

وتمتم الطبيب : لا يا ابني . هند لم تمت ، الا انني لا اخفيك انها في خطر شديد ، لن اسمح لك بالاقتراب من سريرها لئلا يضايقها حديثك ويزيد آلامها وعذابها عذابا .

وهمس فهد : ارجوك يا سيدي الطبيب ان تسمح لي بان اراها لحظة واحدة فقط . لن اضايقها بكلمة ، لن اهمس بحرف ، اريد ان

اتأكد من انها لا تزال على قبس من حياة •

وفيما الطبيب يتحدث الى فهد التميمي محاولا ابعاده عن هند ، كانت هند تئن تحت وطأة الالم الشديد ••

تئن وهي فاقدة الرشد •

فالحمى بدأت تنهش جسدها الطري العود وتفقدها كل وعي •

وسمع فهد هذيانها ••

سمعها تتمتم : « فهد ! انني مسافرة •• السفر بعيد •• والطريق شاق •• ما هذه الصحراء الشاسعة الواسعة الاطراف ؟ الاشباح تتراقص حولي •• والظلام يخيم على الرمال•• انني خائفة•• فهد ! فهد ! فهد !»

وتدحرجت الدموع على خدي فهد ••

وشاهد الطبيب الدموع في عيني البطل المغوار ، وسمع هذيـان هند فهزته العاطفة •

ورأى ان يرفق بفهد ويسمح له بالاقتراب من هند ••

وكانت راغدة قد سمعت همسات من هند وشاهدت دموع فهد فأخذت بالبكاء •

وهمس الطبيب : لا بأس يا ابني •• تستطيع ان تقترب من سريرها وان تشاهدها •• ولكن اياك ان تتلفظ بحرف •

وتقدم فهد من سرير هند ووقف امامهـا يحدق بوجهها الشاحب وبشفتيها المرتجفتين وبعينيها المغمضتين •

وهمس في سره : هند ! يا حبيبتي •• ليتني كنت انا علـى هذا السرير مكانك يا روح فهد •

واقترب الطبيب منه متمتما : تعال يا ابني •• تعال معي •

وسلخه عن هند •

وابتعد به قائلا : لقد قام الطب بما عليه حيالها يا ابني • والامل

الان معقود على العناية الالهية .

قال الطبيب هذا وعاد الى هند مع راغدة ، لينصرف الى اسعافها ومدها بالادوية والعقاقير ، وهو يخشى ان يتغلب الموت على الحياة ويسلخ هذه الفتاة الجميلة البطلة عن حبيبها ويبتعد بها عن دار الفناء الى دار البقاء .

الا ان الموت لم يستطع ان يتغلب على الحياة في هند التميمي .

فالشباب الريان الدارجة فيه هند ساعدها على مقاومة المنون .

ولعل رغبتها في الحياة والبقاء قرب فهد ايضا دفعت الموت عنها ، لان الارادة البشرية قوة هائلة ، تستطيع ان تحقق اماني الانسان وآماله واحلامه .

ولم تمت هند ..

لم تسافر في الرحلة الطويلة البعيدة .

لم يبتلعها الظلام .

ما ان اطل صباح اليوم التالي حتى كانت هند تفتح عينيها وتهمس: اين انا ؟

وأدارت نظرها في ارجاء المضرب ، فوقع على راغدة جالسة قربها والدموع تغمر عينيها والبسمة تطفو على شفتيها .

فهمست : راغدة ! اين انا ؟

وامسكت راغدة العويصم بيد صديقتها الحبيبة هند .

وهمست : الحمد لله يا هند .. انت في مضارب الجرحى .

وحاولت هند النهوض فشعرت بألم الجرح البليغ .

وعجزت عن النهوض فعادت الى الاستيضاح : ماذا حدث يا راغدة ؟ ومن جاء بي الى هنا ؟

فهمست راغدة : لقد اصبت بجرح بليغ فحملك فهد الينا يا هند.

وراحت هند تستعيد في ذاكرتها كل ما حدث .

وعادت بها الذاكرة الى الوراء فتذكرت ..

تذكرت المعركة ، والجواد الاصيل الذي كانت تمتطيه . والسيوف اللامعة التي كانت تتعانق في ساحة الميدان .

والرمــاح ..

والحراب ..

والجيــاد ..

والدماء ..

وماذا بعــد ؟

طعنة نجلاء تصيبها ..

ثم تهوي عن الجواد ..

وانقطع بها حبل الذكريات فلم تعد تذكر شيئا .

والتفتت الى راغدة ، تسألها : كيف وصلت الى هنا ؟

فهمست راغدة : قلت لك . حملك ابن عمك فهد الينا .

وعادت الذكريات تمخر عباب تفكيرها : فهد ؟ فهد حملني الى هنا ؟ اذن لقد كشف سري .. لقد فضح سر الفارس الملثم .

وتمتمت : اين هو فهد ؟ اريد ان اراه .

قالت راغدة : سترينه وستتحدثين اليه .. الحمد لله يا هند . لقد نجوت من الموت باعجوبة يا اختي . فالله سبحانه وتعالى تعهدك بعنايته ودفع عنك شبح الموت الرهيب .

فعادت هند الى التمتمة : اين هو فهد ؟ اين هو ؟

واذا بصوت فهد يتمتم : انا هنا يا هند . انني بجوارك . انــي قربك يا حبيبتي .

والتفتت هند لتشاهد فهدا يقف على مقربة منها وابتسامة الارتياح

تطفو منه على الشفتين فهمست : فهد !.

فاقترب منها ليمسك بيدها الباردة ويهمس : الحمد لله على نجاتك يا ابنة عمي .

واغمضت هند عينيها وید فهد تمسك بيدها .

وهمست : ماذا حدث يا فهد ؟

قال فهد : المعركة ما زالت في احتدامها ، والحرب سجال .

قالت : وماذا تفعل هنا ؟ مكانك ليس هنـــا يا فهد . مكانك في الميدان .

قال : سأعود الى الميدان بعد ان اطمئن الى سلامتك يا هند .

قالت ، ويدها تشد يده : انني بخير .. عد الى الميدان . اميرك بحاجة اليك اكثر مني .

قال : اريد ان اعلم كيف وصلت الى الميدان ؟ ولماذا اشتركت في المعركة ملثمة متنكرة ؟

فتدخلت راغدة لتقول : انها متعبـــة يا فهد ، هي لن تستطيع ان تروي لك ما حدث . دع الامر الي .. انا سأروي لك كل شيء .

وروت راغدة لفهد كل شيء ..

روت له قصة السجن الذي حلت فيه مع هند ..

وكيف احتالتا على الحارس والجندي ودستا لهما السم في الطعام.

قالت راغدة : وتمكنا من الهرب ، بعد ان ارتدينا ثوبي الجندي والحارس ، وسرنا لا نلوي على شيء حتى بلغنا مضارب التميميين . وهناك لجأنا الى بيت احد اقاربكم ، وكان صاحب البيت عجوزا يقيم في ذلك البيت مع زوجته العجوز فروينا له كل ما حدث لنا وطلبنا اليه المساعدة ، فاذا به يمد لنا يد المساعدة والعون .. واقمنا عنده ثلاثة ايام استطعنا خلالها ان نستعيد قوانا .. وفي اليوم الثالث طلبنا من التميمي

العجوز ان يمدنا بجوادين ، فقال : « الجوادان في متناول ايديكما ، ولكن اريد ان اعلم الى اين ستشخصان ؟ اريد ان اطمئن الى سلامتكما يا ابنتي » . قلت : « سنعود الى مضارب العويصميين سأعود الى بيتنا وستكون هند في رفقتي . هناك في مضارب آل العويصم سنكون في مأمن من كل شر » . لقد خدعناه ، لم نكن نريد العودة الى مضارب العويصميين . كنا نريد ان نشخص الى الميدان . كانت هند تريد ان تثأر وان تنتقم من عبد الله بن ثنيان ومن رجاله واتباعه الذين دهموا منزل والدها واهانوه واهانوها واعتقلوهما .. ونفحنا العجوز التميمي بجوادين اصيلين وقال : « رافقتكما السلامة يا ابنتي . ارجو ان تبلغا مضارب العويصميين على سلامة واطمئنان » . وامتطينا الجوادين وانطلقنا بهما ، الا اننا لم نتجه الى مضارب العويصميين ، بل انطلقنا الى بلدة عنيزة حيث كانت المعركة على احتدام عنيف بين جيش الامير وجيش عبد الله بن ثنيان .. وخضنا معا غمار المعركة الضروس .. وفي معركة عنيزة اصبت انا بجراح ، فنقلني جنود الامير الى مضارب الجرحى وهم يحسبونني فارسا ، وعندما اكتشف الطبيب حقيقتي طلب الي ان اعاونه في التمريض ، فأقمت الى جانب الطبيب اعاونه بعد ان التأم جرحي .. وضاعت مني هند وانقطعت عني اخبارها .. الى ان حملتها انت الي .

واكملت هند رواية القصة بهمس وعناء : اما انا فقد كنت اسعد حظا من راغدة ، فقد قدر لي ان اشترك في المعركتين . في معركة عنيزة وفي معركة الرياض ، وكنت اتمنى ان يسعدني الحظ في الاشتراك بفرحة الانتصار الا ان الحظ عاندني وخذلني فأصبت بطعنة نجلاء فيما كنت على مقربة من الامير .. ووصلت الى هنا .

فهمس فهد : وكدت تصلين بنفسك الى القبر ، وتصلين بحبيبك

فهد الى العذاب والشقاء والآلام والدموع مدى الحياة •

فشدت يد هند يد فهد وتمتمت : اما الان ، وقد اطمأنت نفسك الى نجاتي فما عليك الا ان تعود الى الميدان يا فهد •• ارجوك ان تعود •• عد الى اميرنا •• مكان الفرسان الابطال في الميادين وليس في مضارب الجرحى يا فهد •

ورمقها فهد بنظرة ملؤها العطف والحب والحنان ••

وابتعد عنها هامسا في اذن راغدة : انني اترك هند امانة في عنقك يا راغدة • فاذا عدت سالما من ميدان الجهاد استعدت الامانة ، اما اذا قدر لي الاستشهاد فستظل الامانة في عنقك مدى الحياة •

قالت راغدة : ستعود باذن الله يا فهد ، وستستعيد الامانـــة • وستسعدان بحبكما الطاهر الشريف • ولكن لي عنـدك حاجة يا ابن التميمي •

قال : حاجتك مقضية يا راغدة • ما هي ؟

قالت : اذا صادفت سالما ابن عمي بلغه سلامي وطمئنه الى سلامتي وقل له : انني لأقيم منه على انتظار •

قال : سأسعى اليه ، واقوم بالمهمة يا راغدة خير قيام •

وودعهما •• وخرج ليمتطي جواده الاصيل ويطلق له العنان في الطريق الى الرياض •

وانطلق الجواد الاصيل بالقائد فهد التميمي على سرعة واندفاع ، وفهد يحثه على العدو والاسراع •

فهو يريد ان يبلغ الميدان ليشترك في المعركة ، ويعوض عما فاته من جهاد وبسالة ونضال •

- ٥ -

التئام الشمل

وصل فهد التميمي الى الرياض ، ليفـــاجأ بالهدوء يسود ارجاء المدينة الباسمة السمحاء ٠

فلا جيوش على ابواب المدينة ٠

ولا حرب ٠

ولا استشهاد ٠

ودفع فهد بالجواد الى كبد الرياض ٠

فاذا بالوجوه ، وجوه ابناء المدينة ، تطفح بالفرح والسناء ٠

واذا بالاهازيج والهتافات تشق عنان السماء : « يا للامير الخطير٠ مرحى للفيصل الكبير ٠٠ ارواحنا فدى ابن سعود » ٠

وبدأت معالم الفرحة واسرارها تنجلي امام فهد التميمي ٠

لقد دخل الامير فيصل بن تركي الرياض ظافرا واندحر ابن ثنيان٠

وشخص فهد الى حيث يقيم الامير وقواده ٠

ولم يكن من العسير التعرف الى المكان ٠

فالجماهير تندفع في الطريق الى مقر الامير فرحة مهللة نشوى ٠

وشق القائد طريقه الى مقر الامير، بين الجماهير المتدافعة بالمناكب٠

ودخل على الامير فيصل الجالس بين قواده وانصاره على مقـــام رفيع كريم ٠

وفوجىء فهد بوجود عمه طلال التميمي والد هند بين الجالسين في حضرة الامير ٠

وألقى فهد تحية الاحترام ٠

وانحنى امام الامير هاتفا : فليدم العز لمولانا الامير وليظل النصر معقودا لجيشه الباسل المقدام ٠

فربت الامير فيصل على كتف القائد المغوار ٠

وهمس : سيظل النصر حليفنا ما دام بين قوادنا امثالك يا فهد ٠

وكأن الامير تذكر ما كان من الفارس الملثم الجريح فسأل فهدا : كيف حال الفارس الملثم يا ابن التميمي ؟

وتمتم فهد : انه بخير يا مولاي ، لقد استطاع النطاسي ان يدفع الموت «عنه» ، والحمد لله ٠

والتفت فهد الى عمه ، الى والد هند فاذا ببسمة هادئة تشع على شفتي طلال التميمي ٠

وتقدم فهد من عمه يصافحه متمتما بتساؤل ودهشة واستغراب : كيف وصلتم يا عماه الينا بعد ان ضاع منكم لدينا كل اثر ؟

وأفصح طلال التميمي للقائد فهد عن كل ما مر به من مصائب وويلات ٠

قال : بعد ان اعتقلني رجال ابن ثنيان مع ابنتي هند ، القوا بي في السجن مع بعض الاسرى الآخرين ، وكلهم مثلي ، من انصار الامير ، وأقمنا في السجن ، في الرياض ، نلقى العذاب والجوع والعطش حتى تم تحرير الرياض ، ودخل جيش الامير المظفر الى هذه المدينة الحالمة ، فأطلق الامير سراح الجميع وقربنا اليه ، وما نحن سوى من انصاره ومؤيديه والحالمين بعودته الى الحكم ٠ اما ابن ثنيان فقد استسلم لاميرنا بعد ان اندحر جيشه شر اندحار ٠٠ وها ان الامر يستتب لاميرنا ويصبح حاكم نجد واميرها المفدى ٠

ولمع في عيني طلال التميمي وميض حزن واسى والم ٠

وهمس : الا انني لم استطع ان اقف على اثر لابنتي هند يا فهد ٠

لقد ضاعت هند مني يا ابني •

فابتسم فهد وتمتم : هند لم تضع يا عماه •

وهتف طلال : اين هي ؟ هل لك ان ترشدني اليها يا فهد ؟

فهمس فهد : انها في مضارب الاطباء • هند مصابة بجرح بليغ ، وقد نجت باعجوبة من الموت يا عمي •

وروى فهد لعمه طلال كل ما كان من هند •

فارتاح طلال التميمي كل الارتياح وتمتم : الحمد لله رب العالمين فهو قد وهبني كل ما اتمنى واصبو اليه ، نصر اميرنا علـــى اعدائه ، واطلق اسري ، وانقذ ابنتي الباسلة من الموت •• شكرا لك يا رب يـــا ارحم الراحمين •

وفيما كان الامير فيصل بن تركي يعقد اجتماعا مع انصاره وقواده ومؤيديه لاتخاذ ما يلزم من مقررات وتدابير ومشاريع لاحياء البـــلاد وانقاذها من الويلات التي كات تتخبط بها ، كانت جمـــاهير النجديين تتدفق على الرياض لتهنئة الامير بانتصاره المبين •

وكان فهد التميمي يمسك بيد عمه ويطير به الى مضارب الاطباء حيث كانت هند قد تماثلت للشفاء •

وعمت الفرحة ارجاء نجد بعودة الامير فيصل بن تركي السعودي الى الحكم •

وارتاح الامير فيصل •

وارتاح قواده وجنوده وقد ملأت الفرحة قلوبهم •

وكان لا بد من اكتمال فرحة آل تميم وآل العويصم بزواج فهد من ابنة عمه هند ، وزواج سالم من ابنة عمه راغدة •

وذات صباح مشرق باسم وضوح كانت هنـــد التميمية تزف الى ابن عمها فهد •

وكانت راغدة العويصمية تزف الى ابن عمها سالم •
وبارك الامير فيصل زفاف القائدين فهد وسالم •
وانعم عليهما وعلى عروسيهما بالهدايا والحلي والمال •
وقرب فهدا وسالما اليه •
وعهد اليهما بمناصب رفيعة في دار الحكم في الرياض •
واصبحا من المقربين الى سمو الامير الكريم •

- ٦ -

هوي النسر

انصرف الامير فيصل بن تركي الى الاهتمام بشؤون امارته •
فعزز الصناعة والتجارة والثقافة •

وحمل الى نجد ، وهي يومذاك بلاد بدوية ، الحضارة والتمدن والرقي •

وكانت المهمة شاقة متعبة على الامير الكبير •

فالبلاد كانت مرهقة تحت وطأة الظلم والاضطهاد والعبودية التي اشاعها عبد الله بن ثنيان في نجد والتي كان العثمانيون قبله قد رسخوا اركانها في تلك البلاد الجميلة ووطدوا دعائمها •

وكان النجدي يوم تسلم الامير فيصل بن تركي الحكم ، يرسخ في قيود العبودية والظلم والارهاق فجاء الامير فيصل ليطلق سراحه من الظلم ويحطم قيوده ويجعل منه انسانا حرا محترما يتذوق لذة الحرية والكرامة والانطلاق •

فعرف النجديون في عهد الامير فيصل بن تركي لذة الحيـــاة ،

ونعموا في رحاب الطمأنينة والحرية والسعادة والسلام .

وانصرف الامير ، وقد اطمأن الى سعادة شعبه ، والى طمأنينة النجديين ، انصرف الى تثبيت دعائم دولته وتوحيد اجزاء شبه الجزيرة العربية التي كان الاجنبي قد شتت شملها ومزقها شر تمزيق .

وكانت شريعة العثمانيين يومذاك شريعة « فرق تسد » فاستطاعوا ان يفرقوا شبه الجزيرة العربية وان يسودوا .

وجاء فيصل بن تركي السعودي ليجمع الشمل ويوحد الصفوف ويداوي الجراح التي كانت تثخن تلك البلاد وتسيل دماءها الطاهرة الزكية .

واستطاع الامير فيصل ان يجمع الشمل ويوحد شبه الجزيرة العربية في مدة وجيزة .

فجمع شمل القطيف والاحساء ووادي الدواسر وعسير والقصيم وضمها كلها الى امارته تحت راية الاسلام الصحيح البعيد كل البعد عن الشوائب والاوهام التي كانت قد بدأت تتسرب الى ابناء نجد .

ورأى النجديون في الامير العائد من منفاه الامل الباسم والاماني الندية العذاب فناصروه وساعدوه وتفانوا في خدمته وفي مد يد المساعدة اليه .

وبدأ الامير فيصل في بناء الدولة السعودية الاولى فوسع حدود الامارة ، وبسط سلطانه العادل على ارجاء نجد .

فعرفت تلك البلاد في عهد الامير فيصل الحرية التامة والعدالة الكاملة والدين القويم والاستقلال الناجز .

وانبسطت حدود الامارة السعودية يومذاك انبساطا واسعا كبيرا حتى شملت قسما من الكويت ومن البحرين ومن مسقط ومن ساحل عمان والخيمة وابي ظبي ، فكان امراء وحكام تلك المناطق يدينون

للامير فيصل بالصداقة والمحبة والاحترام ، وقد امتد حكم الامير فيصل اربعة وعشرين عاما .

وذات صباح من عام ١٨٦٥ م ـ ١٢٨٢ هـ استفاقت نجد على كارثة رهيبة ..

لقد توفي الامير فيصل بن تركي ..

هوى النسر ...

وخمدت الشعلة الوضاءة التي تنير نجد .

وخبا ذلك النور الساطع المنير .

وكان موت الامير فيصل نكبة كبرى على نجد .

وبدأ العثمانيون يتأهبون للعودة الى تلك البلاد التي كانوا قد ارغموا على النزوح عنها .

واضطرب حبل الامن في نجد بعد وفاة الامير فيصل بن تركي .

فالقائد الحكيم الحازم الحاسم العادل توارى .

والقيادة اصبحت بلا قائد .

والقطيع غدا بلا راع فتشتت .

وبدأت الذئاب تتأهب للفتك بالقطيع الضائع التائه الشريد .

وبدأ التنافس على الحكم بين امراء آل سعود .

وكان اشد المتنافسين اشتياقا الى الحكم نجلي الامير فيصل بن تركي عبد الله وسعود .

فراح كل من الشقيقين يسعى للسيطرة ، وللوصول الى الحكم .

وبدأت الحرب الاهلية تهدد نجد بالدمار والخراب .

وبدأت نيران الحرب تتأهب للاندلاع لتقضي على كل ما بنى وما شيد الامير فيصل بن تركي الراحل الى ما وراء الغيب .

الفصل الثاني

عبد الرحمن آل سعود

انقضت اعوام خمسة على وفاة فيصل بن تركي ، ونجد غارقة في الدماء ، والحرب الاهلية يندلع اوارها بين الامراء السعوديين .

والعيون النهمة الجائعة تنظر من وراء حدود نجد الى المذابح والمعارك والدماء بارتياح وتتاهب للانقضاض ساعة يحين الموعد وتسنح الفرص .

وسنحت الفرص ، وقد بلغت المعارك حدها الاقصى بين الشقيقين فاذا بالدولة العثمانية الباسطة سلطانها على الحدود ، تتدخل فترسل حملة عسكرية بقيادة مدحت باشا الى نجد طمعا في سلخ بعض المناطق وضمها الى السلطنة العثمانية .

ووفقت الحملة في الاستيلاء على الاحساء ، وضمتها الى البصرة، وقطعت كل صلة بين نجد وعمان .

في هذه الاثناء كان الامام عبد الله بن فيصل قد تغلب على شقيقه سعود واستولى على الحكم ، فهب اولاد الامام سعود للاخذ بالثأر من عمهم الامام عبد الله وانتزاع الحكم منه .

واستطاع اولاد سعود بن فيصل ان يثأروا لابيهم من اخيه فاستعادوا الحكم واعتقلوا عمهم وزجوه في السجن .

وكان محمد بن الرشيد ، امير مدينة حائل ، يرقب النزاع القائم

بين افراد الاسرة السعودية باهتمام وحذر، حتى اذا ما سنحت له الفرصة انقض على الرياض وفي صدره الف مأرب ومأرب والف غاية وغاية .

وزحف محمد بن الرشيد من مدينة حائل برجاله المسلحين الى الرياض مدعيا نصرة صديقه الامام عبد الله بن فيصل .

وانبرى ابناء سعود بن فيصل بقيادة شقيقهم محمد بن سعود ليدافعوا عن سلطانهم فنشبت معركة دامية بين محمد بن الرشيد وبين محمد بن سعود .

واستطاع ابن سعود ان يصمد اياما .

الا ان محمدا بن الرشيد طلب النجدة من انصاره واتباعه فأتته النجدة على سرعة وعجل .

واستطاع ان يتغلب على ابناء سعود وان ينقذ عمهم الامام عبدالله من السجن .

وخيل للامام عبد الله بن فيصل ان محمد بن الرشيد ناصره ونصره وانقذه من السجن اكراما لسواد عينيه ووفاء لجميل له في عنقه .

الا انه كان على خطأ وضلال لان ابن الرشيد اخذ يسعى لمساعدة سعود ، شقيق عبد الله ، لتنصيبه اميرا على الرياض .

وابن الرشيد كان طامعا في مد سلطانه على نجد بكاملها ، فأدرك ان الوصول الى ما يصبو ويريد يتوقف على اقادة اضرام النار بين الاشقاء والاخوان .

وفيما محمد بن الرشيد يعمل على تنفيذ مأربه ، ونصرة سعود على عبد الله فوجىء بوفاة الامام سعود فعاد الى عبد الله يسعى لنصرته في استعادة الحكم مجددا .

الا ان ابناء نجد وقفوا صفا واحدا في وجه ابن الرشيد .

فاجتمع الشيوخ والزعماء واختاروا الامير عبد الرحمن بن فيصل،

شقيق عبد الله وسعود الاصغر ، ليكون اماما لهم واميرا عليهم •

ولم يكن لمحمد بن الرشيد الا ان يؤيد من اختاره الشعب اماما واميرا فتظاهر بتأييد الامير عبد الرحمن بن فيصل وبتقديم كل مساعدة وعون لـه •

الا ان الامير الشاب بدا حذرا من ابن الرشيد •

وعزم على ان يخلع عنه وصاية ذلك الرجل الذي كان يضرم النار بين ابناء الاسرة السعودية لمآرب خاصة •

وكان الامام عبد الرحمن رجلا ذكيا فطنا حكيما ينظر بمنظـار الحكمة والدهاء البعيد البعيد •

ووقف محمد بن الرشيد على نوايا الامير عبد الرحمن فأقام منه على حذر •

وذات يوم فوجيء الامير عبد الرحمن بوصول احد اخوال محمد ابن الرشيد الى الرياض حاملا معه امرا من ابن اخته محمد بن الرشيد بتعيينه ممثلا له في نجد ، ومشاركا الامام عبد الرحمن في الحكم ، اي ان محمدا بن الرشيد عين خاله سفيرا لـه في الرياض وشريكا للامير عبد الرحمن في الحكم والسلطان •

ولم يكن بد من الموافقة •

ذلك لان الامير عبد الرحمن كان يعلـم ان محمدا بن الرشيد سيتعبه اذا رفض الامر الذي يحمله الخال العزيز •

وسكت الامير عبد الرحمن على مضض •

ونام على الضيم آملا ان تسنح الفرص له للتخلص من الوصاية التي فرضها عليه ابن الرشيد •

غير ان الخال « السفير » بدأ يضايق الامام عبد الرحمن بتدخله بشؤون الدولة محاولا فرض سلطانه على الامام ونشر نفوذه في انحاء

نجد .

وكان « السفير » يتدخل في كل شأن من شؤون الحكم فيصدر العفو عن المحكومين ، ويحكم على المتهمين قبل ان يمثلوا امام الامام وقبل ان يلفظ الامام حكمه العادل عليهم .

وكان « سفير » ابن الرشيد يرمي الى تقويض دعائم حكم الامام عبد الرحمن واقامة دعائم متينة لنفوذ ابن اخته .

فكأن ابن الرشيد ما اوفد خاله الى الرياض الا ليمد نفوذه وسلطانه على تلك المدينة الصامدة امام كل ظلم وطغيان .

وضاق الامام عبد الرحمن ذرعا بالسفير الجديد القادم اليه من مدينة حائل على نفوذ ومجد وسلطان .

ورأى ان يتحرر من ذلك الطغيان ويخلع عنه الوصاية فبدأ بالتمرد على « السفير » ، ومعنى ذلك ، التمرد على محمد بن الرشيد نفسه .

وتجلى ذلك التمرد يوم اعتقل الامام عبد الرحمن ثلاثة من المجرمين الذين كانوا يكمنون للمسافرين في الصحراء ويسلبونهم اموالهم وعتادهم

ومثل المجرمون الثلاثة امام الامام فحاكمهم وقضى عليهم بالسجن وبمصادرة اموالهم التي كانوا قد سلبوها من المسافرين .

ولجأ ذوو المحكومين الى « السفير » خال محمد بن الرشيد طالبين اليه السعي لدى الامام لانقاذ المحكومين واطلاق سراحهم .

و « السفير » لم يكن بحاجة الى الوساطة والشفاعة يلجأ اليهما لتنفيذ ما يريد . امر السفير يجب ان ينفذ على عجل دون ابطاء ولا مماطلة ولا تسويف .

واصدر « السفير » الامر ، فأرسل احد اتباعه الى الامام عبد الرحمن ليقول له : « يطلب اليك خال الامير محمد بن الرشيد اطلاق سراح المساجين الثلاثة فورا » .

وللمرة الاولى يرفض الامام عبد الرحمن الطلب .

قال : عد الى مولاك وابلغه رفضنا تنفيذ اوامره ، فنحن احرار في امارتنا ، ليس لاحد مهما علا وسما ان يتدخل في شؤوننا .

قال الرسول : افهم من حديث الامام انه يرفض اطلاق سراح المساجين ؟

اجاب الامام : بل اصر على سجنهم . لقد حكمنا عليهم ويجب ان ينفذ الحكم الذي اصدرناه .

وحمل الرسول كلام الامام عبد الرحمن الى مولاه فعقدت الدهشة لسانه : هل يجرؤ الامام عبد الرحمن على التمرد والعصيان ؟

ايجهل اي نفوذ هو نفوذه ، واي قوة هي قوته واي سلطان هو سلطانه ؟

ايتمرد عبد الرحمن على الاوامر ؟

الويل ثم الويل له اذن من غضب محمد بن الرشيد .

وعزم « السفير » على الانتقام من الامام عبد الرحمن .

هذا الامير المتمرد الثائر سيلقى جزاء تمرده وعصيانه .

سيطلع السفير ابن شقيقته على الامر ويدعوه الى الاقتصاص من الامير عبد الرحمن .

وغادر « السفير » الرياض عائدا الى بلدة حائل ليطلع ابن شقيقته على ما كان من الامير السعودي عبد الرحمن بن فيصل .

ودهش محمد بن الرشيد مما يسمع .

وتمتم : هل يمكن للامام عبد الرحمن ان يعلن التمرد والعصيان؟ أيكون قد اصيب بمس في عقله ؟ ايجهل اي قوة هي قوتنا ؟ واي سطوة هي سطوتنا واي بطش هو بطشنا يوم يطيب لنا البطش ؟

قال « السفير » : يبدو انه نسي او تناسى ما لكم عليه من جميل.

وعليكم ان تعيدوه الى جادة الصواب وان ترسموا له حده ليقف عنده.

قال ابن الرشيد : وهذا ما سنعمد اليه . ابن فيصل السعودي يجب انينزل عنداوامرنا وليس له ان يرفض لنا طلبا مهما كانهذا الطلب.

قال « السفير » : ما هو التدبير الذي ستتخذونه لترويض الامام عبد الرحمن ؟

فلاذ ابن الرشيد بالصمت العميق .

وانصرف الى التفكير .

فليس من الامر السهل ترويض ابن فيصل السعودي ، وارغامه على الانصياع لاوامر ابن الرشيد .

والامير عبد الرحمن بن فيصل السعودي كان يحافظ شديدالمحافظة على كرامته المئناف وشرفه الاصيل ، ويأبى ان يتلقى الاوامر وهو الذي كان يصدر اوامره فتنفذ ولا تلقى اي اعتراض .

وطال تفكير محمد بن الرشيد دون ان يهتدي الى طريق يصل به الى الاقتصاص من الامام عبد الرحمن .

فهو لا يستطيع ان يستل في وجهه السيف ، ولا قدرة له على محاربته ، وهناك شيوخ نجد وزعماؤها يناصرونه ويبذلون دماءهم في سبيله .. ولا يستطيع ان يرغمه على الطاعة والامتثال ، وليس له قدرة على خلعه واقصائه عن الحكم .

واخيرا ، وبعد تفكير طويل اهتدى الى الحل الذي يريحه من الامام عبد الرحمن بن فيصل السعودي ..

سيغتاله ويخلص منه .

سيرسل اليه اتباعه واعوانه يغتالونه ويريحونه من تمرده وعصيانه.

وعندئذ بعد ان ينتقل الامام عبد الرحمن الى العالم الثاني ، ويوارى جثمانه الثرى يرتاح محمد بن الرشيد ، ويمد سلطانه على نجد

بأسرها ويصبح الحاكم الآمر الناهي في البلاد .

وارتاح محمد بن الرشيد كل الارتياح وقد وصل في تفكيره الى هذا الحد ..

والتفت الى خاله السفير ليقـــول : اطمئن سنرتاح مـــن الامام عبد الرحمن بن فيصل السعودي .

فتساءل « السفير » : كيف ؟

قال ابن الرشيد : هذا ليس مـــن شأنك . يكفي ان تعلـــم اننا سنرتاح منه الى الابد .

قال الخال متسائلا : وهل اعود الى الرياض ؟

فأجاب : لا .. بـــل انت ستظل هنا فـــي حائل . سنوفد سالم السبهان الى الرياض ليكون مندوبنا لدى الامام عبد الرحمن ويمثلنا لديه .

فبدأ السفير يدرك مأرب ابن اخته ، وهو لا يجهل من هو سالم السبهان ، ولا ما هي المهمة التي سيعهد بها ابن شقيقته اليه في الرياض.

وسالم السبهان كان خبيرا في امور الاغتيال واصوله وفنونه .

ما دام محمد بن الرشيد قد اختار سالم السبهان ليكـــون ممثله لدى الامام عبد الرحمن ، فألف الف رحمة على روح الامام .

وابتسم السفير .

وهمس في اذن ابن اخته : بورك اختيارك يا محمد . انا لم اكن لأشك يوما في حكمتك وذكائك وبعد نظرك ، فليغادر سالم السبهان حائل اليوم شاخصا الى الرياض وعليه وعلى حسن تدبيره الاتكال .

ودعا ابن الرشيد سالم السبهان اليه ليقول : اسمع يا سالم ! انت ستشخص الى الرياض .

فلمعت البسمة على شفتي سالم السبهان .

وهمس : ما هي المهمة التي يجب علي القيام بهـا في الرياض يـا مولاي ؟

لقد كان سالم السبهان يعلم ان الحاكم ابن الرشيد سيعهد اليـه بمهمة خطيرة في الرياض •

من المؤكد انه ما اختاره للذهاب الى الرياض ليلهو ويستجم •

في الرياض مهمة صعبة تنتظره ، وعليه ان يقوم بها خير قيـام ليرضي مولاه ابن الرشيد •

وسالم السبهان قام بكثير من المهمات الصعبة التي عهد بها اليه محمد بن الرشيد •

فهد قد دبر امر اغتيال الشيخ عبد الله بن حسام الدين في القصيم

وهو الذي تولى دهم انصار الامام سعود بن فيصل في بلـدة عنيزة وفتك بهم •

ومحمد بن الرشيد يعتمد عليـه في المهمات الخطيرة الخطيرة الصعبة •

وهو ابدا ودائما عند حسن الظن ، وفي لمولاه ما دام يغدق عليه الهبات والعطايا •

ومن يأكل خبز السلطان عليه ان يضرب بسيفه •

وقال محمد بن الرشيد لعميله سالم السبهان : عليـك ان تقوم بمهمة خطيرة يا سالم • في الرياض لنا عدو لدود• نريد ان تتخلص منه•

فتساءل سالم السبهان : من هو يا سيدي ؟

قال : انه عبد الرحمن بن فيصل السعودي •

فوجم سالم السبهان ، ودهش •

وعقدت الدهشة لسانه فلم يستطع النطق بحرف •

عبد الرحمن بن فيصل السعودي ، حاكم الرياض وسيدها واميرها



وامامها .

ولـه فيها انصار واعوان وجنود .

فليس من السهل اذن التخلص منه .

ولمس ابن الرشيد الدهشة والوجوم في سالم السبهان .

فتمتم : ماذا ؟ اتجبن وتخاف يا سالم ؟

فرد سالم : انتم تعلمون يا مولاي اي قلب فولاذي شديد هو قلب خادمكم الامين سالم السبهان ، واي قوة وبأس هما قوتـه وبأسه . سالم السبهان لا يعرف الجبن ولا تعرف الى الخوف ، الا ان ..

فقاطعه محمد بن الرشيد : الا انه يخشى التعرض للامام عبد الرحمن السعودي ؟

قال بعد تردد وتفكير : لا يـا مولاي . سالم السبهان لا يخشى التعرض للامام عبد الرحمن ، الا انه يخشى الا يكون عند حسن الظن وان يخفق في مهمته ، لا سيما ودون الوصول الى حاكم الرياض صعاب ومشقاب واهوال .

فأشرقت ابتسامة زاهية على شفتي الحاكم ابن الرشيد .

وهمس : اطمئن . نحن سنوصلك الى الحاكم السعودي ، ومـا عليك الا التنفيذ . ايصالك الى الامام عبد الرحمن متروك لنا ، والخطة مرسومة جاهزة ما عليك الا التنفيذ .

فعاد سالم السبهان الى التساؤل : كيف سأصل الى مقر حـاكم الرياض عبد الرحمن بن فيصل ؟

قال : انت ستكون معتمدنا ومندوبنا لديه ، ستمثلنا عند الامام عبد الرحمن، وستدخل عليه ساعة تريد دون ان يعترض سبيلك معترض، او يحول بينك وبينه حائل .

فبدأ الاطمئنان يغمو قلب سالم السبهان .

ان يكن سيمثل ابن الرشيد لدى الامام عبد الرحمن ، فالمهمة اصبحت سهلة المنال ولكن ..

وظلت كلمة « ولكن .. » عالقة على شفتي سالم السبهان .

ولكن هل سيستطيع القضاء على الامام في بلاطه وبين جنوده وقواده واتباعه وانصاره ؟

وكأن محمدا بن الرشيد ، ادرك ما ايجول في خاطر سالم فهمس : اطمئن سيرافقك الى الرياض بعض الانصار والاصدقاء . لن تكون وحدك في الرياض . حمايتك مضمونة يا ابن السبهان .

قال سالم : انا لست طامعا بالحماية يا مولاي ، على قدر ما انا طامع في ارضائكم .

فربت ابن الرشيد على كتف عميله هامسا : لم نكن لنشك يوما في اخلاصك ووفائك يا سالم . لقد كنت لنا خير نصير ، وافضل معاون، وهذا ما اهاب بنا الى اختيارك للقضاء على عدونا اللدود .

قال سالم : وسأكون دائما عند حسن ظنكم يا مولاي .

وراح محمد بن الرشيد يرسم لعميله ابن السبهان خطة القضاء على الامام عبد الرحمن .

قال : ستشخص غدا الى الرياض مع بعض رجالنا الاوفيا . وما ان تصل الى الرياض حتى تشخص الى مقر الامام عبد الرحمن ، فتبلغه سلامنا وتسلمه رسالة اعتمادنا اياك مندوبا وممثلا لنا عنده . ثم تعود الى مقرنا في الرياض ، حيث كان يقيم سلفك خالنا ، ومن هناك ترقب تنقلات وخطوات ابن فيصل السعودي الامام عبد الرحمن ، حتى اذا وقفت على مواعيد خروجه من مقره وحيدا كمنت له مع رجالك وعمدتم الى اغتياله . انني اترك لك حق اختيار وسيلة الاغتيال ، فالسيف والنبلة والحربة والبندقية في متناول يدك ، ما لك الا ان تختار .

قال سالم : لكم ان تطمئنوا يا مولاي ، خادمكم الامين سالم السبهان لن يعود اليكم الا وبشرى مقتل عبد الرحمن على شفتيه .

ولم ينس محمد بن الرشيد ان ينفح سالما بكيس من الذهب .

قال : خذ .. هذا جزء من المكافأة ، وسيكون لك نظيره يوم تعود الينا بالبشرى المفرحة السارة .

وهمس سالم ، ويده تقبض على المكافأة : شكرا لكم يا مولاي . ادع لنا بالتوفيق والنجاح .

ودعا له بالتوفيق ..

وسار سالم السبهان الى الرياض مع عشرة رجال اشداء اقوياء مخلصين .

ووصل موكب سالم السبهان الى الرياض .

وحل حيث كان يقيم سلفه « السفير » في دار فخمة انيقة .

وفي اليوم التالي لوصوله مثل امام الامام عبد الرحمن حاملا له سلام ابن الرشيد وتحياته العطرة الفواحة العبير ..

ولمس الامام عبد الرحمن ، وهو الحاذق الذكي البعيد النظر ، لمس في رسول ابن الرشيد المكر والخبث والدهاء فأقام منه على خشية وحذر .

وعهد الى بعض اعوانه بمراقبته ومراقبة رجاله القادمين معه من بلدة حائل .

ولم يبد من سالم السبهان ما يثير الريبة او الشك طيلة الايام العشرة التي تلت وصوله الى الرياض .

ولا هو حاول فرض سلطانه على الامام عبد الرحمن ، كما كان يفعل سلفه خال محمد بن الرشيد .

ولا تقدم من الامام بطلب .

بل هو انزوى في داره لا يخرج منها الا لقضاء حاجة او للتنزه مما اهاب بالامير عبد الرحمن الى الاطمئنان .

وفي اليوم العاشر لوصول سالم السبهان الى الرياض ، دخل خالد التميمي ، وهو نجل القائد فهد التميمي ، الذي كان رفيق الامير فيصل بن تركي والد الامام عبد الرحمن ، دخل خالد التميمي على الامام عبد الرحمن والجد باد على محياه ليقول : انني لأحمل اليكم سرا خطيرا يا مولاي .

فتساءل الامام : وما هو هذا السر يا ابن فهد التميمي ؟

قال خالد : هناك مؤامرة دنيئة تحاك للقضاء على حياتكم الغالية يا سيدي .

فوجم الامام عبد الرحمن .

وسأل : ما هي هذه المؤامرة ، ومن هو مدبرها وراسم خطوطها ، والعازم على تنفيذها ؟

اجاب خالد : انه سالم السبهان ، مندوب محمد بن الرشيد .

قال الامام : وكيف علمت ذلك يا ابن التميمي ؟

قال : شاهدت احد اتباع سالم السبهان يدور حول قصركم فرحت اراقبه مراقبة شديدة ، وأيقنت انه يحمل الينا الشر ، فاقتربت منه والقيت عليه التحية ، ولاح لي منه انه ذعر وقد شاهدته يطوف بالقصر الا انني طمأنته بقولي : « ان سيد هذا القصر رجل شرير .. فلنبتعد يا اخا العرب عن هذا القصر لئلا يشاهدنا احد الجنود فيعتقلنا ويزج بنا في السجن » .

واطمأن الرجل الي وتقدم مني قائلا : كيف عرفت ان سيد هذا القصر ظالم شرير ؟

قلت له : لقد فتك بوالدي ، وسجن عمي ، واستولى على عتادنا

واملاكنا •• لو قدر لي ان استل منه الروح لما تأخرت •

فأمسك الرجل بيدي يشدها هامسا : « اطمئن •• ان الله سيريحك منه قريبا • الامام عبد الرحمن سيموت قبل انصرام ثلاثة ايام » •

وتظاهرت بالفرح والسرور وهمست متسائلا : احقا ما تقول يـا اخا العرب ؟

قال : اجل وايم الحق •

قلت : تعال معي الى مكان امين •

وسار معي فقدته الى حانة قريبة وقدمت له الطعام والشراب فوثق بي واطلعني على المؤامرة الدنيئة •

فوجم الامام عبد الرحمن •

وهمس : يبدو ان الله يلقي بكم في طريقنا يا ابناء تميم لتدفعوا عنا المخاطر والشرور ، بالامس ادى والدك فهد يا خالد الخدمات الجلى لوالدنا ، وحارب في صفوفه ودافع عن هذه الارض الطيبـة المعطاء ، واليوم يأتي ابنه خالد ليدفع عنا الشر ، ويعطي المثل الصالح في الشهامة والنبل والوفاء •

قال خالد : قبل ان يلفظ والدي انفاسه الاخيرة قال لي : « يا ابني يا خالدا • ابناء سعود اولياء نعمتنا • وهم عزة نجد وفخرها ، لن يرتفع لنجد صوت الا في اصواتهم ، ولن تخفق فوق البطـاح راية الا وهم رافعوها • اذا اردت لبلادك نصرا فانصرهم ، وان اردت لنجد استقلالا وحرية ومجدا فحارب بسيوفهم • ابناء سعود هم نجد ، ان انقرضوا يوما لا سمح الله ، فالسلام على نجد » •

هذا ما قاله والدي يا مولاي وهو يلفظ انفاسه الاخيرة • فقـد دعاني ، رحمات الله عليه ، الى العمل تحت رايتكم والى الاستبسال في الدفاع عن لوائكم ، لان لواءكم هو لواء نجد • وها انا كما ترون يا

سيدي الامام ، الوفي المخلص والابن البار •

فلمعت ابتسامة هادئة على شفتي الامام عبد الرحمن بن فيصل •

وهمس : ولذلك فقد قربناك الينا يا خالد واتخذناك صديقا مخلصا وفيا • وفاؤك لنا لن يكون باقل من وفاء والدك لوالدنا •

قال خالد التميمي : وارجو ان اكون دائما وابدا عند حسن ظن مولاي الامير •

قال الامير عبد الرحمن : اخبرني الان يا فهد ، ما هي هذه المؤامرة التي اطلعك عليها ذلك الرجل •

قال خالد : الرجل ذاك اسمه حسان المشهور ، وهو احد الرجال العشرة الذين رافقوا سالم السبهان من حائل الى الرياض ، وقد وثق بي حسان بعد ان ابديت له نقمتي عليكم وحقدي على الحاكمين ورغبتي في الانتقام فأطلعني على كل ما يحمل في صدره من اسرار قال : « نحن ما جئنا من حائل الى الرياض الا لاغتيال الامام عبد الرحمن بن فيصل ابن تركي السعودي • مهمة رئيسنا سالم السبهان في الرياض تنحصر في اغتيال الامام عبد الرحمن » فسألته : « ولكن كيف ستتمكنون من اغتيال الامام ؟ » قال : لقد عهد الي سالم السبهان بمراقبة الامام والوقوف على مواعيد خروجه من قصره • وقد قمت بالمهمة الملقاة على عاتقي خير قيام » قلت له : « وهل وفقت في معرفة مواعيد خروج الامير من القصر ؟ » قال : « وفقت •• الامام يخرج في الصباح الى المسجد للصلاة ، وكذلك يخرج في المساء للتنزه في الحديقة الغناء التي تحيط بالقصر » قلت له ، وانا احاول توطيد ثقته بي واستدراجه الى البوح بكل ما في صدره من اسرار : « يبدو انك اوفر حظا مني يا اخي ، فانا مثلك اراقب الامام لأفتك به ، الا انني لم اتوصل الى ما توصلت اليه » فابتسم معتدا بنفسه وقال : « نحن مدربون على المراقبة والاغتيال •

لن تستطيع وانت الجاهل ان تصل الى ما نصل اليه » قلت : « ومتى ستنفذون الخطة المرسومة ؟ » قال : اسمع .. اذا شئت ان يكون لك شرف الاشتراك في تنفيذ الخطة المرسومة لاغتيال الامام فما عليك الا ان توافينا في الصباح الباكر من الغد الى الطريق المؤدي من قصر الامام حتى المسجد الكريم . سنكمن للامام ، عند اجمة النخيل القريبة من القصر وما ان يطل الامام حتى تنهال عليه النبال .. واذا اخفقت نبالنا في استلال روحه فان سيوفنا المصقولة لن تخفق » .. قلت ، وانا اتظاهر بالغبطة والفرح : « اذا قدر لكم ان تقضوا على عبد الرحمن بن فيصل ضفرت لكم اكاليل النصر ، واستطعتم ان تمدوا سلطانكم على الرياض » قال : « وهذا ما يرجوه سيدنا ومولانا محمد بن الرشيد » قلت : « ولكن هل يضمن ابن الرشيد تأييد ابناء الرياض ؟ فهمس : سيحكم نجد بسيفه والويل كل الويل لمن تسول له نفسه التمرد والعصيان » ووعدته بان اكون معهم في صباح غد ، وبان اشترك واياهم في تنفيذ المؤامرة الدنيئة » .

وغرق الامام عبد الرحمن في صمت بارد عميق سحيق .

وانصرف الى التفكير .

وراح يستعرض في خاطره كل ما حمل اليه خالد التميمي ..

والتفت الى خالد بعد تفكير طويل ، ليقول : ستنفذ وعدك يا خالد ، وستشترك معهم في تنفيذ المؤامرة .

فدهش خالد التميمي ووجم .

قال : انني لافضل الموت على ان اشترك في اغتيال الامام عبد الرحمن ، سيدي ومولاي .

قال الامام : لقد وعدت ، ويجب ان تنفذ ما وعدت به .

فاشتد الوجوم بخالد التميمي .

وتمتم : اری ان ندهم مقر سالم السبهان الليلة يا مولاي فنعتقله، ونعتقل رجاله ونزج بهم في اعماق السجون •

فشعت ابتسامة هادئة على شفتي الامام •

وهمس : لا •• لن نعتقلهم الليلة • اريد ان اقبض عليهم وهم ينفذون مؤامرتهم ، اريد ان اعتقلهم بالجرم المشهود •

قال خالد : اخشى ان يفوت الاوان يا مولاي •

قال الامام : اطمئن • لن يفوت الاوان ما دمت انت معهم • انت ستعمل على ارشادهم وقيادتهم، وستقودهم الىالفخ الذي سينصب لهم•

وبدأت الغمامة تنجلي عن عيني خالد التميمي • يبـدو ان الامير يريد ان يثبت جريمتهم وان يقضي على سالم السبهان وسيده محمد بن الرشيد القضاء المبرم •

قال : ليكن ما يريد مولاي الامير • انني طوع اوامره •

قال الامام : اسمع يا خالد ، اريدك ان توافي حسان المشهور الى اجمة النخيل في الموعد المضروب • ستكون واحدا منهم ، وستدعي بانك تريد الاشتراك معهم في الغدر بي وفي القضاء علي •• وسأجتاز الطريق الى المسجد الكريم في الموعد المحدد •• وسترى ماذا سيكون •

قال خالد التميمي : اری في ذلك مغامرة يا مولاي ، نحن بغنى عنها • فلنسحق رأس الافعى الان • ذلك خير لنا واضمن •

فهمس الامام : افعل ما آمرك به يا خالد •• ولنتكل على الله •

وتمتم خالد : ليكن ما يريد مولاي الامير •

قال خالد التميمي هذا ، وانصرف من حضرة الامير ، وفي رأسه يدور الف الف خاطر والف الف سؤال : ترى هل تقـدر للامام عبد الرحمن النجاة من غدر سالم السبهان ؟ هل يتمكن سالم السبهان مـن تنفيذ مؤامرته الدنيئة ؟ هل يستطيع الفتك بالامير ؟

واغمض خالد التميمي عينيه •

وهمس : يا رب ! انقذ اميرنا وامامنا من كيــد الكائدين وغدر الغادرين المجرمين •

واقام خالد التميمي على قلق واضطراب •

كان قلقا على حياة اميره الامام عبد الرحمن •

انه ليخشى ان يتمكن المجرمون منه ويقضوا عليه ، وهناك الطامة الكبرى •

وعندما ارخى الليل سدله على الرياض كان القلق والاضطراب قد بلغا بخالد التميمي حدا قصيا بعيدا ••

وحاول الاستسلام لسلطان الكرى ، الا انــه لم يستطع لذلك سبيلا فقد جفاه الكرى واستبد به الأرق وأمضه السهاد فلم يغمض له جفن طيلة ذلك الليل •

حتى اذا اطل الصباح عمد الى سلاحه يتدجج بــه ويشخص الى اجمة النخيل الوارفة الخضراء •

- ٢ -

« لعينيك ايها الامام »

الرياض ساكنة هادئة مجنحة الخيــال تستقبل الصبــاح الباسم باشراقة المنى والاحلام •

وأجمة النخيل غرقى في قبلات النسائم العطرة التي تهب عليها من الصحراء فتتمايل اغصانها الخضراء تحت مداعبات النسائـم ، وتتلوى كأنها عاشق ملتاع أمضه الشوق واضناه الحنين •

وغفت اجمة النخيل الخضراء في احضان السكون والهدوء •
فلا همسة فيها ولا حركة ولا صوت ••
بلى ، هناك وقع خطى تتكسر في اذن الصبــاح فتخدش سكون الاجمة الغافية ، الحالمة السمحاء •

انها خطوات خالد بن فهد التميمي القادم مع الصباح الى الغابة ليوافي حسان المشهور وصحبه الطامعين برأس الامام عبد الرحمن •
ووصل خالد التميمي الى الغابة •

وتسلل بين اشجار النخيل الباسقة باحثا عن رجال سالم السبهان•
الا انه لم يقف لهم على اثر : يبدو انهم لم يصلوا الى الغابة بعد ، لقد سبقهم خالد التميمي الى الموعد المضروب • لا بأس فلينتظر قدومهم « الميمون » •

وجلس خالد فوق الرمال تحت شجرة نخيل باسقــة يرقب اطلالة حسان المشهور ورفاقه « الكرام » •
ولم يطل انتظاره ••

دقائق قليلة وأطل حسان المشهور ورفاقه وهم مدججون بالسلاح•
وتسللوا الى الغابة على خشية وحذر ••
وما ان وقعت عيونهم على خالد التميمي حتى تملكهم الوجوم •
وانتضوا سيوفهم محاولين الفتك به ، الا ان حسان المشهور وقف بينهم وبين خالد هاتفا بهم : انه صديق مخلص وفي • هذا الشاب عدو لدود لعدونا عبد الرحمن بن فيصل السعودي •

وارتدت السيوف الى اغمادها •
وتراجع الرجال وقد سمعوا ما قال حسان المشهور •
وتقدم خالد من صديقه « الوفي » حسان والابتسامة تطفو على شفتيه •

وهمس : لقد تأخرتم في الوصول يا اخا العرب ، انني لأقيم على انتظاركم منذ اطلالة الفجر البعيد •

فتمتم حسان بقلق واضطراب : أيكون قد فات الاوان ؟ هل مر عبد الرحمن بالاجمة الخضراء ؟

قال : لا ، لم يفت الاوان ، وخصمنا لم يبن له اثر حتى الساعة يا حسان ، يخيل الي انه قادم بين لحظة واخرى •

فارتاح حسان المشهور بعض الارتياح •

واشار الى الرجال بالجلوس فوق الرمال بانتظار اطلالة الامام عبد الرحمن •

وجلسوا وأيديهم تقبض على السيوف وعلى النبال والاقواس •

وجلس خالد التميمي قرب حسان المشهور هامسا : اين هو سالم السبهان ، انا لا اراه بينكم ؟

قال : سيصل مع بعض الرجال بعد قليل • ما ان نفتك بالامام عبد الرحمن حتى يطل سالم السبهان مع اتباعه واعوانه ، ونواكبه الى كبد الرياض • سالم السبهان سيقتحم الرياض بعد مصرع حاكمها عبد الرحمن وسيتولى الحكم فيها باسم محمد بن الرشيد ، اليوم ، يا خالد التميمي سيكون يوما مشهودا اغر في تاريخ الرياض •

فاشتد الوجوم بخالد التميمي ، وحسان المشهور يفشي على مسامعه السر الرهيب •

الأمر خطير اذن •

والمؤامرة لا تتوقف عند اغتيال الامام عبد الرحمن •

بل هي ترمي الى الاستيلاء على الحكم وانتزاعه من آل سعود وتسليمه الى ابن الرشيد •

وهمس خالد التميمي في سره : يا رب احفظ حياة الامير عبد

الرحمن ، وادفع عن الرياض الكوارث والاخطار •
واذا بالامام عبد الرحمن يطل من بعيد ، فتمتم حسان المشهور :
يا رجال ، كونوا على استعداد •

ووقف الجميع ، واستعدوا لالقاء النبال والحراب ، الا ان ما حدث
اشاع الذعر في نفوسهم وعقد السنتهم •
وماذا حدث ؟
لقد ظهرت فجأة شلة مـــن جند الامام عبد الرحمن ، المدججين
بالاسلحة •

ووثبوا الى حسان المشهور ورجاله هاتفين : لعينيك ايها الامام
عبد الرحمن !••
ونشبت المعركة ••
معركة حامية • قانية الاحمرار ، بين جنود الامام عبد الرحمن
بن فيصل ، وبين رجال حسان المشهور •

واستل حسان المشهور سيفه المصقول ووثب محاولا طعن الامام
عبد الرحمن •
الا ان خالدا التميمي كان قد قبض على عنقه صارخا بـه : ايها
الوغد لن تنال من اميرنا مأربا وانا على رمق من الحياة •
وذعر حسان المشهور ، وهو يشاهد صديقه الحميم خالدا يحاول
القضاء عليه •
وحاول ان يدفعه عنه الا انه عجز •
فهو دون خالد قوة وبأسا •
ومضى حسان المشهور في محاولة التملص الا انه اخفق ، فما كان
من خالد الا انه شد وثاقه بحبل متين والقاه تحت شجرة نخيل وارفة
الظلال ثم انتضى سيفه البتار ووثب الى ساحة المعركة يناصر رفاقـــه

رجال الامير عبد الرحمن .

واستطاع جنود الامير ان يتغلبوا على رجـال سالم السبهان في دقائق قليلة .

ولكنهم فوجئوا بسالم السبهان نفسه يقـود كوكبة من الرجال المسلحين ويثب الى الامير وجنوده محاولا القضاء عليهم .

فارتد الامير عبد الرحمن وجنوده الى سالم السبهان ورجاله .

وتجددت المعركة الضارية الضروس .

ولاح من سالم السبهان انه يريد القضاء على الامير عبد الرحمن .

رأس الامير هو مطلب سالم السبهان .

انه ليبغي القضاء على ابن سعود القضاء المبرم وفي القضاء عليـه قضاء مبرم على الاسرة السعودية في الرياض .

الا ان الامير السعودي ورجاله دافعوا دفـاع الابطال الميامين واستطاعوا ان يتغلبوا على سالم السبهان ورجاله ، فجندلوا البعض منهم واسروا البعض الآخر .

وكان سالم السبهان بين الذين وقعوا في الاسر .

واقتيد سالم السبهان ورجاله الاسرى الى القضاء .

ومثلوا امام محكمة عادلة فقضت بزجهم في اعماق السجون .

وكان الاحرى بالقضاء ان يلفظ حكمه على الخونة بالاعدام ، الا ان الامام عبد الرحمن كان يكره سفك الدماء فاكتفى بسجن اسراه ، وقد خيل اليه انه استطاع ان يخنق المؤامرة في المهد ، وان ينتصر على عدوه اللدود محمد بن الرشيد الانتصار التام المبين .

غير ان الامام عبد الرحمن كان على خطأ .

فما ان بلغ نبأ فشل مؤامرة اغتيال الامام السعودي مسامع محمد ابن الرشيد حتى استبد به الغضب وعزم على تأديب الامام عبد الرحمن

وتقليم اظافره .

وهدر محمد بن الرشيد ، وخبر فشل سالم السبهان في مهمته يقع منه في الاذنين : الويل ثم الويل لعبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن سعود .

وعقد محمد بن الرشيد العزم على مهاجمة الرياض بجيشه الوافر العدة والعدد ، ومحاربة عبد الرحمن بن فيصل السعودي .

ونفذ ما عزم عليه فورا .

فجمع قواده ، وطلب اليهم ان يستعدوا للزحف الى الرياض .

ولم يطل امد الاستعداد ..

اياما قليلة ، وبدأ محمد بن الرشيد الزحف بجيشه الى الرياض ، وهو على ثقة تامة من مقدرة جيشه الكبير على الانتصار والفوز برأس الامام عبد الرحمن .

من المؤكد ان النصر سيكون حليف جيش ابن الرشيد .

فليس للامام عبدالرحمن ان يصمد امام هذا الجيش المدرب القوي ولا للرياض ان تنجو من الغزو والدمار .

ومضى محمد بن الرشيد في زحفه بجيشه القوي الى الرياض .

غير انه توقف عن الزحف وقد بلغ منطقة القصيم ، ذلك ان ابناء القصيم اعترضوا سبيله ، وقد ابوا ان يفسحوا له طريقا الى الرياض .

وابناء القصيم كانوا من انصار الامراء السعوديين ، ومن اصدقاء الامـــام عبد الرحمن الاوفياء المخلصين .

وفوجيء محمد بن الرشيد بأبناء القصيم يقفـــون له بالمرصاد هاتفين : لن تمر يا ابن الرشيد بيننا للوصول الى الرياض ، واذا كان لا بد لك من المرور في القصيم ، فلن يكون مرورك الا على جثثنا واجسادنا

وتوقف محمد بن الرشيد عن الزحف عند القصيم .

وجمع قواده يستشيرهم الامر : ماذا علينا ان نفعل ؟ هل نبطش بالقصيميين ونمضي في الزحف ام نعود ادراجنا ؟

وارتأى بعض قواده البطش بالقصيميين ، في حين رأى البعض الآحر العودة الى حائل ومفاوضة الامام عبد الرحمن •• وكفى المؤمنين شر القتال •

الا ان محمد بن الرشيد ، وهو الذكي المحنك لم يكن من رأي قواده •

فلا هو يريد البطش بالقصيميين ، ودون البطش بهم المصائب والخسائر والويلات •

ولا هو يريد العودة الى حائل وفي العودة ذل وفشل وانكسار •

ما العمل اذن ؟

وانصرف ابن الرشيد الى التفكير : يجب ان يمر في القصيم نيصل الى الرياض دون ان يثير عليه قبائل وزعماء القصيم ••

وطال تفكيره ••

واخيرا وبعد تفكير طويل رأى ان يفاوض زعماء القصيم وان يستميلهم ، وان يصرفهم عن مناصرة الامام عبد الرحمن عليه •

ودعا محمد بن الرشيد زعماء القصيم اليه •

فلبوا الدعوة ••

ووقف بينهم هاتفا بهم : يا ابناء القصيم ! انا ما جئتكم غازيا ولا جئتكم محاربا • ما انا الا صديق ، وما هكذا يستقبل الاصدقاء •

فهتف الزعماء القصيميون : لن نسمح بان تكون ارضنا ممرا للغزاة الى الرياض ، وفي الرياض صديقنا عبد الرحمن بن فيصل •

قال : لن يكون بيني وبين عبد الرحمن عداء مستحكم طويل •

اريد ان انقذ رجالي الذين يسجنهم عبد الرحمن السعودي • انتم للحق

انصار ، والحق بجانبي فانصروني على عبد الرحمن .

فأبوا نصرته وقالوا : لن تمر ..

قال : سيكون لكم من الغنائم القدر الوافر ، يوم اعود ظافرا من الرياض سأحمل اليكم الغنائم ، وسأنعم عليكم بالهبات ، وسأجعل من القصيم منطقة حرة مستقلة ، فيكون لكم اميركم ودولتكم ، وسأنصركم على جميع اعدائكم .

وانصرف زعماء القصيم الى التفكير .

فالعرض مغر .

وابناء القصيم يحلمون منذ امد بعيد بالسيادة الكاملة وبالاستقلال الناجز التام .

وها هو محمد بن الرشيد يحمل اليهم الان اعز امانيهم الباسمة الهانئة العذاب .

وفضلا عن ذلك فهو يعدهم بالغنائم والهبات .

وانبرى احد الزعماء يقول : ومن يضمن لنا تنفيذ الوعد يا سيدي؟

فلمعت ابتسامة زاهية على شفتي محمد بن الرشيد .

وهمس : عندما يعد ابن الرشيد فان التنفيذ يصبح مضمونا .

قال : فليترك لنا سيدي الحاكم مهلة للتشاور والتفكير .

فرد ابن الرشيد بقوله : كم هي مدة المهلة التي تطلبون ؟

قال القصيمي : ثلاثة ايام .

فهدر ابن الرشيد : لا .. لديكم اربع وعشرون ساعة للتشاور . اني بانتظار جوابكم ، اما ان تفسحوا لنا سبيل المرور الى الرياض واما يكون لنا واياكم شأن آخر .

وانصرف الزعماء والشيوخ .

وعقدوا اجتماعا بحثوا فيه طلب ابن الرشيد .

وطال بحثهم •

وامتد تشاورهم ساعات طوالا دون ان يستطيعوا الوصول الى رأي موحد صائب •

فئة منهم ارتأت افساح السبيل لجيش ابن الرشيد ، ما دام في ذلك استقلالهم وحريتهم ، وغنائم وهبات •

وفئة ابت ان تغدر بالامام عبد الرحمن ورأت قطع الطريق على جيش ابن الرشيد •

واخيرا وبعد بحث وتشاور طويلين تم الاتفاق على اجابة طلب محمد ابن الرشيد •

مصلحة القصيم اولا ، ومصلحة القصيم في افساح السبيل امام ابن الرشيد للوصول الى الرياض •

وقبل انقضاء المهلة المحددة كان زعماء القصيم يشخصون الى ابن الرشيد حاملين اليه الموافقة على ما طلب واراد •

وارتاح محمد ابن الرشيد بعض الارتياح ، وقد وقف على قرار ابناء القصيم •

الا انه لم يبد ارتياحه للزعماء •

وبادرهم بقوله : لي عندكم طلب آخر يا ابناء القصيم •

قال كبيرهم : ما هو طلب الحاكم الكريم ؟

قال : اريد مناصرتكم وعونكم ومساعدتكم على عبد الرحمن •

فهتفوا : لا •• لن نكون عونا لكم على الامام ، يفي اننا افسحنا السبيل امامكم للوصول الى الرياض •

قال : لن استطيع الانتصار في معركة الرياض الا اذا مددتم لي يد المساعدة • واذا لم يكتب لي النصر ، فسأجد نفسي عاجزا عن تنفيذ ما وعدتكم به من هبات وغنائم •

فرددوا باصرار : لا • لن نناصرك على الامام عبد الرحمن ، لقد وعدتنا بما هو اكثر من الهبات والغنائم • وعدت بالحرية ، وبالاستقلال وما عليك الا التنفيذ •

فغلبوه ، وافحموه • لا بأس سيكتفي الان منهم بما وهبوه ، ويوم ينتصر على الامام السعودي سيكون لكل حدث حديث •

قال : سيكون لكم ما تريدون • ادعوا لنا بالنصر المبين ، وما انتصارنا على الامام عبد الرحمن الا انتصار وفوز لكم •

فأبوا ان يدعوا له بالنصر •

قلوبهم كانت عند الامام عبد الرحمن السعودي •

وهم ما افسحوا الطريق امام حاكم حائل الى الرياض الا على كره منهم وحاجة اليه •

- ٣ -

الحرب السجال

زحف حاكم حائل محمد بن الرشيد الى الرياض بجيشه القوي ، وقد عزم على اقتحام الرياض وبسط سلطانه عليها •

وخيل اليه انه لن يلقى مقاومة عنيفة في الرياض •

الامام عبد الرحمن دونه قوة وجيشا وعتادا وسلاحا •

هذا فضلا عن ان ابناء الرياض سينضمون اليه وله بينهم اكثر من صديق •

وان هو لمس منهم العداوة والنفور سيعمد الى الخديعة والرشوة والمكر والخداع •

ولديه من هذه البضاعة الشيء الكثير •

الا ان حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر •

فالرياض صمدت في وجه ابن الرشيد صمود الاطواد •

والامام عبد الرحمن ، وقد بلغه ، نبأ زحف ابن الرشيد ، احتاط للامر وجمع جنوده وحصن مدينته وعزم على الدفاع عن الرياض دفاع الابطال ، فكان له ما اراد •

ويوم وصل محمد بن الرشيد الى الرياض ، بجيشه الجرار ، كان الامام عبد الرحمن قد انتهى من تحصين المدينة واضحى جيشه مستعدا للدفاع عن الرياض •

وفوجيء محمد بن الرشيد بدفاع الامام عبد الرحمن دفاع البواسل الميامين ، الا انه ابى ان يعود ادراجه ، وقد بات على بعد خطوات من الرياض •

وبدأت الحرب سجالا بين الجيشين ، جيش ابن الرشيد وجيش ابن سعود •

حينا ينتصر ابن الرشيد وحينا يعقد النصر لواءه للامام السعودي•

فالجيشان على قوة وبسالة واعتداد ، والخصمان عنيدان لا يلينان ولا يقهران •

وضرب محمد بن الرشيد حصارا حول الرياض محاولا قطع الماء والطعام عن ابنائها •

واقام يرقب من الرياضيين الاستسلام •

الا ان انتظاره طال اربعين يوما •

وكان خلال هذه الايام الاربعين قد فقد الكثير من رجاله وبات يخشى مرارة الانهزام ، فأبناء الرياض لم يجوعوا ولم يعطشوا ، وهناك اميرهم الامام السعودي يزودهم بكل ما يحتاجون اليه ، وهو الذي

احتاط للامر وملأ اهراءه بالحنطة والمآكل ، وآباره تفيض بالمياه .
ورأى محمد بن الرشيد ان يلجأ الى الحيلة ، والحيلة تنصاع اليه، ولديه اساليبها وفنونها العديدة .
فأوفد احد رجاله المخلصين زايد بن مسعود الى ابناء الرياض طالبا اليهم الاستسلام لقاء العفو عنهم ومنحهم الامان .
فرفع زايد بن مسعود الراية البيضاء وشخص الى الرياض فدخلها دون ان يلقى اي اعتراض .
والتقاه القائد خالد التميمي فرحب به وسأله : ماذا تريد ؟
قال : انا رسول الحاكم محمد بن الرشيد اليكم . جئتكم حاملا لكم اقتراح مولاي .
قال القائد خالد التميمي : هات اقتراح مولاي .
قال : يقترح مولاي محمد بن الرشيد على اهل الرياض الاستسلام لقاء عفو عام ووعد بالامان وصيانة الارواح والحرية .
فابتسم خالد التميمي وهمس : ونحن ايضا نقترح على مولاك نفس الاقتراح : الاستسلام لقاء عفو ووعد .
قال زايد بن مسعود : ليس لي ان ابدي رأي ، الرأي يعود الى مولاي محمد بن الرشيد ، ما انا الا رسول ايها القائد ، وما على الرسول من حرج .
قال القائد التميمي : اريد ان اعلم ايكون اقتراح مولاك موجها الى اهل الرياض او تراه موجها الى اميرنا عبد الرحمن ؟
قال : الاقتراح يا سيدي القائد ، من محمد بن الرشيد الى اهالي الرياض .
فوقف القائد خالد بن فهد التميمي ونادى اليه بعض زعماء القبائل والشيوخ فأقبلوا مسرعين .

واحاطوا به فعرض عليهم ، على مسمع من رسول محمد بن الرشيد الاقتراح .

فهتفوا : لا .. الموت ولا الاستسلام .

والتفت خالد الى زايد بن مسعود قائلا : لقد سمعت رد اهل الرياض ، هل تريد ان تسمع رأي اميرنا في اقتراح سيدك ؟

قال : لا بأس ايها القائد . ارجو ان تسمحوا لي بالمثول في حضرة الامام عبد الرحمن .

قال : ليكن لك ما تريد .. تعال .

وقاده الى الامام عبد الرحمن فوقف زايد في حضرة الامير مبديا له اقتراح خصمه ابن الرشيد .

ورد الامام بقوله : نرفض الاستسلام ، ونحن لا نجهل مآرب سيدك ابن الرشيد ومطامعه ، ولا تخفى علينا حيله واساليبه في الغش والخداع . اذا اراد السلم ، فنحن للسلم دعاة وانصار . نقترح عليه مفاوضة سلم . المفاوضة ؟ نعم .. اما الاستسلام ؟ فلا .. عد الى مولاك وابلغه رأينا في ما ابدى من اقتراح .

وعاد زايد بن مسعود الى مولاه حاملا اليه اقتراح الامام عبد الرحمن .

فتمتم محمد بن الرشيد : يا له من امام حاذق حكيم .. لم تنطل عليه حيلتنا . لا بأس فلتكن بيننا مفاوضة سلم . عد الى الامام يا زايد واحمل اليه موافقتنا على ما ابدى من اقتراح . فليرسل الينا وفده للمفاوضة ونحن بالانتظار .

فعاد زايد بن مسعود ادراجه الى الرياض حاملا موافقة محمد بن الرشيد على المفاوضة .

وفوجىء الامام عبد الرحمن بالجواب السريع .

وخشي ان تكون وراء هذه الموافقة السريعة مكيــدة او مؤامرة فقال للرسول : لا بأس • سنوفد اليه من يمثلنا في المفاوضات شرط ان تظل انت هنا رهينة لدينا • فاذا ما نزل باعضاء وفدنا مكروه في معسكر محمد بن الرشيد كان رأسك ثمنا زهيدا •

فوجم زايد بن مسعود •

وخشي على رأسه •

لا سيما وهو يعلم اي ماكر خداع هو محمد بن الرشيد ، الا انه لم يستطع ان يبدي اي اعتراض فهمس : ليكن ما يريد مولاي الامير عبد الرحمن •

وكان ما اراد الامير •

فأوفد الى محمد بن الرشيد وفدا يفاوضه في عقد راية الصلح ضنا بالارواح العربية الابية ، وحقنا للدماء •

وكان الوفد برئاسة شقيق عبد الرحمن ، الامير محمد بن فيصل ابن تركي السعودي •

واقام يرقب نتيجة المفاوضات ، في حين اقام زايد بن سعود في ضيافة الامام عبد الرحمن على وجل ووجوم ويده تتحسس من حين الى آخر عنقه •

انه ليخشى على هذا العنق من القطع ان اقدم محمد بن الرشيد على الغدر باعضاء وفد الامام عبد الرحمن •

الا ان محمدا بن الرشيد لم يغدر باعضاء وفد الامام عبد الرحمن ، بل هو رحب بهم شديد الترحيب وابدى لهم كل تقدير واحترام•
وبدأت المفاوضة بين محمد بن الرشيد ووفد الامام عبد الرحمن ، ولم تتعثر المفاوضات ولا هي تأزمت ، بل سارت في طريق معبد سهل رحيب •

فالفريقان ، وقد انهكتهما الحرب ، يرغبان في السلم والامان .

والجيشان ، وقد استشهد منهما عدد وفير باتا عاجزين عن مواصلة امتشاق السيوف .

وانجلت المفاوضات بين وفد الامام عبد الرحمن وبين محمد بن الرشيد عن اتفاق واضح صريح في ثلاثة بنود .

اولا : اطلاق سراح سالم السبهان ورفاقه من الاسر وتسليمهم لمحمد بن الرشيد .

ثانيا : عودة محمد بن الرشيد الى حائل والتعهد بعدم مهاجمة الرياض .

ثالثا : عقد امارة العارض للامام عبد الرحمن بن فيصل .

وتم تنفيذ البنود الثلاثة ، فاطلق الامام عبد الرحمن سراح سالم السبهان ، وزايد بن مسعود وصحبهما .

لقد سلم رأس زايد بن مسعود .

والتحق زايد مع سالم السبهان والرفاق بجيش محمد بن الرشيد.

واطلقت يد الامام عبد الرحمن في امارة العارض .

وبدأ محمد بن الرشيد بالانسحاب من ضواحي الرياض ، تمهيدا للعودة الى مدينته حائل .

لقد فشل ابن الرشيد في اقتحام الرياض واخضاعها لسلطانه .

لا بأس فالايام بينه وبين الامام عبد الرحمن بن فيصل .

ولا بد للايام من ان تبسم لابن الرشيد فتسنح له الفرص للقضاء على الامام عبد الرحمن ومد سلطانه على نجد والحجاز .

وجمع ابن الرشيد قواده وخاطبهم بقوله : فلنعد ادراجنا الى حائل. فليس لنا ان نقيم في ارض عصا ابناؤها علينا وفشلنا في ترويضهم. فحاولوا الاعتراض .

الا انه استطاع ان يقنعهم بالامتثال •

قال : لا بأس ، ان نكن قد فشلنا الان في تقليم اظافر ابن فيصل السعودي الامام عبد الرحمن فلا بد لنا من العودة يوما اليه •

وسار ابن الرشيد بجيشه في طريق العودة الى حائل •

الا انه ما كاد يبلغ القصيم حتى خرج امراؤها اليه يطلبون تنفيذ الوعد •

لقد وعدهم بالغنائم والهبات ، ووعدهم بالاستقلال والحرية ، وعليه ان ينفذ ما وعد به •

ولم يكن ابن الرشيد ينوي البر بوعده ، لا سيما وهو عائد على ذل وفشل واندحار •

فوقف يقول لهم : وعدتكم بالهبات وبالغنائم وانا عبد الرحمن ، كنت على يقين من الانتصار ، الا ان القدر ابى علي الفوز ، وها انا اعود الى حائل صفر اليدين •

فانبرى امير عنيزة يقول : هذا ليس شأننا • لقد افسحنا لك الطريق الى الرياض ، ضاربين بصداقتنا ومودتنا ومحبتنا للامام عبد الرحمن عرض الحائط املا في الحصول على الغنائم والهبات والحرية والاستقلال، وما كانلنا ان نغدر بالامير السعودي مناجل سواد عينيك•

فاستشاط ابن الرشيد غضبا وهو يلمس الجرأة والشجاعة في امير « عنيزة » •

ورأى ان يخفي ثورة غضبه خشية ان يتطور الامر الى ما لا تحمد عقباه •

قال : ليس لدي ما اهبكم اياه من مال واسلحة وعتاد ونوق وجياد• لقد خسرت الكثير من رجالي وعتادي واسلحتي وجيادي ونوقي في معركتي مع ابن فيصل السعودي •

فوثب امير « بريدة » على غضب وحنق اليه متسائلا : ووعدك بالحرية وبالاستقلال وبضم بعض المقاطعات الى مقاطعتنا ؟ ماذا تقول فيه؟

قال : سأرى في امر هذا الوعد يوم اصل الى حائل .

فهتفوا بصوت واحد : لا .. لن تمر يا ابن الرشيد قبل ان تنجز وعودك وتفي بعهودي .

فهاله ما يقولون .

ورأى ان يعمد الى المماطلة والتسويف .

سيماطل ويسوف ، ويعود الى نثر الوعود حتى يتم له اجتياز القصيم ، والوصول الى حائل ، وعندئذ سيكون له مع ابناء القصيم شأن وحساب وسيكون حسابهم معه عسيرا .

وقال : وعدت وسأنفذ .. حريتكم واستقلالكم سيكونان مضمونين ، وانا سأهبكم ما يحيط بكم من اراض ومقاطعات . اطمئنوا يا امراء القصيم ، ابن الرشيد سيكون لكم صديقا مخلصا وفيا .

فايقنوا انه يراوغ ويماطل .

وأبوا ان يقعوا في الشرك مرة ثانية ، والمؤمن لا يلدغ مرتين .

قالوا : عليك ان تنفذ وعدك الان . نفذ تمر .

قال : افسحوا لي الطريق فانفذ وانجز .

قالوا : لا .. لن تمر . مررت في الذهاب ، وقد وعدت ، الا انك لن تمر في الاياب الا وقد انجزت الوعد .

قال وقد عزم على خداعهم : لا بأس . سأنفذ وسأقوم بما وعدت. ولكن دعوا الامر الى الغد . اتركوا لي فرصة التبسط والتفكير .

قالوا : سيظل جيشك مرابطا هنا ريثما يتم لنا الوصول الى ما نرقب ونريد .

وادرك ابن الرشيد ان امراء القصيم عازمون على المقاومة ، الا

انه لم يكن ليخشى مقاومتهم وجيشه ما زال قادرا على الفتك بهم .

غير انه كان يريد ان يجتاز القصيم دون اللجوء الى القوة .

ومن اجل ذلك رأى ان يمضي في المراوغة والمماطلة والتسويف .

قال : لم يكن امير حائل ليخلف وعده ، وعدتكم بالهبات وسأهبكم ما اقدر عليه ، ووعدتكم بالاستقلال وبالحرية وستكون الحرية والاستقلال ملكا لكم . اما ضم بعض المقاطعات الى مقاطعتكم فسيتم في القريب العاجل الوشيك .

قالوا : نوافق على ما تبدي وتقول . تفضل بالتنفيذ الان .

قال : عودوا الي غدا ، وسأكون بانتظاركم .

فتشاوروا .

وقرروا ان يمهلوه الى الغد ، وان يعودوا الى اهلهم ويطلعوهم على ما كان بينهم وبينه .

وعادوا ، واطلعوا اهل القصيم على ما كان منه فثار ابناء القصيم .

وهتفوا : اذا لم يعمد ابن الرشيد الى البر بالوعد فسيوفنا كفيلة بارغامه على الانجاز . الى السيوف ، الى السيوف .

وهبوا الى سيوفهم ، وقد عزموا على ان يحيطوا في صباح الغد بجيش ابن الرشيد . فاما ان ينفذ ، واما ان يحارب .

في هذه الاثناء ، فيما ابناء القصيم يقررون ويستعدون ، كان ابن الرشيد يتأهب للتسلل بجيشه عبر القصيم والوصول الى حائل هربا من تنفيذ وعده .

وخلا ابن الرشيد بقواده .

وقال : استعدوا للمسير ، سنسير متسللين مع مطلع الفجر البعيد، قبل عودة امراء القصيم الينا .

وانطلق القواد يجمعون الجنود ويتأهبون ..

وما اطل الفجر حتى كان جيش ابن الرشيد يتحرك ويسير على حذر وخشية وسكينة في طريقه الى حائل •

وسار ابن الرشيد بجيشه مسافة قصيرة •

واذا به يفاجأ بابناء القصيم يعترضون سبيله وسيوفهم مسلولة ، وبنادقهم مصوبة اليه •

وكان لا بد من نشوب المعركة •

ونشبت معركة دامية عنيفة بين ابناء القصيم وبين جيش ابن الرشيد •

ولم يكن محمد بن الرشيد مستعدا للمعركة ، وجيشه القادم من معركة الرياض كان لا يزال منهك القوى مشتتا متعبا فاستطاع القصيميون التغلب على ذلك الجيش الواهي المنهك الضعيف •

وانتصروا على ابن الرشيد في معركة « القرعا » فشتتوا شمل جيش ابن الرشيد وفتكوا بعدد وافر من جنوده فأدرك ابن الرشيد انه مغلوب على امره وان انتصار ابناء القصيم عليه يعني القضاء المبرم على نفوذه وعلى جيشه وعلى حكمه في البلاد •

ولم يكن امام ابن الرشيد الا الاستسلام •

الا انه ابى ان يستسلم للقصيمين وقد خشي ان يفتكوا به او يأخذوه اسيرا فعمد الى سلاحه التقليدي المعروف الذي اشتهر به ذلك الرجل الداهية •

وما سلاحه ذاك الا سلاح الحيلة والتضليل فأمر جيشه بالانسحاب من الميدان •

وانسحب جنود ابن الرشيد •

وتظاهروا بالاندحار امام ابناء القصيم حتى بلغوا منطقة المليدا •

وحيل لأبناء القصيم ان النصر بات معقودا لسيوفهم المسنونة

المسلولة .

الا انهم وجموا وهم يشاهدون جيش ابن الرشيد يرتد اليهم ، في المليدا ، ويحيط بهم ، ويطوقهم ويبدأ الفتك بهم علـى بطش وقوة وشراسة .

وحاول القصيميون العودة ادراجهم .

الا ان جيش ابن الرشيد كان يسد عليهم الطريق ، فلا هم قادرون على العودة ولا هم يستطيعون التقدم ، ولا هـم يقدرون على الهجوم ولا على الدفـاع .

وكانت موقعة المليدا ، موقعة رهيبة ، سقط فيها زهاء الف قتيل من القصيميين بينهم زامل بن عبد الله السلم امير عنيزة ، وهو مـن الابطال المجاهدين الذين كانوا يناصبون ابن الرشيد العداء ، وولداه علي وعبد العزيز .

وابن الرشيد كان يطلب رأسين من ابناء القصيم ، رأس زامل امير عنيزة ، ورأس حسن بن مهنا الصالح امير بريدة .

ففاز برأس زامل ، اما رأس حسن فقد عز عليه .

وبلغت انباء معركة المليدا مسامع الامام عبدالرحمن امير الرياض.

ووصل اليه ان القصيميين غلبوا على امرهم الا انهم ما زالـــوا يجاهدون ويحاربون جهاد ومحاربة الابطال فعزم على نجدتهم، وانقاذهم من غدر ابن الرشيد .

وجهز الامام عبد الرحمن جيشه .

وسار على رأس ذلك الجيش الى المليدا آملا نصرة ابناء القصيم والبطش بابن الرشيد .

وقبل ان يبلغ المليدا تناهى الى مسامعه نبأ استسلام القصيميين وانتصار ابن الرشيد عليهم انتصارا باهرا ، واستيلائه علـى جيادهـم

وعتادهم واسلحتهم .

وادرك الامام عبد الرحمن ان محمدا ابن الرشيد اصبح في قوة يصعب التغلب عليها بعد انتصاره على القصيميين .

وخشي ان يرتد جيش ابن الرشيد عليه فيصيبه منه ما اصاب القصيميين فجمع قواده يستشيرهم الامر .

وقال القواد : يجب ان تتقدم ، وننازل ابن الرشيد .

قال الامام : ابن الرشيد اليوم غيره بالامس ، نحن لم نستطع التغلب عليه في الرياض فكيف يمكننا التغلب عليه في المليدا بعد انتصاره على القصيميين ؟

قالوا : سيكون لنا انتصار لكرامة او موت ابطال .

واصروا على التقدم والحرب .

الا انه حدث ما اهاب بهم الى الرجوع عن اصرارهم .

فقد وصل اليهم حسن ابن مهنا الصالح امير بريدة وهو على آخر رمق .

وسأل الامير عبد الرحمن امير بريدة حسن الصالح : من اين انت قادم يا حسن ؟

واجاب : من الميدان ايها الامير . لقد بطش محمد بن الرشيد بنا ، وانتصر علينا ، لقد استشهد امير عنيزة زامل ابن عبد الله السلم وولداه علي وعبد العزيز على مرأى من عيني فركنت الى الهرب ، وانا لا اجهل ان ابن الرشيد يطلب رأسي .

قال الامام : ستعود معنا الى الميدان يا حسن ، اننا لابن الرشيد بالمرصاد ، سننازله وننتصر عليه .

قال امير بريدة : لن تستطيعوا التغلب على محمد بن الرشيد ايها الامير ، ابن الرشيد يتربع اليوم على قوة وسطوة وبأس ، هو سيعمد

الى منازلتكم ، وسينتصر • ويخيل الي انه الان في طريقه اليكم • ولن يتوقف عن زحفه الا في كبد الرياض •

فوجم الامير عبد الرحمن • قد يكـون حسن الصالح على حق ، ابن الرشيد لن يتورع عن العودة الى الرياض بعد ان بات قويا ، فليبتعد عن طريقه •

وسأل الامام عبد الرحمن امير بريدة : وانت ؟ الى ايـن تنوي المسير ؟ اتعود معنا الى الرياض ؟

قال امير بريدة : لا •• انا سأشخص الى عنيزة حيث الجأ فيها الى الاهل والاقارب والاصدقاء •

« وقد لجأ حسن الصالح الى عنيزة ، الا ان ابـن الرشيد ارسل في طلبه ، فاعتقله وزجه في السجن في حائل ، وظل حسن الصالح في السجن حتى وافته المنية » •

وادرك الامير عبد الرحمن خطورة الموقف •

ورأى ان يبتعد عن طريق محمد بن الرشيد ، ريثما يتمكن مـن تنظيم جيشه واستعادة قوى ذلك الجيش فيصبح قادرا على الانتصار •

وعاد الامير عبد الرحمن الى الرياض حيث جمع امواله ، واخرج اهله وشخص الى الاحساء هربا مـن غدر وبطش محمد بن الرشيد ، وكان ذلك عام ١٨٩٠ م ــ ١٣٠٨ هـ •

ــ ٤ ــ

وساطة لبنانية

نزل الامير عبد الرحمن مع قومه في الاحساء •

والاحساء يومذاك ولاية عثمانية يحكمها المتصرف عاكف باشا •

فكتب المتصرف الى الصدر الاعظم في الاستانة ينبئه بوصـول الامير عبد الرحمن واهله الى الاحساء ويستشيره الامر •

وكتب الصدر الاعظم الى المتصرف عاكف باشا يقول : « اكرموا وفادة الامير السعودي عبد الرحمن بن فيصل وفاوضوه في امر انضمام الرياض الى الولايات العثمانية لقاء تعهدات ووعود بمساعدته وحمايته•

وذات صباح فيما يجلس الامام عبد الرحمن السعودي في داره في الاحساء اقبل اليه زخور عازار اللبناني •

وكان زخور موظفا كبيرا في الاحساء فرحب الامير به شديـد الترحيب وسأله عن سبب تلك الزيارة المفاجئة •

وقال الشاب اللبناني : انا رسول المتصرف عاكف باشا اليكم يـا سيدي الامير •

قال الامام : وما هي هذه العروض ؟

وبدأت المفاوضات بين رسول عاكف باشا وبين الامام السعودي •

وقدم زخور عازار للامير المقترحات :

اولا : يكون الامام عبد الرحمن الامير الحاكم على الرياض •

ثانيا : تكون الرياض ولاية عثمانية «يحكمها الامير عبد الرحمـن» ويكون الامير تحت رعاية وحماية الحكومة العثمانية •

ثالثا : يعترف الامير عبد الرحمن بسيادة الباب العالي في استنبول على الرياض •

رابعا: يدفع شيئا من المال كالجزية للحكومة العثمانية اعلانا للخضوع والاعتراف بالجميل •

خامسا : تتعهد الدولة العثمانية بحماية الامير عبد الرحمن ، ومده بالمال وبالاسلحة ، وتحميه وتدافع عنه •

وبالرغم مما في هذه العروض من مغريات فقد ابى الامام عبد الرحمن الموافقة عليها .

ورفض ان يكون عاملا عثمانيا او متصرفا من متصرفي الباب العالي.
لقد كان اميرا حرا مستقلا وسيظل كما كان .

لن يكون خادما للدولة العثمانية ، وقد كان ابدا السيد الآمر الناهي.
اما ان يكون حرا او لا يكون .

والرياض لن تعرف الذل والاستعباد .

وهو لن يلقي بها بين اشداق الاستعمار والاستعباد وانيابهما .

ودهش اللبناني زخور عازار ، وهو يسمع جواب الامام عبد الرحمن بالرفض .

وقال : هل لدى سيدي الامام مقترحات اخرى ؟

قال الامام : نحن احرار في بلادنا ، وسنظل احرارا ، لن يكـــون للعثمانيين فينا امر وسلطان .

قال زخور : ولكن الامبراطورية العثمانية تبسط سلطانها على معظم البلاد العربية ، فأي ضير اذا انضمت الرياض الى الولايات العثمانيـة ونعمت بحماية وبعطف الباب العالي .

قال الامام : لا .. لن تكون الرياض ولاية عثمانية . ستظل امارة عربية ، وسأظل انا حاكما عليها .

فقال زخور عازار مذكرا الامام بواقعه : ولكنك الان لست حاكما في الرياض يا سيدي الامير . الرياض اليوم بلا امير ، وسيكون اميرها محمد بن الرشيد .

قال الامام بعزة واباء : لا بأس .. محمد بن الرشيد عربي ابن عربي، ولن يضير الرياض ان يحكمها ابن الرشيد ، يكفي انها ستظل بعيدة عن الاستعمار الاجنبي وسلطانه .

فأكبر اللبناني زخور عازار في الامام عبد الرحمن تلك الوطنية العربية الصادقة السمحاء .

واعجب بجرأته وشهامته ونبله شديد الاعجاب .

وهمس : انكم لتتربعون يا مولاي من الوطنية الصادقة والكرامة المتناف في اعلى مقام ، حبذا لو اتسم الرؤساء والامراء والحكام والملوك العرب بما تتسمون ، وتحلوا بما تتحلون ونعموا بما تنعمون من وطنية وشهامة ونبل واخلاص .

قال الامير : بلاد العرب للعرب يا ابني . ويوم يتخلى العرب عن سيادتهم وحريتهم وكرامتهم وحقوقهم ، يومذاك تكون نهاية العرب ونهاية البلاد العربية .

قال زخور عازار : اذن انتم ترفضون اقتراح المتصرف العثماني عاكف باشا يا سيدي الامير ؟

قال : نرفض ونصر على الرفض .. الامام عبد الرحمن بن فيصل السعودي ، لن يبيع بلاده بمنصب رفيع ، ولا هو يرضى لنجد بالذل والهوان وسيطرة الاجنبي لقاء انعام شاهاني ، او رضى عثماني .

فازداد الرجل اللبناني زخور عازار اعجابا بالامير السعودي ، فهو اللبناني الذي يدرك اي سيطرة ستكون سيطرة العثمانيين على نجد ان وافق الامام عبد الرحمن على مقترحات عاكف باشا .

وزخور عازار ، وان يكن موظفا كبيرا في المتصرفية العثمانية ، فهو قبل ذلك لبناني يجري في عروقه الدم العربي ، ويتمنى للبلاد العربية كلها التحرر من النير العثماني والسيطرة العثمانية والاستبداد العثماني ، لاسيما وبلاده لاقت من سيطرة العثمانيين ومن ظلمهم واضطهادهم الكثير .

وعاد زخور عازار الى الكلام ، بعد صمت قصير ليقول : انني ادرك

يا مولاي سبب هذا الموقف النبيل ولا غرو ان يرفض امير سعودي ما يرفض من هبات وغنائم وحماية ومنصب رفيع من اجل سيادة بلاده وحريتها واستقلالها . وانا كرجل لبناني افخر واعتز بكم وبشهامتكم وبوطنيتكم وبكرم اخلاقكم .

فدهش الامير السعودي وهذا الاطناب والمديح يقع في اذنيه من موفد المتصرف التركي .

وتساءل في نفسه : «ايكون هذا الرجل معنا ام علينا ؟»

الا ان زخور عازار بدّد شكوك الامام عبد الرحمن وظنونه بقوله : صحيح انني موظف عالي المقام كبير الشأن في المتصرفية العثمانية ، وصحيح انني رسول المتصرف عاكف باشا اليكم ، الا انني قبل كل ذلك انا لبناني وما اللبناني الا اخو السعودي وشقيقه .

فلمعت ابتسامة هادئة على شفتي الامام عبد الرحمن .

وتمتم : لم نكن لنشك باخلاصكم ولا بوطنيتكم ايها اللبنانيون ، واننا لنثق بكم شديد الوثوق يا بني .

قال زخور : كنت اتمنى وانا الموظف في المتصرفية العثمانية ان اوفق في المهمة التي انتدبني فيها المتصرف عاكف باشا اليكم ، الا انني وقد وقفت منكم على آرائكم الصائبة ولمست فيكم هذه الوطنية المئناف ، اراني شديد الغبطة والسرور لأخفاقي في هذه المهمة يا سيدي .

قال الامام عبد الرحمن : بورك بكم وباخلاصكم يا بني ، ارجو ان تعود الى عاكف باشا وتبلغه شكري ورفضي .

فتمتم زخور عازار : وعلى ماذا عولتم الان يا سيدي؟ ماذا ستفعلون؟ والى اين تشخصون ؟

قال : سأعود الى الرياض ، الرياض مدينتي ، ومقام حكمي ، وموطن اجدادي وآبائي وعشيرتي .

فبدا القلق على وجه زخور عازار .

وهمس : لا يا مولاي ، لن تكونوا في مأمن من الغدر في الرياض. ابن الرشيد عازم على احتلال الرياض وعلى الفتك بكم والقضاء على اهلكم وعلى ابنائكم واخوانكم ومناصريكم .

قال الامير : سنحاربه . السيف بيننا وبينه .

قال الرجل اللبناني : لن تستطيعوا الانتصار في معركتكم مع ابن الرشيد ، انني اصدقكم القول يا سيدي ، وصديقك من صدقك لا من صدّقك .

قال : اننا ما زلنا اقوياء . ابناء الرياض سيهبون لنصرتنا ، وابناء القصيم سيحاربون في صفوفنا .

قال زخور عازار : لا يسعنا ان ننسى ان محمدا بن الرشيد ، اضحى قوي الجانب ، بعد انتصاره على ابناء القصيم ، وان القصيميين باتوا ضعفاء بعد هزيمتهم الكبرى في المليدا .

فوجم الامام عبد الرحمن .. زخور عازار على حق في ما يبدي من رأي .

لن يستطيع ابناء القصيم ان ينصروه ، بعد هزيمتهم مع ابن الرشيد.

اما ابناء الرياض فقد انهكتهم الحر مع ابن الرشيد ، فباتوا في وهن وضعف وعياء .

وانصرف الامام عبد الرحمن الى التفكير العميق ينغمس به ، على قلق واضطراب .

وعاد زخور عازار الى الكلام بعد صمت قصير ليقول : يلوح لي ان الحرب لن تنيلكم ما تبتغون يا سيدي .

فهمس الامام عبد الرحمن باصرار وحزم : سنحارب ابن الرشيد . اما ان ننتصر عليه فنحيا شرفاء اقوياء احرارا واما ان نموت في ساحة

الوغى والجهاد •

فهال زخور عازار ما يسمع من الامام •

وخشي ان يقضي اصرار الامير عليه •

فرأى ان يوضح اه كل شيء ، ويطلعه على كل ما لديه من اسرار •

قال : سأصارحكم القول يا مولاي ، واطلعكم على ما لا يجوز لي اطلاعكم عليه •

قال الامير : انني اثق بك ايها اللبناني النبيل ، الي بما لديك من اسرار •

قال : ان المتصرف عاكف باشا سينقم عليكم يا سيدي بعد ان احمل اليه رفضكم مقترحاته ، وهو سيناصر محمدا بن الرشيد عليكم ولن يتورع عن مده بالجنود وبالعتاد • العثمانيون بحاجة الى عميل لهم في نجد ، بحاجة الى انضواء امير الرياض تحت لوائهم ، فان لم تكونوا انتم هذا العميل او هذا الامير ، فلا بأس عندهم من ان يكون ابن الرشيد •

فأدرك الامام عبد الرحمن ان ما يقوله زخور عازار هو عين الحقيقة• وايقن انه غلب على امره •

هو لن يستطيع المقاومة ، لن يستطيع الحرب ، وان استطاع فهو لن يستطيع الانتصار على ابن الرشيد الذي يدعمه ويسانده ويساعده العثمانيون •

وعاد زخور عازار الى الكلام ليقول: الان وقد اوضحت لكم الحقيقة الناصعة البياض وكشفت لكم ما لديّ من اسرار تستطيعون يا مولاي ان تتخذوا الموقف الملائم • اما ان توافقوا على مقترحات المتصرف عاكف باشا وتعودوا الى الرياض على سلطة وحكم ، واما ان تتنازلوا عن الحكم لأبن الرشيد •

فانتفض الامام عبد الرحمن •

وهدر : لا •• لن اوافق على مقترحات عاكف باشا • لن اكـــون حاكما عبدا واميرا تقيده سلاسل العثمانيين وقيودهم •

قال زخور : ولكن محمدا بن الرشيد مستعد ان يكون ذلك الحاكم المقيد المحمي •

قال : هنيئا له بالحكم المقنع وبالسلطان المقيد ، لقد اتخذت قراري ولن اتراجع عنه •

قال زخور : ليكن ما تريدون يا مولاي ، سأعود الى المتصرف حاملا اليه رغبتكم السامية •

ونهض زخور عازار مودعا •

وسار وهو معجب بذلك الامير الكبير الذي يرفض الاغراء والسلطان بكل اباء وشمم •

ذلك الامير الذي يفضل الابتعاد عن الحكم حرا ، على تولي الحكم عبدا تكبله القيود •

- ٥ -

الى البادية

اقام الامام عبد الرحمن على قلق واضطراب : ماذا عليه ان يفعل الان، بعد ان رفض مقترحات عاكف باشا ؟

واين سيقيم ؟

والى من يلجأ ؟

وجمع الامام عبد الرحمن حوله اولاده واهله ، وابناء عشيرتـــــه يستنشيرهم الامر .

فكان رأي البعض منهم ان يظلوا في الاحساء ، يقيمون فيها ضيوفا على العثمانيين .

الا ان عبد العزيز ، النجل الاصغر ، وهو فتى يانع طري العود ابدى رأيا ارتاح اليه والده الامام .

قال عبد العزيز : ليس لنا ان ننزل ضيوفا على اعدائنا . العثمانيون كانوا ولا يزالون اعداءنا . ولن نكون ضيوفا عليهم . يجب ان نغادر الاحساء .

فابتسم الامام عبد الرحمن للفتى الصغير ، المتربع على الانفة والكرامة في اعلى مقام ، بالرغم من صغر سنه .

وهمس : نعم الرأي رأيك يا عبد العزيز . اجل يا ابني . لن نقيم في الاحساء ، والاحساء ولاية عثمانية . سنغادرها قريبا الى انسبائنا في امارة الكويت .

وانصرف الامام عبد الرحمن الى الاستعداد للرحيل عن الاحساء ، وهو لا يجهل ان اقامته في الاحساء ليست في مصلحته ، ولا هي فـــي مصلحة اسرته .

فالعثمانيون سينقمون عليه ، بعد ان رفض مقترحاتهم وابى ان يكون عميلا لهم .

ومحمد بن الرشيد سيعمل جاهدا على الفتك به والقضاء على افراد اسرته .

خير له اذن ان يبتعد عن نجد لفترة من الزمن ريثما يستطيع التفوق على العثمانيين ويصبح قادرا على اتقاء شر ابن الرشيد .

وحزم الامام عبد الرحمن امتعته .

وسار باسرته في موكب متواضع الى الكويت ، وقد خيل اليه انه سيجد في الكويت عند انسبائه واصدقائه الملجأ الامين والمقام الرفيع .

وطوى موكب الامام عبد الرحمن الرمال الباسمة الى الكويت ، والآمال العذاب تداعب قلبه الطاهر النبيل .

الكويت ستكون مقره الامين ، وامراؤها سيستقبلونه بالابتهاج والترحيب .

الا ان حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر .

والامل خاب .

وامير الكويت محمد الصباح رفض استقبال الامام عبد الرحمن ، وأبى ان يسمح له بالنزول في امارته .

فأوفد اليه من يقول : الامير محمد الصباح يعتذر عن استقبالكم في امارته ، ويطلب اليكم النزوح عن الكويت فورا .

فعقدت الدهشة لسان الامير عبد الرحمن ، والنبأ يقع منه في الاذنين .

أيرفض الامير محمد الصباح استقباله في امارته ؟ لماذا ؟

وأجاب نفسه على السؤال : يبدو ان العثمانيين وراء هذا الرفض .

ولم يخطىء ظن الامير عبد الرحمن . فالعثمانيون كانوا وراء هذا الرفض .

لقد علموا ان الامير عبد الرحمن سيلجأ الى الكويت فأوعزوا الى امير الكويت محمد الصباح بمنع الامام من النزول في امارته .

ولم يكن للامير محمد الصباح ان يخالف العثمانيين امرا ، وهو يخشى بطشهم ومكرهم ودهاءهم .

وكان على الامام عبد الرحمن ان ينزل عند طلب الامير محمد الصباح .

ولم يكن له ان يرفض ذلك الطلب .

ما له اذن الا ان يعود ادراجه ..

ولكن الى اين ؟
هل يعود الى الاحساء ؟
لا ...
هل يشخص الى الرياض ؟
وماذا في الرياض ؟
ما هناك سوى ابن الرشيد ينتظر عودته ليبطش به ..
الى اين يلجأ اذن ؟
الى اين ؟.
لم يعد امامه الا البادية .
الا الصحراء .

وشخص الامام عبد الرحمن باسرته الى البادية يضرب فيها ، على امل واه وحلم كسير الجناح .

واستقر به المقام على مقربة من الربع الخالي .

وهناك في البادية كان بعض القبائل يضرب فوق تلك الرمال المبسوطة كالصفحة الذهبية اللامعة تحت اشعة الشمس .

فحل الامام عبد الرحمن باسرته في قبيلة من العجمان .

وكان اولاده محمد وعبد الله وسعود وسعد ومساعد واحمد وعبد العزيز ، يلاقون مرارة العيش وشظف الحياة في الصحراء ، وهم الذين قضوا شطرا وفيرا من حياتهم في قصور الرياض .

وكانت زوجة الامام عبد الرحمن ، ام عبد العزيز ، سيدة فاضلة من سدير ، رائعة الجمال ، وافرة الحسن ، شديدة الذكاء ، حسنة الخلق ، عميقة التقوى ، فلم تتذمر ، ولم تتبرم لما حل بها من الفاقة والشقاء .

ولم تشك ولم تنقم .

بل كانت تردد دائما : «لتكن مشيئة رب العالمين ارحم الراحمين».

وكانت تهون المصاب الاليم على زوجها ٠

وتشجع اولادها على احتمال نكبة الدهر ٠

وتنصرف الى تقوية روح الدين والتقوى في قلوبهم ٠

ولم تطل اقامة الامام عبد الرحمن واسرته في قبيلة العجمان ، فقد انتقلوا الى قبيلة من بني مرة خرجت من الربع الخالي في طلب الماء والكلأ٠

وقبائل الصحراء ، كانت تسعى ابدا في اثر الماء والكلأ ٠

فلا حياة لها ولا لمواشيها الا حيث ينبت الكلأ وتجري المياه ٠

فالكلأ مقصد البدوي في الصحراء ، والماء حياته ٠

والصحراء تضن بالمياه على البدوي ، وهي عزيزة غالية ٠

لذلك فقد اطلق البدوي على المياه وعلى المطـــر اسم «الغيث» او «الغوث» منذ العصور الجاهلية ٠

انها الغوث للبدوي ولمواشيه ٠

واذا ما اراد البدوي مدح سخي كريم قال فيه: «راحته الغوث» ويده « الغيث » ٠

وظلت المياه على مقامها الرفيع في الصحراء ، حتى بعد اشراق نور الاسلام فكان الشعراء في صدر الاسلام وفي العهدين الاموي والعباسي يستمطرون «غيث» الرحمة على قبور موتاهم ٠

وكانت قبيلة بني مرة قد وقعت على الماء والكلأ في ضاحية الربـع الخالي فضربت عندهما ٠

ورأى الامام عبد الرحمن ان ينتقل باسرته من قبيلة العجمان الى قبيلة بني مرة لانه خشي على اخلاق اولاده من ابناء العجمان ، وهم الذيـن اتخذوا الغزو والسلب مهنة لهم ، وابتعدوا عن تعاليم الدين وسبيــل الخير والصلاح ٠

وقد خيل للامام انه سيقع في ابناء مرة على قوم اتقياء صالحين ٠

وآثر الانتقال الى مضاربهم ، فكان كمن استجار من الرمضاء بالنار.
بنو مرة قوم قساة القلوب .
لا تعرف الرحمة طريقا الى قلوبهم .
ولا يعرفون الا الغزو والكر على القوافل القليلة التي كانت تجتاز الصحراء .

وكانوا على قوة وبطش .
ويتمتع ابناء تلك القبيلة باجساد قوية واخلاق شرسة .
لا يعرفون من الدين الاسلامي الكريم الا الاسم .
اما تعاليم الاسلام فكانت بعيدة عنهم بعد الثريا عن الثرى .
وهم على فقر وفاقة ليس لهم مورد الا ما تنتجه مواشيهم من الالبان واللحوم ، وما يسلبونه من بعض القبائل المجاورة لهم ومن القوافل في غزواتهم .
كانوا وهم في عصر الاسلام المنير ، يعيشون وكأنهم في ظـــلام الجاهلية .
وفاقتهم عودتهم الصبر على الجوع والعطش .
واهابت بهم الى الانطلاق في اثر الرزق .
لا فرق عندهم اكان هذا الرزق حلالا ام حراما .
ينطلقون باحثين عن قبيلة يغزونها او عن قافلة يكرون عليها .
حتى اذا وقعوا على الغنائم حملوها وعادوا الى مضاربهم في «الدو» في ضاحية الربع الخالي .

في تلك القبيلة نزل الامام عبد الرحمن بأسرته واقام عدة شهور .
وكان الامام يجمع بعض فتيان القبيلة ويسدي لهم النصح ويعلمهم ويرشدهم ويفتح عيونهم على تعاليم القرآن الكريم وعلى نور الديـــن والتقوى ، فيفلح حينا في ترويضهم وتعليمهم ، ويخفق احيانا .

وكانت زوجته السديرية ، ام عبد العزيز ، تعمل جاهدة على الابتعاد باولادها عن اولاد بني مرة خشية ان يأخذوا عنهم عاداتهم السيئة وخصالهم المقيتة .

وكانت ترشدهم وتعلمهم وتغدق عليهم كل ما في قلبها الطاهر النبيل من عطف ومحبة وحنان .

وكان لتلك الام الفضل الكبير في غرس بذور الفضائل والخصال الحميدة والنبل والتقوى في قلب ابنها الفتي عبد العزيز .

فقد ورث عبد العزيز عن والده الشهامة والكرامة والوطنية والاقدام. وورث عن امه العطف والتقى والفضيلة والحنان .

وبالرغم من محاولة الامام عبد الرحمن وزوجته ام عبد العزيز السديرية ، اقصاء ابناءهما عن معاشرة ومصادقة فتيان بني مرة فقد كان الفتى عبد العزيز ينطلق من حين الى اخر في ركب فرسان القبيلة في غزواتهم .

فيشاركهم الحرب ويجتاز معهم مجاهل الصحراء ويشاطرهم القتال.

فيجوع عندما يجوعون ويظمأ عندما يظمأون ويتعب عندما يتعبون .

وكثيرا ما كان عبد العزيز يعود الى والديه ، بعد غزوة خطرة ، مثخنا بالجراح .

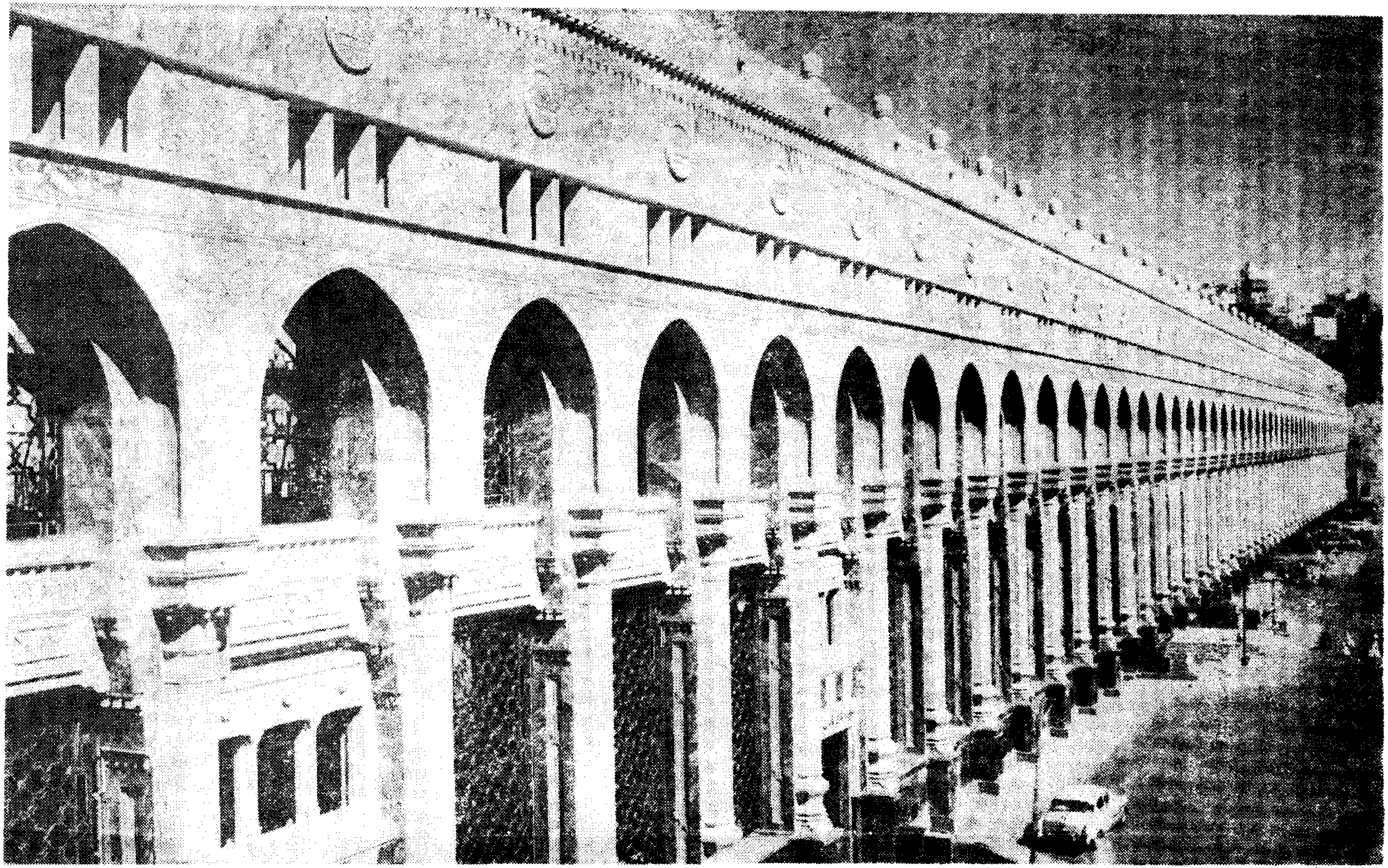
وألف الفتى عبد العزيز الخشونة والقساوة .

وتدرب على فنون الحرب والقتال .

وخبر مسالك الصحراء وطرقها واكتشف مجاهلها ، وعرف مواقع المياه فيها ومكامن الكلأ .

ووقف على الاماكن التي تصلح للسكن وعلى تلك التي تعز اقامة الانسان فيها ويصعب العيش .

والف عيش الصحراء ومتاعبها وبؤسها وشقاءها فنشأ قوي البنية .



جلال الفن يتجلى في جدار المسعى بمكة المكرمة وهذا المشروع الكبير الذي نفذته الحكومة السعودية لتوسعة المسجد الحرام تيسيراً لاداءالشعائر الدينية

واصبح ملما كل الالمام بأساليب الحرب والغزو في الصحراء •

وكان عبد العزيز ينطلق من حين الى اخر ، وحده ، دون رفيق الى بعض القبائل التي تضرب في الصحراء فيتصل بشيوخها وزعمائها وشبانها، يصادقهم ، ويسايرهم وينشىء بينهم مودة صادقة نبيلة •

فخبر نفوس ابناء تلك القبائل •

ووقف على ميولهم ونواياهم وخفايا قلوبهم •

واستطاع ان يفوز بصداقتهم ومحبتهم واعجابهم بالرغم من صغر سنه •

فكأن الله سبحانه وتعالى كان يسدد خطوات ذلك الفتى ليصبح يوما زعيما كبيرا ، وملكا قويا ، وقائدا بطلا مغوارا •

غير ان والده الامام عبد الرحمن لم يكن مرتاحا لانطلاق ابنه الحبيب عبد العزيز في ذلك الطريق الشاق البعيد •

كان يخشى ان تجذب قساوة البادية وشراسة قبائلها ، واخلاق ابناء مرة السيئة عبد العزيز واخوانه اليها •

فأخذ يفكر في الابتعاد عن البادية ، وعن قبيلة بني مرة بأولاده الى مكان هادىء ساكن امين •

وصارح الامام عبد الرحمن زوجته السديرية الفاضلة بما يجول في خاطره •

فأيدته ، وهي لا تقلّ عن زوجها خوفا على اولادها من عشرة السوء •

واتفق الامام وزوجته على الرحيل •

وذات صباح مشرق منير حزم الامام عبد الرحمن امتعته ، والقى بها فوق جماله ونوقه وامتطى مع افراد اسرته الجياد وساروا على بركات الله ، ميممين «قطر» •

ووصل الامام عبد الرحمن الى قطر ، ونزل فيها •

الا ان العيش في قطر لم يحلُ له •

والفاقة كانت تبسط عليه وشاحها الاسود الثقيل ، فلم يقم في تلك البلاد سوى شهور قليلة ، انتقل بعدها الى البحرين حيث كان له فيها بعض الاصدقاء الاوفياء .

وهناك في البحرين ، حل الامام عبد الرحمن باسرته في دار صغيرة، ذات اربع حجرات ، ليس فيها من الاثاث والامتعة الا القليل .

فالفاقة والعوز تحدقان بالامام عبد الرحمن ، وهو الذي انفق في تشرده كل ما كان يحمل من امتعة وحلي ومال ونقود .

واضنى العوز ذلك الرجل الشهم الابي .

وضاقت سبل العيش في وجهه .

ولم يكن له من ملجأ او معين الا الله سبحانه وتعالى .

في هذه الاثناء ، فيما الامام يعاني مرارة الفاقة والعوز في البحرين وينتظر الفرج والعون من الله عز وجل ، نشب خلاف شديد بين عدوه اللدود محمد بن الرشيد وبين العثمانيين .

فعزم العثمانيون على التخلص من ابن الرشيد ، واقصائه عن الحكم في نجد .

وكان على العثمانيين ان يختاروا حاكما لنجد يسيرونه في السبيل الذي يرسمونه ، فيأتمر بأمرهم ويدين لهم بالوفاء وبالولاء ، قبل ان يقصوا محمد ابن الرشيد ويبعدوه .

وبحثوا ...

فاهتدوا الى الامام عبد الرحمن المقيم في البحرين على فاقة وبؤس.

وخيل اليهم ان الفاقة ستدفع بالامام عبد الرحمن الى احضانهم .

وان البؤس سيهيب به الى الارتماء بين ايديهم .

ورأوا ان يعودوا الى مفاوضته مجددا ، وقد ظنوا ان الامام الذي رفض بالامس عروضهم يوم كان في الاحساء ، لا يستطيع اليوم ، وهو

في البحرين يعاني مرارة العوز والشقاء ، ان يرفض عروضهم المغرية وشروطهم السمحاء .

من المؤكد ان الامام عبد الرحمن سيوافق الان على العودة الى الرياض اميرا مكرما لقاء تنفيذ اوامرهم السامية واهدافهم العالية الشأن الرفيعة المقام ..

ولجأوا الى زخور عازار ، اللبناني ، الذي تولى مفاوضة الامام في الاحساء ، راغبين اليه السفر الى البحرين والعودة الى مفاوضة الامام السعودي .

واعتذر زخور اللبناني عن القيام بالمهمة .

قال : لقد خبرت الامام عبد الرحمن ، ووقفت على ما يجول في رأسه من تفكير ، فهو يأبى ان يكون عونا للاجنبي على ابن قومه . لا تجهدوا النفس في ما لا فائدة منه .

قالوا : انت على خطأ يا زخور ، الامام اليوم غيره بالامس ، ان الفاقة ترهقه والعوز يذله ، ما لك الا ان تبسط له عروضنا حتى تراه موافقا دون قيد ولا شرط .

قال اللبناني زخور عازار : وما هي شروطكم ؟

قالوا : الامير عبد الرحمن ناقم على محمد بن الرشيد لانه سلبه الحكم في نجد ، فهو راغب بالثأر من ابن الرشيد ، يتحفز الان ويستعد، متحينا الفرص السانحة للانقضاض على غريمه واستعادة حكمه . ما لنا الا ان نمده بالمال وبالعتاد وبالرجال لمحاربة ابن الرشيد حتى يكون لنا العميل الخاضع المطيع .

فهمس : انتم تجهلون من هو هذا العربي الاصيل ، الابي العنيد . انني اؤكد ان الامام عبد الرحمن سيرفض المغريات التي تقدمونها له ، فلا تحاولوا المستحيل .

قالوا : فلنجرب ، ما عليك الا ان تشخص الان الى البحرين وتمثل في حضرة الامير وتعلن له استعدادنا لمده بالمال وبالعتاد وبالرجال وبالنوق والجمال والجياد والسلاح ومؤازرته ومساعدته للاطاحة بابن الرشيد ، واعادته الى امارة نجد .

قال : انني اعتذر عن القيام بهذه المهمة . لقد جربت فأخفقت ولست مستعدا للاخفاق مرة ثانية .

واصر الرجل اللبناني على الاعتذار .

فما كان من العثمانيين الا انهم انتدبوا ثلاثة رجال للقيام بالمهمة ، اثنين من كبار القادة العثمانيين ورجلا عربيا ، يعمل موظفا كبيرا في المتصرفية العثمانية .

وشخص الثلاثة الى البحرين حاملين للامام عبد الرحمن بعض الهدايا.

ومع الهدايا عروضا مغرية وآمالا وارفة الظلال .

وطرق المندوبون الثلاثة باب الامام عبد الرحمن في البحرين ، ففتح الباب امامهم ، وما ان خطوا الخطوات الاولى في صحن الدار حتى تهامسوا : مهمتنا ستكلل بالنجاح .

ذلك لان اثر الفاقة المرتسم في تلك الدار كان يشير الى ان صاحب الدار سيرحب بما يحملون اليه من عروض ليتخلص من الفقر والبؤس والشقاء .

ورحب الامام عبد الرحمن بالضيوف الثلاثة الترحيب العربي المعروف .

وقدم لهم المرطبات والقهوة والاثمار .

فوضعوا هداياهم بين يديه ، وبدأوا بتقديم المغريات .

وبسطوا امامه الامال العذاب .

قال كبيرهم : نحن رسل المتصرف اليك يا سمو الامير، جئناك حاملين

لك الدعوة لمنازلة ابن الرشيد ، واستعادة امارتك منه •

فدهش الامام عبد الرحمن وكلام المندوب العثماني يقع في اذنيه ، وهمس : انتم تعلمون ، والمتصرف يعلم ايضا ان ليس بامكاني محاربة ابن الرشيد ، وانا صفر اليدين ، لا مال لدي ولا عتاد ولا سلاح ولا رجـال •

قال العثماني : نحن نقدم لك المال والعتاد ، ونمدك بالمشـــورة الصالحة ، ونضع بين يديك السلاح الذي تريد •

فازداد الامام دهشة واستغرابا لما يسمع • فالعثمانيون انصار محمد بن الرشيد ، وهم الذين ناصروه وثبتوا دعائم امارته ، ولولاهم لما تمكن ابن الرشيد من اقصائه عن الامارة ، فماذا بدا وما جرى الان حتـــى ينقلب العثمانيون على ابن الرشيد ؟

وانصرف الامام عبد الرحمن الى التفكير العميق ينغمس، فيه • وطال تفكيره فعاد المندوب الى الكلام •

قال : اننا نتعهد لك بالنصر ، يا سمو الامير ، ما عليك الا ان تزحف الان الى نجد حتى تصبح اميرها المطلق السلطـــان المبسوط الجناح ، العالي المقام •

فهمس : لا •• لن احارب ابن الرشيد بمال غريب ورجال غرباء •

فعقدت الدهشة ألسنتهم ، والامام يرفض العرض السخي •

وعاد كبيرهم الى الكلام متسائلا : الا تريد العودة الى نجد ؟

قال : هذا جل مبتغاي •

قال العثماني : افلا تريد استعادة حكمك وامارتك ؟

قال الامام : الى هذا اسعى ، وسأصل يوما الى ما اسعى اليه •

قال : ها نحن نمهد امامك السبيل للوصول الى كل ما تبتغي وتريد•

قال الامام مصارحا الرسل الثلاثة بكل ما يعمر قلبه الكبير : العربي

لا يشهر السلاح في وجه عربي ، مستعينا بالاجنبي على ابن دينه ولغته وقومه ، والامام عبد الرحمن السعودي لن يحارب ابن الرشيد الا بجيش عربي •• يوم يتوفر لنا المال العربي ، والجيش العربي ، يومذاك سترونا عائدين الى نجد على قوة وسلطان •

فازدادوا دهشة واستغرابا •

وتمتم احدهم : ما يضيرك اذا استعنت بنا للوصول الى مأربك واستعادة حكمك السليب ؟

فأجاب الامام : يضيرني الثمن الباهظ الغالي الذي سأبذله •

قال العثماني : لن تضطر الى اعادة ما نهبك ولن تدفع الثمن •

فتمتم الامام عبد الرحمن : انا اعلم ما هو الثمن الذي ستطلبونه مني ايها العثمانيون ، تريدونني ، وقد مددتم لي يد المساعدة ، مطية لاهوائكم وآلة في يدكم ، يوم تمتد يدي لتتقاضى ما تدفعون ، يتحتم عليّ ان انفذ ما تطلبون • تريدون ان تبسطوا سلطانكم الكامل على نجد ، وما انا الذي يمهد امامكم السبيل الى ما تريدون • نجد عربية وستظل عربية، سواء اكان حاكمها الامام عبد الرحمن السعودي ام محمد ابن الرشيد •

فتبادل الرسل الثلاثة النظرات على دهشة واكبار : يا للنبل ويا للشهامة • هذا الامير العربي ، على فاقة وبؤس وعوز ، وهو قادر على ان يتخلص من بؤسه وفقره بالموافقة على ما يحملون اليه من مقترحات، الا انه يأبى الموافقة على العرض ، ويضحي بمصلحته الشخصية من اجل مصلحة بلاده •

انه ليفضل الفقر والبؤس والعوز والشقاء حرا ، على الغنى والمجد والسلطان عبدا •

وعبثا حاول الرسل الثلاثة اقناع الامام عبد الرحمن بالزحف الى نجد تحت الراية العثمانية ، فعادوا ادراجهم يجرون ذيول خيبة الامل

والرجاء ، ويحملون الى اسيادهم رفض الامير السعودي الكبير •

وعاد الخوف من انتقام العثمانيين يغزو قلب الامام عبد الرحمن •

وسلطان العثمانيين يومذاك كان يمتد الى البحرين •

وادرك انه يتحتم عليه ان يرحل عن البحرين الى بلد اخر لا تكون فيه للعثمانيين كلمة وسلطان •

وراح يفكر : الى اين سيذهب باسرته ، والى اي بلد سيشخص ؟

ولم يهتد الى المكان البعيد عن السلطة العثمانية ، فالامبراطورية العثمانية ، يومذاك ، في اوج عزها ومجدها •

وسلطانها يمتد الى معظم البلدان العربية •

وعاد الى التفكير بالكويت ، ذلك لان الكويت كانت بعيدة عن النفوذ العثماني ، وكانت الدول الكبرى تسعى لبسط سلطانها على تلك الامارة الصغيرة •

ولكن ••

ولكن في الكويت الامير محمد الصباح ، والامير محمد رفض ان يسمح له بالنزول في اراضيه •

وتشاء العناية الالهية ان تحل معضلة الامام عبد الرحمن ، وان تمهد له السبيل للنزول في الكويت ، فقد ثار الامير مبارك الصباح على اخيه الامير محمد ، حاكم الكويت ، فاغتاله واغتال معه شقيقه الاصغر ، واعتلى عرش الامارة •

ووصل النبأ الى الامام عبد الرحمن : « محمد الصباح قتل ، وتولى الحكم شقيقه مبارك الصباح » ••

ترى هل يوافق الامير مبارك على نزول الامام عبد الرحمن واسرته في امارته ؟

هل يرضي الامير مبارك بما رفض شقيقه الامير محمد ، فينجو

الامام عبد الرحمن من انتقام العثمانيين ويحل في امارة الكويت بعيدا عن سطوتهم وبطشهم وانتقامهم ؟

وكتب الامام عبد الرحمن رسالة الى الامير مبارك الصباح يقدم له فيها تهانيه بالامارة ، ويرجوه السماح له ولاسرته بالنزول في امارة الكويت ..

واقام يرقب الجواب على امل واه ، وقلق بعيد .

ولم يطل به الانتظار .

فقد ورده جواب الامير مبارك الصباح يشكره فيه علـى عاطفة التهنئة النبيلة ، ويرحب بقدومه مع اسرته الى امارته الكويتية .

وسطع امل باسم ضئيل في صدر الامير عبد الرحمن : الاقامة في امارة الكويت افضل منها في البحرين .

هناك ، في الكويت سيعرف ، مع اسرته طعم الراحة والهناء .

وسيتمكن اولاده ، وهم قرة عينه ، اقتباس العلوم والتعمق في تعاليم الدين الاسلامي الشريف على اكمل وجه .

وشد الامام عبد الرحمن الرحال الى الكويت .

وهناك في الامارة الفتية ، استقبله الامير مبارك الصباح بالحفاوة والترحيب ، وانزله في دار الضيافة على الرحب والسعة .

وبالرغم من ان الفرق كان شاسعا بين رحابة وفخامة قصر الامير في الرياض وبين دار الضيافة في الكويت فقد ارتاح الامام عبد الرحمن بعض الراحة في تلك الدار .

انها ، على كل حال افضل من الاقامة في البحرين .

وتوطدت الصداقة المتينة بين امير الكويت مبارك الصباح وبـين الامام عبد الرحمن السعودي .

فاخذ الامير مبارك يفسح للامير السعودي عن همومه ، ومعضلاته

ويطلب منه المشورة والنصح •
وكان الامام عبد الرحمن ، وهو المخلص الوفي الودود ، يخلص النصح والمشورة للامير الكويتي •

وهموم الامير مبارك الصباح كانت كثيرة ، ثقيلة العبء •
فهناك الدول الكبرى تطمع في مد نفوذها وبسط سلطانها على الكويت ، والامير الصباح يحاول جاهدا ابعاد النفوذ الاجنبي عن بلاده دون جدوى •

- ٦ -

في الكويت ... على الرحب والسعة

كانت هناك دول ثلاث تحاول السيطرة على الكويت هي : المانيا ، وروسيا ، وبريطانيا •

وكل من هذه الدول الثلاث تعمل جاهدة على استمالة الامير مبارك الصباح توصلا لضم الكويت الى مناطق نفوذها •

المانيا : تحاول بالاتفاق مع العثمانيين ، مد خطوط السكة الحديدية الى الكويت تمهيدا لتحقيق حلم الامبراطور غليوم الالماني لغزو الشرق•
وروسيا : تطمع في اقامة محطة للفحم الحجري في الكويت ومد خطوط السكة الحديدية بين الخليج الفارسي والبحر الابيض •

اما بريطانيا فكانت قد بدأت تشم رائحة النفط في ارض الكويت، وتريد توطيد سلطانها في تلك الارض الطيبة المعطاء •
وفيما الدول الثلاث تتصارع وتتسابق للتمركز في الكويت ، كان العثمانيون ، وهم اصحاب الكلمة النافذة في الشرق ، يرقبون هذا

الصراع على امل تثبيت دعائمهم وتوطيد اركانهم في امارة مبارك الصباح .

واشتد الصراع بين الالمان والروس على مد خطوط السكة الحديدية في الكويت .

واخذوا يتنافسون على عقد اتفاق مع الامير مبارك يخولهم مد الخطوط ، في حين اخذ البريطانيون يسعون لعقد معاهدة توطد نفوذهم في الامارة الكويتية .

وراح كل من هذه الدول يتودد للامير الصباح .

الا ان الامير الكويتي كان ينظر الى الجميع بعين القلق الحذر .

ولجأ الامير الصباح الى صديقه الحميم الامام عبد الرحمن السعودي يستشيره في الامر .

فأشار عليه الامام عبد الرحمن بالابتعاد عن الاجانب كل الابتعاد .

قال : الاجانب لا يضمرون الخير للعرب . واذا رأيتهم الان يتسابقون للفوز بصداقتك وبمودتك فما ذلك الا لأنهم بحاجة اليك . وغدا يوم يقضون حاجتهم سيديرون لك ظهورهم ويبتعدون عنك . ارى يا صديقي ان تنأى عنهم فتأمن مكائدهم .

قال الامير الكويتي : لا بد لي من عقد معاهدة مع احدى هذه الدول كي انجو من الاحتلال العسكري . انني اخشى ان تتفق الدول الثلاث مع العثمانيين ويستولون على بلادي .

قال الامام عبد الرحمن : اذا كان لا بد من الاختيار ، فما عليك الا اختيار البريطانيين ، وبلادهم بعيدة عن بلادنا ومطامعهم في ارضنا هي دون مطامع الروس والالمان .

قال الامير الصباح : وهذا ما سأفعل . يلوح لي ان رأيك هو الرأي الصائب يا صديقي ، وسأعمل به .

وعمل الامير مبارك الصباح برأي صديقه الوفي الامام عبدالرحمن. وعقد مع البريطانيين معاهدة صداقة واتفاق .

وما ان علم الروس والالمان والعثمانيون بامر هذه المعاهدة حتى نقموا على الامير مبارك الصباح وعزموا على التخلص منه واقصائه عن الحكم .

ورأت الدولة العثمانية ان تسرع في التخلص من الامير مبارك الصباح فأوعزت الى محمد بن الرشيد بالزحف الى الكويت .

غير ان ابن الرشيد رفض الزحف الى الكويت لانه كان قد سئم الحروب .

وكان قد خسر الكثير من جنوده وعتاده في محاربة ابناء القصيم والامام عبد الرحمن وفي سبيل الاستيلاء على الرياض .

وكان محمد بن الرشيد قد اصبح حاكم نجد وامير الرياض المطلق السلطان ، فلماذا يتورط في حرب مع مبارك الصباح لا يعرف ماذا ستكون نتائجها ؟

ونقم العثمانيون على عميلهم محمد بن الرشيد نقمتهم على مبارك الصباح .

وعزموا على التخلص منه والبحث عن حاكم قوي يستطيع ان يكسر شوكة الامير الصباح ويقلم اظافره ويريحهم منه .

وذات صباح استفاقت نجد على نعي حاكمها محمد بن الرشيد .

لقد توفي محمد الرشيد .

وقيل يومذاك ان للعثمانيين يدا في موته ، وانهم تخلصوا منه لانه رفض الانصياع لاوامرهم والزحف الى الكويت .

الا ان ما قيل لم يتعد الشائعة التي لا تستندالى اثباتصريح اكيد.

وتولى الحكم في نجد ، بعد محمد بن الرشيد ، ابن اخيه عبد

العزيز بن الرشيد •

وكان ذا مطامع بعيدة واهداف توسعية عميقة الغور •

ولم يكن عبد العزيز بن الرشيد بحاجة الى من يحرضه على الزحف الى الكويت •

فقد كان يطمع في ضم الكويت الى امارته ، وفي مد سلطانه الى الامارات العربية بأسرها •

ولقي عبد العزيز بن الرشيد في العثمانيين انصارا له •

ولمس فيهم الرغبة في المساعـدة والتأييد لتحقيـق حلمه الباسم الوارف الظلال •

والعثمانيون طلبوا ذلك من السماء فوجدوه في الارض ••

كل ما يتمنون هو القضاء على مبارك الصباح واقصاء البريطانيين عن الكويت •

وابدى العثمانيون لعبد العزيز بن الرشيد استعدادهم التـام لمدة بالاسلحة والرجال •

وشجعوه على مهاجمة مبارك الصباح والاستيلاء على امارته وهم لا يجهلون ان القضاء على الامير مبارك الصباح قضاء مبرم على النفوذ البريطاني في امارة الكويت •

وبدأ عبد العزيز بن الرشيد الاستعداد للزحف على الكويت •

ووصل نبأ الاستعداد الى الامير مبارك الصباح فذعر ، وايقن ان عبد العزيز بن الرشيد سيدخل الى امارته ظافرا ان لم يبادر الى اتخاذ الحيطة الحؤول دون تحقيق مآربه •

وفكر مبارك الصباح في استرضاء العثمانيين وطلب مساعـدتهم لصد هجوم عبد العزيز بن الرشيد •

وعرض الفكرة على صديقه الحميم الامام عبد الرحمن فما كـان

من عبد الرحمن الا انه صرفه عن فكرة الاستنجاد بالعثمانيين .

قال : العثمانيون اخصامكم يا مبارك . وعبد العزيز بن الرشيد لم يكن ليفكر بالزحف الى الكويت لو لم يلمس في العثمانيين المساعدة والتشجيع ، هل تطلب النجدة من اعدائك ؟

قال الامير مبارك الصباح : ما العمل يا صديقي ؟

قال الامام عبد الرحمن : اين اصدقاؤك البريطانيون ؟

قال : بيني وبينهم معاهدة صداقة ، وهم ليسوا مجبرين على مساعدتي وامدادي بالاسلحة وبالرجال .

قال الامام : ارى ان تعود اليهم وتستشيرهم في الامر ، قد يستطيعون انقاذك من هذا المأزق الحرج .

وعمل الامير مبارك الصباح برأي صديقه الامام عبد الرحمن .

ولجأ الى اصدقائه البريطانيين يطلعهم على ما وصل اليه من انباء تأهب عبد العزيز بن الرشيد للزحف الى الكويت .

وطلب اليهم المساعدة لصد هجوم عبد العزيز ابن الرشيد .

وقال البريطانيون : المعاهدة المعقودة بيننا لا تخولنا التدخل في حرب بينك وبين ابن الرشيد ، لا سيما ووراء ابن الرشيد الامبراطورية العثمانية . اذا كنت ترغب في المساعدة فما عليك الا ان تجري تعديلا على المعاهدة .

قال : ما هي التعديلات المطلوبة ؟

قالوا : يجب ان تتحول المعاهدة من معاهدة صداقة الى معاهدة حماية . معاهدة تصبح الكويت بموجبها محمية بريطانية وعند ذاك نصبح مجبرين على حمايتكم .

وكان لا بد للامير مبارك الصباح من ان يختار : اما حماية بريطانية ، واما استسلام لعبد العزيز بن الرشيد .

ورأى ان الحماية البريطانية افضل من الاستسلام لابن الرشيد •
فوافق ••

وعقدت معاهدة بين البريطانيين والامــير مبارك الصباح اصبحت الكويت بموجبها محمية بريطانية ••

و •• تفضلوا ايها العثمانيون بالهجــوم علــى الكويت ان كنتم تستطيعون ••

وتهيب العثمانيون الموقف •

وادركوا ان البريطانيين لن يتخلــوا عن صديقهم الامــير مبارك الصباح ان هم هاجموا الكويت •

واشاروا الى عبد العزيز بن الرشيد بالتريث في زحفه الى الامارة الكويتية •

فنزل عبد العزيز بن الرشيد عنــد رأي العثمانيين واقــام يرقب الفرصة السانحة لمهاجمة الكويت واحتلالها •

الا ان الفرصة لم تسنح له •

والبريطانيون كانــوا قــد بدأوا يعززون مواقفهم فــي الكويت ويوطدون اركانهم ويمدون الامــير مبارك الصباح بالمال وبالاسلحــة والعتاد •

فأصبح امير الكويت مبارك الصباح على قوة حربية متينة الاركان، وبدأ يفكر بمهاجمة عبد العزيز بن الرشيد والاستيلاء على نجد ، بعد ان كان يخشى سطوة ابن الرشيد ويرهب جانبه •

وفي عام ١٩٠٠ م ــ ١٣١٨ هـ عزم الامــير مبارك الصباح علــى مهاجمة عبد العزيز بن الرشيد واحتلال نجد وضمها الى الكويت •

وبدأ يجهز جيشه استعدادا للحرب •

واستطاع الامير الصباح ان يجمع عشرة آلاف مقاتل وان يجهزهم

بالاسلحة البريطانية الحديثة •

وراح يضع خطة الهجوم ويرسم طريق النصر المبين •

ورأى الامير الصباح ان يستشير صديقه الحميم الامير عبد الرحمن السعودي في امر الخطة المرسومة فاجتمع اليه وبسط له ما لديه من خطط لمهاجمة ابن الرشيد واحتلال نجد •

فأشار الامام عبد الرحمن عليه بالتريث •

ونصحه بعدم محاربة ابن الرشيد ، لان جيش ابن الرشيد قوي، والعثمانيون يدعمونه ويساعدونه وقد يحاربون الى جانبه بجنودهم واسلحتهم •

ولم ينزل الامير الصباح عند نصيحة صديقه الامام عبد الرحمن •

واصر على الزحف الى نجد •

ودار حديث طويل بين امير الكويت والامام عبد الرحمن حول الزحف الى نجد •

الامير الكويتي يصر على الحرب •

والامير السعودي يحاول اقناعه بالتريث •

وكان نجل الامام عبد الرحمن ، الامير عبد العزيز يستمع الى مناقشة والده والامير الصباح ، وهو صامت يفكر •

انه ليفكر ببلاده ، بالرياض التي استولى عليها ابن الرشيد وانتزعها من والده •

وعبد العزيز كان قد درج في العشرين من عمره ، على وسامة وقوة وذكاء وانفة وكرامة واعتزاز •

وكان يحن ابدا الى الرياض •

ويأمل ان يطل يوم يزحف فيه برجاله الى الرياض فيحتلها ويطرد منها ابن الرشيد •

ويتربع على عرش آبائه واجداده السليب •

ورأى الامير الشاب الجريء الفرصة سانحة لتحقيق الحلم البعيد المخضل الجناح •

فانبرى يقول لوالده على مسمع من الامير الصباح : ارى ان الامير مبارك على حق يا والدي في ما عزم عليه •

ووجم الاميران ، الكويتي والسعودي ، وهما يسمعان ما يقول الشاب القوي الوسيم عبد العزيز •

ومضى عبد العزيز في الكلام ليقول : قد يعقد النصر المبين للامير الصباح اذا سار بجيشه لملاقاة ابن الرشيد ، في الوقت الذي يزحف فيه قائد لاحتلال الرياض •

واعجب الامير الكويتي برأي الامير الصغير •

وسأله : ولكن من هو القائد الذي سيزحف الى الرياض يا عبد العزيز ؟

فأجاب عبد العزيز : انا •

وعقدت الدهشة لسان امير الكويت ولسان الامام عبد الرحمن •

وهتف الامام عبد الرحمن بولده : انت ؟ انت تهاجم الرياض ؟ وهل يخيل اليك ان ابن الرشيد سيسلمك الرياض بكل طيبة خاطر ؟ الرياض يا ابني محصنة ، وجنود ابن الرشيد يحمونها ويدافعون عنها دفاع المستميت •

فرد عبد العزيز : وانا سأهاجمها هجوم المستميت يا والدي • الرياض لنا واذا ما استولينا عليها فانما نستولي على ما هو من حقنا •

قال الامير مبارك الصباح : ولكن كيف ستزحف الى الرياض يا عبد العزيز ؟ وما هي الخطة المرسومة التي ستنفذها ؟

قال : انني اعتمد في زحفي الى الرياض على ابناء الرياض انفسهم،

فهم اصدقاؤنا وانسباؤنا ولنا فيهم مناصرون اوفياء وسيناصروننا ، وينصروننا على جنود ابن الرشيد • وفي حين اهاجم انا الرياض تكونون انتم قد زحفتم لملاقاة جيش ابن الرشيد ، ولن يستطيع ابن الرشيد ان يحارب في جبهتين وينتصر •

فازداد الامير مبارك الصباح اعجابا بالشاب عبد العزيز •

وسأله : كم يلزمك من الجنود لمهاجمة الرياض ؟

قال : لدي زهاء مئة مقاتل من اصدقائي واقاربي • اذا زودتني بتسعمئة مقاتل يصبح لدي الف مقاتل واستطيع بهم احتلال الرياض •

فحاول والده الاعتراض •

الا ان الامير مبارك الصباح بادر الى القول : لك ما تريد يا عبد العزيز ، تسعمئة مقاتل مزودين بالاسلحة والجمال والعتاد والطعام •

فتدخل الامام عبد الرحمن محاولا صرف ابنه عما يبتغي ويريد •

قال : الموت سينتظرك على ابواب الرياض يا ابني •

قال عبد العزيز بانفة وحزم وشموخ : الموت افضل لدي من العيش بعيدا عن بلادي • اما الموت واما تحرير الرياض •

فسر والده به •

هذا الشبل هو ابن ذاك الاسد •

وهمس الامام عبد الرحمن والدموع تغمر عينيه : بورك بك يا عبد العزيز ، صدقت يا ابني • ما قيمة الحياة اذا امتهنت كرامة الاوطان • سر بجيشك الصغير الى الرياض يا ابني وليوفقك الله العلي العظيم •

وسار الامير الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن السعودي على رأس الف مقاتل في طريق الرياض •

وحل الامير بجيشه في مكان يسمى « الشوكة » •

وهناك نشر عبد العزيز وجنوده الالف مضاربهم تأهبا واستعدادا

للزحف الى الرياض وانتظارا لزحف جيش الامير مبارك الصباح الى حائل لمحاربة عبد العزيز بن الرشيد •

وكانت خطة الامير عبد العزيز بن سعود ترمي الى مهاجمة الرياض ساعة يهاجم الامير الصباح ، عبد العزيز بن الرشيد •

يريد ان يفتح جبهتين لجيش ابن الرشيد ليقطع عليه سبل نجدة حامية الرياض •

وكان للامير السعودي الجريء ما اراد •

فما ان وصله نبأ زحف امير الكويت لمحاربة جيش ابن الرشيد حتى كان الامير السعودي يقف خاطبا في جنوده البواسل ، هاتفا بهم : « ايها الابطال ! اوطاننا في خطر ، ورياضنا السمحاء يحتلها المغتصب • وانتم انتم السيوف المسلولة التي ادعوها الى تحرير الرياض ، سنزحف الى الرياض ، بصدورنا العامرة بحب الوطن وبقلوبنا التي ما خفقت يوما الا بحب نجد ، هذه الارض الطيبة لنا ، ولن ندعها في ايدي الطغاة المغتصبين • الى الرياض ايها الابطال ، الى الرياض •

وامتطى جواده الاصيل •

واطلق له العنان في المقدمة •

فانطلق الفرسان الالف في اثره على ثورة وبطولة وانطلاق •

ووصل جنود الامير عبد العزيز الى الرياض •

فاذا بجنود عبد العزيز بن الرشيد يتصدون لهم •

ودارت معركة بين الجيشين ، جيش ابن الرشيد ويبلغ عددهم زهاء خمسة آلاف جندي وجيش الفتى عبد العزيز وعدده لا يزيد على الالف جندي •

وخيل لجنود ابن الرشيد انهم سيقضون على الفتى السعودي وجنوده الالف في دقائق قليلة الا انهم وجموا ، واستبد بهم الذعر وهم

يشاهدون الامير السعودي يتقدم جنوده ويبطشون بهم بطشا ذريعا •

كل جندي من جنود عبد العزيز يوازي في بسالته وقوته وجرأته وبطشه عشرة جنود من جنود ابن الرشيد •

وفي ساعات قليلة كان الامير عبد العزيز يقتحم بجنـوده القلائل الرياض ويحتلها •

وهب ابناء الرياض يلاقون اميرهم العائد اليهم بالهتاف والاناشيد والزهور والرياحين منادين به اميرا عليهم •

واعتصم جنود ابن الرشيد في حصن الرياض •

وابوا الاستسلام فلديهم من المؤن والذخيرة ما يكفيهم للصمود ريثما تردهم النجدة من سيدهم عبد العزيز بن الرشيد ••

الا ان انتظارهم طال والامير السعودي يحاصر الحصن ، والنجدة لم تصل •

ذلك لان عبد العزيز بن الرشيد كان في شغل عنهم ، انه ليحارب امير الكويت مبارك الصباح والحرب بينهما ، بين مبارك الصباح وابن الرشيد ، حرب سجال •

حينا ينتصر مبارك الصباح وحينا يعقد النصر لواءه لابن الرشيد •

واطمأن الفتى عبد العزيز بن عبد الرحمن كل الاطمئنان ، وقـد احتل الرياض •

واقام ينتظر استسلام الحامية المعتصمة بالحصن المنيع ، وهو لا يجهل ان ابن الرشيد لن يستطيع ان ينجد تلك الحامية لانه ينازل امير الكويت •

ولا بد للحامية اذن من الاستسلام ، ان لم يكن اليوم فغدا وان لم يكن غدا فبعد غد •

الا ان انتظار عبد العزيز طال ، والحامية تأبى الاستسلام •

فرأى الامير الشاب ان يوطد اركـــان عرشه في الرياض ، ريثما يفرجها الله عليه وترفع الحامية راية الاستسلام .

فجمع شيوخ الرياض ووجهاءها وشكل منهم لجانا يساعدونه في الحكم .

فهو يريد حكمه شورى لا ظلم ولا ارهاق ولا استبداد ولا طغيان.

ولقي عبد العزيز في شيوخ الرياض ، واعيانها المساعدة والعون .

وكلهم يدين للاسرة السعودية الكريمة بالاخلاص والحب والوفاء، ويضمر لابن الرشيد ولجنوده وعامليه الحقد والكره والبغض .

وفيما الفتى العربي الوسيم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود يوالي الاستشارة ويوطد اركان عرشه ، ويستعد للانقضاض على حامية حصن الرياض وردته انباء انتصار ابن الرشيد على امير الكويت فـــي موقعة « الصريف » .

فقد استطاع عبد العزيز بن الرشيد ان ينتصر اخيرا علـــى الامير مبارك الصبـــاح انتصارا باهرا وان يفتـــك بعـــدد وافر من الجنـــود الكويتيين ..

واندحر جيش مبارك الصباح ، وعاد ادراجـــه الى الكويت يجر ذيول الهزيمة والانكسار .

ووجم عبد العزيز بن عبد الرحمن وهذا النبأ المؤلم يقع منه في الاذنين .

انتصار خصمه على صديقه امير الكويت طعنه في الصميم .

واندحار الامير مبارك الصباح معناه اندحاره هو نفسه .

لن يستطيع عبد العزيز ان يواصل حصار الحصن في الرياض .

ولا هو يستطيع توطيد عرشه الفتي .

لان عبد العزيز بن الرشيد ، وهو المنتصر الظافر ، سيزحف مـــن

الصريف الى الرياض ويفتك به وبجنوده القلائل وينقذ جنوده المعتصمين في حصن الرياض •

ورأى الامير السعودي الشاب ان ينسحب بجنوده من الرياض ، ويقفل عائدا الى الكويت قبل وصول جيش ابن الرشيد •

فجمع جنوده هاتفا بهم : فلنعـــد ادراجنا ايها الابطـــال قبل ان يدركنا ابن الرشيد ويهاجمنا وينتصر علينا ، فليس لنا طاقة على مقاومته، ولا نحن قادرون على منازلته والانتصار عليه •

وكان عبد العزيز ، على صغر سنه حكيما ، نبيها ، واقعيا ، ينظر الى الامور بمنظار الحقيقة والواقع ، ويرى الى البعيـــد بعين الحكمة والذكاء •

وعاد عبد العزيز الى الكويت ، وفي القلب غصـــة ، وفي الصدر لوعة وأسي •

الاقدار ناوأته •

والحظ لم يسعده في التربع على العرش الفتي الذي كان قد بدأ بتوطيده في الرياض •

وهمس الفتى السعودي ، وهو يغادر الرياض على الم وأسى : « لا بد من العودة اليك يا مدينة العروبة والمجد والاباء ، يا رياضنا »•

- ٧ -

الرياض لنا ...

اقام حـــاكم الكويت الامير مبارك الصباح علـــى وجل وخشية واضطراب •

فهو يعلم يقينا ان عبد العزيز بن الرشيد لن يكتفي من النصر بالتغلب عليه في موقعة الصريف •

وان المنتصر ابن الرشيد سيزحف في اثره الى الكويت فيحتلها ويضمها الى نجد •

وانصرف الامير الكويتي الى اعادة تنظيم جيشه المنهزم استعدادا للدفاع عن امارته اذا ما هاجمها ابن الرشيد •

غير ان ذلك الجيش المنهزم كان في حالة انهيار ووهن ، ولم يكن قادرا على خوض المعارك واقتحام ميادين الوغى •

واشتد القلق بالامير الصباح •

ولجأ — كعادته — الى صديقه الحميم الامام عبد الرحمن يستشيره في الامر •

فكان جواب عبد الرحمن : اين هم اصدقاؤك البريطانيون ، وما هي قيمة المعاهدة التي عقدتها معهم ، والتي تعهدوا فيها لكم بالحماية والعون ؟

قال الامير مبارك الصباح : هل الجأ اليهم ؟

قال عبد الرحمن : وماذا تنتظر ؟ انت يا صديقي امام امرين لا ثالث لهما : اما ان تستعين بالبريطانيين ، واما ان تستسلم لابن الرشيد، واستسلامك لابن الرشيد يعني استسلامك للعثمانيين لان ابن الرشيد لا يعتمد في حربه على قوته ، بل هو يعتمد على القوة العثمانية ، والمنتصر عليك في الصريف ، ليس ابن الرشيد ، بل هو السلطان العثماني في الاستانة •

فأدرك الامير الكويتي ان صديقه عبد الرحمن على حق ، وان ليس له الا اللجوء الى البريطانيين ليأمن شر ابن الرشيد •

وعمل الامير الصباح بنصيحة الامام عبد الرحمن •

ولجأ الى البريطانيين يطلب اليهم الغوث والاعانة •

فكان له منهم ما اراد •

والبريطانيون ادركوا ان ابن الرشيد سيقصيهم عن الكويت ، ان هو استولى عليها •

وان العثمانيين سيحلون محلهم في السيطرة على الامارة الكويتية•

ورأوا ان يحموا تلك الامارة من بطش ابن الرشيد وسيطرة العثمانيين ويحافظوا على عرش مبارك الصباح •

وفي المحافظة على ذلك العرش محافظة على نفوذهم ومصالحهم ومقامهم •

واجاب البريطانيون امير الكويت الى طلبه وطمأنوه : فليطمئن بال سمو الامير • الكويت محمية بريطانية • وسنحميها وندافع عنها ونصون كل حبة رمل من رمالها السمراء •

واطمأن الامير مبارك الصباح •

وازداد اطمئنانا وهو يشاهد بعد ايام قليلة سفينة حربية بريطانية ترسو في مياه الكويت متأهبة لنفث نيرانها المحرقة وقنابلها الفاتكة على كل معتد اثيم •

في هذه الاثناء كان عبد العزيز بن الرشيد قد جهز جيشه المنتصر استعدادا للزحف الى الكويت •

كان ابن الرشيد صاحب مطامع واسعة واحلام وآمال عذاب ، والعثمانيون لمسوا فيه تلك المطامع والآمال والاحلام فراحوا يغذونها ويعززونها ويمهدون ويعبدون السبيل امام صاحبها للوصول اليها •

وابدى ابن الرشيد لاصدقائه العثمانيين رغبته في الزحف الى الكويت والاستيلاء عليها وضمها الى امارته •

فشجعوه وفرشوا له الطريق وردا ورياحين وزهورا •

وابدوا استعدادهم لمده بكل ما يحتاج اليه من مال ورجال وسلاح.

والعثمانيون، حرسهم الله، كانوا على استعداد تام لنصرة ابن الرشيد ومد يد المساعدة اليه للفوز بالكويت، وهم لا يجهلون ان انتصار ابن الرشيد على الامير مبارك الصباح، هو انتصار لهم على البريطانيين.

وفيما العثمانيون يمدون ابن الرشيد بالمال وبالرجال وبالعتاد، وردهم نبأ وصول السفينة الحربية البريطانية الى مياه الكويت « والسفينة الحربية يومذاك توازي اسطولا كاملا اليوم » فوجموا، ووجم معهم ابن الرشيد.

وادرك ابن الرشيد ان الكويت ستعز عليه، وان الامير مبارك الصباح الذي اندحر امامه في الصريف، سينتصر عليه في الكويت.

وتكون نهايته في الامارة الكويتية.

واستشار عبد العزيز ابن الرشيد اصدقاءه العثمانيين في الامر فأشاروا عليه بالتريث.

السفينة الحربية الراسية في المياه الكويتية تثير القلق والخشية.

وتجعل الامل في النصر واهيا ضئيلا.

وتريث ابن الرشيد نزولا على رأي اصدقائه العثمانيين.

الا ان تريثه طال.

ولم يلبث ان صرف النظر اخيرا عن الزحف الى الكويت.

وانصرف الى تعزيز سلطانه في نجد.

والى توطيد عرشه القائم على الجماجم والدماء.

وامن امير الكويت شر ابن الرشيد ومطامعه ورغبته في ضم الكويت الى نجد.

واطمأن ونام على وثير الحرير.

الا ان الاطمئنان الذي عرف قلب الامير مبارك الصباح لم يعرف

قلب الفتى السعودي الجريء الوسيم عبد العزيز ابن عبد الرحمن .

لم يكن عبد العزيز ليعرف الراحة والاطمئنان . وهنـاك الرياض مدينته الحبيبة يحتلها ابـن الرشيد ويبسط سلطانه علـى ابنائها الغر الميامين .

عبد العزيز لن يطمئن له بال الا وقد عاد الى الرياض واعاد تشييد عرش ابيه في المدينة الغراء وانقذ اهلها من جور وطغيان ابن الرشيد .

وكان عبد العزيز قد لمس في ابناء الرياض تذمرهم ونقمتهم على ابن الرشيد في الايام القلائل التي احتل فيها الرياض .

ووقف منهم على رغبتهم في عودة الحكم السعودي العادل الى مدينتهم .

فأدرك انه سيلقى في ابناء الرياض المساعدة والعون اذا ما هو عاد الى الرياض ونازل ابن الرشيد .

وعزم عبد العزيز على اقتحام الرياض وعلى تحريرها من سلطان ابن الرشيد .

ولكن كيف ؟

ومتى ؟...

فهو لا يملك المال ، ولا يملك الرجال ، ولا العتاد ؟

وامير الكويت الذي ساعده في هجومه الاول على الرياض ومده بالرجال الالف ، لا يستطيع ان يساعده وان يمد له يد المساعدة الان ، وهو المنهزم المغلوب على امره .

وكان مـن المحتم ان يصرف عبد العزيز النظر عـن الزحف الى الرياض .

الا ان جرأته واقدامه وشجاعته اهابت به الى اتخاذ قرار غريب عجيب حازم ..

عبد العزيز سيلجأ الى اصدقائه في الربع الخالي وسيستعين بهم على مهاجمة الرياض واحتلالها .

وعرض الفتى السعودي الجريء الفكرة علـى ابيـه وعلى امير الكويت فعارضاه .

واهابا به الى صرف النظر عن العودة الى الرياض ، وفي الرياض ابن الرشيد يتربع على قوة وسلطان .

وابى عبد العزيز ان ينزل على رأي الوالد والصديق .

انه هوس الشباب وجرأته النادرة المثال .

فجمع بعض اقاربه واصدقائه وانطلق بهم الى الربع الخالي .

وكان للفتى عبد العزيز اصدقاء اوفياء في الربع الخالي ، حيث كان قد قضى ايام طفولته وفتوته .

فلقي في قبائل الربع الخالي الترحيب الشديد .

ونزل عبد العزيز ورجاله في الربع الخالي على الرحب والسعة .

وانضم اليه بعض شبان القبائل وفرسانها فأصبح لديه جيش صغير.

وانصرف عبد العزيز الى تدريب جنوده وفرسانه تمهيدا للزحف بهم الى الرياض واحتلالها .

الا ان العثمانيين وقفوا على نزول عبد العزيز بن عبد الرحمن في الربع الخالي فأشاروا على زعماء القبائل بالابتعاد وحبس يد المعونة عنه.

وكان لبعض زعماء تلك القبائل مصالح وصداقات مع العثمانيين فنزلوا عند طلبهم ، وابتعدوا عن الفتى السعودي النازل بينهم .

وادرك عبد العزيز انه لن يستطيع الاعتماد على قبائل الربع الخالي في الزحف على الرياض .

وان ليس له الا العودة الى الكويت .

فقفل راجعا برجاله القلائل الى الامارة الكويتية على اسف وشجن.

وارتاح الامام عبد الرحمن كل الارتياح، وقد عاداليه ابنه الحبيب. وكان يخشي الا يعود عبد العزيز اليه ، وان يقضي نحبه في ساحة الوغى والجهاد .

غير ان ارتياح الاب لعودة ولده لم يطل .

فقد عاد عبد العزيز الى نغمة مهاجمة الرياض واحتلالها .

وحاول والده وامير الكويت مبارك الصباح ان يثنياه عن عزمه .

الا ان الفتى العربي الطموح ابى ان يتراجع او يلين .

قال : سأعود الى الرياض واحتلها واستعيد عرشنا السليب .

فلاحت على شفتي الامير مبارك الصباح ابتسامة صفراء .

وتمتم : من اين لك المال والرجال والسلاح يا عبد العزيز ؟ انت تعلم انني لا استطيع ان امد لك يد المساعدة بعد الهزيمة التي انزلها بنا عبد العزيز بن الرشيد . لقد مددتك بالف مقاتل يوم كنت قادرا على المساعدة ، اما الان فانت لا تستطيع ان تعتمد على صديقك مبارك الصباح في المساعدة والعون .

فأصر الفتى السعودي على موقفه لا يتزحزح عنه ولا يتراجع .

قال : لن اطلب العون منكم يا صديقنا . ولن اعتمد على سوى رجالي الاوفياء المخلصين .

فهتف والده به : واين هم رجالك يا عبد العزيز ؟

قال عبد العزيز : لدي ستون رجلا من خيرة الفرسان الاشاوس.

فضحك الامام عبد الرحمن على هزء وسخرية .

قال : اتريد احتلال الرياض بستين مقاتلا ؟

فتمتم الفتى الباسل بعناد : اجل .

قال الوالد : ايخيل اليك ان جنود عبد العزيز بن الرشيد سيحلونك بينهم على الرحب والسعة ويسلمونك المدينة ، وينصبونك اميرا عليهم ؟

انك لعلى ضلال يا ابني • لا تغامر بروحـــك وبأرواح رجالك ، ولا تفجعني بك يا عبد العزيز •

وانبرى الامير مبارك الصباح يقول للفتى المغامر الطموح : اتعلم من هو عميل ابن الرشيد في الرياض وقائد حاميتها ؟

قال الفتى السعودي الباسل : اجل •• انه القائد عجلان •

قال الامير الصباح : انه قائد باسل عنيد ، ولديه جنـود اشداء اقوياء • الحامية في الرياض على قوة وشدة وبأس ، وعدد جنودها لا يقل عن الالف فلا تغامر في مهاجمتهم يا ابني بستين رجلا مـن اقاربك واصدقائك الاوفياء •

فصمت عبد العزيز ، ومبارك الصباح يشرح له الموقف العصيب• وادرك ان احتـلال الريـاض واستعادة العرش مغامرة خطرة ، وان عليه ، اذا اصر على الزحف الى الرياض ان يغامر بحياته •

وعبد العزيز كان على استعداد للمغامرة •

كان مستعدا للتضحية بحياته من اجل الرياض •

ولكن هل يغامر بحياة رجاله ؟

هل يضحي بحياة اقاربه واصدقائه ؟

وكان على عبد العزيز ان يفكر مليا قبل الاقدام على هذه المغامرة المجهولة المصير •

ومضى الفتى السعودي الباسل في تفكيره العميـــق ، دون ان ينبس بحرف •

فخيل لوالده ، وللامير مبارك الصباح ان عبد العزيز اقتنع ، وانه انصرف عن فكرة مهاجمة الرياض •

الا انهما دهشا وعبد العزيز يلتفت اليهما بعد صمت طويل ليقول بحزم وعناد واصرار :

ـ سأهاجم الرياض •

فسأله الامير مبارك الصباح : برجالك الستين ؟

قال باصرار : اجل •• برجالي الستين •

فعقدت الدهشة لسان الامير الكويتي ••

وتكلم الامام عبد الرحمن محاولا صرف ولده عن القيام بهذه المغامرة •

قال : يا ابني ! عليك ان تتريث الان • سنستعيد الرياض • مهلا يا عبد العزيز ، ريثما يقوى ساعدك • مهلا يا ابني ريثما تتوفر لنا الامكانيات • لا مال لدينا الان ولا سلاح ولا رجال ، قد نستطيع يوما ان نحصل على المال والرجال والسلاح وعندئذ نستطيع ان نستعيد عرشنا السليب ونحتل الرياض •

فلم يقتنع عبد العزيز ، ولم يعد عن قراره ، فهتف : سأزحف الان الى الرياض ، اما ان احتلها واستعيد عرشنا من ابن الرشيد ، واما ان اقضي نحبي ، ويكون دمي نورا يستضيء به من يأتي بعدي في الطريق الى الرياض •

فأعجب الامير مبارك الصباح بهذه الجرأةالنادرة، والعناد الشديد•

والتفت الى الفتى السعودي الجريء العنيد قائلا : ليكن لك ما تريد يا عبد العزيز • تريد الزحف الى الرياض ؟ فليكن لك ذلك • سأمدك بالسلاح وبالمال • اما الرجال فأنت تعلم يا ابني ان لا رجال لدي بعد الهزيمة التي منيت بها في « الصريف » •

فشكر عبد العزيز الامير الكويتي •

ووثب الى والده يقبل يده هامسا : لن اعود يا والدي اليكم الا بالنصر يكلل جبيني • اما اذا لم اعد فثق ان دمي سيكون نبراسا يضيء الارجاء وروحي سترتاح في اخدارها مطمئنة •

وادمعت عينا الامام عبد الرحمن •

وهمس : رافقتك السلامة يا ابني • ولينصرك الله العلي العظيم ، وليسدد خطواتك في طريق النصر المبين يا عبد العزيز •

واسرع عبد العزيز الى شقيقه محمد ، والى ابن عمه عبد الله بن جلوى يقول لهما : البشرى لكما •• فقد سمح لي والدي بالزحف الى الرياض • الليلة قبل انبلاج الفجر سنزحف برجالنا الى الرياض •

فهلل الاثنان ، محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن جلوى •

والاثنان على جرأة وشجاعة ، يرغبان في احتلال الرياض واستعادة العرش السعودي •

وهتفا : دماؤنا وارواحنا فدى الرياض •

وانصرف عبد العزيز الى اعداد العدة للزحف المبين •

وجمع رجاله الستين ، وزودهم بالاسلحة والزاد •

وهتف بهم : لن نعود الا والنصر يعقد منا الجبين • اما الموت واما تحرير الرياض •

وقبل انبلاج الفجر البعيد كان عبد العزيز بن سعود يتقدم جيشه الصغير في الطريق الى الرياض •

واستمر الزحف المقدس طويلا حتى بلغ الفتى السعودي برجاله الستين الميامين الى مكان يبعد زهاء ساعتين عن الرياض •

وكان التعب قد انهكهم ، والجوع يعصف بهم ، والبرد القارس يلسع اجسادهم ، فاختار عبد العزيز منزلا منزويا تحت اغصان النخيل ليلجأ اليه رجاله ويأخذوا قسطا من الراحة •

فأناخ الرجال جمالهم •

ودخلوا الى ذلك المنزل يستريحون ويتناولون الطعـــام استعدادا للوثوب الى الرياض •

وارتاح الرجال .

وتناولوا بعض الطعام .

واحتسوا الشاي واتقوا البرد .

واستسلموا للرقاد .

وقبل انتصاف الليل ، وثب عبد العزيز الى رجاله يوقظهم هاتفا بهم : ايها الرجال البواسل ! لقد آن الاوان .

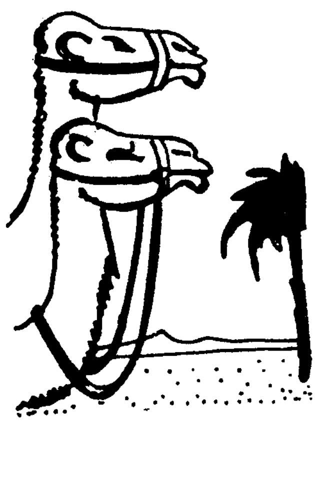
ونهضوا هاتفين : لبيك ! لبيك يا عبد العزيز .

واختار الامير الشاب اربعين رجلا ليرافقوه الى الرياض ، بينهم شقيقه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوى .

وقال للعشرين : ستنتظروننا هنا ، حتى اذا انقضت اربع وعشرون ساعة ولم نعد اليكم تعودون الى الكويت حاملين لوالدي ولامير الكويت نعي عبد العزيز .. اما اذا عدنا ، او اذا ارسلنا اليكم رسولا فذلك يعني اننا منتصرون وان الرياض عادت الى امرائها السعوديين .

وادمعت عيون الرجال الستين وهم يسمعون بيان عبد العزيز .

وعادوا الى الهتاف : ارواحنا ودماؤنا فدى عبد العزيز بن عبد الرحمن السعودي .



الفصل الثالث

عبد العزيز آل سعود

الليلة ليلة الرابع من شهر شوال عام ١٣١٩ هـ. ١٩٠٢ م. والامير الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يزحف برجاله الاربعين الابطال الى الرياض في مغامرة رهيبة لم يشهد مثلها التاريخ .

وكان البرد قارسا .

والعاصفة عاتية هوجاء تهب على الصحراء فتنثر الرمال وتعصف باغصان النخيل فتتمايل الاغصان بين يديها مرسلة حفيفا عميقا كانه انات الجريح الموجوع .

فالشتاء يطل على الصحراء قاسيا شديد البرد .

وكانون الثاني من عام ١٩٠٢ «شوال ١٣١٩» يزخر بالرياح العاتية والقر الشديد .

والغمام تحجب القمر والنجوم فيسدل الظلام على الصحراء وشاحه القاتم العميق .

والهدوء والسكون يبسطان على البادية اجنحتهما ، فما هناك همسة ولا حركة ولا صوت ..

بلى ، هناك وقع اقدام الابطال السعوديين . عبد العزيز بن عبد الرحمن وشقيقه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوى ورجالهم الاربعون،

يسيرون على قوة وبأس واندفاع لا يأبهـون للبرد القارس ولا يعيرون الرياح العاتية اي اهتمام ، يلفهم الصمت الرهيب ، ويبسط عليهم الليل وشاحه القاتم السواد .

وكان الفتى الجريء الباسل عبد العزيز يسير في المقدمة ، فيندفع وراءه رجاله على صمت عميق سحيق .

ولم يتوقف موكب عبد العزيز عن المسير الا وقد بلـغ البساتين الخضراء المنبسطة في ضواحي الرياض على هنأة وسلام .

وتوقف عبد العزيز عن المسير ، وقد بلغ البساتين .

وكانت النواعير ترسل زفراتها فيردد صدى الزفرات الليل البهيم ، ليزيد الليل رهبة ، والظلام خشوعا .

والرياض تهجع في حضن الظلام .

والرياضيون نيام لا يعلمون ما يخبىء لهـم الغد من المفاجئات والاسرار .

فالليل اجتاز اشواطه الاولى وبدأ يقترب من طلائع الفجر البعيد .

ووقف عبد العزيز بين رجاله ، قائلا : هنا ستنتظروني ايها الرفاق الابطال .

فوجفت القلوب .

وتطلعت العيون الى الفتى المقدام متسائلة : ماذا ينوي عبد العزيز؟ هل يريد اقتحام الرياض وحده ؟

وتابع عبد العزيز كلامه :

قال : انها لمجازفة كبرى اجازف فيها بحياتي ، ولا اريد ان اجازف بحياتكم ايها الابطال .

فتعالى الهمس : ارواحنا فدى الامير . لن ندعك تقـدم وحدك على المغامرة يا اميرنا المحبوب .. اننا لنتقدمك في الطريق الى الرياض .

قال بحزم وعناد : لا .. هنا ستظلون .
فانبرى شقيقه محمد ، يقول : اسير امامك يا اخي .
وقال ابن عمه عبد الله بن جلوى : يصيبنا ما يصيبك ، وينزل بنا ما ينزل بك . لن تسير خطوة واحدة ، الا ونكون فيها الى جانبك .

قال : سيرافقني ابن عمي عبد الله بن جلوى .
فهتف الرجال : ونحن يا اميرنا ، سنكون الى جانبك .
قال : لا .
فتعالى الهمس ، وانتشر الاحتجاج .
وكلهم يريدون ان يشتركوا في المغامرة الكبرى ، وان يسفحوا دماءهم الزكية على تراب الرياض .

فما كان من عبد العزيز الا انه اختار خمسة منهم قائلا : سنكون ثمانية رجال فقط . نقتحم الرياض على سكينة وحذر وهدوء فلا نثير انتباه جنود عجلان عميل ابن الرشيد ، حتى اذا تكللت مغامرتنا بالنجاح ارسلت في طلبكم .

وصمت الامير السعودي برهة ليعود الى الكلام فيقول : اما اذا قدر لنا الفشل ، فيقتصر عدد الضحايا على ثمانية .
كان عبد العزيز مصمما على تحرير الرياض .
كان عازما على عدم العودة الى الكويت . اما ان يحرر الرياض ، وينتصر ، ويقصي رجال ابن الرشيد عنهـا ، واما ان يسقط شهيدا في ساحة الوغى والجهاد .

كان عبد العزيز حازما حاسما صارما عنيدا .
وادرك رجاله الثلاثة والثلاثون ان احتجاجهم لن يجديهم نفعا ، وان عليهم الامتثال لاوامر الامير العنيد .
وودعهم الامير واحدا واحدا .

وعانقهم .
وقبل اخاه محمد قائلا : انتظرني هنا مع الرجال .
وسار برجاله السبعة الى الرياض .
ولم يلقوا عناء في الدخول الى الرياض .
فالرياض هاجعة نائمة .
وظلام الليل يلفها بوشاحه .

والبرد القارس الشديد سجن الرياضيين في منازلهم ودفع بهم الى الفرش يندسون فيها ويستسلمون لسلطان الكرى العميق .

وجنود الامير عجلان يعتصمون في حصن « المصمك » آمنين مطمئنين .

فلم يثر دخول عبد العزيز ورجاله السبعة الى الرياض انتباه احد.

والتفت الامير عبد الله بن جلوى الى عبد العزيز ، يسأله ، وقد بلغوا كبد الرياض : ماذا سنفعل الآن يا عبد العزيز ، والى اين نقصد ؟

واجاب عبد العزيز : وجهتنا دار عجلان .. سنقتحم دار عميل ابن الرشيد ونعتقله وهو في فراشه .

فوجم الجميع .

وقال عبد الله : هل يخيل اليك ان ليس ثمة في دار عجلان حراس وجنود ؟ ايكون اعتقال عجلان ميسورا بهذه السهولة يا عبد العزيز ؟

قال الامير الفتى : اطمئن يا عبد الله . نحن لن نقتحم دار عجلان قبل ان نمهد السبيل الى اقتحامها . لن ندخل دار عجلان من بابها .

قال ابن جلوى : ومن اين ستدخل اذن ؟

فدهش الرجال السبعة لما يقول عبد العزيز .

فأوضح عبد العزيز : بالقرب من دار عجلان تقع دار نسيبنا جوير تاجر الابقار ، سندخل الى دار جوير ، ومن دار جوير نقفز الى دار

عجلان •

وشخص عبد العزيز برجاله السبعة الى دار جوير على حذر وهدوء
ووقف عبد العزيز امام دار جوير يطرق الباب •
فلم يلق جوابا ••
وأعاد الطرق دون جدوى •

فأدرك الامير السعودي ان اهل الدار نيام ، لا سيما والليل جاوزا الانتصاف ، والبرد قارس شديد • فراح يمعن في طرق الباب ••
واذا بصوت امرأة يتعالى من داخل الدار : من الطارق ؟
فعرف عبد العزيز الصوت • انه صوت زوجة جوير •
فتمتم : افتحي الباب يا امرأة •
قالت زوجة جوير : من انت ؟
قال : نحن رجال الامير عجلان • نريد ان نشتري الابقار •
فهتفت على وجل : افي مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل تأتون الينا ، لتشتروا الابقار ؟ عودوا بعد انبلاج الصباح •

فهتف عبد العزيز : سنحطم الباب اذا لم تفتحوه • والويل ثم الويل لكم من غضب اميرنا عجلان •

وتعالى صوت الزوج ، صوت جوير : لن نفتح الباب في مثل هذه الساعة ، انكم من اللصوص ، اليكم عنا •

فصرخ به عبد العزيز : سنحطم الباب ونقودكم الى السجن بأمر الامير عجلان • افتحوا الباب ، وثقوا اننا لسنا لصوصا ، واننا نريد شراء الابقار •
وساد المكان الصمت ••
دقائق قليلة وفتح الباب •
وأطل منه جوير يحمل شمعة بيده ، والغضب الشديد يطل من

عينيه •

وعلى ضوء الشمعة الواهي الضئيل شاهد جوير وجه عبد العزيز•

فهتف : عبد العزيز ؟ أأكون في يقظة ام تراني في حلم ؟

وهمس عبد العزيز : مهلا يا ابن العم • لا تنطق باسمي لئلا تثير اتباه الجيران • اجل انا عبد العزيز •

وارتمى جوير على صدر عبد العزيز يعانقه ويبكي وهو يهمس : عبد العزيز ! عبد العزيز ! اهلا بك يا حامي الديار •

ودعا جوير عبد العزيز ورجاله الى الدخول •

فدخلوا ••

وهبت زوجة جوير واولاده ، وقد شاهدوا نسيبهم ، هاتفين : ابن عمنا عبد العزيز ؟ يا فتى العروبة المقدام •• مرحبا بك يا عبد العزيز• لقد وطأت سهلا وحللت اهلا يا ابن عمنا •

وخشي عبد العزيز ان يفضح هتاف القوم وترحيبهم امره ، فدعاهم الى الاعتصام بالصمت •

ودخل بهم الى غرفة من غرف الدار ليقول : انا ما جئت اليكم الا لاستعيد عرش والدي • سأحرر الرياض واعتقل عجلان •

فتحول الفرح في قلوبهم الى ذعر •

ولمس عبد العزيز خوفهم فهمس : لا تنبسوا بكلمة ، ولا تخرجوا من هذه الغرفة • اطمئنوا ستكونون في مأمن من كل خطر •

وهمس جوير : اطمئن يا ابن العم • لن تلقى منا الا كل ما تريد وتصبو اليه •

وخرج عبد العزيز من الغرفة ، واقفل الباب على جوير واسرته بالمفتاح •

وراح يتفحص تلك الدار آملا العثور على منفذ منها الى دار

عجلان •

الا انه اكتشف ان هناك دارا اخرى تفصل بين دار عجلان ودار جوير ، وكان عليه ان يصل الى تلك الدار المجاورة قبل ان يصل الى دار عجلان •

ليس ثمة سبيل للوصول الى دار عجلان الا في الوثوب الى تلك الدار الفاصلة بين دار جوير ودار عامل ابن الرشيد ••

والتفت عبد العزيز الى رجاله السبعة قائلا : الحقوا بي •

ولحقوا به الى السطح ، الى سطح دار جوير •

ومن السطح قفزوا الى سطح الدار المجاورة •

ثم تسللوا الى داخل الدار ••

وهناك في تلك الدار وجد عبد العزيز رجلا وزوجته يغطان في نومهما ، فوثب اليهما يلفهما بالفراش ويصرخ بهما : لا نريد بكما شرا ، ولكن اياكما ان تنبسا بحرف •

ولم يكن باستطاعة الزوج وزوجته ان ينطقا بحرف ، فالخوف الشديد عقد لسانيهما •

وأطل عبد العزيز من نافذة تلك الدار ليكتشف ان الوصول منها الى دار عجلان سهل ميسور ••

واطمأن •••

وأدرك ان مهمته ستكلل بالنجاح ، فنادى اليه احد رجاله وقال له: اسرع بالعودة الى البساتين وقل لأخي محمد ان يحضر برجاله الينا • سنكون في انتظارهم هنا في هذه الدار •

واسرع الرجل الى البساتين يدعو الامير محمدا الى موافاة شقيقه عبد العزيز ••

وما هي دقائق قليلة حتى كان ثلاثة وثلاثون رجلا يدخلون

الرياض بقيادة الامير محمد ، ويشخصون الى تلك الدار القريبة من دار عجلان حيث كان عبد العزيز ورجاله السبعة بانتظارهم .

وما ان وصل الامير محمد ورجاله ، حتى كان عبد العزيز يدعوهم لاحتلال دار عجلان ..

وزحفوا من تلك الدار الى دار عجلان .

وتسلقوا الجدران على الاكتاف . على اكتاف بعضهم بعضا ، واذا بهم جميعا داخل دار عجلان .

ووثب عبد العزيز الى احد غرف الدار ، وقد ادرك انها غرفة نوم عجلان .

وفتح الباب وصرخ : انت اسيرنا يا عجلان .. اياك ان تتحرك .

الا ان الامير السعودي وجم ، وهو يشاهد زوجة عجلان تهب من فراشها على ذعر ..

فصرخ بها : اين هو زوجك ؟

وهمست الزوجة : عجلان ليس هنا .

قال : وهذا الذي يرقد بجانبك ؟

قالت : انها اختي .

ونهضت اختها والذعر يطل من عينيها .

فعاد عبد العزيز الى السؤال : اين هو عجلان ؟

وكان الخوف قد بدأ ينجلي عن قلب زوجة عجلان .

وتعرفت الى عبد العزيز فهتفت : عبد العزيز ! انت تعلم انني من آل سعود ، وانني ادين لكم بالولاء . الا ان عجلان زوجي فلا اريد ان ينزل به شر . قل لي يا عبد العزيز ماذا تريد ان تفعل به ؟

قال : اطمئني . لن نمسه بسوء اذا لم نلق منه مقاومة .. قولي لي اين هو عجلان ؟

قالت : عجلان لا ينام في هذه الدار . فهو حريص على حياته ، انه لينام هناك في الحصن المجاور ، في حصن المصمك مع رجاله .

قال : ومتى سيخرج من الحصن ؟

قالت : لن يخرج من المصمك قبل بزوغ الشمس .

فأدرك عبد العزيز انه اخطأ التقدير .

خيل اليه انه سيعتقل عجلان في فراشه ، فاذا به يجد في ذلك الفراش الزوجة واختها ..

اما عجلان فقد افلت من يده .

وكان عليه ان ينتظر بزوغ الشمس ، موعد خروج عجلان من الحصن ، وكان ثمة زهاء ساعتين لبزوغ الشمس ، فماذا عليه ان يفعل ؟

واستشار رجاله الاشاوس فأشاروا عليه بالعودة الى البساتين ، وبالابتعاد عن الرياض .

قالوا : فلنخرج من هذه الدار ، ولنعد ادراجنا قبل فوات الاوان ، ما دامت الخطة المرسومة قد باءت بالفشل ، وما دمنا قد عجزنا عن اعتقال عجلان في فراشه فليس ثمة امامنا الا العودة والنجاة .

فهدر الامير الفتى : لا ، لن نعود . لقد اقسمت على احتلال الرياض . اما تحرير الرياض واما الموت فيها . عبد العزيز لن يعود ادراجه ، فاذا اردتم العودة فانا لا اطلب اليكم البقاء بجانبي ، لكم الخيار يا اصدقائي ، في العودة الى الكويت او في البقاء الى جانب عبد العزيز .

فهتفوا : سنظل الى جانبك يا اميرنا . اما ان نحيا معك ونحقق ما نصبو اليه . واما ان نموت معك .

قال : لا بد لنا من اعتقال عجلان .

قالوا : ولكن عجلان يعتصم بحصن المصمك ، وهو ليس وحده

في الحصن ، جنوده يحيطون به ويدافعون عنه ٠
قال : سنحاربهم ٠

قالوا : ولكننا دونهم عددا ٠ نحن اربعـون ولا نعلم كم يبلـغ عددهم ، اننا ندرك ان في الحصن اكثر من مئة جندي ٠

قال : اننا لهم مهما بلغ عددهم ٠٠ سنرقب بزوغ الشمس ومعهـا اطلالة عجلان من المصمك ، وعندئذ يبقى لكل حادث حديث ٠

وكان لديهم متسع من الوقت ٠

فطلب عبد العزيز الى زوجة عجلان والى اختها والى خادماتهما ان يدخلن الى احدى غرف الدار ٠

ثم اقفل عليهن الباب وعاد الى رجاله يتناول معهم بعض ما يحملون من الطعام ٠

وما ان انهوا تناول الطعام حتى نهضوا يؤدون صلاة الصباح ٠ ويقيمون على انتظار بزوغ الشمس ٠

٢

عيد الرياض

وبزغت الشمس ٠٠

شمس الخامس من شوال «١٣١٩ هـ٠ ١٩٠٢ م» حاملة مع انوارها الدافئة من وراء الغمام صباحا جديدا ساطعا على الرياض ٠

بزغت شمس الخامس من شوال لتنشر معها على نجد نورا رائعا من الحرية ، والسعادة ، والمدنية ، والعلم والرقي والجمال ٠

ذاك الصباح ، صباح الخامس مـن شوال ١٣١٩ ـ ١٩٠٢ نشر مع انواره اسم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وسجله بطلا من ابطال العالم العربي الميامين •

هذا البطل ، الذي خلد ذكراه التاريخ ، كان اول مغامر عربي يثور على الظلم والعبودية والطغيان ، ويبرهن للعـالم ان الشجاعة تتفوق ابدا على العدد والعدة والعتاد ، وان الايمان قوة هائلة تستطيع ان تفعـل العجائب ، وان العين تستطيع ان تقاوم المخرز اذا كان سلاحها الايمان •

كان لا بد لعبد العزيز ان يعمل بسرعة للتغلب على عجلان •

الا ان احد رجاله ارتأى اللجوء الى الحيلة •

قال : الحيلة وحدها تضمن لنا الانتصار يا اميرنا •• ارى ان اتنكر بثوب المرأة التي اعتادت ان تفتح باب هذه الدار لعجلان ، وما ان تطأ قدما عجلان الدار حتى نطبق عليه ونفتك به ونقضي على رجاله القلائل الذين يرافقونه •

فرد الامير : لا •• لن نلجأ الى الحيلة ، وما الحيلـة الا سلاح الجبان الوضيع ، سنجابه عجلان وجها لوجه ، فاما ان يكتب لنا النصر، واما ان يصل عجلان الى داره هذه على جثثنا •

واطل عبد العزيز من النافذة المطلة على حصن المصمك ، والدار تلك ، دار عجلان ، لم تكن تبعد عن الحصن الا خطوات قليلة ، يرقب خروج عجلان من الحصن ••

ولم يطل انتظاره •

دقائق قليلة وفتح باب الحصن ليخرج منه عجلان يرافقـه عشرة جنود مدججين بالسلاح •

وثار عبد العزيز ، وعيناه تقعان على خصمه اللدود •

فاذا به يندفع كالعاصفة العاتية الهوجاء نحو عجلان •

ولحق به رجاله ..

والتفت عبد الله بن جلوى الى اربعة من الرجال قائلا لهم : ابقوا هنا في الدار ، يمكنكم ان تطلقوا الرصاص من النوافذ على رجال عجلان .

قال ابن جلوى هذا ، واندفع مع الرجال في اثر عبد العزيز ، في حين ظل الرجال الاربعة في الدار يطلون ببنادقهم من النوافذ .

وشاهد عجلان وجنوده ، عبد العزيز ورجاله يندفعون نحوهم على ثورة وجنون فذعروا ، وهلعوا ، ودب الخوف في قلوبهم ، وقد خيل اليهم ان عبد العزيز احتل الرياض وان جيشه الجرار يحتل المدينة .

ولم يخطر في بال عجلان ، ولا خطر في بال جنوده ان ليس ثمة مع عبد العزيز سوى اربعين رجلا .

وارتد الجنودالعشرة عائدين الى الحصن، والذعر يعصف بقلوبهم.

وحاول ،عجلان ان يلحق بجنوده الى الحصن ويعتصم فيه الا ان عبد الله بن جلوى رماه بحربة اخطأته ، واستقرت في باب الحصن «وما زالت الحربة في ذلك الباب حتى اليوم» .

واشتد الهلع بعجلان وهو يشاهد تلك الحربة تمر ازاء اذنه .

وقبل ان يستعيد روعه وجد نفسه امام عبد العزيز وجها لوجه .

ولم يكن امام عجلان الا احد امرين : اما الهرب ، وهو عاجز عنه ، واما الدفاع ، وهو غير قادر عليه .

واذا به يستل سيفه محاولا اغماده في صدر عبد العزيز .

فما كان من عبد العزيز الا انه شهر بندقيته واطلق منها رصاصة واحدة استقرت في كتفه .. ولم يسقط عجلان ، بل هو وثب الى عبد العزيز والسيف بيده محاولا قطع رأسه .

فاتقى عبد العزيز الطعنة بكوفيته ، فهو قد غطى بيسراه وجهه

بالكوفية ، في حين شدت اصابع اليد اليمنى زناد البندقية ..

وانطلقت رصاصة من بندقية عبد العزيز لتستقر في يد عجلان .

وسقط السيف من يده .

وسمع عبد العزيز صوت سقوط السيف على الارض فأدرك ان رصاصته اصابت خصمه ، فرفع الكوفية عن وجهه ليشاهد عجلان اعزل يعدو نحو باب الحصن محاولا الدخول اليه ، والدماء تنزف من جراحه.

وعدا عبد العزيز في اثر عجلان .

وادركه على عتبة الباب، فأمسك بقدمه، محاولا منعه من الدخول.

فما كان من عجلان الا انــه رفس عبد العزيز واستطاع ان يفلت منه ، ودخل الى الحصن .

حاول عبد العزيز ، وهو الفتى الثائر الباسل ، ان يلحق بعجلان الى الحصن .

الا ان رجاله ، وقد خافوا عليه ، منعوه ، وحالوا بينه وبين اقتفاء اثر عجلان ، وهم لا يجهلون ان جنود عجلان سيقضون عليــه ان هو دخل عليهم في حصنهم المنيع .

في هذه الاثناء بدأ الرصاص ينهال علــى عبد العزيز ورجاله من الحصن .

فرد عليهم رجال عبد العزيز الاربعة المعتصمون في دار عجلان .

وبدأ الرصاص ينهال من جنود عجلان ، ومن رجــال عبد العزيز الاربعة .

واذا بعبد الله بن جلوى يندفع نحو الحصن .

واذا بعبد العزيز يندفع مع ابن عمه عبد الله .

ويلحق بهما الامير محمد شقيق عبد العزيز .

واندفع وراءهم الرجال كالعاصفة الصاخبة الهوجاء .

واذا بعبد العزيز ورجاله الاربعين داخل الحصن .
وكانت المعركة هائلة مروعة رهيبة .
كان ثمة في الحصن زهاء مئة جندي من جنود عجلان .
ولم يكن عدد رجال عبد العزيز ليزيد على الاربعين رجلا .
الا ان الشجاعة تغلبت على العدد .

والاربعون الذين كانوا برفقة الامير عبد العزيز استطاعوا ان ينتصروا على رجال عجلان .

ذلك لان العقيدة تلعب دورها في نفوس المقاتلين .
رجال عبد العزيز كانوا اصحاب حق يقاتلون بعقيدة وايمان .
وجنود عجلان كانوا مأجورين يدافعون عن عجلان ولا هدف لهم الا انقاذ قائدهم .

لا عقيدة يدينون بها ولا ايمان بحق يهيب بهم الى الاندفاع والاستبسال .

وفيما القتال يدور بضراوة بين رجال عبد العزيز ورجال عجلان ، كان عجلان ، وهو جريح برصاص عبد العزيز ، يحاول جاهدا القضاء على عبد العزيز .

الا ان عبد الله بن جلوى وثب اليه شاهرا مسدسه .
واذا برصاص ابن جلوى ينهال على عجلان فيسقط عامل ابن الرشيد صريعا .

وشاهد جنود عجلان سيدهم يلفظ انفاسه ، وقد جندله رصاص ابن جلوى ، فدب الذعر في نفوسهم .

وحاول من بقي منهم على قيد الحياة الهرب ولجأوا الى ابراج الحصن .

فاندفع رجال عبد العزيز في أثرهم يمعنون بهم فتكا وتنكيلا

فسقط البعض منهم صرعى ، وهوى البعض الآخر عن ابراج البرج ليصل الى الارض محطما شر تحطيم •

وامتلأ حصن المصمك بالجثث ••

ولم يبق من جنود عجلان غير جنديين اعتصما في احد ابراج الحصن •

فانتضى رجال عبد العزيز سيوفهم واندفعوا اليهما محاولين القضاء عليهما •

فما كان من الجنديين الا انهما رفعا ايديهما مستسلمين •

وحاول رجال عبد العزيز ذبحهما فما كان من عبد العزيز الا انه اندفع الى رجاله يأمرهم بارجاع السيوف الى اغمادها •

وارجعت السيوف الى الاغماد •

ووقف عبد العزيز بين جنوده هاتفا بهم : نحن لا نبتغي القتل الا دفاعا وصونا لحياتنا • من يطلب الاستسلام نسلمه ، ومن يطلب الامان نؤمنه •

ثم التفت الى الجنديين قائلا : اطمئنا لن يمسكما احد بسوء •

فالشهامة العربية كانت تحتل قلب ذاك الفتى الباسل المقدام ، والمروءة كانت من ابرز وارفع مزاياه الحميدة العديدة •

واستسلم الجنديان لرجال عبد العزيز •

ثم اصبحا من اخلص جنود ذلك البطل الجريء المقدام •

وسقط حصن المصمك في يد عبد العزيز •

واصبح عبد العزيز بن عبد الرحمن سيد الرياض المطلق السلطان•

ولم يستغرق استيلاء عبد العزيز على الحصن والقضاء على عجلان وجنوده اكثر من ساعة •

جرى كل ذلك ، والرياض لا تزال في هدأة الصباح وسكونه •

وكان بعض الرياضيين لا يزال يغط في نومه ، والبعض الآخر قد بدأ يخرج الى عمله .

وقد ساعدت السكينة والهدوء عبد العزيز على الانتصار السريع.
ووقف عبد العزيز بين رجاله .
ورفع نظره الى السماء متمتما : شكرا لك يا ارحم الراحمين .
واغمض عينيه .
وغاب في صلاة صامتة خاشعة رهيبة .
لقد كان عبد العزيز بن عبد الرحمن رجلا مؤمنا ورعا تقيا .

وكان يدرك ان الله هو الذي نصره على اعدائه واعاد الى آل سعود حقهم السليب .

وفي حين كان رجال عبد العزيز يرفعون الجثث وينقلونها الى الخارج ، دعا الفتى السعودي الباسل أحد رجاله الابطال وأمره بأن يخرج الى المدينة وينادي معلنا استيلاءه على الرياض .

وخرج المنادي الى دكة عالية تنتصب في كبد المدينة .

ونادى : « الحكم لله اولا ثم للامير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود » .

ودهش الرياضيون وصوت المنادي يقع في آذانهم .
وتساءلوا : أنكون في حلم رائع جميل ؟ هل يمكن هذا ؟

وعاد صوت المنادي يرتفع فتردد صداه ارجاء الرياض : « يا ابناء الرياض ! لقد نصر الله الامير عبد العزيز ، فهو اليوم سيد الرياض واميرها وحاكمها ومنقذها من الجور والظلم والطغيان » .

واستفاقت الرياض ، في ذلك الصباح الباسم الوضاح الجبين ، صباح الخامس من شوال ١٣١٩ « ١٢ كانون الثاني ١٩٠٢ » على فرحة طلقة بعيدة المدى عميقة القرار .

وهب ابناء الرياض ، والفرحة تغمر قلوبهم وتبسط على مدينتهم وشاحها الفاتن الجميل •

استيلاء عبد العزيز على الرياض اراحهم من جور وطغيان عجلان الذي كان يرهقهم ويظلمهم ويبطش بهم •

وكان عجلان يفرض على ابناء الرياض جزية لا ضريبة •

كان يجمع منهم الجزية تشفيا وانتقاما ، وهو لا يجهل ان الرياضيين يدينون للامير عبد الرحمن السعودي بالولاء •

وكان عجلان قد فرض جزية ثلاثين الف ريال على الرياضيين صباح عيد الفطر المبارك ، قبل مصرعه بايام قليلة ، لذلك ما ان وصل نبأ استيلاء الامير عبد العزيز على الرياض حتى هب الرياضيون فرحين مستبشرين منادين : « يا للفتى الباسل المغوار •• النصر لعبد العزيز•• ارواحنا فداك يا ابن عبد الرحمن » •

واندفعوا جماهير غفيرة الى حصن المصمك يبايعون الامير عبد العزيز ويعلنون له الطاعة والولاء •

وساروا الى الامير الوسيم يقبلون يديه ويذرفون امامه دموع الفرح والبهجة •

ويسألون : « اين والدنا عبد الرحمن ؟ » •

وطمأنهم ، وقد غمرت قلبه الغبطة والسرور لهذا التأييد : والدي سيكون بينكم بعد ايام قليلة يا اخواني • اطمئنوا لن نبتعد عنكم بعد اليوم • هنا ، معكم سنظل ، ولن يستطيع الظالم ان يفرق بيننا •

وطفر الرياضيون الى الشوارع ، يرقصون ويغنون ، ويبتهجون ، طيلة ذلك النهار الوضاح الجبين •

وعندما حل المساء تلألأت الانوار ، واشعلت نيران الفرح والابتهاج على سطوح المنازل وفي الشوارع •

وخرج الامير المنتصر ورجاله اليهم يحيونهم ويشكرونهم ويشاركونهم الطعام •

فالرياض في عيد •
الرياضيون على فرحة طلقة هانئة سمحاء •
وما زالت الرياض في عيد •
عيد الرياض استمر خمسين سنة ، وهو سيستمر ، ما دام آل سعود يحكمونها على عدل وانصاف •

٣

العودة الى العرين

على مقربة من الرياض ، على مسافة تبعد زهاء ساعتين عن المدينة، كان رجال عبد العزيز العشرون الذين امرهم الامير السعودي بالانتظار هناك ، لا يزالون ينتظرون •

وكانوا على قلق وحيرة واضطراب •

الامير عبد العزيز طلب اليهم ان ينتظروا هناك ريثما ترد اليهم اخباره • وقال لهم : « انتم ستعودون الى الكويت بخبر رهيب ، اما ان تحملوا الى والدي والى صديقنا امير الكويت نعيي ، واما ان تحملوا اليهما نبأ انتصاري » •

واقاموا يرقبون الخبر ، الذي سيحملونه الى الكويت والقلق يستبد بهم •
الا ان انتظارهم لم يطل •

فقد اقبل اليهم فارس من فرسان الامير في اليوم التالي حاملا اليهم البشرى : « لقد انتصرنا وسقطت الرياض » .

وهلل الابطال العشرون .

واندفعوا يعانقون بعضهم ، ودموع الفرح تترقرق في المقل .

وروى لهم الفارس العربي تفاصيل معركة الانتصار ، فتحول فرحهم الى فخر واعتزاز .

اميرهم انتصر برجاله الاربعين على جنود عجلان الكثيرين .

اربعون رجلا يحتلون الرياض ويعيدون اليها مجد آل سعود .

انها لمعجزة من السماء .

لقد قيل : ان عبد العزيز بن سعود احتل الرياض بستين رجلا ، الا ان ما قيل لا ينطبق على الواقع .

عبد العزيز احتل الرياض وحررها وبسط سلطانه عليها بأربعين رجلا لا بستين .

وحاول الرجال العشرون الانطلاق الى الرياض ليشاركوا قائدهم فرحته ، ويحملون اليه التهاني ، الا ان رسول الامير حال بينهم وبين ما يبتغون .

قال : « يأمركم الامير بالعودة الى الكويت . سيروا الآن فورا الى الكويت واحملوا للامير عبد الرحمن البشرى ، ثم عودوا به في موكب مهيب الى الرياض . الرياضيون يتلهفون شوقا الى اميرهم عبد الرحمن. اننا في انتظار عودتكم بالامير عبد الرحمن على أحر من الجمر » .

وانطلق الفرسان العشرون الى الكويت .

فوصلوا اليها في الصباح الباكر .

وكان الامير عبد الرحمن قلقا على ابنه وعلى رجاله .

ولم يكن قلق الامير عبد الرحمن ، بأقل من قلق صديقه مبارك

الصباح امير الكويت •

وكان الامير الصباح على يقين من ان عبد العزيز لاقى حتفه •

فليس من المعقول ان ينتصر عبد العزيز بستين رجلا على جنود عجلان ، ولا من المعقول ان يتمكن عبد العزيز من تحرير الرياض ، وفي الرياض يتمركز جيش ابن الرشيد •

وكان الامير الصباح قد احاط صديقه الامام عبد الرحمن بالعطف وبالحنان •

هذا رجل كسير الخاطر ، مهيض الجناح ، فقد ابنه ، وسينزل الحزن على ابنه معه الى القبر •

كان الامير مبارك الصباح موقنا ان عبد العزيز بات من الاموات ، ولذلك فهو قد اوصي الحرس بان يحولوا دون وصول اي فارس قادم من الرياض الى الامام عبد الرحمن خشية ان يقضي خبر مقتل عبد العزيز على والده •

ووصل الفرسان العشرون القادمون من ضواحي الرياض الى الكويت ليجدوا حرس الامير الكويتي في انتظارهم •

وعندما حاول الفرسان العشرون الانطلاق الى دار الامير عبد الرحمن حال حرس الامير مبارك الصباح بينهم وبين ما يبتغون ، وقادوهم الى قصر الامير مبارك •

واستقبلهم الامير الصباح والحزن يطل في عينيه •

وتمتم قبل ان ينطق فارس منهم بحرف : « لا تخبروا الامام عبد الرحمن بمقتل عبد العزيز لئلا يسحقه الحزن ويقضي عليه • انا سأتولى حمل نبأ الكارثة اليه •• »

وقبل ان ينطق فارس منهم بحرف ايضا تابع الامير الصباح كلامه قائلا : ألم ينج غيركم ؟ هل قتل رفاقكم كلهم ؟ اخبروني كيف صرع

البطل عبد العزيز ؟

وجاء الجواب مذهلا : قال احد الفرسان : لقد سقطت الرياض ، وانتصر عبد العزيز • اميرنا لم يمت يا سيدي ، ورجالنا لم يقضوا • لقد قتل عجلان وحرر الامير عبد العزيز الرياض •

وعقدت الدهشة لسان الامير مبارك الصباح •

وهمس : ماذا تقولون ؟ هل انتصر عبد العزيز ؟

قالوا : هذه هي الحقيقة • الرياض الآن في فرحة طلقة ، وعبد العزيز بات سيدها المطلق السلطان •

وهب الامير مبارك الصباح منطلقا مع الفرسان العشرين الى دار الامام عبد الرحمن حاملا اليه البشرى •

وادمعت عينا الامام عبد الرحمن ، ونبأ انتصار ابنه يقع منه في الاذنين •

وفي اليوم التالي كان الامام عبد الرحمن يودع صديقه الحميم مبارك الصباح ، وينطلق باسرته عائدا الى الرياض الحبيبة •

لقد عاد الأسد الى العرين •

ودخل الامام عبد الرحمن الرياض في موكب حافل مهيب •

وجرى له استقبال رائع •

وزحف ابناء الرياض ، كبارهم وصغارهم ، لاستقبال امامهم العائد اليهم بعد طويل اغتراب •

لقد خرج الامام عبد الرحمن من الرياض ، منذ سنوات طريدا شريدا ، وهو يعود اليها اليوم على عظمة ومجد ووقار •

وعهد عبد العزيز الى والده بادارة شؤون المدينة •

لقد اعاد اليه عرشه السليب •

امير الرياض المهاطر المغترب ، عاد اميرا للرياض •

وتولى الامير عبد العزيز الشؤون العسكرية ، فهو يعلم ان معركته مع ابن الرشيد لم يكتب لها الانتهاء ، وانه ما زال منها في أول الطريق •

ورأى الفتى الباسم المقدام ، الحكيم على صغر سنه ، ان يعيد تحصين الرياض تحسبا للطوارىء •

والطوارىء المتحسب لها هي زحف ابن الرشيد بجيشه الى الرياض ، انتقاما لعامله ولجنوده ولكرامته السليب وسمعته العسكرية التي مرغها فتى في العشرين من العمر بالوحول •

فأمر عبد العزيز باعادة ما تهدم من حصن المصمك ، وباقامة الابراج والاسوار حول الرياض •

وبدأ بتجهيز جيش نظامي من فتيان القبائل ، من اصدقائه ، ومن اقاربه ، وفتيان الاسر الرياضية الكريمة ، فكان له جيش صغير ، الا انه قوي باسل شجاع •

واقام يرقب انباء خصمه عبد العزيز بن الرشيد •

وابن الرشيد ، كان يعسكر في « صقر الباطن » تأهبا للهجوم على الكويت والاستيلاء عليها والقضاء على اميرها مبارك الصباح القضاء المبرم يوم وصله النبأ المفجع ، نبأ مصرع عامله عجلان وانتصار عبد العزيز وعودة الاسرة السعودية الى الحكم في الرياض •

ووجم ابن الرشيد ، والخبر المؤلم يقع منه في الاذنين •

ولم يلبث الوجوم ان تحول في قلبه الى غضب ونقمة وثورة لاهبة حمراء : كيف يجرؤ ابن عبد الرحمن ، الفتى عبد العزيز على التصدي له واقتحام الرياض ؟ وكيف تمكن من قتل عجلان واقتحام حصن المصمك المنيع واحتلال الرياض ؟ ما عجز عنه الوالد حققه الابن ، انها لكارثة تنقض على ابن الرشيد انقضاض الصاعقة الماحقة الهادمة •

وفكر ابن الرشيد بالزحف الى الرياض لتأديب عبد العزيز وتقليم اظافره ، والقاء درس عليه لا ينساه طيلة حياته ، فيكون عبرة لكل من يفكر في التطاول الى مقامه السامي الرفيع والنيل من كرامته وسمعته وسلطانه •

وعرض ابن الرشيد الفكرة على قواده ، فلم تلق قبولا لديهم ، وقد خشوا قوة عبد العزيز من جهة •

وخافوا ثورة ابناء نجد عليهم وانضمام قبائلها الى صف ابن عبد الرحمن من جهة ثانية •

لا سيما المسافة بين « صقر الباطن » وبين الرياض شاسعة طويلة لا يمكن اجتيازها ــ يومذاك ــ في يوم ولا في يومين ، ولا حتى في ثلاثة او اربعة ايام ، ومن الان حتى يتم لهم الوصول الى الرياض يكون عبد العزيز بن عبد الرحمن قد استعد للحرب وجهز جيشه وحصن المدينة التي احتلها وحررها •

ويكون الذي ضرب قد ضرب والذي هرب قد هرب وانتهى كل شيء ••

ونصح القواد ابن الرشيد بالتريث ريثما يدرسون ويرسمون خطة يستطيعون تحقيقها ويضربون ابن عبد الرحمن فيها الضربة القاصمة •

فنزل ابن الرشيد عند رأى قواده •

واقام على احر من الجمر يرقب الساعة المرجوة ، ساعة يزحف بجيشه الى الرياض ويقتص من عبد العزيز آل سعود •

وعبد العزيز لم يكن نائما على حرير وثير بل كان يقظا • يعمل على تثبيت العرش السعودي ، وتوطيد اركانه ، ليس في الرياض فحسب ، بل في نجد بكاملها •

كان عبد العزيز ينظر الى البعيد البعيد •

يرسم ويخطط وينفذ ، وهو لا يجهل انه سيكون هدفا لانتقام ابن الرشيد لتفجير بركان غضبه وحقده ونقمته ، فراح يعمل على اكتساب تأييد رؤساء القبائل والزعماء والشيوخ ، وهؤلاء كانوا يؤيدون عبد العزيز كل التأييد لسببين : الاول لاعجابهم بهذا الفتى المقدام الجريء الشجاع ولولائهم للاسرة السعودية الكريمة . والثاني : لنقمتهم على آل الرشيد الذين كانوا يظلمونهم ويثقلون كواهلهم بالجزية وبفرض الضرائب الباهظة عليهم .

واستطاع عبد العزيز ، بمدة وجيزة ان يكسب تأييد ابناء جنوبي نجد وولاءهم ، فبايعوه ، وايدوه .

وشخصت وفودهم الى الرياض هاتفة : « لك منا التأييد الكامل والولاء التام ايها الامير عبد العزيز » .

وتمكن ابن الامام عبد الرحمن آل سعود ان يحظى بولاء ابناء مقاطعات الخرج ، والافلاج ، ووادي الدواسر ، فانطلقت وفود هذه المقاطعات الى عبد العزيز معلنة له التأييد والاعجاب .

فارتاح الفتى المقدام كل الارتياح لما يغمره به ابناء نجد .

وايقن ان الله اخذ بيده ، وانه سيستطيع القضاء على ابن الرشيد، وانه سيغدو سيد نجد المطلق السلطان .

ورأى عبد العزيز ان يزور الخرج وان ينطلق منها الى وادي الدواسر والى الافلاج والى جميع تلك المناطق حاملا لابنائها عطفه ومحبته ورغبته الصادقة في انتشالهم من ظلام التنكيل والظلم والاضطهاد الى نور الحرية والسعادة .

وارسل رسله الى الخرج يعلن لهم عزمه على القيام بزيارتهم فرحب الخرجيون كل الترحيب بالرغبة السامية .

وحددوا موعد الزيارة وراحوا يستعدون لاستقبال الامير عبد

العزيز بما يليق بمقامه الرفيع من تكريم وترحيب واجلال •

وفيما الامير عبد العزيز يستعد لزيـارة الخرج جاءه احد انصاره ليقول : ارجو ان يصرف مولاي الامير النظر عن زيارة الخرج •

وسأله الامير : لماذا ؟

قال : عبد العزيز بن الرشيد يستعـد للزحف الى الخرج بجيشه القوي ، وهو يأمل ان يحتل الخرج ، وانت فيها ، فيأسرك وينكل بك•

فابتسم الفتى الجريء •

وهمس : اننا لها•• يريد الحرب، فلتكن الحرب حكما بيننا وبينه•

ومضى نصير الامير في التحذير •

قال : انتم لا تجهلون اية قوة هي قـوة جيش ابن الرشيد ، يـا سيدي • وجيشكم الفتي القليل العـدد ، المحدود العتاد لن يستطيـع مجابهة جيش ابن الرشيد القوي ، الكثير العدد ، الحديث السلاح •

فاتسعت الابتسامة على شفتي الامير الفتى •

وتمتم : نحاربه بالايمان وبالجرأة وبالشجاعة وبالعقيدة •

واي جيش جرار يستطيع ان يصمد في وجه هذه القوى العاصفة العاتية الهوجاء ؟

واصر عبد العزيز على منازلة ابن الرشيد •

ودعا جيشه الصغير الى التأهب والاستعداد للزحف الى الخرج •

والحقيقة هي ان ابن الرشيد كان قد عزم على احتلال الخرج •

فما ان بلغه تأييد ابناء تلك المناطق لعدوه اللدود حتى عزم علـى تأديبهم وعلى احتلال ارضهم والتنكيل بهم •

ويوم وصل اليه نبأ عزم عبد العزيز على زيارة الخرج ، صفق طربا وابتهاجا •

ودعا قواد جيشه ليقول لهم : سيقع ابن عبد الرحمن في قبضتنا •

بلغني انه عازم على زيارة الخرج • فما ان تطأ قدماه الخرج حتى نطبق عليه وعلى مرافقيه ، فنحتل الخرج ونسوقه اسيرا ، ونكون قد اصبنا عصفورين بحجر واحد ، نقتص من الخرجيين ونقضي على عدونا •

وسار ابن الرشيد بجيشه الى الخرج في الوقت الذي سار فيه عبد العزيز بجيشه الصغير اليها ايضا •

والتقى الجيشان ــ جيش ابن الرشيد ، وجيش ابن عبد الرحمن في بساتين الدلم •

وهناك في تلك البطاح نشبت المعركة •

معركة هائلة مروعة رهيبة ، بين قوى غير متعادلة •

بين جيش ابن الرشيد ، الكبير ، المنظم المدرب ، الكامل العدة والعتاد ، وبين جيش عبد العزيز بن عبد الرحمن ، الصغير الفتي القليل العدة والعتاد •

واستطاع عبد العزيز ان يسجل انتصارا باهرا على خصمه ابن الرشيد ، وان يبطش بعدد وفير من جنوده •

فاندحر ابن الرشيد وانسحب بمن سلم من جنوده الى حائل والحقد يلهب الغضب الشديد في قلبه ويثير في نفسه الرغبة الملحاح في الثأر والانتقام •

واراد عبد العزيز ان يلحق بخصمه المندحر الى حائل الا ان اخوانه وابن عمه عبد الله بن جلوى منعوه من الاقدام على هذه المغامرة الخطرة، لا سيما وحائل عاصمة ابن الرشيد ، ومن يدري ، قد يكون انسحاب ابن الرشيد الى حائل فخا نصبه لعبد العزيز كي يستدرجه الى حائل ويفتك به ويقضي على جيشه الفتي القضاء المبرم •

وكان ابن الرشيد قوي الشكيمة عنيدا بطاشا مكابرا •

وتروى عنه احاديث اشبه بالاساطير •

فقد روي عنه انه كان ذات يوم في اجتماع مـع قواده يناقشهم ويتحدث اليهم دون ان يبدو عليه اي كلل او اي ملل ، حتى اذا انصرفوا نادى خادمه اليه ، وكشف له عن ظهره •

فذعر الخادم وقد شاهد عقربا عالقا بظهر مولاه •

وطلب ابن الرشيد الى الخادم ان يأتيه بجمر ويحرق العقرب العالقة بظهره •

ففعل •

وكانت العقرب قد علقت بظهره منذ بدء حديثه مع قواده فأبى ان يظهر امامهم بمظهر المتألم المتوجع ••

وكان يقول ابدا : « الحافر وصنع الكافر للمتمرد الخائن » •

والحافر هو سنابك الخيل ، اما صنع الكافر ، فهو السلاح •

واقام ابن الرشيد في عاصمته يفكر في الاقتصاص من هذا الفتى المتمرد العاصي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود •

ورأى ان ينصرف عن منازلته الـى الاهتمام بما هو اشد واعظم ليستعيد مقامه الحربي الرفيع وسمعته العسكرية العطرة ••

ورأى بعد طويل تفكير ان يزحف الى الكويت •

فليدع امر تأديب عبد العزيز الآن ، الى ما بعد انتصاره على امير الكويت واحتلال امارته •

يومذاك ، يوم يصبح السيد الحاكم في الكويت يستعيد سمعته وكرامته ويسهل عليه الاقتصاص من عبد العزيز •

وراقت له الفكرة الموفقة •

يبدو ان الانتصار على مبارك الصباح اسهل منه على عبد العزيز ابن عبد الرحمن ، لا سيما وهو قد انتصر على مبارك الصباح في معركة الصريف ، واستطـاع ان يدحره ويبطش بجيشه ويرفـع بنود الفوز

والانتصار .

ونفذ الفكرة فورا .

فزحف الى الكويت .

ووجم مبارك الصباح وقد وصله نبأ زحف ابن الرشيد .

واستجار بصديقه الحميم عبد العزيز .

ولأمير الكويت دين في عنق عبد العزيز .

فقد ساعده ونصره ومد له يد المعونة والغوث يوم هاجم الرياض للمرة الاولى .

وان نسي عبد العزيز لا يستطيع ان ينسى الضيافة السمحاء التي احاط بها امير الكويت الاسرة السعودية يوم حلت في ضيافة مبارك الصباح .

وعبد العزيز ، وهو الفتى النبيل الشهم الوفي ، ليس بمن ينسى الفضل او يعق الوفاء .

فما ان بلغه نداء الامير مبارك الصباح ، حتى هب لنجدته .

وسار بعشرة آلاف محارب لصد ابن الرشيد عن الامارة الكويتية .

والتقى الجيشان .

جيش عبد العزيز وجيش مبارك الصباح من جهة ، وجيش ابن الرشيد من جهة ثانية في معركة لم تدم طويلا .

فقد بدأت كفة النصر تميل الى جانب الجيشين ـ السعودي والكويتي ـ فآثر ابن الرشيد الانسحاب قبل ان يبلى بالانهزام .

وانسحب ابن الرشيد بجيشه الجرار عائدا الى نجد .

ورأى ان يغتنم فرصة غياب عبد العزيز بن سعود عن الرياض ، فيهاجمها ويحتلها قبل عودة عبد العزيز من الكويت .

وخيل اليه ان احتلال الرياض امر ميسور ، لا سيما وليس في

الرياض الا بعض الجنود بقيادة الامام عبد الرحمن ، وهو شيخ جليل لا يقوى على الحرب والصمود •

وتم له ما اراد •

فوصل الى الرياض قبل عودة عبد العزيز •

وحاول اقتحام اسوارها والدخول اليها الا انه فوجىء بالامام عبد الرحمن ، يصده بقوة وبسالة وشموخ •

ولم يكن لدى الامام عبد الرحمن من الجنود ما يكفي للصمود في وجه جيش ابن الرشيد الجرار •

فالجنود السعوديون كانوا قد التحقوا بجيش عبد العزيز الى الكويت •

الا ان ابناء الرياض هبوا لنجدة اميرهم •

وحملوا السلاح ، وانضموا الى الجنود وراحوا يدافعون عن مدينتهم ببسالة وشجاعة وثبات ، وقد خشوا ان يتمكن ابن الرشيد من العودة الى الرياض وفي عودته عودة الظلم والبؤس والطغيان •

واستطاع الامام عبد الرحمن ان يصمد في وجه ابن الرشيد ثلاثة ايام ، حاول خلالها ابن الرشيد الدخول الى الرياض عبثا •

وخشي اخيرا ان يصل عبد العزيز من الكويت فتكون نهايته ونهاية جنوده •

ورأى ان يعود ادراجه قبل وصول الامير السعودي المقدام •

وكان خبر مهاجمة الرياض قد وصل الى عبد العزيز ، فأسرع بالعودة ، على رأس جيشه الباسل •

وكان كلما مر ببلد خف اهلها لاستقباله استقبال الفاتحين •

واسرع شبانها الى الانضمام تحت لوائه المشرف •

واسرع زعماؤها وشيوخها الى مبايعته هاتفين له داعين لجيشه

الباسل الفوز والانتصار .

وعندما وصل عبد العزيز بجيشه الى الرياض ، كان ابن الرشيد قد انسحب .

وكان عبد العزيز قد بسط سلطانه على جنوب نجد ، وعلى بعض مناطقها الشمالية .

ولم يقم عبد العزيز طويلا في الرياض فهو يعلم ان المعركة لم تنته بينه وبين ابن الرشيد ، وان ابن الرشيد لن ينام على الضيم ، وانه يتحتم عليه ان يواصل الحرب حتى يقضي على سلطان ابن الرشيد القضاء المبرم .

وعاد الفتى السعودي الى ميدان القتال ، فزحف بجيشه — وقد اصبح جيشا قويا — الى شمال نجد لمنازلة ابن الرشيد وانتزاع مناطق الشمال من يده .

وعادت المعارك الدامية الى النشوب بين جيش عبد العزيز آل سعود ، وجيش عبد العزيز بن الرشيد ، وكان ابن عبد الرحمن يتنقل من نصر الى نصر ويثب من فوز الى فوز .

وفي كل معركة كان النصر يعقد لواءه للفتى السعودي وتكتب الهزيمة لابن الرشيد .

وما هي ايام قلائل حتى كان عبد العزيز آل سعود قد استولى على عنيزة وبريدة .

ولم يلبث ان اصبح سيد القصيم بكاملها « ما عدا حائل » .

وانسحب ابن الرشيد بجيشه المهزوم الى حائل واعتصم فيها .

وراح يجمع شتات جيشه المنهزم محاولا اعادة تنظيم ذلك الجيش .

الا ان محاولته كادت تبوء بالفشل ، ذلك لأن جنوده كانوا قد ملوا الحرب ، وسئموا سفك الدماء ، وباتوا يؤمنون بان قوة عبد العزيز بن عبد الرحمن لن تقهر ، وان ذلك الفتى السعودي الجريء سيصبح

سيد الجزيرة العربية بلا منازع •

ورأى ابن الرشيد ان يستعين باصدقائه العثمانيين على قهر عدوه اللدود عبد العزيز آل سعود •

والعثمانيون كانوا يراقبون تطور الحال في نجد بقلق واضطراب•

وكانت انتصارات عبد العزيز المتواصلة تقلقهم وتقض مضاجعهم، لا سيما وهم لا يجهلون اية وطنية يتحلى بها الامراء السعوديون ، ولا اي عناد هو عنادهم •

وكانوا يرون في سيادة الفتى السعودي على الجزيرة تهديدا لنفوذهم وخطرا كبيرا على سلطانهم •

لذلك ما ان طلب اليهم ابن الرشيد مد يد المساعدة اليه ، حتى كانت اليد تمتد للنجدة والغوث •

وعقد اجتماع سري بين عبد العزيز ابن الرشيد ، وبين الحاكم العثماني تم فيه الاتفاق على ان يمد العثمانيون ابن الرشيد بالمال والعتاد وبالرجال لسحق جيش عبد العزيز ، وعلى تنصيب ابن الرشيد حاكما مطلق السلطان على نجد والحجاز ، على ان تكون تلك البلاد العربية تحت اشراف العثمانيين •

وارتاح ابن الرشيد كل الارتياح وقد تم له ما اراد من النجدة والاعانة •

وراح يحلم بالسلطنة ، وبالحكم ، وبالقضاء على آل سعود قضاء مبرما •

ونفذ العثمانيون الاتفاق •

فارسلوا الى ابن الرشيد خمسة عشر طابورا من الجنود وثلاثين مدفعا المانيا حديث الصنع •

والمدفع يومذاك سلاح هائل لا يستهان به ، وعددا وفيرا من الابل

والجياد واسلحة متنوعة وذخائر ، وطعاما . وصناديق ملأى بالذهب ، وهم لا يجهلون ان للذهب كلمة نافذة عند بعض قبائل البدو الضاربة في الصحراء .

وقال ابن الرشيد في نفسه وقد وصلته هذه النجدة العثمانية السمحاء : «لقد قضي على عبد العزيز آل سعود ، ولن تقوم له قيامة» .

وذاع خبر وصول النجدة الى ابن الرشيد في حائل .

وارسل ابن الرشيد في طلب رؤساء وزعماء بعض قبائل العربان وراح ينثر الذهب العثماني بين ايديهم ..

وفعل الذهب فعله في النفوس .

فاجتمع بعض رجال البدو في حائل يعلنون تأييدهم لابن الرشيد، مما زاد في ارتياحه وامله في التغلب على ابن عبد الرحمن .

وزحف ابن الرشيد بجيشه الكبير الذي يضم جنوده ، وجنود العثمانيين وبعض رجال البدو الطامعين بذهبه ، لملاقاة جيش عبد العزيز آل سعود .

وحل ابن الرشيد بجيشه الوفير العدد ، وبذخيرته الكبيرة ، وبأسلحته الحديثة في قرية تقع بين بريدة والرس تدعى «البكيرية» .

وراح ، في البكيرية ، ينظم جيشه ويضع خطة الهجوم يعاونه بعض كبار الضباط العثمانيين .

ووصل النبأ ، نبأ استعداد ابن الرشيد ، ونزوله بجيشه الجرار ، في البكيرية ، الى عبد العزيز ، فتهيب الموقف .

لا سيما بعد ان وصله نبأ الذهب المنثور بين ايدي العربان ونبأ المدافع الالمانية والسلاح والذخيرة التي حظي بها خصمه من العثمانيين .

الا انه لم يجبن ولم يخف ولم تهن منه القوى .

فهو مؤمن بالله ، يذخر قلبه الكبير بالوطنية الصادقة والكرامة

المناف ، ولن يتورع عن منازلة ابن الرشيد مهما بلغت قوته وعظم شأنه .

وانصرف عبد العزيز الى تنظيم جيشه مستعينا بانصاره من زعماء وشيوخ قبائل نجد الناقمين على آل الرشيد .

فجمع حوله جيشا كبيرا ، سلاحه الجرأة والوطنية والايمان .

وفي ربيع « سنة ١٣٢٢ » زحف ابن عبد الرحمن بجيشه الى البكيرية لملاقاة ابن الرشيد .

والتحم الجيشان — جيش ابن الرشيد الجرار بسلاحه الحديث وبذهبه وبعتاده الوفير ، وجيش ابن عبد الرحمن بسلاحه البدائي من السيوف والخناجر والبنادق — ودارت الحرب سجالا .

فلا ابن الرشيد انتصر ولا ابن سعود .

وذهل العثمانيون من صمود ابن عبد الرحمن في وجه سلاحهم الحديث وذهبهم الوفير ورجالهم الاشداء .

وكان قد خيل اليهم ان عبد العزيز آل سعود سيندحر منذ الجولة الاولى ، وسيعلن الاستسلام .

فراحوا يمدون ابن الرشيد بمزيد من الاسلحة والرجال ، وقد عزموا على هزم عبد العزيز آل سعود والقضاء عليه .

وطالت الحرب .

ووهنت القوى ، وقد قتل العديد من الجنود ، جنود ابن الرشيد وجنود ابن عبد الرحمن وصبغت الرمال بالنجيع ، وملأت الجثث تلك البطاح .

ولم يستطع ابن الرشيد ان ينتصر على ابن عبد الرحمن ولا استطاع ابن عبد الرحمن ان يسجل انتصارا على ابن الرشيد .

ورأى ابن عبد الرحمن ان ينسحب من ميدان القتال ضنا بالارواح البريئة التي تلتهمها نيران الحرب .

وفي نفس الوقت كان ابن الرشيد ايضا يفكر بالانسحاب ، وقد بات عاجزا عن مواصلة القتال .

وانسحب ابن عبد الرحمن الى عنيزة ، ليعيد جمع شمل جنوده ، ويترك لرجاله مجالا للراحة كي يتمكنوا من استئناف القتال ..

وهناك في عنيزة دعا اليه انصاره من العنيزيين والبريديين ليجدد لهم الولاء ويجددوا له المبايعة .

فالتف حوله ابناء عنيزة وابنـاء بريدة والحماس يلهب نفوسهم ويثير فيهم البطولة والبأس والجهاد .

واقسموا اليمين للفتى السعودي معاهدين على الوقوف بجانبـه وعلى القتال في صفوفه حتى النفس الاخير .

وعندما اعاد عبد العزيز تنظيم جيشه الباسل عاد الى البكيرية ، وقد عزم على سحق ابن الرشيد .

اذا لم يقدر له النصر ، فالاستشهاد في ساحـة الوغى خير سبيل معبد امام عبد العزيز .

اما النصر واما الاستشهاد .

ووصل عبد العزيز الى ضواحي البكيرية عازما علـى منازلة ابن الرشيد .

الا انه دهش عندما علم ان ابن الرشيد نزح بقسم كبير من جيشه عن البكيرية تاركا فيها حامية قليلة العدد وبعض الذخائر والعتاد .

وابن الرشيد ، كان قـد اغتنم فرصة انسحاب عبد العزيز الـى عنيزة ، فترك البكيرية وزحف الى الخبراء ، وهي مدينة يبسط عليهـا عبد العزيز سلطانه ، عازما على احتلالها والاستيلاء عليها . ووصل ابن الرشيد الى الخبراء ، وقد خيل اليه انه سيقتحمها ويحتلها دون مقاومة او عناء .

الا ان امله خاب ، وقد هب ابناء الخبراء للدفاع عن مدينتهم •

وتمكنوا من جمع شملهم فاذا بهـم ينظمون جيشا مـن الشيوخ والاولاد والرجال والنساء ويهبون للدفاع عن مدينتهم •

واستطاع ابناء الخبراء ان يصمدوا وان يحولوا دون دخول ابن الرشيد الى مدينتهم •

فما كان من ابن الرشيد الا انه حاصر الخبراء وقطع عن اهلها الماء والطعام آملا ان يدفعهم الجوع والعطش الى الاستسلام •

غير ان المحاصرة لم تطل ••

فقد وصل نبأ هجوم عبد العزيز علـى البكيرية الى مسامع ابن الرشيد فذعر ، فهو لا يجهل اية قيمة للبكيرية ، وفيها سلاحه واعتدته وبعض رجاله •

واذا استطاع عبد العزيز ان يستولي علـى البكيرية استطاع ان يسيطر على الموقف الحربي •

ورأى ابن الرشيد ان يحول دون استيلاء عبد العزيز على البكيرية فدعا اليه احد قواده سلطان بن حمود الرشيد قائلا له : « ستسرع بقوة من جيشنا الى البكيرية لمنازلة عبد العزيز وطرده • ليس لك ان تعود الي الا وقد قضيت على عبد العزيز • البكيرية لنا ولن تكون لآل سعود » •

وكان كلام ابن الرشيد واضحا •

وهو يعني « اما الموت واما القضاء على عبد العزيز » •

وسار سلطان بن حمود الرشيد على رأس جيش كبير الى البكيرية•

ووصل اليها ساعـة كان عبد العزيز يشن هجومه عليهـا محاولا احتلالها •

ودارت معركة عنيفة رهيبة بين القائد سلطان بـن حمود الرشيد وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن استمرت ثلاثة ايام كانت الحرب خلالها

سجالا بين الجيشين .

واستبسل القائد سلطان بن حمود الرشيد في القتال .

فهو لا يجهل اي مصير سيكون مصيره ان استطاع عبد العزيز آل سعود ان يتغلب عليه ، وقد انذره نسيبه عبد العزيز بن الرشيد ، بالويل ان هو فشل في قهر عبد العزيز بن عبد الرحمن وقال له : « الا تعد الي الا والنصر حليفك » .

ومعنى هذا انه يجب عليك ان تموت اذا لم يقدر لك الانتصار .

ولمس ابن عبد الرحمن استبسال خصمه وضراوته فقابل الاستبسال بالاستبسال والضراوة بالضراوة .

واستطاع الفتى عبد العزيز بعد معارك دامية ان ينتصر على سلطان بن حمود وان يحتل البكيرية ..

واندحر سلطان بن حمود بجيشه المهزوم .

ونزل عبد العزيز في البكيرية على الرحب والسعة ، وقد هب اهلها يستقبلونه بالترحيب والزهور والرياحين .

ووقع عبد العزيز في البكيرية على حامية صغيرة كان ابن الرشيد قد عهد اليها بالمحافظة على المؤن والذخيرة .

فاستسلم جنود الحامية فورا واعلنوا ولاءهم للفتى السعودي الشجاع .

وعثر عبد العزيز في البلدة المحتلة على كمية من المؤن والذخائر وزعها على جنوده البواسل .

واصبحت البكيرية من المقاطعات التي يبسط الفتى السعودي سلطانه عليها ويدين له اهلها بالولاء والوفاء والتقدير .

وبلغ نبأ انتصار ابن عبد الرحمن مسامع ابن الرشيد فوجم : يا

لهذا الفتى الجريء المقدام الذي يسجل النصر تلو النصر ، والفوز بعد الفوز ، اذا استمر الامر على هذه الحال ، فان عبد العزيز سيتمكن من السيطرة التامة على نجد ، وربما استطاع ضم نجد الى الحجاز فتغدوان سعوديتين ، او بالاحرى سعودية واحدة تحت سيطرة عبد العزيز .

ورأى ابن الرشيد ان يضرب عبد العزيز الضربة القاضية فراح يستعد ، وهو في الخبراء لمنازلة عبد العزيز بقوة وعزيمة وبأس واقتدار وخيل اليه ان ما يملك من عتاد وعدة يضمن له الفوز على هذا الفتى المغامر الجريء ، وقد جهل ان ثمة قوة اقوى وامضى واشد من السلاح والمال والرجال ، هي قوة الايمان والشجاعة .

وعبد العزيز لم يكن ليفتقر الى هاتين القوتين الهائلتين .

وفيما ابن الرشيد يستعد للقضاء على عبد العزيز القضاء المبرم ، كان عبد العزيز يستعد ايضا لمنازلة ابن الرشيد .

وعزم الفتى السعودي على الزحف الى الخبراء ، الى حيث ينزل ابن الرشيد ..

عبد العزيز سيلحق بابن الرشيد الى مقره المحصن ، ويبطش به وينتهي من اسطورته التي تسيطر على الصحراء وتقض مضاجع النجديين ويثير منهم مكامن الالم والشقاء ..

وعرض عبد العزيز الفكرة على قواده ، واكثرهم من اقاربه واصدقائه ، فعارضوه : الهجوم على الخبراء ليس بالامر اليسير ، والتغلب على ابن الرشيد في معقله الحصين ليس بالمستطاع .

غير ان الفتى المغامر الجريء ابى ان ينزل عند الآراء الموحدة .

قال : اريد ان اضع حدا لهذه المعارك والمجازر ، ستكون معركتي في الخبراء مع ابن الرشيد المعركة الحاسمة الناجزة ، اما ان انتصر ،

واما ان ابوء بالفشل . اما ان انتهي انا واما ان انتهي منـــه ، وفي كلتا الحالين انقذ الشباب الغض النضير من براثن الموت فينضب نهر الدماء الذي يطوي الصحراء ويعود الى نجد السلام ، وتضع الحرب اوزارها.

فهالهم ما يقول .

أيكون عبد العزيز عازما على القيام بمغامرة انتحارية جديدة ؟

أيكون قد سئم القتال ورغب في التخلي عن فكرة قيـــام الدولة السعودية الكبيرة التي كان قد بدأ يضع اسسها ويرسم دعائمها ويوطد اركانها ؟

قالوا : النصر سيكون مضمونا لنـــا اذا سلكنا طريـــق التريث والتروي . مهلا ايها القائد الكبير ريثما يفد ابن الرشيد الينا . سننازله هنا في البكيرية ، سنستدرجه الى منازلتنا هنا ، ونحن هنا في عريننا اقوياء ، لماذا نذهب الى الثعلب في وكره ونحن قادرون على استدراجه الى الفخ والايقاع به ؟

قال : قد يخشى ابن الرشيد منازلتنا هنا ، ونضطر الى الانتظـــار طويلا ، وتستمر بيننا وبينه المعارك الصغيرة ، والنتيجـــة دائما وقـــوع الضحايا من شبابنا الغض النضير .

قالوا : فلننتظر ، وفي الانتظار ضمانة لانتصارنا .

فمضى في ايضاح سبب ما عزم عليه .

قال : اسمعوا يا اخواني ، لقد اطل الربيـــع ، والبدو والاعراب والنجديون باتوا يتوقون الى السلام ، ومواشيهم الجائعة تنتظر الكلأ ، وهم يريدون العودة لأعمالهم ، لقد بات ابن الصحراء يتوق الى السلام، والى الهدوء ، والاطمئنان . واذا كانوا قد ناصرونا وساعدونا ومشوا في ركابنا طيلة هذه المدة فهم غير مستعدين ان يمضـــوا في التضحية

طويلا ، قد يأتي يوم يثورون فيه علي وعلى ابن الرشيد معا ، لا سيما وهم يشاهدون اولادهم يسقطـون في ميادين الحرب ، ومواشيهم جائعة ، واعمالهم مشلولة ، من الخير لهـم ان ننهي هـذه الحرب في العاجل الوشيك .

فحاولوا صرفه عما عزم عليه .

الا انه اصر .

لقد كان عبد العزيز صارما حازما . اذا عزم على القيام بعمل قام به دون ابطاء ، لا تردعه قوة ولا تحول بينه وبين ما عزم عليه موانع ..

وهتف بهم : الى الميدان ايهاالابطال !. الى الخبراء .

وسار امامهم ، فلحقوا به ..

وزحف عبد العزيز بجيشه الى الخبراء لمنازلة ابن الرشيد ، وهو لا يجهل اي خطر داهم شديد ينتظره في الخبراء ، ولا اية قوة هي قوة خصمه ، لا سيما والعثمانيون يساعدون ابـن الرشيد بالمال وبالسلاح وبالمؤن وبالذخيرة والرجال .

ونزل عبد العزيز في مدينة « الرس » وراح يستعد للهجوم .

وعلم ابن الرشيد بوصول عبد العزيز الى الرس ، فصفق طربا : لقد وفر عليه عبد العزيز مشقة الزحف الى البكيرية ، فجاء بجيشه اليه. سينازله ويقضي عليه ويرتاح منه . النصر سيكون في جانب ابن الرشيد، والويل ثم الويل لعبد العزيز بن عبد الرحمن .

وهمس ابن الرشيد في سره : لقد قضي على عبد العزيز .

وانصرف الاثنـان : عبد العزيز ، وابن الرشيد الى الاستعداد لخوض المعركة .

وراح ابـن الرشيد يحشد جيوشه ويجمع لهـا المؤن والذخائر

والسلاح ، في حين انصرف عبد العزيز الى تنظيم جيشه والى الاتصال باصدقائه من زعماء وشيوخ القبائل داعيا اياهم لمناصرته والانضمام الى صفوفه •

الا انه لم يلق في الزعماء والشيوخ ما تعود ان يلقاه فيهم من الحماس والاندفاع لمناصرته •

ووجم عبد العزيز : هل تخلى عنه الاصدقاء والانصار ؟

هل استطاع ابن الرشيد ان يضمهم الى صفوفه ؟

هل خسر اصدقاؤه الاوفياء ؟

ودعا عبد العزيز شيوخ القبائل وزعماءها الى اجتماع في الرس•

فلبى جميعهم الدعوة •

وتوافدوا الى الرس سائلين : ماذا يريد منا الامير عبد العزيز آل سعود ؟

قال عبد العزيز : دعوتكم يا اصدقائي الاوفياء لأعلن لكم عزمي على منازلة عدوكم وعدونا عبد العزيز ابن الرشيد ، واطلب منكم المساعدة والعون •

فقلبت الشفاه •••

وهزت الاكتاف •••

وخيم الصمت عليهم •••

وازداد عبد العزيز وجوما •

وتابع كلامه قائلا : لقد عودتمونا المناصرة والعون في معاركنا مع ابن الرشيد ، ولا نخالنا مخطئين في اعتقادنا بانكم لن تبخلوا علينا الان بهذه المساعدة السخية السمحاء •

وتولى احد الشيوخ الرد على طلب عبد العزيز •

قال : ما كنا يا ابن عبد الرحمن آل سعود لنضن عليكم بالمساعدة، ونحن ندين للاسرة السعودية الكريمة بالوفاء وبالولاء ، الا انه يؤسفنا ان نبلغكم اننا سئمنا الحروب ، ومللنا العيش في هذا الجو المليء بالبارود والدماء . ها قد اطل الربيع الذي ننتظره بصبر فارغ لننطلق الى الزرع والى الكلأ ، غير ان الحرب كما يبدو لنا ، لن تترك لنا زرعا ولا هي ستسمح لمواشينا بالانطلاق الى الكلأ . ونحن نريد ان نعود الى اعمالنا ، نريد ان نجني مواسمنا ، نريد ان نوفر الحياة لاولادنا ولمواشينا .

فأدرك ابن عبد الرحمن انه كان على حق يوم فكر بوضع حد لتلك الحرب رحمة بالشباب الصريع وبالدماء المسفوحة التي تصبغ رمال الصحراء بالنجيع .

وصمت عبد العزيز وراح شيوخ القبائل وزعماؤها يتبادلون النظرات على حيرة وقلق ووجوم منتظرين كلام الفتى السعودي الجريء: ماذا سيقول عبد العزيز ؟

ما هو القرار الذي سيعلنه لهم ؟

ولم يطل انتظارهم .

فقد عاد الامير الفتى الى الكلام بعد تفكير قصير ليقول : يؤسفني ان اكون السبب في حلول هذه المصائب بكم يا اصدقائي ، الا انكم تعلمون انني لست مسؤولا عن هذه الحرب الضروس ، وانني ما خضتها الا مرغما ومن اجل سعادتكم وحريتكم وهنائكم . تريدون التوقف عن حمل السلاح ؟ تبغون انهاء الحرب ؟ انا لكم على ما تريدون .

فلمعت الفرحة في عيونهم .

وهتفوا : لم نكن لنشك يوما بشهامتك وبنبل اخلاقك ايها الامير

السعودي .

وتابع عبد العزيز كلامه قال : سأوفد الآن رسولا الى عدونا ابن الرشيد اعرض عليه الصلح بالرغم مما في ذلك من امتهان لكرامتي ، ومسا بمقامي وبسمعتي العسكرية . انني كما ترون على استعداد للتضحية بالكرامة وبالسمعة وبالمقام اكراما لكم . ما عليكم الآن الا ان تختاروا انتم الرسول الى ابن الرشيد .

فصاحوا صيحة الفرح والابتهاج .

والتفوا حوله يعانقونه ويهتفون بحياته مجددين له الولاء والوفاء.

واختاروا الرسول .

فكتب عبد العزيز رسالة الى ابن الرشيد يعرض فيها عليه الصلح وايقاف الحرب ، على ان يحتفظ كل منهما بما استولى عليه من المدن والقرى .

فتكون الرياض عاصمته هو .

وتكون حائل عاصمة ابن الرشيد .

وعفا الله عما مضى .

وحمل الرسول الرسالة الى ابن الرشيد .

واقام الزعماء والشيوخ مع عبد العزيز ينتظرون رد ابن الرشيد والامل الباسم الريان يغمر ارواحهم وقلوبهم .

ولم يطل انتظارهم ،

فقد عاد الرسول ، وهو متجهم الوجه مكفهر الجبين ،

ووثب القواد والزعماء والشيوخ اليه يسألونه : ما وراءك ؟ أيكون ابن الرشيد قد وافق على شروط الصلح ؟

فتمتم الرسول بيأس وانقباض وألم : لا .. ابن الرشيد عنيد لئيم. لقد رفض ما عرضنا وابدى عزمه على المضي في الحرب الى النهاية.

وسأل عبد العزيز الرسول ، على مسمع من الزعماء والشيوخ والقواد : ماذا قال لك ابن الرشيد ؟ اريد ان تردد على مسامعنا كلامه حرفيا .

وردد الرسول كلام ابن الرشيد على مسامعهم .

قال : لقد قابلني ابن الرشيد بكبرياء وخيلاء ، وما ان قرأ الرسالة حتى مزقها وهتف : « ابلغ ابن السعود انني سأسحقه كما يسحق الزجاج . وسأحكم سيفي في رقاب ابناء بريدة وعنيزة والرياض الذين ناصروه وحاربوا في صفوفه . هؤلاء المتمردون لن يكون لهم عندي الا الحافر وصنع الكافر . اما ذلك الشاب الطائش المتمرد عبد العزيز بن عبد الرحمن فسأجعل منه عبرة لمن يعتبر . عد اليه وقل له ان ابن الرشيد سيدك ومولاك سينازلك انى سرت ويلحق بك انى اتجهت حتى يتم له الظفر بك والقضاء عليك » .

والتفت عبد العزيز الى الشيوخ والزعماء والجنود متسائلا : ما هو رأيكم يا اصدقائي ؟ اترتأون الاستسلام ؟ ام ترون مواصلة الحرب ؟

فهتفوا جميعا باعتداد وعناد : الويل ثم الويل لابن الرشيد . سنحاربه حتى آخر نقطة من دمنا . ايستهين بنا ويمتهن كرامتنا ويهدد ويتوعد ؟ أيخيل اليه اننا دونه رفعة ومقاما ؟

قال عبد العزيز : يبدو ان هذا ما يخيل اليه .

قال كبير الشيوخ : ارواحنا فداك وفدى هذه الرمال الباسمة يا عبد العزيز . سنحارب الى جانبك ونسير في ركابك حتى يتم لنا النصر المبين .

وتعالت الهتافات بحياة الفتى المقدام عبد العزيز بن عبد الرحمن .

وهكذا استطاع عبد العزيز ، بحكمته ودهائه وذكائه ان يستعيد حماس ومناصرة ابناء نجد وان يقهر ابن الرشيد .

واذا كان عبد العزيز قد استطاع ان يحرز تلك الانتصارات الباهرة الغريبة ، فما ذلك بفضل بسالته وشجاعتـه ومناصرة ابنـاء الصحراء فحسب ، بل بفضل ذكائه وحكمته ودهائه ايضا .

٤

معركة « الشنانة »

انصرف عبد العزيز الى اعـادة تنظيم جيشه وتسليحه وتدريبـه استعدادا للمعركة الفاصلة ، وهو لا يجهل اية قوة هي قوة جيش ابن الرشيد ، لا سيما بعد ان انضم اليه الجنود العثمانيون ، وبعد ان مدته الدولة العثمانية بالذهب وبالسلاح وبالاعتدة وبالغذاء .

وكان عبد العزيز يدرك ان تلك المعركة ستكون المعركة الفصل في تاريخ نجد .

اما ان يتم له النصر فيصبح سيد الصحراء ، واما ان يبوء بالفشل فيسقط شهيدا في ساحة الوغى والجهاد .

وفيما عبد العزيز يستعد لمهـاجمة جيش ابن الرشيد وحلفائه العثمانيين كان ابن الرشيد ينام على حرير ، وقد خيل اليه ان عبد العزيز لم يعد قادرا على مواصلة الحرب ، لا سيما بعـد ان اوفد اليه ذلك الرسول طالبا عقد رايات الصلح .

ولم يخطر لابن الرشيد في بال ان عبد العزيز سيغامر في مهاجمة جيشه وجيش العثمانيين معا .

وفي ليل الثامن عشر من رجب ١٣٢٢ — ١٩٠٤ كان عبد العزيز يزحف بجيشه الباسل المنظم المدرب الى معسكر ابن الرشيد والعثمانيين في « الشنانة » •

وفوجيء ابن الرشيد بالهجوم ، فهب للدفاع يسانده العثمانيون •

الا ان عبد العزيز لم يترك لهم مجالا للدفاع فدارت معركة كتب فيها النصر منذ اللحظة الاولى لجيش عبد العزيز •

غير ان ابن الرشيد ابى الاستسلام فاذا بالمعركة تتحول الى مذبحة سقط فيها عدد كبير من جيش ابن الرشيد ومن الجيش العثماني كما سقط عدد قليل ضئيل من جيش عبد العزيز •

وكان الحر شديدا والهواء يهب حارا على الصحراء •

والجنود العثمانيون يرتدون ثياب الشتاء « الجوخية » ، وهم لم يتعودوا حرارة الصحراء فلم يستطيعوا الصمود في وجه جنـود عبد العزيز وكلهم من ابناء الصحراء الذين تعودوا قرها وحرها •

وادرك القائد العثماني ان ما بقي من جنوده لن يستطيع الصمود طويلا ، لا سيما وهو يرى اولئك الجنود يسقطون الواحد تلو الآخر ، فأمرهم بالانسحاب ••

وانسحب الجنود العثمانيون تاركين جنـود ابن الرشيد وحدهم في الميدان ••

وابن الرشيد ، لم يكن يستطيع الصمود والعثمانيون يناصرونه ، فماذا سيحل به وقد خذله العثمانيون وتخلوا عنه ؟

وادرك ابن الرشيد ان الانتصار بـات معقودا لابن عبد الرحمن فعمد الى الحيلة لينجو بنفسه ويصرف عبد العزيز عن المضي في الهجوم على معسكره ، وفي المعسكر الذخائر الوفيرة والذهب والسلاح •

فجمع بعض قواده وقال لهم : سنخدع عبد العزيز ، ونحول نظره عن معسكرنا ريثما تردنا النجدة من اتباعنا وانصارنا • سيبقى هنا في المعسكر بعض الجنود ويسير البعض الآخر معي باتجاه « الجوعى » حيث ثمة حصن ابن عقيل ، وهو حصن متين تعتصم فيه حامية لعبد العزيز معظم رجالها من آل سعود • ومن المؤكد ان عبدالعزيز سينصرف عن المضي في الهجوم على معسكرنا ويلحق بنا الى « الجوعى » حيث تتمكن من القضاء عليه وننقذ كل ما في مضاربنا هنا من مال واسلحة وذخيرة •

ونفذ ابن الرشيد الخطة فورا •

فانسحب ببعض جنوده وقواده من الميدان ، وقد خيل اليه ان عبد العزيز سيلحق به •

الا ان الحيلة لم تنطل على الفتى السعودي •

ولم يلحق بابن الرشيد ، بل هو مضى في الهجوم على مضارب ابن الرشيد •

ولم يستطع حماة المعسكر من المقاومة فاستسلموا لعبد العزيز •

واحتل ابن عبد الرحمن معسكر ابن الرشيد •

واذا به يقع في ذلك المعسكر على كمية هائلة كبيرة من السلاح والذخيرة ، والطعام وصناديق الذهب والنوق والجياد •

واندفع رجال عبد العزيز يجمعون الغنائم •

وقد استمر جمع تلك الغنائم الكبيرة عشرة ايام •

ووزع عبد العزيز بعض تلك الغنائم على جنوده •

واطمأن وقد ظفر بتلك الاسلحة والذخيرة ، وايقن انه يستطيع القضاء على ابن الرشيد بسلاحه وبسلاح العثمانيين الذي كانوا قد

اعدوه لمحاربته هو والقضاء عليه •

في هذه الاثناء ، وعبد العزيز ينعم بنشوة النصر ويوزع الغنائم والذهب على جنوده وعلى اتباعه وانصاره من شيوخ وزعماء القبائل ورده نبأ من « الجوعى » يقول : « ابن الرشيد يحاصر حصن ابن عقيل ويسلط قنابل مدافعه على الحامية السعودية المعتصمة في ذلك الحصن» •

والحقيقة هي ان ابن الرشيد اراد ان ينتقم من عبد العزيز باحتلال حصن ابن عقيل والقضاء على السعوديين المقيمين فيه فهاجم ذلك الحصن بما تبقى له من قوى •

غير ان رجال الحامية راحوا يدافعون عن حصنهم ببسالة نادرة وشجاعة فائقة •

وتهدم الجانب الايمن من الحصن تحت قنابل ابن الرشيد فانتقل رجال الحامية الى الجانب الايسر ومضوا في الدفاع على امل واه ضئيل ، وقد خيل اليهم ان ابن الرشيد سيدك الحصن ويقضي عليهم جميعا •

وفيما هم يتشاورون في امر الاستسلام اذا بعبد العزيز يصل لنجدتهم •

وعادت المعركة الى الاحتدام بين عبد العزيز وابن الرشيد في الجوعى •

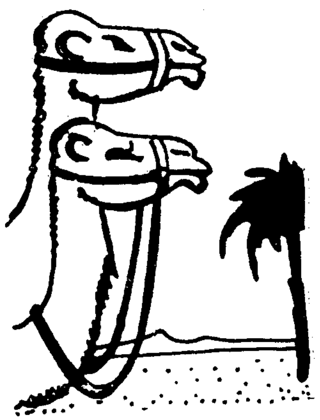
ولم تدم تلك المعركة طويلا فقد استطاع جيش عبد العزيز ان يتغلب على جيش ابن الرشيد في فترة وجيزة •

واذا بابن الرشيد وما تبقى من جنوده يولون الادبار تاركين في ساحة القتال كل ما لديهم من اسلحة وذخيرة وابل وجياد •

وتفرق الجيش العثماني كما تفرق جيش ابن الرشيد بين الحجاز

والكويت والعراق هربا من عبد العزيز بن عبد الرحمن وقد لمسوا قوته وبسالته وبطشه .

اما ابن الرشيد فقد لجأ مع بعض كبار قواده الى القصيم وراح يستعد لاعادة انشاء جيش يستطيع به ان ينازل عبد العزيز وينتقم منه ويستعيد كرامته السليب وسمعته الملوثة بالوحول .



الفصل الرابع

الصقر المحلّق في الصحراء

كانت معركة ((الشنانة)) كما ارادها عبد العزيز بن عبد الرحمن ، المعركة الفصل بين السعوديين والرشيديين .

فاستتب الامر لعبد العزيز بن سعود في البلاد .

وانضم اليه بعض انصار ابن الرشيد ، لا سيما وقد لمسوا فيه القوة والحزم والعدل والانصاف والكرم والسخاء .

وكان عبد العزيز قد اصبح ذا سطوة وغنى بفضل ما غنمه من الاسلحة والابل والجياد والذخائر .

فراح يمد سلطانه على الصحراء ، بلدة بعد بلدة ومنطقة بعد منطقة ، ويقيم في البلاد حكما عادلا ويشيع الامن والاطمئنان والعدل في كل بلدة يحتلها .

فذاع اسم ذلك الفتى الباسل الشجاع في انحاء نجد وقويت شوكته وانتشرت زعامته .

وكان العثمانيون يراقبون الاحداث ، فادركوا ان عبد العزيز سيصبح السيد المطلق السلطان في نجد والحجاز ، وربما وصل حكمه الى الكويت ايضا .

وخشوا قوة عبد العزيز وزعامته ، فرأوا ان يلجأوا الى مصادقته والى مناصرته بعد ان خيب ابن الرشيد املهم في الاستيلاء على نجد

والقضاء على عبد العزيز .

وبحثت الدولة العثمانية عن صديق لعبد العزيز يستطيع ان يكون وسيط خير وسلام بينه وبينهم فوجدوا ذلك الوسيط في امير الكويت الشيخ مبارك الصباح .

والشيخ مبارك كان على صداقة متينة مع عبد العزيز ، وكان يدعوه « ابني العزيز » .

وكان عبد العزيز يكن لأمير الكويت المحبة والوفاء والاحترام .

لذلك ما ان فاتحه الشيخ مبارك بأمر عقد معاهدة صداقة مع العثمانيين حتى اجابه : كما ترى يا سيدي الامير ، فاذا رأيت في هذه المعاهدة مصلحة لنا وقعناها شرط ان تحفظ كرامتنا وشرفنا وارضنا وبلادنا .

واقترح الشيخ مبارك الصباح ان يشكل عبد العزيز وفدا برئاسة والده الامام عبد الرحمن لمفاوضة العثمانيين .

وتشكل الوفد السعودي برئاسة الامام عبد الرحمن .

وتشكل الوفد العثماني برئاسة القائد الوالي العثماني في نجد .

وعقدت جلسة المفاوضات الاولى في الزبير .

واكد الوالي العثماني للامام عبد الرحمن رغبة الدولة العثمانية في التخلي عن مناصرة ابن الرشيد ، وعزمها على مناصرة عبد العزيز وحده بكل ما يريد من مساعدة وعون .

فاطمأن الامام عبد الرحمن ، بعض الاطمئنان .

وسأل الوالي : وماذا يطلب منا لقاء هذه المساعدة ايها الوالي .

اجاب : اقترح ان نعترف بسلطان عبد العزيز على المناطق التي احتلها على ان تكون لابن الرشيد بعض الاماكن التي لم يصل اليها حكم عبد العزيز .



ووافق الامام عبد الرحمن على الاقتراح ، وفيـه الامن والسلام والطمأنينة لابناء البلاد والراحة والسلامة لابنه عبد العزيز •

وعاد الوالي الى الكلام ليقول : شرط ان يكون للدولة العثمانية مركز عسكري في القصيم ، وتكون القصيم منطقة حيادية تشرف عليها السلطة العثمانية وتحول هذه السلطة دون نشوب حرب جديـدة بين عبد العزيز وابن الرشيد •

وتردد الامام عبد الرحمن في الموافقة على هذا الاقتراح ، وهو لا يجهل ان اقامة منطقة عسكرية عثمانية في القصيم معناها عودة الاجنبي الى البلاد •

الا ان الشيخ مبارك الصباح راح يلح علـى الامام عبد الرحمن بالموافقة •

« وقيل ان العثمانيين وعدوا ، يومذاك ، الشيخ مبارك الصباح ، بالمساعدة والعون وبمده بالذهب ان هو تمكن من اقنـاع الامام عبد الرحمن بالموافقة » •

وأبى الامام عبد الرحمن ان ينفرد برأيه في الموافقة على مثل هذا الاقتراح الخطير •

ورأى ان يعـود الى اهالي نجد ليقف علـى رأيهم في اقتراح العثمانيين •

وحمل الامام عبد الرحمن الاقتراح العثماني وعاد ادراجه ليضع هذا الاقتراح امام ابناء البلاد •

وسأل الامام عبد الرحمن زعماء القبائل وشيوخها وكبـار القادة العسكريين : ما هو رأيكم في هذا الاقتراح ؟

فجاء الجواب واحدا : لا •• لن يكون للعثمانيين مركز عسكري في القصيم • ليس للاجنبي مكان بيننا • هذه البـلاد لنا وحدنا ولن

يكون لسوانا مقام فيها .

وفيما الامام عبد الرحمن يشاور ابناء نجد ، وصل نبأ المفاوضات السعودية العثمانية الى ابن الرشيد الذي كان يقيم في قريــة صغيرة قرب عاصمته حائل فوجم .

وتحول الوجوم فــي صدره الــى ذعر وقد علم ان العثمــانيين سيتخلون عنه .

فاتصل بالقائد العثماني طالبا اليه المساعدة لاستئناف القتال ضد عبد العزيز والاستيلاء على منطقة القصيم بكاملها .

الا ان القائد العثماني ابى ان يمد له يد المساعدة .

قال : لا .. لن نساعدك على عبد العزيز بعد ان لمسنا فيك الوهن والضعف ولمسنا فيه القوة والبأس ، ما انت بالقوي القادر على منازلة عبد العزيز والانتصار عليه .

قال ابن الرشيد : اذا كان عبد العزيز قد استطاع ان يتغلب علي في بعض المعارك فما ذلك الا انــه كان قويا وكان ينعم بتأييــد بعض القبائل ، اما الان ، وقد انهكته الحرب فقــد بات واهيا واهنا ضعيفا واستطيع التغلب عليه اذا مددتموني بالعون والمساعدة .

فأجاب القائد العثماني بحزم : لا .. لقد مددنا لك يد المساعدة والعون فما استطعت التغلب عليه . واذا خيل اليك ان عبد العزيز ، اضحى واهيا ضعيفا وهو يخرج من معارك دامية رهيبة ، فعليك ان تذكر انك انت ايضا تخرج من معارك رهيبة ، وانك لست منه بالافضل .

وباءت محاولة ابن الرشيد بالفشل .

فقد نفض العثمانيون يدهم منه ، واذا كان عازما على المضي في طريق الحرب ، فما عليه الا ان يتحمل هو وحده المسؤولية . « وليقلع شوكه بيده » . اما العثمانيون فلن يتورطوا معه في حرب خاسرة ضد

عبد العزيز بن عبد الرحمن ٠

وعاد القائد العثماني الى عبد العزيز يطلب اليه استئناف المفاوضات، فأوفد الى البطل السعودي رسولا سلمه رسالة تتضمن كلمات الود والسلام ٠

وقال فيها : « نحن لا نطلب الحرب يا ابن عبد الرحمن ، وما جئناك محاربين بل اتيناك مسالمين ، ولسنا بالاعداء بل نحن اصدقاء اوفياء نريد السلم للجزيرة العربية ، والامن والاطمئنان لابنائها الميامين ٠ نطلب اليك استئناف المفاوضات للبلوغ الى هدفنا المنشود ، وهو السلام لهذه الارض الطيبة المباركة السمحاء » ٠

واجاب الامير عبد العزيز ، القائد العثماني الى طلبه ٠

وشكل وفد المفاوضات من بعض قواده ورجاله المخلصين وبعض شيوخ وزعماء القبائل برئاسة والده الامام عبد الرحمن ٠

وعاد الوفدان السعودي والعثماني الى استئناف المفاوضات ٠

وطلب القائد العثماني ان يلقي الفريقان ، السعوديون والرشيديون السلاح وان تتوقف الحرب فيعم السلام والازدهار الجزيرة العربية ٠

وقال الامام عبد الرحمن : نحن على استعداد لالقاء سلاحنا ، رغبة منا في حقن الدماء العربية البريئة ، وأملا في الوصول الى الامن والازدهار في هذه الربوع ولكن من يضمن لنا توقف ابن الرشيد عن المضي في الحرب ؟

قال القائد العثماني : نحن نضمنه ونكفله ٠

فرد الامام عبد الرحمن : فليتفضل اذن ابن الرشيد ويكون البادىء في القاء السلاح ٠

واتصل القائد العثماني بعبد العزيز بن الرشيد طالبا اليه القاء السلاح وايقاف الحرب ٠

فكان جواب ابن الرشيد : « لن القي سلاحي قبل ان يلقي السعوديون سلاحهم » .

فما كان من القائد العثماني الا انه لجأ الى التهديد قال : اذا لم تبادر الى القاء سلاحك فورا فنحن سنناصر السعوديين عليك .

قال ابن الرشيد ، وقد ادرك حراجة الموقف ، اذا كنت البادىء في القاء السلاح اعتبرت منهزما واعتبر عبد العزيز منتصرا .

فأجاب القائد العثماني : لا .. ما هناك غالب ولا مغلوب . السعوديون سيلقون سلاحهم ويوقعون معاهدة الصلح فور توقفك عن الحرب وبعد ان تلقي سلاحك بساعات قلائل .

قال ابن الرشيد : وقد احرجه القائد العثماني ، ارجو ان تتركوا لي فرصة للتفكير لا تتعدى الاربع والعشرين ساعة .

فكان جواب القائد العثماني : ليكن لك ما تريد . وارجو ان يكون ردك بالموافقة بعد انقضاء الاربع والعشرين ساعة .

واقام القائد العثماني ينتظر رد ابن الرشيد .

وقبل انقضاء المدة المحددة اتصل ابن الرشيد بالقائد العثماني ليقول : اوافق على القاء السلاح ولكن لي شرطا واحدا .

فتساءل القائد العثماني : ما هو ؟

قال : هو ان ينحى عبد العزيز عن الحكم ويعود الحكم الى والده الامام عبد الرحمن . انا لا ارضى بان اوقع معاهدة صلح مع فتى طائش مغامر ثائر غرير .

كان عند ابن الرشيد عقدة نفسية اسمها « عبد العزيز بن عبد الرحمن » .

وكان يضمر لهذا الفتى الذي اذله وهزمه الحقد والضغينة .

وكان يخيل اليه ان تنحي عبد العزيز عن الحكم معناه القضاء عليه

القضاء المبرم •

وابن الرشيد كان رجلا بارعا في المكر والدهاء •

فقد اراد في طلبه تنحي عبد العزيز ان يصيب عصفورين في حجر واحد : يقصي عبد العزيز عن الحكم وعن القيادة العسكرية ، فيسهل عليه ضرب الجيش السعودي الضربة القاضية ، ويرمي الفتنة بين افراد الاسرة السعودية ، او بالاحرى يرمي الفتنة بين الوالد عبد الرحمن وبين الابن عبد العزيز •

وقد جهل ابن الرشيد ان الجيش السعودي كان قد اصبح ، بفضل عبد العزيز ، قوة هائلة لا تقهر ، وان اعضاء الاسرة السعودية متضامنون متفقون ، تشدهم اواصر المحبة ، وتوحد بـين قلوبهم روابط متينة لا تفصم عراها ، وان الحكم عندهم ليس شهوة ، و لاهو وسيلة ، بل هو خدمة للشعب وتضحية في سبيـل تلك الارض الطيبـة وذلك الشعب النبيل الوفي الأبي •

وقد برهن الامراء السعوديون عن محبتهم وتضامنهم وتضحياتهم مرارا عديدة •

كان اولاها يوم حرر عبد العزيز الرياض ، واصبح السيد المطلق فأوفد في طلب والده الامام عبد الرحمن من الكويت وعهد اليه بادارة شؤون المدينة وولاّه الحكم فيها مكتفيا لنفسه بالقيادة العسكرية •

وقد دامت العلاقات الوثيقة المتينة بين عبد العزيز ووالده زهاء ثلاثين سنة ، كان عبد العزيز يبدي فيها لوالده المحبة ، والطاعة والاحترام وكان والده يحنو عليه حنو الوالد المحب الحنون • وكان آخرها يوم خلع الملك سعود بن عبد العزيز وقيل يومذاك : « لقد دبت الفتنة بين افراد الاسرة السعودية وقضي على هذه الاسرة » الا ان كل ما قيل لم يكن ليستند الى اساس من الصحة ، فقد تضامن الامراء السعوديون ،

ووقفوا صفا واحدا في وجه مشيري الفتن ، والتفوا حول مليكهم الفيصل ، يأبون ان يفسحوا للمفسدين المثيرين طريقا الى صفوفهم « وسنأتي على ذكر كل ما حدث يومذاك في هذه القصة عندما نصل بقرائنا الى تاريخ خلع الملك سعود » .

وحمل القائد العثماني طلب ابن الرشيد الى الامام عبد الرحمن .

قال : ابن الرشيد وافق على القاء السلاح والتوقف عن الحرب فورا ولكن بشرط واحد ، هو ان تقصوا عبد العزيز عن الحكم .

فابتسم الامام عبد الرحمن .

وهمس : من قال لابن الرشيد ان ابني عبد العزيز هو الحاكم ، ان عبد العزيز هو القائد ، انه الحاكم العسكري ، هو المنتصر ، اما الحاكم الاداري فهو بيدنا نحن ، والدليل على ذلك ، هو انني انا من يفاوضكم لا عبد العزيز .

فدهش القائد العثماني لما يسمع : الامام عبد الرحمن على حق ، فكيف يطلب ابن الرشيد اقصاء عبد العزيز عن حكم لا يتولاه ؟

وتابع الامام عبد الرحمن كلامه .

قال مستدركا : وهب ان عبد العزيز كان الحاكم فنحن لا نرضى بان يتولى ابن الرشيد التدخل في شؤوننا الخاصة وفرض شروطه علينا، في حين اننا المنتصرون ، وهو المنهزم ، وحق املاء الشروط يعود الى المنتصر لا الى المنهزم ، اذا كان لا بد من املاء الشروط ، فنحن من يتولاه ايها القائد ، لا ابن الرشيد .

فأعجب القائد العثماني بذكاء الامام عبد الرحمن .

قال : انكم على حق يا سيدي ، انا سأتولى اقناع ابن الرشيد بالقاء السلاح فورا ، دون قيد ولا شرط ، وستعود الى هذه الربوع بسمتها الطلقة وازدهارها الوضاح الجبين .

وادرك القائد العثماني ان ابن الرشيد سيرفض القاء السلاح الا بعد القضاء على خصمه اللدود عبد العزيز •

ولكنه كان واثقا من ان ابن الرشيد سيرغم على توقيع معاهدة الصلح اذا ما لمس رغبة العثمانيين في مناصرة عبد العزيز •

لذلك فقد عزم ذلك القائد الحكيم على تهديد ابن الرشيد لارغامه على القاء السلاح •

وعاد القائد العثماني الى الكلام ليقول : قد تطول مدة المفاوضات ولذلك فانا اقترح ان يكون لنا ، نحن العثمانيين ، مركزان عسكريان احدهما في بريده والثاني في عنيزة وسيتولى قوادنا المحافظة على الامن والسلام ريثما يتم الاتفاق بينكم وبين ابن الرشيد •

قال الامام عبد الرحمن : والى متى سيظل هذان المركزان في يدكم؟

قال القائد العثماني : قلت لكم ، يا سيدي ، حتى يتم الاتفاق بينكم وبين ابن الرشيد •

قال الامام : سنفكر في اجابة طلبكم ونجيبكم بعد ثلاثة ايام •

ومضى القائد العثماني ، على ان يعود بعد ايام ثلاثة •

الا انه لم يعد •••

ذلك لان القيادة العثمانية العليا طلبت الى القائد في الجزيرة العربية ، وهو القائد المفاوض ، ان يتوجه على رأس قوة من الجنود العثمانيين الى اليمن على سرعة وعجل •

ولم يكن امام القائد المفاوض الا الامتثال فنزل عند طلب القيادة العليا وشخص بجنوده الى اليمن •

وكانت الثورة في اليمن على اهبة الاندلاع •

وكان العثمانيون يفرضون سلطانهم على اليمن ، مثلهم على جميع البلدان العربية •

فالامبراطورية العثمانية يومذاك في اوج عزها ومجدها .

فتبرم اليمنيون بالحكم العثماني الثقيل العبء وراحوا يتأهبون للقيام بثورة لاهبة ضد العثمانيين .

وكان يقود تلك الثورة الامام يحيى حميد الدين الا ان العثمانيين تداركوا الامر واوعزوا الى قائدهم في نجد بالتوجه الى اليمن للقضاء على الثورة في مهدها .

وما ان وصل القائد العثماني الى اليمن حتى راح ينكل باليمنيين الاحرار واستطاع ان يخنق تلك الثورة قبل ان تبصر النور .

وجاء الى نجد قائد عثماني آخر ، لم يكن على حكمة وذكاء سلفه ، فلم يهتم لما يجري في البلاد ولم يقم بأي نشاط للتوفيق بين آل الرشيد وآل سعود .

واكتفى بان يتبنى طلب سلفه القائد النازح الى اليمن ، بان يكون للعثمانيين مركزان عسكريان : الاول في بريده ، والثاني في عنيزة .

واضاف على هذا الطلب طلبا آخر ، هو ان يكون للعثمانيين حق الاشراف على القصيم بكاملها .

وكان على عبد العزيز ان يحدد موقفه من هذا الطلب .

الا ان القائد العربي الكبير ، وهو الرجل الحكيم الذكي ابى ان يفرض ارادته على ابناء القصيم فاذاع فيهم انه لن يتدخل في شؤونهم الخاصة .

وقال : على القصيميين ان يختاروا المصير الذي يريدونه ، اما ان يختاروا الحكم العثماني واما ان يختاروا الحكم الرشيدي ، واما ان يطلبوا منا الحماية والعون ، وعندئذ فنحن لن نتخلى عنهم وسنكون نعم الحامي المجير المغيث .

وكان قرار عبد العزيز هذا منطويا على الحكمة والذكاء .

فهو لا يريد ان يبسط سلطانه على القصيم الا بارادة جميع ابناء تلك المنطقة .

ولذلك فقد اراد ان يوحد بين صفوف ابناء القصيم وأن يجمع قلوبهم حوله .

وكان عبد العزيز يعلم ان ابناء القصيم لن يستطيعوا احتمال عبء الحكم الرشيدي المرهق الظالم .

ولا هم يطيقون الاستبداد العثماني المجحف الشديد الوطء .

وعلى كل فليجربوا، ولا بد لهم من العودة اليه على طاعة واستغاثة.

وانقسم ابناء القصيم الى ثلاث فئات : فئة اعلنت ولاءها لعبد العزيز بن عبد الرحمن .

وفئة طالبت بحكم ابن الرشيد .

وفئة وافقت على العرض العثماني . وهم فئة قليلة بهر نظرها الذهب العثماني والهبات العثمانية ، التي حاول بها العثمانيون شراء ولاء ابناء القصيم .

ووقف عبد العزيز يتفرج دون ان يحرك ساكنا .

وجاء انصاره القصيميون طالبين اليه ان يفرض سلطانه على القصيم ان لم يكن بالحسنى ، فليكن ذلك بالقوة .

الا ان عبد العزيز رفض طلبهم .

واشار عليهم بالاخلاد الى السكينة والهدوء .

قال : اريدكم ان تعتصموا بالصبر والسكينة . فانا لا اريد ان تكون القوة سبيلي الى قلوب ابناء القصيم ، ولا اريد ان ابذر بذور الخلاف والانشقاق بين الابناء والاخوان فلتوحّد القصيم صفوفها ولتنقل كلمتها ، ولتختر الحكم الذي يروق لها .

ولم تستطع القصيم ان توحد كلمتها ولا ان تجمع صفوفها .

فكادت تنشب بين القصيميين حرب اهليـة شاملة مما أثـار قلق وحزن عبد العزيز .

فراح يعمل جاهدا على الحؤول دون اندلاع نار تلك الحرب .

وفي هذه الاثناء تلقى عبد العزيز آل سعود رسالة من صديقه حاكم قطر يطلب فيها اليه النجدة والغوث .

وكان حاكم قطر في مأزق حرج وعرشه مهدد بالانهيار بعد ان ثار عليه اخوه واثار معه بعض زعماء البلاد مطالبين بخلع الحاكم وتنصيب الاخ الثائر مكانه .

ولم يكن عبد العزيز ليرد طلب سائل ، وهو الشهم النبيل .

وكان عبد العزيز يومذاك الزعيم العربي الكبير .

وهو قبلة انظارالعرب بأسرهم ومنجدالحكام والامراء والسلاطين.

ما ان يقع حاكم في مأزق حتى يطلب نجدة عبد العزيز .

وعبد العزيز ابدا في نصرة المظلوم ، وسيفه مسلول ابدا للدفاع عن كسير الجناح .

ولم يخيب عبد العزيز طلب حاكم قطر .

فجلا بجيشه عن القصيم وسار الى قطر لنجدة حاكمها واخمـاد نار الثورة فيها ..

ووصل الفتى السعودي الى قطر والثورة مندلعة فيها ، والعرش القطري مهدد بالتداعي ، والحاكم في ذعر، والبلاد تجابه الضيق والعوز.

فاذا به يخمد نار الثورة بأيام قلائل ، ويوطد العرش ، وينقـذ الحاكم ، ويعيد للبلاد هدوءها وامنها وسلامها .

ولكن اذا كـان عبد العزيز قد استطاع ان يعيـد لقطر هدوءها وسلامها فهو قد اشاع في القصيم البؤس والظلم والاضطراب برحيله عنها .

فما ان غادر ذلك القائد الكبير القصيم الى قطر ، حتى كان ابن الرشيد يحتـل مدن وقرى القصيم فيبطش ويظلـم ويستبد ويفرض الضرائب • وينتقم من ابناء القصيم انتقاما رهيبا ، والعثمانيون يدعمون حكمه ويشجعونه على الفتك بالقصيميين والبطش بهم •

- ٢ -

مجزرة « روضة مهنا »

وكانت مجزرة « روضة مهنا » •

فقد نزل ابن الرشيد في مكان خصيب يدعى « روضة مهنا » وكان رجال بعض القبائل الفقيرة يقصدون ذلك المكان حيث يجمعون الكلأ والعشب ويبيعونه ليعتاشوا ويعيلوا اولادهم •

وما ان حل ابن الرشيد في روضة مهنا حتى اوعز لرجاله بمنع جمع الكلأ واعتقال كل من يخالف اوامره •

وذات يوم جاءه رجاله بأربعين كهلا تجرأوا علـى مخالفة الاوامر السنية وجمعوا بعض العشب من الحقول ، فغضب ابن الرشيد غضبا شديدا على اولئك الكهول •

وازداد غضبه عندما علم ان اولئك الكهول الفقراء ينتمـون الى قبائل تدين لعبد العزيز بالولاء فأمر بذبحهم كلهم •

ولم يشفع بكاؤهم واسترحامهم وبؤسهم عند ابن الرشيد •

واذا بأربعين رأسا تتدحرج امام ابـن الرشيد ، وهو يقهقه دون ان يرف له جفن او تجيش في قلبه عاطفة او شعور •

واشتدت النقمة على ابن الرشيد في القصيم •

وهب الزعماء والشيوخ محاولين اضرام نــار الثورة وشق عصا الطاعة .

الا انهم ادركوا ان محاولتهم ستبوء بالفشل .

فما هم على قدر ابن الرشيد قوة وسلاحا ، لا سيما والعثمانيون يقفون بجانبه ، ويناصرونه ، ويمدونه بالعون من سلاح ومال ورجال .

وادرك القصيميون انهم اخطأوا في عــدم الالتفاف صفا واحدا حول ابن سعود ، وندموا ، ولكن ماذا ينفعهــم الندم ؟ وعبد العزيز اضحى بعيدا عنهـــم ، وسيف ابن الرشيد مسلول فــوق اعناقهم ، والعثمانيون يجورون ويظلمون في ربوعهم ؟

وتنادى زعماء القصيم وشيوخها الى عقد اجتمـــاع سري لبحث امرهم المؤسف المؤلم .

وحرصوا على سرية الاجتماع وعلى كتمـــان المقررات ، وهم لا يجهلون ان افشاء سرهم معناه الاطاحة برؤوسهم .

واسفر اجتماعهم عن اتخاذ قرار بالاجماع يقضي بدعوة عبد العزيز الى القصيم ، لانقاذهم مما هم فيه من بؤس وظلم واضطهاد .

ونفذوا القرار فورا .

فأوفدوا محمدا بن عبد الخالق البريدي الى قطر لمقابلة الامير عبد العزيز وابلاغه قرار الزعماء والشيوخ ..

ووصل محمد البريدي الى قطر .

وحظي بمقابلة القائد الباسل عبد العزيز بن عبد الرحمن فرحب به الامير السعودي شديد الترحيب .

وسأله عن حال القصيم .

فاذا بابن عبد الخالــق البريدي يبسط للامير السعودي الحـــال المؤسفة المؤلمة الدامية التي آلت اليها القصيم .

قال : لقد اتخذنا قرارا بتسليمك قيادتنا ووضع امورنا بين يديك يا ابن عبد الرحمن ، اننا نسترحمك العودة الى القصيم .

قال عبد العزيز : لا .. لن اعــــود الى القصيم ، وفي القصيم قصيمي واحد لا يدين لي بالولاء يا ابن عبد الخالق .

قال محمد : كلنــا فدى مولانا الامير عبــد العزيز ، كلنا دون استثناء ليس في القصيم قصيمي واحد لا يدين لك بالولاء .

فأدمعت عينا عبد العزيز .

فالقصيم عزيزة على قلبه .

وله بين ابنائها اخوان احباء واصدقاء اوفياء .

وليس له ان يقعد عن اجابة طلب نجدة القصيميين .

وطال صمت عبد العزيز .

وطال تفكيره، ومحمد البريدي جالس ينتظر قرار الفتى السعودي.

واخيرا ، بعد طويل صمت وتفكير ، تكلم عبد العزيز .

قال : ابلغ القوم انني قادم اليهم . لم يكن عبد العزيز ليقعد عــن طلب غريب مستنجد مستغيث ، فكم بالاحرى اذا كــان هذا المستنجد المستغيث من بني قومه .

فانبسطت اسارير محمد بن عبد الخالق البريدي .

وهمس : متى ستكون بيننا يا سيدي الامير ؟

قال : غدا سأسير الى القصيم . عد انت الان وابلغ القــوم انني في طريقي اليهم .

وهمس الرسول : سنكون جميعا في استقبالك يا سيدي .

وقفل محمد البريدي عائدا الى القصيم ، حاملا للقصيميين البشرى السارة المفرحة .

وفي اليوم التالي ، كان عبد العزيز بن عبد الرحمن يزحف الــى

القصيم بالفي جندي ، وقد عزم على احتلال القصيم وطرد ابن الرشيد منها وتحرير تلك المنطقة العزيزة على قلبه ، من الرشيديين والعثمانيين ، وكان القصيميون يستعدون لاستقبال قائدهم العائد اليهم بالزهور والورود والرياحين •

وما ان بلغ عبد العزيز حدود القصيم ووصل نبأ قدومه الى ابن الرشيد حتى كان ابن الرشيد يجمع رجاله ويتراجع الى « الثوير » محاولا عدم الاصطدام بابن عبد الرحمن ، وقد خشي انتصار عبد العزيز عليه ، لا سيما وابناء البلاد يؤيدون عبد العزيز ويحملون في قلوبهم التقدير والحب والاحترام •

ووصل عبد العزيز الى القصيم فهب اهلها لاستقباله استقبالا رائعا ، فهم لا يخشون الان انتقام ابن الرشيد وهناك عبد العزيز بينهم يحميهم ويذود عنهم بسيفه المصقول ••

وفوجيء عبد العزيز بهرب ابن الرشيد ، وعلم انه في « الثوير » فلحق به الى « الثوير » ••

ووصل الامير السعودي الى الثوير بعد جلاء ابن الرشيد عنها بساعات قليلة •

فقد علم ابن الرشيد ان عبد العزيز لاحق به ، مقتف اثره ، فغادر « الثوير » الى « روضة مهنا » الى حيث كان قد فتك بالكهول الاربعين• الى ارض المذبحة الدامية الرهيبة •

وراح يستعد هناك لمنازلة عبد العزيز ، وقد ادرك ان ليس ثمة مفر له من منازلة ابن عبد الرحمن •

ونزل عبد العزيز بجيشه في الثوير •

واقام يستريح فيها من عناء السفر ، ويريح جنوده البواسل ، ويستقصي اخبار ابن الرشيد ، ويتأهب للمعركة الفاصلة ، وقد عزم

العزم الثابت الوطيد على وضع حد حازم لطغيان ابن الرشيد والقضاء عليه القضاء النهائي المبرم .

وفي هذه الاثناء كان ابن الرشيد قد جمع جنوده ونثر ذهبه في بعض قبائل البدو الفقيرة طالبا منهم العون ، بعد ان رفض العثمانيون مد يد المساعدة اليه ، وقد خشوا قوة وجرأة وشجاعة عبد العزيز .

وخيل اليه ، الى ابن الرشيد ، انه بات قويا وانه اصبح قادرا على البطش بابن عبد الرحمن فعمد الى الحيلة .

ورأى ان يستدرج عبد العزيز الى «روضة مهنا» ويفتك به هناك.

ونصب ابن الرشيد الشرك لابن عبد الرحمن ، فأوفد احد جواسيسه الى مضارب عبد العزيز في الثوير ناقلا خبرا يقول : « ان ابن الرشيد غادر بجيشه «روضة مهنا» » .

وكان ابن الرشيد يأمل ان يزحف عبد العزيز الى « روضة مهنا » وهو مطمئن الى نزوحه عنها ، حتى اذا وصل الامير السعودي الى روضة مهنا وهو مطمئن غير مستعد ، اطبق عليه ابن الرشيد بجنوده وفتك به .

غير ان الحيلة لم تنطل على ابن سعود .

فقد ادرك ان ابن الرشيد لم يغادر روضة مهنا ، وانه يريد استدراجه .

فهمس بين قواده : « اننا لها .. ايها الابطال ! الى روضة مهنا لمنازلة ابن الرشيد » .

- ٣ -

مصرع ابن رشيد

الليلة ليلة الثامن عشر من صفر ١٣٢٤ (١٣ نيسان ١٩٠٦ م) •

والجو مكفهر عبوس •

والرياح عاتية عاصفة هوجاء •

والمطر ينهمر بغزارة ليتحول الى سيول جارفة عارمة •

والبرد قارس شديد •

واشجار النخيل تتمايل بين ايدي العاصفة الهوجاء كأنها اشباح في كبد الظلام الدامس الداجن الذي يغمر الصحراء ويلفها باجنحته القاتمة السواد •

والبرق يمزق صفحة السماء السوداء فيرسل وميضا خاطفا يكشف ما يجري فوق تلك الرمال وتحت ذلك الوابل من الامطار ليعقبه هدير الرعد ممزقا اذن الليل اليهم •

وماذا يجري في الصحراء عند روضة مهنا ؟

عبد العزيز بن عبد الرحمن السعودي يزحف بجيشه الباسل الشجاع تحت وابل الامطار الى روضة مهنا لا يهاب العاصفة العاتية ، ولا يرهب الظلام الدامس ، ولا يخشى وطأة الصقيع الشديد •

وهتف عبد العزيز بقواده : ايها الابطال سنبلغ روضة مهنا قبل انبلاج الصباح ، وسنتوغل في معسكر ابن الرشيد وننازله قبل ان تنسج خيوط الفجر جلباب النور ثوبا لهذه الصحراء •

فأبدى القواد اعتراضهم على خطة القائد الجسور •

وتمتم كبيرهم : ارى ان ننتظر بزوغ الصبــاح يا سيدي الامير ، فالظلام الدامس ، والعاصفة الهوجاء ، والامطار الهاطلــة دون انقطاع تعرقل زحفنا وتحول دون بلوغنا ما نصبو اليه من فوز وانتصار .

فهمس عبد العزيز : لا .. نحن سنزحف الان ، فالليل يخيم علينا كما يخيم على اعدائنا ، والامطار منا مثلها من جيش ابن الرشيد ، اريد ان ادهم ابن الرشيد فيكون وصولنا اليه مفاجأة لا ينتظرها ، وفي موعد لا يخطر له على بال . هبوا ايها الابطال ، هبوا الى روضة مهنا ، الى معسكر ابن الرشيد ، الى النصر .

فألهب في قلوبهم الجرأة والحماس .

كان عبد العزيز يتمتع بسطوة وبحزم وبهيبة تحببــه الى قلوب جنوده فيمتثلون لاوامره صاغرين طائعين .

وزحف جنود ابن عبد الرحمن تحت وابل الامطار يشقون هبوب العاصفة العاتيــة ويمخرون السيول الجارفة ، وهــم كالعاصفة اندفاعا وكالسيل العارم قوة وانجرافا .

وبلغوا روضة مهنا والليل جاوز الانتصاف .

ووثبوا الى معسكر ابن الرشيد .

فاذا بابن الرشيد وجنوده يستفيقون من رقادهم على ذعر ووجوم.

لم يكن ابن الرشيد لينتظر هجوم ابن عبد الرحمن في ذلك الليل البهيم ، ولا في تلك الساعة من الزمن ، تحت وابل الامطار وفي هبوب العاصفة وانجراف السيول .

ورأى نفسه في مأزق حرج رهيب .

فهو لا يستطيع الدفاع ، ولا يستطيع التقهقر .

حاول استدراج عبد العزيز ليفتك بــه ، فاذا بعبد العزيز يفاجئه ويستدرجه ويرغمه على القتال في وقت يصلح للنوم وللراحة ، لا للقتال

ولا للمعارك .

ورأى ابن الرشيد نفسه مرغما على خوض المعركة .

وهي معركة رهيبة يلفها الليل ، وتغمرها الامطار وتجرفها السيول.

ودارت المعركة حامية بين الجيشين ، جيش ابن عبد الرحمن وجيش ابن الرشيد .

وكان من الطبيعي ان ترعب المفاجئة جنـــود ابن الرشيد ، وان يحاولوا الهرب من ساحة الميدان .

فما كان من ابن الرشيد ، وهو القائد الجريء ، الا انـه امتطى جواده العربي الاصيل وراح يحث جنوده على الدفــاع والاستبسال ، وهو لا يجهل ان تلك المعركة ستكون المعركة الفصل بينه وبــين عبد العزيز ، وانها ستقرر مصير نجد والحجاز .

وكانت المعركة رهيبة ، تدور في كبد الظلام ، فلا يتبين الجندي عدوه من رفيقه ، والمطر ينهمر بغزارة على المحاربين فلا يأبهــون له ، والعاصفة تولول وتزمجر فلا تقعدهم عن القتال المميت .

وكلما ومض البرق لمعت السيوف تحت وميضه .

وكلما انطلقت رصاصة امتزج دويها بولولة الرياح وهدير العاصفة فضاع .

وبدأت الجثث تكسو الصحراء .

وبدأت الدماء تروي الرمال .

وبدأ الوهن يدب في اجساد الجنود .

فاذا بصوت ابن الرشيد يدوي بجنوده : ايها الابطــال الميامين ، النصر لنا ، فلنستبتسل في الهجوم وفي الدفاع .

ووقــع صوت ابن الرشيد في آذان جنــود ابن عبد الرحمن ، فصوبوا بنادقهم الى مصدر الصوت .

واطلقوا الرصاص •

واذا بابن الرشيد يهوي عن جواده وقد اخترق رصاص الجنود السعوديين صدره وارداه قتيلا •

وصمت صوت ابن الرشيد •

لقد صمت ذلك الصوت الى الابد في روضة مهنا •

في نفس المكان الذي كان ابن الرشيد قد ذبح فيه اربعين كهلا لا ذنب لهم ولا حق عليهم •

فكأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يكون مصرع ابن الرشيد على مسرح جريمته النكراء •

وبزغ فجر التاسع عشر من صفر ١٣٢٤ « ١٤ نيسان ١٩٠٦ م » ليلقي انواره الباسمة من وراء الغيوم على الصحراء ، والجثث مجندلة ، ملقاة فوق تلك الرمال •

وبين تلك الجثث جثة القائد عبد العزيز بن الرشيد •

واذا بجنود عبد العزيز بن عبد الرحمن يثبون الى جثة ابن الرشيد فينتزعون سيفه وخاتمه ويحملونهما الى قائدهم الباسل المغوار •

لقد طوى ذلك الفجر ، فجر التاسع عشر من صفر اسطورة ابن الرشيد ليرفع راية عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ناشرا لذلك الفتى العربي الجريء لواء نصر جديد على رمال الصحراء •

وخيل للامير السعودي عبد العزيز انه ارتاح كل الارتياح ، واطمأن كل الاطمئنان بموت خصمه اللدود عبد العزيز بن الرشيد ، وانه اصبح سيد نجد والحجاز بلا منازع •

والحقيقة هي ان عبد العزيز كان قد اصبح سيدا عظيما ذا سطوة وبأس وسلطان قبل مصرع ابن الرشيد •

وما كان مصرع ذلك الخصم القوي الا ليوطد سطوته ويزيد في

بأسه ويوسع سلطانه •

الا ان الراحة التي املها لم تتوفر له •

والاطمئنان الذي رجاه لم يبلغ مرتجاه •

فما كان عبد العزيز يخلد الى الراحة والاطمئنان حتى بدأ يواجه متاعب وصعابا جديدة •

فقد خشي العثمانيون ان يصبح عبد العزيز سيد الصحراء بلا منازع ، بعد موت صديقهم ابن الرشيد ، وان يعمل على اقصائهم عن نجد والحجاز ، ان لم يكن بالحسنى وبالاتفاق ، فبالسيف والرصاص ، فراحوا يحرضون آل الرشيد على الاخذ بثأر اميرهم وعلى محاربة ابن عبد الرحمن •

وآل الرشيد ما كانوا بحاجة الى تحريض •

فهم ناقمون على عبد العزيز شديد النقمة ، راغبون في الاخذ بثأر اميرهم الصريع برصاص السعوديين فجمعوا صفوفهم وولوا « متعب » بن عبد العزيز بن الرشيد الامارة خلفا لوالده الصريع •

واقام العثمانيون يرقبون من متعب بن الرشيد ان يبادر الى شهر الحرب على عبد العزيز اخذا بثأر والده •

الا ان متعب الرشيدي ادرك انه لن يستطيع قهر عبد العزيز ولا هو يستطيع التغلب عليه لا سيما وعبد العزيز قوي ، وهو « متعب » ما زال طري العود ، وامارته ما زالت فتية ، وجيشه الذي ورثه عن ابيه ما زال ضعيفا بعد تلك الهزيمة النكراء التي مني بها في معركة روضة مهنا •

فرأى ان يفاوض عبد العزيز وان يعقد اتفاقا معه يضمن فيه الراحة والهدوء ، ويستطيع اعادة تنظيم جيشه وتسليحه وتوطيد اركانه•

فأوفد رسولا الى عبد العزيز يعرض عليه عقد معاهدة تضمن

للجيشين ، السعودي والرشيدي ، الراحة والاطمئنان .

وكان جواب عبد العزيز : ليس احب لدينا من السلام يغمر هذه الربوع ، فنحن لسنا طالبي حرب ولا نشهر سلاحنا الا في وجه من يبادرنا بالسلاح . لقد آن لهذه البلاد الحبيبة ان تعرف السكينة وتنعم بالسلام . وليس هناك ما يؤلم قلبنا الا هذه الدماء العربية الزكية التي تسفح وتروي هذه الرمال الباسمة السمحاء . ما تريدونه ، نريده ، وما تطلبونه نطلبه ، فلنوحد صفوفنا وسلاحنا وكلمتنا . واذا كان لا بد للسلاح العربي من ان يشهر فليشهر في وجه الاجنبي دفاعا عن العرب والعروبة والاسلام .

كان عبد العزيز ، رحم الله ثراه ، عربيا اصيلا .

وكان اول من رفع راية العروبة ، يوم لم تكن « العروبة » سوى كلمة جوفاء لا رمز لها ولا معنى ولا اركان .

فجاء عبد العزيز بن عبد الرحمن يرفع رايتها ويوطد اركانها ويجعل منها رمزا للبطولة وللشهامة وللنبل وللاخاء .

وبدأت المفاوضات بين متعب بن الرشيد وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن .

وانتهت باتفاق يضمن لابن الرشيد السيادة على حائل وملحقاتها وشمر ويضمن لعبد العزيز السلطان الكامل الناجز على سائر انحاء نجد بما فيها القصيم .

واقلق هذا الاتفاق العثمانيين .

ورأوا فيه مصلحة كبرى لعبد العزيز ، فهو سيرتاح من المعارك والحروب وسينصرف الى الاعمال السياسية ، والى توطيد حكمه وتقوية جيشه .

ومن يدري ؟ قد يستطيع بعد امد قصير ان يبسط سلطانه على كل

انحاء نجد والحجاز .

وذلك معناه تقلص النفوذ العثماني .

وربما اقصاء العثمانيين عن الجزيرة العربية ، والقضاء على النفوذ العثماني في الصحراء قضاء مبرما ، لا سيما وهم يعرفون عبد العزيز وطنيا مخلصا وعقيديا ثابتا لا يستطيعون معه مساومة ولا رشوة ولا اتفاق .

وتظاهر العثمانيون بالارتياح للاتفاق المعقود بين ابن عبد الرحمن وابن الرشيد .

الا انهم راحوا يحرضون بعض القبائل والعشائر على العصيان ، ويمدونهم بالمساعدة من اجل التمرد على عبد العزيز .

ولم يكتفوا بذلك .

بل هم لجأوا الى الشيخ مبارك الصباح ، امير الكويت وصديق الاسرة السعودية الحميم ، يوغرون صدره على عبد العزيز ويوهمونه ان عبد العزيز طامع في الاستيلاء على الكويت وضمها الى امارته .

وبالرغم من ان الشيخ مبارك الصباح كان يثق بالامير السعودي وكان يناديه : « يا ولدي » فقد استمع الى تحريض العثمانيين واتفق معهم على مناوئة عبد العزيز وراح يساعدهم في تحريض القبائل والعشائر على « ولده » عبد العزيز بن عبد الرحمن .

واثمرت جهود العثمانيين وجهود مبارك الصباح المبذولة ضد الامير السعودي فثارت قبائل مطير الضاربة بين نجد والكويت واعلنت عصيانها على الحكم السعودي .

فما كان من عبد العزيز الا انه زحف الى تلك القبائل ، وقد عزم على تأديبها لتكون عبرة لكل من تسول له نفسه التمرد والعصيان من جهة ، وليفهم العثمانيين وصديقه امير الكويت ايضا ان عبد العزيز ليس

لقمة سائغة يمكن ازدرادها ولا هو طير شرود يمكـن اصطياده بكل سهولة وسلام .

وخشي الامير مبارك الصباح ان يقف عبد العزيز على مناورته ويعلم انه متفق مع العثمانيين في تحريض تلك القبائل على العصيان ، فأوفد اليه نجله يبلغه انه على استعداد لمده بالمساعدة لتأديب القبائل الثائرة .

الا ان عبد العزيز ، وهو الذكي الحكيم ، كان قد وقف على نوايا امير الكويت ، فاكتفى بالشكر ، ورفض قبول اية مساعدة معلنا قدرته على تأديب العصاة وحده ، دون معونة ولا نجدة ولا مساعدة .

وفيما عبد العزيز ينصرف الى تأديب العشائر الثائرة فوجىء بأن آل الرشيد نقضوا اتفاقهم معه .

وانهم لجأوا الى العثمانيين طالبين النجد والعون لمحاربته .

والحقيقة هي ان آل الرشيد اغتنمـوا فرصة انصراف عبد العزيز الى تأديب قبائل مطير فاتصلوا بالعثمانيين طالبين اليهـم مدهم بالرجال وبالسلاح للاستيلاء على القصيم .

الا ان العثمانيين لم يكونوا على استعـداد للسفور ، والتظاهر بعداء ابن عبد الرحمن لانهم يخشون سوء العاقبة فرفضوا طلبهم .

ولم ييأس الرشيديون فطلبوا من العثمانيين مدهم بالسلاح وبالمال فقط ، دون الرجـال ، وهم يتكفلـون بتقليم اظافر ابن عبد الرحمن وبالاستيلاء على القصيم وبالثأر لدم اميرهم الصريع .

وتردد العثمانيون في اجابة طلب آل الرشيد .

فما كان من الامير متعب بن عبد العزيز الرشيد الا انه راح يفاوض القائد العثماني باذلا له الوعود والعهود ، لقاء مده بالاسلحة وبالعتاد لقهر ابن عبد العزيز .

وكانت تلك العهود تنطوي على ان تكـــون السيادة في القصيم

للعثمانيين بعد تحريرها من سلطة عبد العزيز ، وان يكون لهم في حائل مركز مرموق ومقر امن لجيوشهم •

وبدأ لعاب القائد العثماني يسيل •

فالعرض سخي •

والاقتراح جدير بكل اهتمام •

ويوم تصبح القصيم في يد العثمانيين ويحتل الجيش العثماني حائل ، يومذاك تستطيع الامبراطورية العثمانية ان تقضي على عبد العزيز وان تستعيد مقامها الرفيع ومركزها الوطيد الذي قوضه وهد اركانه عبد العزيز بن عبد الرحمن •

الا ان عبد العزيز وقف على تلك المفاوضات فقفل عائدا الى القصيم ، بعد ان روض قبائل مطير واعادها الى طاعته •

وما ان وصل الى القصيم حتى وجه انذارا قاسيا الى القائد العثماني ، يطلب فيه من ذلك القائد الرحيل خلال ثلاثة ايام والا فهو لن يكون مسؤولا عما يحدث للجنود العثمانيين •

كما وجه انذارا آخر الى متعب بن الرشيد يحذره فيه من التهور في نقض الاتفاق المعقود بينهما •

وخشي القائد العثماني ان ينفذ عبد العزيز تهديده فاتصل به ، ليبلغه انه ضيفه ، وان جنوده لا ينوون الاعتداء •

وطلب القائد العثماني من عبد العزيز اجراء مفاوضات لعقد معاهدة صداقة بين العثمانيين والسعوديين •

فرحب عبد العزيز بالمفاوضات •

الا انه اضطر الى قطعها عندما لوح له القائد العثماني بالمال لقاء اعترافه بسيادة العثمانيين على القصيم ••

وبالرغم من ان عبد العزيز كان يومذاك بحاجة قصوى الى المال ،

فقد رفض المساومة وطلب الى القائد العثماني ان يغادر القصيم فورا •

وسأل القائد العثماني الامير السعودي : واذا لم نغادر القصيم ؟

فأجاب عبد العزيز : اذا بزغ صباح غد وكان هنا في القصيم اثر للجيش العثماني فنحن سنهاجمكم ونعلن الحرب •

وادرك القائد العثماني ان عبد العزيز جاد في ما يقول فاضطر للرحيل نزولا عند طلب ابن عبد الرحمن ••

ولم يستطع متعب بن الرشيد ان يحقق آماله الوارفة واحلامه العذاب •

وانصرف الامير عبد العزيز الى الاهتمام بشؤون امارته ، بعد ان اطمأن بعض الاطمئنان وامن شر العثمانيين ، ومؤامرات آل الرشيد •

الا انه واجه صعابا ومشقات كبيرة •

فهناك بعض القبائل ابت ان تخضع للقوانين الحضرية التي كان الامير عبد العزيز يسنها ليبعد تلك القبائل عن الحياة البدوية ويعيدها الى تعاليم الدين الاسلامي الصحيح، ويمنعها من الغزو والسلب والقتل•

فكان يضطر الى تأديب القبائل الثائرة والى اعادتها لطاعته وارغامها على التقيد بالشرائع والقوانين •

وخلال عام ١٣٢٨ « ١٩١٠ م » واجه عبد العزيز ازمة مالية خانقة بسبب انحباس المطر ومحل المواسم فحاول الاستدانة الا انه لم يستطع ذلك واضطر الى مجابهة الازمة المالية بالتقتير والتوفير لانقاذ ابناء امارته من المجاعة •

وقد وفق الى ذلك •

وما ان تخلص الامير السعودي من الازمة المالية الشديدة الوطء حتى فوجيء بثورة اشعلها انسباؤه « العرائف » وهم انجال واحفاد سعود بن فيصل بتحريض من اخوالهم آل العجمان فاضطر الى منازلتهم

ثم خيرهم بين البقاء في امارته والطاعة واما الرحيل .

فاختاروا الرحيل الى الحجاز حيث كان السيد المطلق هناك الشريف حسين .

- ٤ -

مشروع الهجر

مع بزوغ سنة ١٣٣٠ هـ « ١٩١٢ م » بدأ الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن يعرف شيئا من الراحة ، بعد ان استتب له الامر في نجد ، ووطد اركان امارته وارتاح من المعارك والحروب .

فانصرف الى الاهتمام بامور شعبه وراح ينظم شؤون دولته ، فيرسم ويخطط وينفذ بجرأة وشجاعة وحكمة وذكاء .

ووجه الامير الحكيم جهوده الى تحضير القبائل البدوية الضاربة في الصحراء ، والتي كانت تعتاش من الغزو والسلب وقطع الطرق ، والقليل منها كان يعتاش من المواشي .

ولم يكن امر تحضير تلك القبائل وتثقيفها وصرفها عن الغزو بالامر اليسير .

فهي قد تعودت ذلك العيش وامتهنت المحرمات .

فرأى عبد العزيز ان يحصر جهوده في الانتقال بتلك القبائل من حياة البداوة الى حياة الحضارة .

واستشار والده الامام عبد الرحمن في الامر فشجعه على تنفيذ فكرته .

ودعاه الى الاسراع في العمل .. واسرع عبد العزيز فوضع

مشروع « الهجر » .
ونفذه فورا .
و « الهجر » جمع « هجرة » ومعناها الانتقال من مكان الى آخر.
وقد اطلقت لفظة الهجرة على القرية الصغيرة .
فأنشأ عبد العزيز زهاء مئة وخمسين هجرة قرب الآبار والينابيع، ودعا القبائل البدوية الى الاقامة في تلك الهجر ، في بيوت من اللبن عوضا عن المضارب والخيام التي كان ابناء القبائل البدوية قد تعودوا العيش تحتها .

واقام في كل هجرة شيخا يعلم ابناء القبيلة اصول الدين ويزودهم بالثقافة ويعلمهم القراءة والكتابة ..
وكانت تلك البادرة المدرسة الاولى التي انشئت في الصحراء .
كما زود كل هجرة من الهجر المئة والخمسين بخبير زراعي .
فأخذ ابناء تلك القبائل يزرعون ويجنون خيراتها، فتحسنت احوالهم المادية والثقافية والدينية .

واقتربت تلك القبائل اقترابا كبيرا من الحضارة .
وتعرفت الى معاني القيم الخلقية والمبادىء الانسانية والدين الاسلامي الصحيح .

وفي مدة وجيزة بلغ عدد المقيمين في الهجر السعودية زهاء سبعة وسبعين الف عربي يبلغون من الثقافة والعلم حدا قصيا ، ويمارسون الفروض الدينية ويمتهنون الزراعة بعد ان كانت مهنتهم الوحيدة الغزو والسلب ورعاية المواشي .

وعندما اطمأن الامير عبد العزيز الى تثقيف وتحضير تلك القبائل اوفد اليهم بعض قواده لتدريبهم على فنون القتال .
فاذا بسكان الهجر يشكلون جيشا كبيرا انضم الى جيش الامير



عبد العزيز واطلق عليهم اسم « الاخوان » .

وكان الاخوان من الجنــود الاقوياء الاشداء الاوفياء المخلصين « وقد كان للاخوان فضل كبير في تحرير الحجاز كما سيأتي » .

وفيما عبد العزيز ينصرف الى الاهتمام بشؤون دولتــه وبتثقيف القبائل وتحضيرها ، وبايجاد موارد دائمة لابناء البلاد .

وفيما كان ينظم دولته اقتصاديا وماليا وسياسيا كــان العثمانيون يعززون مركزهم في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية .

واتخذوا من « الهفوف » عاصمة الاحساء مركزا لقيادتهم العليــا وراحوا يعملون جاهدين على تقليص نفوذ عبد العزيز .

واعلنوا ان نجد لا تزال ولاية عثمانية ، وما عبد العزيز سوى وال من ولاة العثمانيين فيها .

وبلغ الاعلان مسامع عبد العزيز فابتسم هازئا بما يعلنون .

وتمتم : سأقضي على نفوذ العثمانيين في الاحساء .

وعزم عبدالعزيز على مهاجمة الاحساء واحتلالها وضمها الى امارته.

وراح يستقصي اخبارها فعلم ان العثمانيين اهملوا امر الرعية .

وان الامن غير مستتب في الاحساء .

وان ابناء تلك المنطقة السخية المعطاء ناقمون شديد النقمة علــى السلطة العثمانية .

واطمأن عبد العزيز .

وارتاح كل الارتياح لتلك الانباء .

وادرك ان ابناء الاحساء الناقمين علــى السلطة لن يكونوا عونا للعثمانيين عليه .

وفي ربيع عام ١٣٣١ هـ « ١٩١٣ م » زحف عبد العزيز على رأس قوة عسكرية الى الاحساء بكل سكينة وهدوء .

واعلن انه ينوي تأديب بعض القبائل المتمردة ، لئلا يثير مخاوف العثمانيين وهواجسهم فيبادروا الى الاستعداد لمقاومته •

واقترب عبد العزيز بجيشه من الاحساء •

ونزل عند عين ماء تدعى « عين نجم » •

فاشتد ارتياب العثمانيين •

واوفدوا اليه رسولا يسألونه عن سبب اقترابه من الاحساء •

فأجابهم : فقدنا الماء والغذاء فجئنا نطلب ماء وغذاء •

واطمأن العثمانيون بعض الاطمئنان لا سيما وهم لا يجهلون اي قوة هي قوتهم في الاحساء •

ويدركون ان عبد العزيز آل سعود ، وهو القائد الحكيم الذكي ، لن يغامر في مهاجمة الاحساء •

واقام عبد العزيز يستقصي انباء العثمانيين محاولا الوقوف على قوتهم وعدد جنودهم •

وكان له في « الكوت » انصار هم آل القصيبي وابناء سويلم، فارسل في طلبهم ••

واسرعوا في اجابة الطلب فسألهم ان يرشدوه الى المكان الذي يمكن منه الدخول الى الكوت دون وقوع ضحايا •

واجابوه : الدخول الى الكوت ليس بالامر اليسير ، فالسور الذي يطوق المدينة عال ويحرسه عدد وفير من الجنود •

ونصحوه بعدم مهاجمة الكوت لان العثمانيين سيستبسلون في الدفاع ، وهم يدركون ان من يستولي على الكوت يستطيع الاستيلاء على « الهفوف » عاصمة الاحساء •

وتمتم عبد العزيز بعد تفكير قصير : الليلة سنهاجم الكوت ، وسينصرنا الله في الاحساء كما نصرنا في سائر انحاء نجد •

فوجم ابناء سويلم وابناء القصيبي .

وهمسوا : نحن معك ايها القائد الكبير وسندعو اقاربنا واصدقاءنا الى مساعدتنا ونصرتنا ، والله معنا .

وقفلوا عائدين ادراجهم ، ليعملوا على مد يد المساعدة الى صديقهم الوفي عبد العزيز بن عبد الرحمن .

وفي تلك الليلة ــ ليلة الخامس من جمادى الاول سنة ١٣٣١ هـ « ١٩١٣ م » زحف عبد العزيز آل سعود بستمئة جندي مـن جنوده البواسل الى الكوت يحملون معهم بعض الاشجار والحبال ..

ووصلوا الى الكوت والظلام الدامس ينشر اجنحتـه القـاتمة السواد فوق المدينة ، فطوقوا السور ونصبوا مـن الحبال والاشجار سلالم تسلقوها الى السور .

ومن السور بدأوا يقفزون الى داخل المدينة .

واستفاق حرس السور ليشاهدوا اشباحا تتمايل فوق السور ثم تتهادى وتنفز الى كبد المدينة فذعروا .

واسرعوا الى الحصون يحتمون فيها تاركين مواقعهم في السور ، وهم لا يعلمون من يكون الواثبون الى المدينة عن ذلك السور العالي الاجنحة المرتفع البنيان .

وعندما بدأت خيوط الفجر البعيد تنسج عباءتها على الكوت كـان عبد العزيز وجنوده قد احتلوا المدينة .

وكان العثمانيون يعتصمون في الحصون .

واذا بصوت المنادي يرتفع في الكوت : « الحكم لله ، ولعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود . ايها السكان الامان لكم . والسلام عليكم » .

وخرج الكوتيون من منازلهم على فرحة وبشرى .

وهرعوا الى عبد العزيز وعلى رأسهم آل سويلم وآل القصيبي يهنئونه ، ويبايعونه ويعاهدونه على الطاعة والوفاء والوئام •

وحاول العثمانيون المعتصمون في الحصون المقاومة ، الا ان عبد العزيز خيرهم بين الابـــادة ، اذا قاومـــوا ، وبين العفو والحماية اذا استسلموا •

فاختاروا الاستسلام •

وفي « العاصمة » الهفوف دب الذعر في قلوب العثمانيين وهـــم يشاهدون جنود عبد العزيز يحتلون الهفوف •

فلجأوا الى مسجد ابراهيم •

واذا بالامير السعودي ينذرهم كما انذر المعتصمين بالحصون في الكوت : « اما الابادة ، واما الاستسلام » ••

واستسلموا فنقلهم الى « العقير » •

ومضى عبـــد العزيز في مهاجمـــة قرى ومدن الاحساء ، فاحتل العقير ثم القطيف •

وكان يجمع اسراه من العثمانيين في معسكرات خاصـــة ، مزودة بالمياه والطعام •

وكان عبد العزيز يقطع الماء والطعام عن جنوده البواسل ليدفـــع بهما الى اسراه قائلا : « فلنجع ولنعطش نحن علـــى ان يشبع ويرتوي اسرانا » •

واستولى عبد العزيز على اسلحـــة وذخائر العثمانيين كلها فـــي الاحساء ، وهي غنائم وافرة كبيرة جدا لان العثمانيين كانوا يخزنون كل اسلحتهم وذخائرهم في الاحساء ، وقد خيل اليهم ان الاحساء منطقـــة آمنة بعيدة كل البعد عن متناول يد عبد العزيز ، وان الامير السعودي لن يجرؤ على مهاجمة الاحساء والتطاول الى القوات العثمانية المظفرة •

الا ان حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر ، فتجرأ عبد العزيز وهاجم الاحساء واحتلها وأسر العثمانيين النازلين فيها على الرحب والسعة والرخاء ، واستولى على ذخائرهم واسلحتهم •

اما اموالهم وامتعتهم فلم يمد اليها يدا ، وسمح لهم بنقلها معهم الى حيث يريدون الرحيل •

وتم الاتفاق على ان يغادر العثمانيون الاحساء الى البحرين فأمن لهم عبد العزيز السفن لنقلهم •

وهكذا تم لعبد العزيز الاستيلاء على الاحساء وهو يجهل انه باستيلائه على تلك المنطقة استولى على ثروة هائلة من النفط والمعادن المخزونة تحت تلك الرمال •

ولم يكن امام العثمانيين الا الاعتراف بالامر الواقع •

والامر الواقع هو ان الامير عبد العزيز آل سعود اضحى الحاكم والسلطان على نجد والقصيم والاحساء •

فما كان من الباب العالي في الاستانة الا انه أقر بسلطة عبد العزيز ومنحه لقب « الباشوية » ووافق على ان تكون الولاية بعده الى ذريته •

غير ان كل ذلك لم يكن الا من باب التملق والمناورة لان العثمانيين الذين اظهروا للقائد السعودي الباسل الولاء والصداقة اخذوا يعملون سرا على تقويض دعائم عرشه والقضاء عليه •

فراحوا يساعدون عدوه متعبا بن الرشيد ويمدونه بالسلاح والعتاد وبالمال ويحرضونه على مهاجمة عبد العزيز آل سعود •

ومتعب بن الرشيد كان يقيم في حائل عاصمة جبل شمر •

وكان ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض على عبد العزيز •

فاذا بالفرصة تسنح له •

وراح متعب يستعد لمنازلة عبد العزيز ، في حين كان عبد العزيز

يحتاط لكل مفاجأة ويتأهب للرد على كل اعتداء .

واذا بالمفاجأة تقعد العثمانيين عن المضي في مد يد المساعدة الى متعب ..

والمفاجأة تلك كانت اندلاع شرارة الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٣ « ١٩١٤ م » .

وانقسم العالم في تلك الحرب الطاحنة الى قسمين متحاربين متنافسين :

المانيا وحلفاؤها النمسا والمجر في صف ..

وبريطانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا في صف .

ونشبت حرب هائلة ضروس تلتهم العالم وتخضب الارض بالدماء.

ووقفت البلاد العربية ، ومعظمها تحت السيطرة العثمانية ، والبعض القليل منها تحت النفوذ البريطاني ، وقفت ترقب الاحداث وتنتظر انضمام الامبراطورية العثمانية الى احد المعسكرين .

ولم يطل الانتظار .

فقد اعلنت الدولة العثمانية انضمامها الى المعسكر الالماني .

ومعنى ذلك ان الدول الواقعة تحت الحكم العثماني كلها اصبحت في حرب مع الحلفاء .

ولعل عبد العزيز كان الحاكم الوحيد الذي لا يخضع لاي سلطة اجنبية في البلاد العربية يومذاك .

فالحجاز كان لا يزال ولاية عثمانية .

وكذلك جبل شمر كان في يد آل الرشيد الخاضعين للسلطان العثماني .

واليمن يحكمها اسميا آل حميد الدين ويحكمها فعليا العثمانيون.

والكويت تحت النفوذ البريطاني .

اما العراق وسوريا فكانت الكلمة فيهما للدولة العثمانية •
ومصر يحتلها البريطانيون عسكريا ويحكمونها سياسيا •
والخليج العربي تحت السيطرة البريطانية ايضا •
ولذلك فقد اشتد النزاع بين العثمانيين والبريطانيين على المراكز الستراتيجية في الشرق العربي خلال تلك الحرب الضروس •

وكان من الطبيعي ان يسعى البريطانيون والعثمانيون لاسترضاء عبد العزيز ، الذي يبرهن عن قوة عسكرية وعن حكمة سياسية ، وان يعمل الفريقان لضم الاراضي التي يبسط عبد العزيز سلطانه عليها الى منطقة نفوذهم •

وعبد العزيز كان يعلم انه لا بد من اعلان موقف صريح •
اما ان ينحاز الى المعسكر العثماني •
او ان يميل الى المعسكر البريطاني •
ورأى عبد العزيز ان يتشاور مع اخوانه الحكام العرب قبل ان يتخذ موقفا حازما •
وامل ان يتوصل مع الحكام العرب الى اتخاذ موقف موحد وان يعقد معهم اجتماعا للتداول والبحث في الامر •
فكتب الى الشريف الحسين ، حاكم الحجاز والى ابن الرشيد حاكم جبل شمر ، والى الامام يحيى حاكم اليمن والى الشيخ مبارك الصباح امير الكويت يدعوهم الى الاجتماع والتداول •
وكانت بادرة عبد العزيز اول بادرة لعقد مؤتمر قمة عربي •
الا ان هذه الدعوة لم تلق الاجابة •
ولم يلب الرؤساء العرب دعوة عبد العزيز •
فما كان منه الا انه عزم على اتخاذ موقف خاص •
وليتدبر كل منهم امره بنفسه •

ورأى البريطانيون ان يستعجلوا ارضاء عبد العزيز وعقد معاهدة صداقة وتضامن معه فأوفدوا اليه الكابتن شكسبير حاملا لـه عواطف البريطانيين وصداقتهم طالبا منه عقد معاهدة معهم •

وما رآه البريطانيون رآه ايضا العثمانيون •

فأوفدوا اليه صديقه وصديقهم طاليا النقيب •

الا ان عبد العزيز لم يجب البريطانيين ولا هـو اجاب العثمانيين الى طلبهم وانصرف الى درس الموقف قبل اتخاذ اي قرار ••

وانقضى ذلك العام وعبد العزيز ما زال يدرس ويراقب ويفاوض •

وفي مطلع عام ١٣٣٣ « ١٩١٥ » قتل المفاوض البريطاني الكابتن شكسبير برصاصة طائشة فأوفد البريطانيون الى عبد العزيز مفاوضا غيره هو السير برسي كوكس •

واستمرت المفاوضات شهورا قليلة •

وانتهت بعقد معاهدة وثيقة بين عبد العزيز آل سعود والحكومة البريطانية •

وكان البريطانيون قد عقدوا معاهدة اخرى مع الشريف الحسين حاكم الحجاز تعهدوا فيها بحماية الشريف ورد كل اعتداء عنه •

وتعهد لهم الشريف باشعال نار الثورة في البلاد العربية الواقعة تحت سيطرة العثمانيين •

فوفق في تنفيذ تعهده في بعض المناطق وفشل في البعض الآخر •

وأطلق البريطانيون عملاءهم وساستهم وجواسيسهم ورجالهم المحنكين الدهاة في البلدان العربية •

وراح هؤلاء الرجال يعملون للنفوذ البريطاني وينثرون الذهب بين ايدي حكام العرب وزعمائهم •

ويبذلون لهم الوعود ، والعهود •

ويلوحون للبلاد الواقعة تحت الحكم العثماني بالحرية والاستقلال.

فكان هناك في البلاد العربية اللورد كتشنر ، والسير ارثر مكماهون ، والمستر ستورس ، والكولونل لورانس ، والجنرال شو ، والكولونل هوغارت ، والمستر فلبي .

وبينهم من يتقن العربية مثل الكولونل لورانس والمستر فلبي اللذين كانا يجيدان العربية تحدثا وكتابة .

وقد وفق هؤلاء الى عقد معاهدات وثيقة مع جميع الحكام العرب ما عدا ابن الرشيد الذي أصر على مناصرة العثمانيين الذين كانوا يجزلون له العطاء ويعدونه بالمساعدة العسكرية للقضاء على عبد العزيز ابن عبد الرحمن وكان هذا الوعد كافيا لحمل ابن الرشيد على مناصرة العثمانيين والانضمام تحت لوائهم ، لان ابن الرشيد كان يطمع في الثأر من عبد العزيز الذي هزم اباه وأذله هو .

ولم ييأس البريطانيون من ضم متعب بن الرشيد الى صفوفهم فأوفدوا اليه الكولونيل لورانس حاملا صناديق الذهب .

الا ان العثمانيين نصبوا كمينا للكولونيل لورانس وسلبوه ما يحمل من الذهب ، ثم ادعوا ان السالبين هم من البدو الخاضعين للامير السعودي .

وبلغ النبأ مسامع الامير عبد العزيز فغضب شديد الغضب .

وقال : « والله لئن صدق اتهام العثمانيين لاعدم كل من سولت له نفسه السلب والنهب ولو كان من اخص رجالي » ..

واطلق الامير السعودي رجاله في اثر السالبين فأدركوهم وقبضوا عليهم واستعادوا الذهب منهم واقتادوهم الى اميرهم المفدى .

فما كان من عبد العزيز الا انه حاكمهم فاعترفوا بان الوالي العثماني اطلقهم في اثر الكولونيل لورانس وطلب اليهم ان يسلبوه ما

يحمل من ذهب لابن الرشيد •

واشتدت نقمة العثمانيين على عبد العزيز بعد ان فضحهم امـام البريطانيين •

وعزموا على مد ابن الرشيد بالمال والرجال وبالسلاح للقضاء على عبد العزيز ••

ونفذوا ما عزموا عليه •

فأرسلوا الى ابن الرشيد صناديق الذهب ، والسلاح والرجال •

وقالوا له : لك كل ما تريد ، فانطلق في اثر ابن عبد الرحمن •

وخيل لابن الرشيد ، انه سيتمكن ، هذه المرة من قهر عبد العزيز وشفاء غليل انتقامه •

وراح يستعد لضربة ابن عبد الرحمن الضربة القاضية ، الا ان عبد العزيز لم يكن غافلا عما يدور حوله •

وكان قد وقف على كل ما جرى فابتسم وهمس : « يبدو ان ابن الرشيد لم يتعلم ، ولم يشب • ولم يدرك انه دوننا قوة وبسالة ، وان المال والرجال والسلاح كله لا يكفي للانتصار اذا فقدت الشجاعة » •

وفيما ابن الرشيد يستعد لمهاجمة عبد العزيز ، اذا به يفاجأ بعبد العزيز يهاجمه بثلاثة آلاف مقاتل ••

وكانت معركة دامية كتب النصر فيها لابن عبد الرحمن ، واضافت مجدا جديدا على امجاد عبد العزيز •

الا ان هذه الانتصارات الباهرة التي احرزهـا القائد السعودي اشاعت المخاوف والهواجس في نفوس بعض حكام العرب •

وقد خشوا ان يهاجم عبد العزيز ويستولي على بلادهم •

وعبد العزيز لم يكن يفكر بذلك •

بل على العكس ، كان ينوي دعم ومساعدة جيرانه مـن الحكام

العرب .

وكان يفكر بجمع شمل العرب وتوحيد كلمتهم ورص صفوفهم ..

وكان اشد المتخوفين من قوة عبد العزيز الشريف الحسين حاكم الحجاز .

واظهر الشريف الحسين مخاوفه لأصدقائه البريطانيين .

وطلب المساعدة والحماية فطمأنوه .

واتصلوا بصديقهم الامير السعودي طالبين اليه تعهدا بعدم مهاجمة الشريف الحسين .

ودهش عبد العزيز للطلب وسألهم : من قال لكم انني انوي مهاجمة الحجاز ؟

قالوا : نريد تعهدا منك بعدم التعرض لصديقنا الشريف الحسين .

فأدرك عبد العزيز ان الشريف الحسين وراء هذا الطلب .

واجاب : اتعهد لكم بذلك شرط الا يبدر من الشريف الحسين اي عداء ، وان يصون حرمة الجوار ، وان لا يسيء الى القبائل التي تدين لي بالولاء والنازلة على الحدود . نحن لا نحارب من يحترم سيادتنا ويصون كرامتنا ويمد لنا يد الصداقة والولاء .

فاطمأن البريطانيون لهذا التعهد وحملوه الى الشريف الحسين .

وبات عبد العزيز على حذر ..

وتساءل : لماذا يطلب الشريف الحسين من البريطانيين الحماية ؟

ولماذا يطلب البريطانيون منه تعهدا بالاحجام عن محاربة الشريف الحسين ؟

ايكون الحسين عازما على القيام بعمل عدائي ؟

ايكون عازما على ضم نجد الى ولايته ؟

وجاءته الاحداث بالجواب في مطلع عام ١٣٣٦ هـ « ١٩١٧ م » عندما علم ان قوة من قوات الشريف الحسين اغارت على واحة «الخرمة» المشرفة على نجد .

وهي واحة تقع على الحدود النجدية الحجازية وتقيم فيها قبائل « عتيبة » التي تدين لعبد العزيز بالولاء .

وتمكن العتيبيون من رد الاغارة .

الا انهم خشوا ان يعيد الشريف الحسين الكرة ويحتل واحتهم فاستنجدوا بعبد العزيز .

وأبى عبد العزيز ان ينجد قبائله بالسلاح وبالرجال احتراما منه للتعهد الذي قطعه للعثمانيين .

الا انه كتب للشريف حسين يحذره وينذره ويطلب اليه الكف عن الاعتداء على قبائل هي من قبائله وعلى منطقة هي من قلب مناطقه .

فجاءه الجواب من الشريف الحسين مؤكدا له الصداقة والود والرغبة في توطيد السلام بينهما ..

غير ان القوات الحسينية عادت الى الاغارة على « الخرمة » بعد ايام قليلة .

وعادت قبائل عتيبة الى الاستنجاد بعبد العزيز .

وعاد عبد العزيز الى تحذير الشريف الحسين ..

وكان رد الحسين هذه المرة اغارة ثالثة على الخرمة .

فهرع ابناء قبائل عتيبة الى عبد العزيز طالبين اليه الحماية والعون .

فما كان من عبد العزيز الا انه هب لنجدتهم .

واوفد اليهم قوة من رجاله .

وكتب للحسين مجددا يحذره من تكرر الاعتداء على واحة « الخرمة » .

ووصل النبأ الى البريطانيين فأدركوا ان الحرب ستنشب بين صديقهم عبد العزيز وصديقهم الآخر الشريف الحسين •

ورأوا ان يتداركوا الامر قبل وقوعه فاتصلوا بالامير السعودي يذكرونه بالتعهد الذي قطعه لهم بعدم منازلة الحسين •

فكان جواب عبد العزيز : « انا عندي تعهدي • فليكف الحسين عن الاعتداء ويأمن منازلتي » •

وكان في جواب عبد العزيز الكثير من الاعتزاز والكرامة مما اهاب بالبريطانيين الى النقمة والحقد، والوقوف بجانب الشريف الحسين، ولا سيما وقد كانوا يعتمدون على الشريف في السيطرة على جميع البلدان العربية •

اما عبد العزيز في نظرهم ، فلم يكن سوى عربي ثائر يقود جيشا صغيرا غير نظامي ، ولا يملك من الاسلحة الا البدائي القديم في حين كان الحسين على رأس جيش نظامي ولديه من الاسلحة الحديثة والمعدات الحربية ما يؤهله لاحتلال نجد بكاملها وضمها الى ولايته •

وكانت وقفة البريطانيين هذه تشجيعا للحسين الشريف •

او بالاحرى كانت بمثابة تحريض له على عبد العزيز •

فراح يتأهب لاحتلال بعض مناطق الحدود التابعة لعبد العزيز ، في حين راح عبد العزيز يستعد ايضا للدفاع عن مناطقه وعن القبائل التي تدين له بالود وبالوفاء •

وفيما عبد العزيز بن عبد الرحمن والشريف الحسين يتأهبان ويستعدان ، والدولة البريطانية تمد الشريف بالمساعدات الحربية سرا ، انتشر نبأ انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء وبهزيمة الالمان والعثمانيين •

فعمت الفرحة العالم •

وبدأت الدول الكبرى المنتصرة بالتفاوض لاقتسام النفوذ ومد

سلطانها على انحاء الارض •

وكان من الطبيعي ان تطالب بريطانيا بالدول العربية وان تعمد الى مد سلطانها ونفوذها وسيطرتها على بعض هذه الدول •

وراح البريطانيون يخططون لمستقبل البلاد التي بسطوا سلطانهم عليهـــا •

ومنها بعض الدول العربية •

واستطاع البريطانيون بدبلوماسيتهم وسياستهم ومالهم وصداقتهم لبعض الحكام العرب ان يوطـــدوا اركانهم في قسم كبـــير من الدول العربية ومنها مصر والعراق وفلسطين وبعض الامارات والولايات العربية •

وباتوا يحلمون بانشاء دولة عربية موحدة تكون لهم فيها الكلمة الفصل •

وكان عبد العزيز يراقب الاحداث بحذر وقلق دون ان يرتمي في احضان البريطانيين كما فعل غيره من الحكام العرب •

وقد اطمأن بعض الاطمئنان وانصرف الى تنظيم ولايته ورفع نجد بكاملها الى المستوى الحضاري الذي كان يتوق اليه ليرى بـــلاده في مصاف الدول الراقية المتحضرة •

واذا بالمفاجأة تدهش عبد العزيز •

والمفاجأة تلك كانت حملة جهزها الشريف حسين بقيادة ابنه عبدالله على « تربة » وهي منطقة سعودية ، فاحتلها دون مقاومة لان عبد العزيز لم يكن ينتظر هذه المفاجأة وكان ذلك في عام ١٣٣٧ هـ «١٩١٩ م» •

واعلن الامير عبد الله، قائد الحملة الحسينية ضم تربة الى الحجاز •

ووجه رسائل الى القبائل والعشائر يعلن فيهـــا ان الملك في تربة اضحى لوالده الشريف حسين وان الويل سيحل بكل من تحدثه نفسه بالتمرد والعصيان •

وراح الامير عبد الله يعزز قواته ، وقد خشي هجوم عبد العزيز .
واحاطت قواته بالمدينة تطوقها وتقطع الطريق على كل قادم اليها .
ولم يكتف الامير عبد الله بذلك بل هو راح يستعد للزحف الى خرمة .

واعلن في القبائل انه سيحتل خرمة والاحساء وكل المناطق النجدية ويضمها الى الحجاز .
وكان عبد العزيز في خرمة عندما وصله النبأ .
فغضب الا انه ابى ان يزحف الى تربة وينازل الامير عبد الله ويهرق الدماء العربية .

ورأى ان يكتب الى الشريف حسين طالبا اليه انسحاب نجله الامير عبد الله من تربة .
ونفذ قراره فورا .
وكتب رسالة الى الشريف حسين يطلب فيها جلاء القوات الحسينية عن تربة حقنا للدماء وصونا للصداقة التي تربط بينهما .
واقام عبد العزيز يرقب الجواب .
وطال انتظاره دون جدوى .
فرأى ان يزحف الى تربة دفاعا عن ارض نجدية وعن قوم يدينون له بالولاء والمحبة والوفاء .

واذا بالامير السعودي يوفد القائدين سلطان بن بجاد وخالد بن لؤى على رأس قوة عسكرية من الاخوان ابناء الهجر ، الى تربة لمساعدة ابناء المدينة على استعادة مدينتهم .
وسار القائدان الى تربة ، في حين راح الامير عبد العزيز يستعد للحاق بهما ، وهو لا يجهل اية قوة هي القوة الحسينية المرابطة في تربة .
وقد ادرك ان معركة تربة ستكون بدء المعارك مع الشريف حسين .

ووصل القائدان سلطان بن بجاد وخالد بن لؤى الى ضواحي تربة في ليل الرابع والعشرين من شعبان ١٣٣٧ هـ « ١٩١٩ م » .

فطوق خالد مخيم الامير عبد الله .

وحاصر سلطان مضارب الجيش الحسيني .. واستفاق الامير عبد الله ليجد نفسه في كبد المعركة ..

وكانت معركة رهيبة في الظلام انتصر فيها الجيش السعودي انتصارا رائعا وامتلأت تلك البطاح بجثث الجنود الحسينيين ، وقيل ان عدد القتلى بلغ زهاء اربعة آلاف قتيل .

وعندما بزغ الصباح كان لواء النصر المبين قد عقد للقائدين سلطان وخالد .

وكان الجيش الحسيني قد تشتت والامير عبد الله ولى الادبار .

ودخل السعوديون الى تربة فاستقبلهم ابناء المدينة بالهتاف والترحيب .

وقبل مغيب ذلك النهار كان الامير عبد العزيز قد وصل الى تربة على رأس قوة عسكرية كبيرة ففوجىء بانتهاء المعركة .

وكان قد خيل اليه ان الامير عبد الله سيتمكن من الصمود وسيستطيع الدفاع اياما طوالا .

الا ان عبد العزيز دهش وقد شاهد جثث القتلى تملأ تلك الرمال، ووجم ، وحزن ، وبكى ؟

وامر بدفن القتلى .

وقال : «وددت لو انني لم استعد تربة ولم تزهق هذه الارواح».

وجاءه القائدان المنتصران سلطان وخالد يعلنان عزمهما على اللحاق بالامير عبد الله والزحف الى الطائف .

الا ان الامير العربي الابي منعهما .

وحذرهما من الهجوم .
وامرهما بالتزام الدفاع فقط .
ثم قفل عائدا الى الرياض .

وأقام يرقب تطور الاحداث ، وقد تأكد مـن ان الايـام القليلة المقبلة ستحمل اليه احداثا كثيرة ، وان الشريف حسين وحلفاءه البريطانيين لن يناموا على الضيم ، ولن يسكتوا عن استعادة تربة وتحريرها .

وصدق ظنه .

فقد ورده كتاب من المعتمـد البريطاني ، بعد عشرين يوما مـن احتلال تربة يدعوه فيه الى سحب جيشه من المدينة والعودة الى نجد لئلا تضطر الجيوش البريطانية الـى التدخل ويكـون في ذلك نقض للمعاهدة السعودية البريطانية .

ولم يكتف المعتمد البريطاني بهذا الانذار ، بل هو لوّح في كتابه لعبد العزيز بمساعدة الشريف حسين ومده بالاسلحة والرجال والعتاد .

ولم ينس المعتمد البريطاني ان يذكر عبد العزيز بان بين بريطانيـا وبينه معاهدة صداقة وعليه ان يحترمها .

وعبد العزيز كان يعتبر المعاهدات مواثيق شرف يحترمها ويصونها .

فأوعز الى رجاله بمغادرة تربة مكتفيا بالقاء درس على كل مـن يفكر بالاعتداء على مناطقه وقومه .

- ٥ -

سلطان نجد وملحقاتها

بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، وسكتت اصوات المدافع ، وهدأت الحال في بعض الدول العربية وارتاحت الدول الكبرى الى اقتسام العالم راح الشريف حسين يطالب بريطانيا بتنفيذ وعدها باقامة مملكة عربية تكون عاصمتها دمشق وتكون له فيها اليد والكلمة.

ولما لم ترد بريطانيا على الطلب ، لا بالرفض ولا بالقبول اعتبر الشريف حسين سكوتها موافقة على ما يطلب وجهز جيشا بقيادة ابنه فيصل لاحتلال سوريا واقامة العرش الحسيني وتنصيب فيصل ملكا على المملكة العربية في دمشق .

وما ان علم البريطانيون بالامر حتى اعلنوا موافقتهم على قيام المملكة العربية الموحدة ودعموا الجيش الفيصلي بالمال والرجال .

واذا بجيش الامير فيصل بن الحسين يحتل دمشق بمساعدة الجيش البريطاني .

وقد بدأ فيصل يعمل على اقامة العرش الموعود به .

وتحمس الزعماء العرب للفكرة ، وشخص البعض منهم يبايعون الامير فيصل بالحماس والتأييد .

وبدأ يستعد للزحف الى لبنان .

وفي لبنان كان الفرنسيون قد بسطوا انتدابهم ووطدوا اركانهم فتصدوا له وزحفت جيوشهم الى دمشق .

والتقى الجيشان ــ الجيش الفرنسي والجيش الفيصلي ــ في

ميسلون وكانت معركة دامية انتصر فيها الجيش الفرنسي ودخل دمشق •

وبذلك انتهت اسطورة قيام المملكة العربية الموحدة •

وهوى عرش الامير فيصل •

وتلاشت احلامه الوارفة العذاب •

وبدأ الاستياء من بريطانيا يعم البلدان العربية ، لا سيما بعد ان وقفوا على وعد بلفور باقامة دولة صهيونية في فلسطين •

فرأت بريطانيا ان تتدخل لتصون نفوذها •

ودعت خبراءها وساستها الى مؤتمر في القاهرة •

وعقد المؤتمر عام ١٩٢١ برئاسة وزير الخارجية السير ونستون تشرشل واتخذ المجتمعون مقررات عديدة لتهدئة خواطر العرب الناقمين •

ومنها اقامة مملكة في العراق وتنصيب الامير فيصل على عرشها باشراف الحكومة البريطانية •

واقامة امارة في الاردن يتولى شؤونها الامير عبد الله بن الحسين وتمدها بريطانيا بالمساعدات المالية والعسكرية •

وتوطيد الانتداب البريطاني في فلسطين •

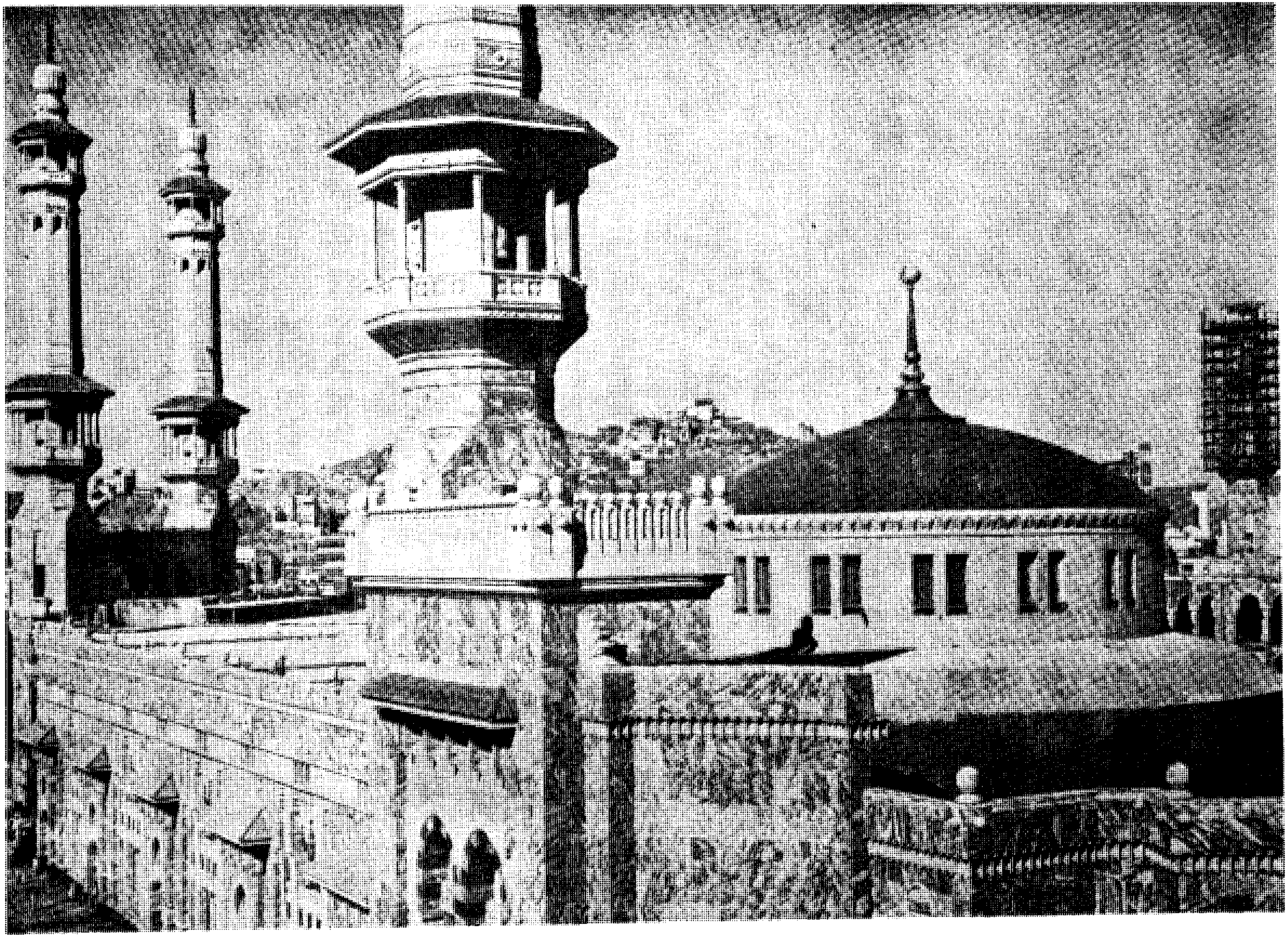
وتدعيم النفوذ البريطاني في مصر •

واطلاق يد فرنسا في لبنان وسوريا •

وخلال هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الدول العربية كان الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن يراقب الاحداث بحذر وخشية •

ورأى ان يقطع الطريق على التدخل البريطاني في نجد وان يتخذ موقفا حاسما فدعا اركان الاسرة السعودية ومشايخ وزعماء القبائل والعشائر الى مؤتمر في نجد •

وعقد المؤتمر واتخذ المجتمعون قرارا بمبايعة الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن سعود والمناداة به سلطانا على نجد



جميع جدران المسجد الحرام مكسوة بالرخام الثمين

وملحقاتها ..

واقام السلطان عبد العزيز يرقب ردة الفعل البريطاني ، فاذا بريطانيا تعلن اعترافها بعبد العزيز سلطانا على نجد .

وكتب اليه وزير الخارجية البريطانية ونستون تشرشل رسالة تهنئة خاطب فيها عبدالعزيز بـ «سموالامير عبدالعزيز سلطان نجد وملحقاتها».

وارتاح الامير عبد العزيز ، سلطان نجد ، بعض الارتياح .

واطمأن بعض الاطمئنان .

وبدأ يفكر بتوطيد اركان سلطنته وتوحيد كلمة ابنائها الميامين .

غير ان ثمة معضلة كانت تقلق السلطان عبد العزيز .

تلك المعضلة كانت معضلة جبل شمر وعاصمته حائل .

وكان ابناء الرشيد يحكمون جبل شمر وفقا لمعاهدة معقودة بينهم وبين عبد العزيز .

غير ان الرشيدون كانوا ، من حين الى آخر ، ينقضون تلك المعاهدة فيرسل اليهم السلطان عبد العزيز الانذارات والتحذيرات والتهديد ..

وابناء الرشيد انفسهم كانوا على خلاف . فهناك محمد بن طلال الرشيد يطمع في الاستيلاء على الحكم من ابن عمه عبد الله بن متعب.

وعبد الله ، وهو الحاكم المطلق يرى في ابناء عمه ، لا سيما محمد ابن طلال ، اعداء الداء يزاحمونه على الحكم ويسعون لتقويض عرشه.

وابناء جبل شمر ينقسمون الى فئتين :

فئة تناصر ابن متعب .

وفئة تؤيد ابن طلال ..

ورأى السلطان عبد العزيز ان ينهي جميع المعضلات التي تتعبه في

جبل شمر ، ويضـــع حدا لعبث عبد الله بن متعب الرشيد بالمعاهدات والمواثيق فأرسل وفدا الى حائل يعرض على الحاكم عبد الله بن متعب ان ينال جبل شمر الاستقلال الذاتي على ان تكون الشؤون الخارجية للسلطان عبد العزيز ..

ورفض عبد الله بن متعب الرشيد العرض .

قال لاعضاء الوفد : اننا نرفض ان يتدخـل عبد العزيز بن عبد الرحمن بشؤوننا الخاصة . جبل شمر لنا ، وحائل عاصمتنا وليس لعبد العزيز ان ينال من سيادتنا وسلطاننا .

وابتسم السلطان عبد العزيز على هزء وسخرية ، وقد حمل اليه اعضاء الوفد رد ابن الرشيد .

وقال : « لقد حان لنا ان نتخلص من المتاعب التي يسببها لنا ابناء الرشيد . لن يكون في نجد مناطق نفوذ لاحد ، لا لابناء الرشيد ولا لغير ابناء الرشيد » .

وعزم السلطان السعودي على مهاجمة جبل شمر واحتلال حائل .

وزحف الى القصيم على رأس قوة من عشرة آلاف مقاتل .

وهناك في القصيم اقام مركزا للقيادة العليا .

ثم قسم قوته العسكرية الى قوتين ، قوة بقيادة عمه محمد ارسلها الى حائل لتطويقها وقطع كل اتصال لها بالخارج .

وقوة بقيادة ابنه الاكبر سعود ارسلها لاحتـلال بعض المناطـق الاخرى .

واقام هو في القصيم يدير المعركة ويصدر الاوامر ..

وذعر عبد الله بن الرشيد وقد وصله نبأ زحف عبد العزيز وتطويق حائل .

فأرسل وفدا من رجاله لمفاوضة ابن عبد الرحمن •

واعلن الوفد للسلطان السعودي موافقة عبد الله على الاقتراح الذي كان عبد العزيز قد تقدم به : « يكون لشمر استقلال ذاتي وتكون الشؤون الخارجية فيها لعبد العزيز » •

فكان رد عبد العزيز : « لقد فات الاوان • ما على عبد الله الان الا ان يستسلم الينا دون قيد ولا شرط » •

وكان من الطبيعي ان يرفض عبد الله بن الرشيد الطلب وان يعلن عزمه على المقاومة والدفاع •

وفيما القوات السعودية تحاصر حائل وتحتل بعض مناطق جبل شمر •

وفيما ابناء حائل يعانون مرارة الحصار •

وصل الى حائل محمد بن طلال الرشيد ، قادما من الجوف ••

وادعى ابن طلال انه قادم لمساندة ومساعدة ابن عمه عبد الله في صد الهجوم السعودي •

الا ان عبد الله ادرك ان ابن طلال اغتنم الفرصة السانحة وجاء الى حائل ليقصيه عن الحكم ويتربع على العرش •

وتلفت عبد الله حوله فلم يجد معينا •

ورأى ان يستسلم لعبد العزيز بن عبد الرحمن وهو لا يجهل ان السلطان السعودي سيكون ارحم من ابن عمه محمد بن طلال •

غير ان ابن طلال كان قد بدأ يستولي على السلطة ويستميل الزعماء والشيوخ فلم يعد باستطاعة عبد الله اعلان الاستسلام ، ورأى ان يهرب من حائل ويلجأ الى عبد العزيز •

وفي ليلة حالكة السواد اصطحب عبدالله ابن الرشيد بعض رجاله

واعوانه واقاربه وتسلل من حائل قاصدا معسكر سعود بن عبد العزيز قائد القوات السعودية •

واستقبلهم سعود خير استقبال •

وحماهم من البدو الذين يدينون للاسرة السعودية بالولاء والذين ارادوا الفتك بهم ، واوفدهم بحراسة بعض جنوده الى والده لينظر في امرهم •

وكان استقبال السلطان عبد العزيز لعدوه اللدود عبد الله بن الرشيد واعوانه حافلا •

ورحب بهم شديد الترحيب واكرم وفادتهم وأمنهم على حياتهم •

فبكى عبد الله متأثرا بهذه الشهامة التي تحتل قلب السلطان عبد العزيز ، واعلن له الوفاء والوئام والطاعة والخضوع •

وتولى الحكم في حائل ، بعد خروج عبد الله ، ابن عمه محمد بن طلال •

وكان ابن طلال رجلا شجاعا عنيدا ابى الاستسلام لعبد العزيز واعلن عزمه على الاستمرار في الدفاع حتى يتم له النصر او الموت وقد خيل اليه انه سيتمكن في الدفاع عن حائل طويلا ، فيدب اليأس في قلب عبد العزيز ويأمر قوته بالعودة الى الرياض •

والحقيقة هي ان حصار حائل طال •

فقد تمكن ابن طلال من الصمود مدة طويلة •

الا ان اليأس لم يدب في قلب عبد العزيز ، وهو القائد الشجاع الباسل الذي خبر الحروب وتمرس في فنون القتال •

فرأى ان يضرب ضربته القاضية وينقذ ابناء حائل المحاصرين من الجوع والعطش وويلات الحروب •

وزحف عبد العزيز الى حائل •

ووحد القيادتين •

وتولى هو بنفسه الهجوم على حائل ••

وانهالت قنابل المدافع ورصاص البنادق على حائل •

فثار الاهالي على ابن طلال وطالبوه بالاستسلام •

الا ان ابن طلال رفض الاستسلام ولجأ الى اصدقاء اسرته البريطانيين طالبا اليهم التوسط بينه وبين السلطان عبد العزيز ، واقناع السلطان السعودي بالتراجع وفك الحصار عن العاصمة •

ونزل البريطانيون عند طلب صديقهم ابن طلال •

وجاء السير برسي كوكس الى عبد العزيز متوسطا لابن طلال •

الا ان عبد العزيز رفض الوساطة واستمر في الهجوم •

فهو يريد ان ينهي معضلة جبل شمر فيرتاح ويريح •

وادرك محمد بن طلال انه الخاسر في معركته مع عبد العزيز وان حائل ساقطة في يد ابن عبد الرحمن لا محالة فجمع رجاله وقواده واعوانه يستشيرهم في الامر ••

ونصحوه بالاستسلام ••

وقال ابن طلال : اخشى ان ينكل عبد العزيز بنا ويفتك برجالنا ان نحن رفعنا راية الاستسلام •

فانبرى عبد العزيز بن ابراهيم ، وهو من زعماء حائل الذين يحترمون ويحبون ابن عبد الرحمن ويعجبون به ، قائلا : لا •• ان عبد العزيز لن ينكل بنا ولن يفتك برجالنا • انني اعرف من هو ابن عبد الرحمن واي انسان شهم نبيل كريم هو •

قال ابن طلال : اذن سأكتب اليه رسالة اعرض فيها عليه الصلح •

فتساءل عبد العزيز بن ابراهيم : ومن هو ذاك الذي سيحمل رسالتك الى ابن عبد الرحمن ايها الحاكم ؟

قال ابن طلال : انت يا ابن ابراهيم .

فتمتم عبد العزيز بن ابراهيم : اذا كنت تريد ان تعهــد الي بطلب الصلح من السلطان عبد العزيز فانا لست بحاجة الى رسالة تكتبها اليه ، يكفي ان تسلمني خاتمك ليكون بمثابة تفويض الى اجراء المفاوضات ، وانا اضمن لك الوصول مع عبد العزيز الى الصلح الذين تنشدون .

فأيد الزعماء والشيوخ والقواد ما يقول ابن ابراهيم .

وانتزع ابن طلال خاتمه من بنصره ودفع به الى عبد العزيز بــن ابراهيم قائلا : ليكن ما تريد وما يريــد الاصدقاء . سر الى ابن عبــد الرحمن على بركات الله .

وسار عبد العزيز بن ابراهيم الى السلطــان عبد العزيز بــن عبد الرحمن وهو موقن من النجاح في المهمة الصعبة .

واستقبله السلطان عبد العزيز بالترحيب .

وأكرمه .

وسأله عن ابناء حائل .

فبسط له ابن ابراهيم الحال في حائل .

قال : حالنا في حائل تسر عدوا ولا صديقا . اننا نعــاني مــن الحصار الذي ضربته قواتكم على المدينــة الاهوال ، والحرب الناشبة بينكم وبين ابــن طــلال الرشيد قضت مضاجعنا وانزلت فينا الدمــار والهوان .

فتمتم السلطان : لم تكن لنا في هذه الحرب يد يا ابن ابراهيم . حاكمكم ابن طلال اضطرنا الى اعلان الحرب . اذا كان لا بد لكم مــن اللوم فما عليكم الا لوم ابن طلال .

قال ابن ابراهيم : لقد ندم حاكمنا ابن طلال على ما بدر منه . وهو يرجو منكم ان تضربوا صفحا عن الماضي وان توافقوه على اعلان الصلح .

فوجم السلطان عبدالعزيز : ايكون ابن‌ابراهيم صادقا في ما يقول؟ هل صحيح ان ابن طلال الرشيد يطلب الصلح ام ترى ابناء حائل هم الذين اوفدوا ابن ابراهيم اليه ؟

وادرك ابن ابراهيم ما يجول بفكر السلطان فقال : انا رسول ابن طلال اليكم يا مولاي • وانني مكلف باجراء مفاوضات الصلح مع عظمتكم •

قال السلطان عبد العزيز : هل تحمل تكليف من ابن طلال ؟

فما كان من ابن ابراهيم الا انه عرض على عبد العزيز خاتم ابن طلال الرشيد •

قال : هذا هو التفويض يا سيدي •

قال عبد العزيز : كيف يطلب منا ابن طلال الصلح وهو المنهزم الخاسر ؟ ثم هل يخيل اليه اننا المعتدون ، واننا راغبون في اراقة الدماء ؟ اليس هو من قادنا الى هذه الحرب ؟

قال ابن ابراهيم : نرجو مولانا السلطان ان يضرب صفحا عما مضي وليفرض علينا شروط الصلح •

قال عبد العزيز : لن يكون صلح بيننا وبين ابن الرشيد ، بل استسلام •

قال ابن ابراهيم : الاستسلام معناه العبودية يا مولاي •

ــ لا •• ما عبد العزيز بالمستعبد يا ابن ابراهيم • لن نعامل ابن طلال الا معاملة الند للند • فليستسلم ويجد منا كل عطف ومحبة ورعاية•

ــ اذن ابواب حائل مفتوحة لكم وقلوب ابنائها ترحب بكم • ولكن ••

ــ ولكن ماذا يا ابن ابراهيم ؟

ــ ولكن اريد منكم وعدا بنسيان الماضي وبالعفو عن ابناء الرشيد•

ـ ليكن ما تريد • ابناء الرشيد اخواننا ولن يلقوا منا الا ما يلقاه الاخ من اخيه • عد الى ابن طلال واحمل اليه تحياتي ومحبتي •

وعاد ابن ابراهيم الى محمد بن طلال الرشيد حاملا اليـه اقتراح عبد العزيز ••

وكان من الطبيعي ان يوافق ابن طلال على الاقتراح •

وفي ذلك الاقتراح نجاة له ولاسرته من المأزق الحرج ووضع حد للحرب الضروس العاصفة بجبل شمر والغامرة ابناء الجبل بالويل والدمار •

ونفذ الاتفاق •

ودخل الجيش السعودي حائل دخول الفاتح المنتصر •

فهب ابنـاء المدينة الى استقبال جنـود ابن عبد الرحمن بالهتاف والاناشيد والرياحين ••

واستسلم ابن طلال واسرته •

وشخصوا الى الريـاض فرحب بهـم السلطان عبد العزيز شديد الترحيب واحلهم في قصر من قصوره •

وقال لهم : ما انتم بالغرباء عنا • لكم ما لنا وعليكم ما علينا • انتم اخوان لنا واحباب الى قلبنـا ، اطمئنوا ستكونون بيننا علـى الرحب والسعة وستلقون منا المحبة والعطف والرعاية •

فتأثر ابناء الرشيد بتلك العاطفة النبيلة •

ونهض ابن طلال يرد على السلطان بقوله : لن تلقى منا يا ابن عبد الرحمن الا كل طاعة وخضوع واحتـرام • سنكون لك مـن الاوفياء المخلصين ، وانني لابيح لك قطع عنقي اذا بدر مني ما يسيء اليك •

فعانقه السلطان •

وهمس : سيكون بيننا يا ابن طلال عهد جديـد • فلننس الماضي الاليم ولنعمل معا على توفير السلام والخير والازدهـار لهذه البـلاد

الحبيبة .

وطويت صفحة الماضي الى الابد .

وبدأ عهد جديد بين آل سعود وآل الرشيد .

واصبح ابناء الرشيد ، منذ ذلك اليوم ، من اوفى رعايا عبد العزيز آل سعود المخلصين .



الفصل الرابع

الى الحجاز ...

انصرف السلطان عبد العزيز الى الاهتمام بشؤون بلاده ، بعد ان امن متاعب ابناء الرشيد .

وعزم على صون الدماء العربية وحصر الحرب مع الاجنبي اذا كان لا بد من الحرب .

غير ان ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

وعبد العزيز لم يستطع ان يدرك ما تمناه .

ولم يستطع ان يصون الدماء العربية .

فما كاد يأمن خصام آل الرشيد وينتهي من معضلاتهم حتى برزت له معضلة جديدة .

تلك المعضلة كانت معضلة آل عائض .

ووجد نفسه مضطرا للعودة الى شهر السلاح فيوجه ابناء عشيرته.

فكانت حرب « عسير » مع آل عائض .

تلك الحرب التي لم يردها عبد العزيز ولم يسع اليها .

بل هو اضطر الى خوضها مكرها .

كان آل عائض يحكمون منطقة عسير ويتصرفون بشؤون امارتهم تصرفا تاما ..

ولم يرق ذلك للعثمانيين فاقتحموها وجعلوهـا متصرفية عثمانية عاصمتها « ابها » .

واعتقلوا اميرها محمدا بن عائض واعدموه .
وفر ابناء عائض من وجه العثمانيين وتفرقوا .
الا ان العثمانيين ندموا على ما بدر منهم حيال آل عائض لان ابناء البلاد تمردوا عليهم وثاروا فاضطر العثمانيون الى اقامة حكم عسكري في عسير .

ووقفوا عليها حامية من الجنود للحؤول دون اندلاع نار الثورة .
وبالرغم من اقامة الحكم العسكري في عسير ، ومن نزول الجنود العثمانيين فيها فان ابنـــاء عسير مضـــوا في تمردهم وعصيانهم فاضطر العثمانيون الى الاستعانة بآل عائض الفارين لتهدئة ابناء البلاد .

وجاؤوا بحسن عائض واقاموه معاونا للوالي العثماني يحي الدين باشا .

فاستتب الامن بعض الاستتباب في عسير ، واستطاع ابن عائض ان يفعل ما عجز العثمانيون عن فعله في عسير .

وعندما نشبت الحرب العالميـــة الاولى وتورط العثمانيون فيهـــا احتاجوا الى الفرقة العسكرية النازلة في عسير فسحبوها من تلك المنطقة .
وجلا الوالي العثماني عنها فرأى حسن عائض نفسه فجأة حـــاكم البلاد واميرها المطلق السلطان .

وانتشى بالعودة الى الحكم وتباهى .
وراح يستبد ويظلم ويفرض على العسيريين الضرائب الباهظة .
وانصرف الى اللهو والمجون غير مبال بابناء البلاد .
وتبرم العسيريون .
وشكلوا وفدا رفع الى الامير الحاكم ظلامتهم وطلب منه تخفيض الضرائب ، والعدل والانصاف .
فما كان من الامير حسن الا انه طرد اعضاء الوفد وهدد وتوعد .

ومضى في ظلمه وطغيانه •
وتألم ابناء عسير شديد التألم •
وبحثوا عن منقذ فلم يجدوا الا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن
وعبد العزيز يومذاك في اوج عزه ، محط انظار العرب والمدافع عن كل بائس مظلوم •

فأوفد ابناء عسير وفدا الى عبد العزيز يطلبون حمايته وانقاذهم من جور حسن عائض وظلمه •

فرأى عبد العزيز ان يتوسط لابناء عسير عند حاكمهم •
وابى ان يلجأ الى القوة معه صونا للدماء العربية الزكية •
فأوفد الى حسن عائض وفدا من العلماء والشيوخ ليسدوا اليه النصح ويطلبوا منه باسمه الكف عن الظلم والطغيان •

وقام الوفد بالمهمة خير قيام •
فما كان من حسن عائض الا انه ثار وغضب •
وقال للعلماء وللشيوخ : ابلغوا عبد العزيز انني سيد مثله ، ولا اسمح له بالتدخل في شؤوني • واذا لم يكف عن التدخل فانا سأزحف بجيشي الى الرياض واحتلها واقضي على اسطورة اسمها عبد العزيز بن عبد الرحمن •

وقال اعضاء الوفد في نفوسهم وهم يعودون ادراجهم : « مسكين حسن عائض •• لقد قضي عليه » •
ونقل اعضاء الوفد الى السلطان عبدالعزيز كلام حسن عائض حرفيا •
فطفت على شفتيه ابتسامة هزء وسخرية •
وتمتم : « يا له من جاهل •• يبدو انه لا يعلم من هو عبد العزيز آل سعود » ••
وكان لا بد من تعريف ابن عائض بالسلطان عبد العزيز بواسطة

السيف ..

وجهز عبد العزيز جيشا صغيرا من الفي جندي بقيـادة ابن عمه عبد العزيز بن جلوى .

ودفع به الـى ابها عاصمة عسير في غرة شعبان مـن عام ١٣٣٨ « ١٩٢٠ » .

وعلم حسن عائض بالامر .

فأدرك انه اخطأ .

ولكن بعد فوات الاوان .

وكان لا بد له من مجابهة القوة السعودية فجمع جيشه وعسكر في « حجلة » .

وراح يستعد لمنازلة الجيش السعودي مستعينا بابن عمه محمد بن عائض وهو خبير في الشؤون العسكرية .

وعندما وصل عبد العزيز بن جلوى الى حجلة بادره حسن ومحمد عائض بالنار .

واصطدم الجيشان الصغيران : جيش آل سعود وجيش آل عائض.

ودارت في حجلة معركة داميـة كتب النصر فيهـا الى الجيش السعودي .

وانهزم حسن عائض وابن عمه محمد في ابها فلحق بهما ابن جلوى ودخل بجيشه المنتصر المدينة ففر حسن ومحمد الى الجبال .

واستقبل ابناء ابها الجيش السعودي استقبالا رائعا .

وراحوا يهتفون بحياة السلطان عبد العزيز ويدعون له بدوام الفوز والانتصار .

واكمل ابن جلوى زحفه في عسير طالبا حسن عائض وابن عمـه محمد .

وراح يحتل جبال عسير دون مقاومة •

وتمكن مـن العثور علـى حسن ومحمد فأسرهما واقتادهما الى الرياض •

ومثل حسن ومحمد امام السلطان عبد العزيز مستغفرين طائعـين خائفين واجمين •

فهدأ عبد العزيز من روعهما واكرمهما ولم يعاملهما معاملة الاسرى بل هو عاملهما كصديقين حميمين •

الا انه عاتب حسن على ما تفوه بـه من كـلام وضيع امام وفد العلماء والشيوخ •

وقال له : « انا ما اردت من وراء احتلال عسير الا تعريفك بقوتي، يا ابن عائض » •

واعتذر حسن على ما بدر منه •

واعلن خضوعه وطاعته للسلطان عبد العزيز طالبا الصفح والعفو••

وصفح صاحب القلب الكبير •

وعفا كعادته •

وخير حسن عائض وابن عمه محمدا بين الاقامة في الرياض مكرمين معززين • وبين العودة الى ابها •

فاختارا العودة •

واذن السلطان لهما بالعـــودة ونفحهما بالمال وبالهدايا وخصهما بمرتب سنوي ضخم يتقاضيانه ما داما وفيين مخلصين طائعين •

وعينهما مساعدين لعامله شويش الضويحي الذي كان قد اقامه عاملا على عسير •

وعاد حسن ومحمد عائض الى ابها « بالسلامة » •

الا انهما ما كادا يحطان الرحـال في ابها حتى كتبا الى السلطان

عبد العزيز ، لا ليشكراه على ما بدر منه حيالهما من عطف وعفو وكرم وسخاء . بل ليطلبا اليه ان يعزل العامل شويش الضويحي ..

ونزل عبد العزيز على طلبهما فعزل شويش الضويحي وطلب اليه ان يعود الى الرياض .

ونصب مكانه عبد الله بن سويلم عاملا على عسير .

ولم تمض شهور قليلة حتى تسلم ابن عبد الرحمن رسالة من حسن ومحمد العائض يطلبان فيها عزل عبد الله بن سويلم ..

وللمرة الثانية يستجيب عبد العزيز الى طلب حسن ومحمد ويقيل عبد الله بن سويلم لينصب مكانه فهد العقيلي ..

وخيل لعبد العزيز ان فهدا سيروق في عيـون حسن ومحمد ، لا سيما وهو رجل وديع دمث الاخلاق مسالم .

الا ان السلطان دهش عندما وردته رسالة من محمد وحسن يطلبان فيها اقالة العامل فهد العقيلي ولما تنقض على تنصيبه شهور قليلة .

ورفض عبد العزيز الطلب .

ولم يعزل العامل العقيلي .

ونام العائضان على الضيم .

ولم تبدر منهما بادرة اعتراض .

ولكنهما طلبا - بعد مدة قصيرة - من العامل فهد العقيلي ان يأذن لهما بالسفر الى « حرملة » لاحضار اسرتهما .

فأذن لهما العامل بالسفر ..

وسافرا الى حرملة واعدين بالعودة الى ابها بعد اسابيع قليلة .

الا انهما لم ينفذا الوعد ولم يعودا .

بل هما اقاما في حرملة يجمعـان انصارهما واقاربهما ويستعدان للهجوم على ابها وطرد العامل فهد العقيلي .

ومن هناك من حرملة اعلن حسن ومحمد التمرد والعصيان على عبد العزيز ، وقد تناسيا فضل عبد العزيز وكرمه وعطفه عليهما ..

ولم يكتف العائضان باعلان تمردهما على ابن عبد الرحمن بل هما اخذا يفاوضان الشريف حسين طالبين منه المساعدة للقضاء على عبدالعزيز.

والشريف حسين كان يتحين الفرص للانتقام من ابن عبد الرحمن .

فما كاد يتسلم طلب المساعدة من حسن عائض وابن عمه حتى اخذ يمدهما بالسلاح وبالمال واعدا مساعدتهما بالرجال ايضا اذا لزم الامر.

ولم يكتف الشريف الحسين بذلك بل هو كتب الى انصاره والى زعماء بعض القبائل الذين يبسط سلطانه عليهم يأمرهم بمساعدة ابني عائض ومدهما بكل ما يحتاجان اليه في معركتهما المقبلة مع ابن عبد الرحمن .

واستطاع حسن ومحمد ان يجمعا جيشا قويا مزودا بالمال وبالاسلحة وبالعتاد التي نفحهما بها الشريف حسين وانصاره .

وزحفا بجيشهما من مرحلة الى ابها ففوجيء العامل السعودي فهد العقيلي بهجومهما وحاول الدفاع عن ابها ريثما تصله نجدة السلطان عبد العزيز الا انه عجز .

واستطاع حسن ومحمد ان يحتلا ابها وان يأسرا العامل فهد العقيلي ويستوليا على الحكم ..

ولم يلبثا ان مدا سلطانهما على عسير بكاملها .

ووصل النبأ الى عبد العزيز .

فوجم وتمتم : « اتق شر من احسنت اليه » .

وراح عبد العزيز يستقصي اخبار المتمردين ، وقد دهش لتمكنهما من احتلال ابها والسيطرة على عسير بكاملها ، وهو يعلم ان ليس لهما من القوة ما يجعلهما قادرين على الانتصار ، وهما اللذان لم يستطيعا

الصمود في وجه ابن جلوى يوم كانا حاكمين في عسير •
وبث العيون حولهما مستفسرا مستعلما ، فوقف على الحقيقة وعلم ان « الفضل » في احتلال ابها والسيطرة على عسير لا يعود الى حسن ولا الى محمد عائض بل هو يعود الى خصمه الشريف حسين •

وعزم السلطان عبد العزيز على ان يضرب المتمردين الضربة القاضية، وهو لا يجهل ان تلك الضربة ، لن تكون مسددة الى حسن ومحمد عائض بقدر ما هي مسددة الى نصيرهما وحليفهما وحامي حماهما الشريف حسين •

- ٢ -

الفيصل في الميدان للمرة الاولى

جمع عبد العزيز قواده وافراد اسرته ورجاله المخلصين ليبحث معهم الامر ويتداول واياهم في قضية الحملة على آل عائض •

وتم الاتفاق على ان تزحف قوة كبيرة من الجيش السعودي الى ابها فتحتلها ثم تستولي على عسير بكاملها •

وتقرر ان تكون الحملة من عشرة آلاف مقاتل •• ولكن من هو قائدها ؟

وتساءلوا : من تراه يقود الحملة على ابها ؟
فاذا بالفتى فيصل نجل عبد العزيز الثاني يثب قائلا : « انا لها » ••
ولمعت العيون بالدهشة • فيصل الذي لم يتجاوز العشرين ربيعا الفتى الطري العود يقود عشرة آلاف مقاتل الى ابها ؟
الا ان الدهشة ازدادت ارتساما في العيون وهم يسمعون عبد

العزيز يقول لابنه : اجل يا فيصل • انت لها • ستتولى قيادة الحملة على ابها وستكون هذه البادرة اختبارا لحكمتك ولقوتك ولذكائك ولجرأتك•

وحاول بعض افراد الاسرة السعودية صرف عبد العزيز عن الاقدام على هذه المغامرة •

فالقائد الذي يتولى قيادة الجيش الى ابها يجب ان يكون ذا خبرة عسكرية ، محنكا قويا حكيما ولا يجوز ان يقود فتى لم يدرج في العشرين من عمره عشرة آلاف مقاتل لاحتلال ابها ومجابهة جيش آل عائض ومن وراءهم سلاح وعتاد الامير حسين •

الا ان السلطان عبد العزيز اصر على ان يتولى القيادة فيصل ، وهو لا يجل اي فتى حكيم شجاع جريء ذكي هذا الفتى المقدام •

وفيصل ، الفتى الذي لم يتجاوز العشرين ربيعا كان جريئا الى ابعد حدود الجرأة •

متمرسا في الاعمال الحربية •

يطل الذكاء من عينيه وتربض الشجاعة في قلبه النبيل •

وكان فيصل قد اخذ الكثير من حكمة وجرأة وشجاعة ونبل وشهامة والده عبد العزيز •

وسارت القوة السعودية الى ابها ••

عشرة آلاف مقاتل يقودهم فتى صغير بعمره كبير بقلبه وبجرأته وبحكمته •

واقام السلطان عبد العزيز يرقب نتيجة المعركة بصبر نافذ وامل بعيد سحيق •

وسار فيصل بجيشه الى ابها على حذر واتئاد •

فهو لا يجهل اية قوة يسير الى قهرها •

فهناك قوة ابناء عائض •

وقوة مناصرهم وحامي ذمارهم والمدافع عنهم الشريف حسين .

وهو لا يجهل ايضا ان معركته مع اعدائه ستقرر مصيره . وعليها ، على تلك المعركة ، يتوقف مستقبله ، لا سيما وهناك عيون في الرياض تشخص اليه وقلوب تعلق عليه الآمال العذاب .

كما ان هناك ايضا نفوسا ترقب الشماتة به ان هو اخفق لا سمح الله ، وهو يعلم ان اقرب المقربين الى والده لاموا ذلك الوالد يوم قرر ان يعقد له قيادة العشرة آلاف مقاتل .

وقالوا لعبد العزيز : « انها مغامرة خطرة ايها السلطان ، فيصل ما زال فتى طري العود ، ومعركتنا مع آل عائض ليست بالمعركة السهلة المنال » .

واراد فيصل ان يبرهن لوالده اولا وللاثمين ثانيا انه قادر على الانتصار .

وانه يستطيع ان يكون القائد الحازم الحكيم .

وان نجل عبدالعزيز لا يقل عن والده شجاعة وقوة وبأسا واندفاعا .

ووصل الامير فيصل بجيشه الى وادي سبيع في غرة شوال من عام ١٣٤٠ هـ « ١٩٢١ م » .

ونزل في « رينة » .

وراح يستقصي انباء آل عائض ويستطلع اخبارهم قبل ان يشن عليهم الهجوم الصاعق الماحق .

ووصلت انباء زحف القوة السعودية الى ابناء عائض .

وعلموا ان الفتى فيصل يقود القوة .

فابتسموا على هزء .

وتهامسوا : « سنفتك به ونبيد جنوده . أيستطيع فتى يانع ان يتغلب على قوتنا وان يتفوق على ما نملك من خبرة وفن في اقتحام

الوغى واضرام نار الحرب ؟ هذه هفوة وقع فيهـا عبد العزيز وعلينا ان نغتنم الفرصة السانحة فما كل مرة تسلم جرة عبد العزيز . هـذه المرة ستكون نهايته » .

واستخفوا بالامير السعودي الفتى .

وخيل اليهم انهـم سينتصرون عليـه ويسجلون النصر المبين ، ويشتتون شمل فيصل وجنوده ..

ولكن بالرغم من اطمئنانهم الى الفوز فقد رأوا ان يجسوا نبض القوة السعودية قبل ان يدفعوا بقوتهم الى الميدان .

فأوعزوا الى قبيلة بني شهر ، وهي قبيلة تناصرهم وتحالف الشريف حسين ، بان تهاجم « بيشه » التابعة لابن سعود .

وقد ارادوا من وراء ذلك ان يستدرجوا فيصل لمنازلة رجال قبيلة شهر ويقفوا على مدى قوته وشجاعته .

فكأنهم ينصبون لابن عبد العزيز فخا .

وقد جهلوا انهم سيقعون هم في ذلك الفخ .

ووصل نبأ هجوم بني شهر على بيشه الى مسامع الامير السعودي.

وجاءه ان قوة بني شهر وصلت الى اطراف بيشه .

فجمع قواده يستشيرهم في الامر .

وقال القواد : « يجب ان نزحف اليهم ونفتك بهم » .

الا ان فيصلا خالفهم .

قال : « لا .. لن نزحف بجيشنا بكامله الى بيشه لمنازلة بني شهر، فأبناء عائض يريدون استدراجنا الى معركة صغيرة ، ليقضوا علينا في معركة كبيرة يختارون هم وقتها وساحتها . لن نقع في فخ آل عائض . نحن الذين نختار ميدان المعركة ونحدد موعدها . كتيبة واحـدة من كتائبنا تكفي للقضاء على بني شهر » .

فأكبر القواد في الفتى فيصل الحكمة على صغر سنه .
ووافقوه على ما ابدى .
واذا بكتيبة واحدة من الجيش السعودي تنقض على بني شهر في اطراف بيشه ، وتفتك بهم فتكا ذريعا .
فتشتت شملهم وتفرقهم في القـرى والسهول والوديان والجبال على ذعر وخوف واضطراب .
وكانت الضربة قاصمة قاضية .
فانطلق الفارون من بني شهر الى القرى والمدن والجبال والوديان يروون ما لقوا من بأس وقوة وبطش الجيش السعودي ، مما اهاب بآل عائض الى ان يتهيبوا الموقف وينصرفوا الى الاستعداد استعدادا كبيرا لمنازلة فيصل بن عبد العزيز .
وكان الامير حسن بن عائض يعسكر بجيشه في «خميس مشيط» عندما بلغه اندحار رجال بني شهر امام الامير فيصل بـن عبد العزيز ، فأدرك ان هذا الفتى السعودي سيتبعه ، وان قوته ليست بالقـوة التي يستخف بها .
وخشي ان يدهمه الامير فيصل في خميس مشيط على غرة فانسحب من خميس مشيط الى « حجلة » ليستعد ويتأهب لمنازلة الامير فيصل.
وعلم فيصل بن عبد العزيز بالامر .
علم ان عدوه حسين بن عائض تقهقر الى حجلة ، فأدرك انه يبغي الاستعداد للمعركة .
ورأى ان لا يترك له فرصة التأهب والاستعداد فلحق به الى حجلة.
وهناك في حجلة دارت معركة لاهبة حامية الوطيس بـين الامير فيصل بن عبد العزيز وبين الامير حسن بن عائض .
وبالرغم من ان قوة ابن عائض كانت قوة منظمة ، لديها الاسلحة

الحديثة التي مدها بها الشريف حسين •

وبالرغم من ان حسن بن عائض كـان قد استعان ببعض الضباط العثمانيين لوضع خطط المعركة •

وبالرغم من كل ما لديه من وسائل حربية ومال ورجـال ، بالرغم من كل ذلك فهو لم يستطع ان يصمد في وجه القوة السعودية الزاحفة الى الميدان كالعاصفة العاتية الهوجاء يقودها فتى لم يتجـاوز العشرين من عمره •

واستطاع الامير السعودي الفتي ان يتغلب على قوات بني عائض بما ينمتع به من حكمة الشيوخ وذكاء الرجال النابهين وشجاعة الابطال المغاوير •

واندحرت قوات حسن بن عائض امام قوات فيصل بن عبد العزيز، وجلا حسن عائض عن حجلة مخلفا فيها مئات القتلى والجرحى •

واستولى الامير فيصل على حجلة فأمر بدفن جثث القتلى وبمعالجة الجرحى ومدهم بالادوية وبالاغذية واحاطتهم بكل عناية •

فأكبر اولئك الجرحى ، الاعداء ، في فيصل شهامته وكرم خلقـه وعزموا على الانضمام الى جنوده والمحاربة تحت لوائه الخفاق •

ولم يكتف الامير فيصل باحتلال حجلة بل هو اندفع في اثر حسن عائض •

فكان ابن عائض يتقهقر من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية ومن واد الى واد ومن جبل الى جبل ، وفيصل لاحق به يحتل تلك المدن والقرى والوديان والجبال ويوطد اركانه في كل منها ليعود فيلحق بابن عائض •

وظلت الحال على هذا المنوال اياما •

ينبلج الفجر عن مدينة « عائضية » حتى اذا اشرفت الشمس على

المغيب كانت تلك المدينة قد اصبحت سعودية .

وفي كل يوم يسجل الامير العربي الوسيم انتصارا جديدا ويحتل مدينة جديدة .

ورأى حسن عائض ان الامر جلل ، وان الامير فيصل سيقضي على جيشه بكامله وسينتزع منه الزعامة على عسير فعزم على الدفاع عن زعامته وعن ارضه وعن كرامته حتى آخر نقطة من دمه .

وابى الاستسلام .

وانسحب الى معقله الوطيد « حرملة » وهي بلدته ومربط خيله.

وانسحب الى حرملة .

وتحصن فيها .

وقال في نفسه : « هنا في حرملة ستكون نهاية فيصل بن عبد العزيز » ..

وحرملة معقل حصين عصت على الفاتحين وعزت على العثمانيين .

تجثم على قمة جبل يصعب التسلق اليها ، والسبل المؤدية الى حرملة وعرة المسالك .

وباستطاعة من يتحصن فيها ان يصطاد القادمين اصطياد العصافير.

وفي هذه الاثناء كان الامير فيصل قد دخل بجيشه المظفر الباسل الى عاصمة عسير ، الى أبها ، فلم يجد فيها رجلا بامكانه ان يحمل السلاح .

لم يجد في ابها الا النساء والاطفال .

اما رجالها فكانوا قد لحقوا بالامير حسن الى حرملة ..

وكانت النساء في حالة ذعر ، وقد خيل اليهن ان ابن عبد العزيز سينزل بهن الويلات وسيسومهن العذاب انتقاما من رجالهن ومن آل عائض .

الا انهن دهشن وهن يشاهدن الامير الفتى يرعاهن ويأمر جنوده باحترامهن وتقديم كل مساعدة وعون لهن وبتأمين الغذاء والدواء لهن ولأطفالهن •

وساد الامن والسلام المدينة •

وخيم عليها العدل والرخاء في ظل الامير فيصل بن عبد العزيز •

وبعد ان اخذ جنود الامير قسطا من الراحة في ابها عقد القائد الباسل فيصل بن عبد العزيز اجتماعا لقواده بحثوا فيها امر استئناف القتال واللحاق بحسن عائض الى حرملة •

وكان رأي بعض كبار القواد الاكتفاء بما وصلوا اليه من انتصار وبما استولوا عليه من مدن وقرى والعودة الى الرياض بعد اعلان الارض التي احتلوها ارضا نجدية تابعة لحكم السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن•

الا ان فيصلا خالفهم الرأي وعزم على اقتفاء اثر حسن عائض الى حرملة •

وقال احد القواد المحنكين الضالعين في شؤون الحرب : في الزحف الى حرملة مغامرة ليست سليمة العواقب ايها الامير العزيز • حرملة حصن منيع حاول العثمانيون مرارا احتلالها فعجزوا ، وخشي البريطانيون انفسهم الزحف اليها • في كل خطوة الى حرملة يكمن الموت • وتسلق الجبل الشامخ الراسخ ليس بالامر اليسير • ما لنا وللمغامرة نلقي بانفسنا بين اشداقها • فلنكتف بما احرزنا من نصر ولنعد ادراجنا •

فابتسم الامير النبيل •

وهمس : اية فائدة لنا من الاستيلاء على المدن والقرى ؟ نحن ما زحفنا الى عسير لنهرق الدم العربي ، وما جئنا لنستولي على ارض عربية • هدفنا كان ولا يزال ترويض بني عائض والقاء درس عليهم في

الوفاء وفي صون المواثيق والعهود • لـــن نعود الى الرياض الا وقد اعتقلنـــا حسن عائض وشقيقه محمدا واتباعهما ، احيـــاء او امواتا • سنزحف الى حرملة غير آبهين لما ينتظرنا من الاهوال والاخطار • اما ان نقوم بالمهمة الملقاة على عاتقنا ، خير قيام ، واما ان نموت شرفاء في ساحة الوغى والجهاد • سنزحف الى حرملة الليلة ، وسأكون انا فـــي الطليعة • من شاء منكم اللحاق بي فليلحـــق ، ومن اراد العودة الـــى الرياض فليعد •

فدهش القواد الكبار لهـــذه الجرأة النـــادرة في فتى لم يتجاوز العشرين •

وهتفوا : كلنا في اثرك ، بل في المقدمة الى حيث تريـــد وتشاء يـــا فيصل •

وكانوا في اثره •

فقد ابى ابن عبد العزيز الا ان يتقدم قواده في الزحف الى حرملة•

وتبطنوا الظلام ، وتسلقوا الجبل على حذر وخشية واتئاد •

وكان الفيصل يتقدمهم فيثير فيهم الهمة الشماء والاندفاع البعيد•

وتأكد الامير الفتى من ان الزحف الى حرملة لا يخلو من المخاطرة والمغامرة •

فالطريق ضيق محفوف بالاخطار •

والصخور الناتئة تزيد في صعوبة التسلق •

والادغال والكهوف تحول دون الاسراع في المسير •

وكان فيصل كلما سار خطوات قليلة في ذلك الطريـــق المنساب انسياب الافعى في السفح الوعر الكئيب يرفع نظره الى فوق ليجد القمة لا تزال نائية بعيدة •

وتلوح له حرملة معلقة في القمة على اعتداد وأنفة وشموخ وكبرياء

فيدرك ان الوصول اليها ليس بالامر السهل الميسور ٠

الا ان روح الشباب كانت تدفعه الى المضي في المسير صعدا على مشقة وتعب وعناء ٠

ويمضي الفيصل في المسير ٠

ويندفع قواده وجنوده في اثره غير آبهين لكل ما يحدق بهم من اخطار ٠

وطال المسير وحرملة لا تزال نائية بعيدة ٠

وبدأت انوار الفجر البعيد تسكب ذوبها على الجبل لتغمره بنورها الوردي الجميل ٠

وكان لا بد من الاستراحة ٠

الا ان الفيصل ابى الاستراحة ٠

وتمتم : لن نستريح الا وقد بلغنا حرملة ٠٠ هبوا ايها الابطال ، هبوا الى الهدف المنشود ، الى حرملة ٠

واندفعوا كالسيل الجارف الطامي ٠٠

واذا بهم عند ابواب حرملة ٠٠

وطوقوها ٠٠

واعلنوا الحصار عليها ٠٠

واذا بالرصاص ينهال عليهم من داخل المدينة المحاصرة ٠٠

وكانت المعركة ٠٠

معركة هائلة رهيبة ٠ استبسل فيها السعوديون في الهجوم ، واستبسل فيها ايضا العائضيون في الدفاع ٠

وطال الحصار ٠

وطال أمد العركة ٠

وقد أبى الامير فيصل ان يرتد خائبا بعد ان بلغ اسوار المدينة ٠

وأبى حسن عائض ان يرفع راية الاستسلام ، وهو القائم في حصن منيع وطيد الاركان .

وخيل للامير حسن عائض انه يستطيع الصمود طويلا وان الامير فيصل سيضطر الى العودة ادراجه بعد ان يمل الحرب ويغمر اليأس قلبه ، ويقطع الامل من افتتاح حرملة ، وعندئذ ، فيما الامير السعودي يحاول الانسحاب والعودة ادراجه يغير عليه حسن ويفتك به وبجنوده.

الا ان حساب الحقل الذي حسبه الامير حسن لم يطابق حساب البيدر ، فالامير فيصل ما يئس ، وذخيرته ما نضبت ، وهمته ، همة الشباب ، ما زالت على ثورة واندلاع .

وبدأ ابناء حرملة يتذمرون وقد انهكهم الحصار السعودي وقطع عليهم سبل العيش والراحة والسلام .

ورأى فيصل ان يضرب الضربة القاضية وان يهاجم المدينة هجوما عنيفا ويضع حدا لتلك المعركة المندلعة اللهب .

فحمل حملة عنيفة على حرملة واندفع بكل قواه وبكل جنوده وبكل اسلحته وبكل ذخيرته في هجوم عنيف مروع رهيب .

وتداعت اسوار المدينة تحت النيران السعودية .

واندحر جيش الامير حسن .

واقتحم الامير فيصل حرملة .

واحتلها بعد معركة منِ اروع واشدالمعارك الحربية التي عرفتها نجد.

وخيل للامير فيصل انه سيجد في المدينة حسن عائض ورجاله واتباعه فيعتقلهم دون عناء .

الا انه دهش ، وقد اكتشف ان لا أثر لحسن ولا لمحمد عائض في حرملة .

فقد تمكنوا من الفرار تاركين مؤونتهم وذخيرتهم وسلاحهم في

حرملة •

واستولى الامير فيصل على كل ما ترك العائضيون •

وأسر عددا كبيرا من ابناء عائض •

الا انه ابى ان يعاملهم معاملة الاسرى فعفا عنهم واكرمهم واحلهم في مقام عال رفيع ••

وانصرف فيصل الى تنظيم شؤون المدينة والى اشاعة العدل والنظام فيها فشعر ابناء حرملة بالراحة والسعادة والهناء والاطمئنان •

وكان حسن ومحمد عائض قد هربا الى « القنفذة » •

واستنجدا بالشريف حسين فأنجدهما ومدهما بثلاثة آلاف محارب بقيادة الشريف عبد الله بن حمزة الفعر ، وبثلاثمئة جندي نظامي يقودهم حمدي بك •

وزودهم بالاسلحة والذخيرة ودفعهم الى القضاء على الامير فيصل وجنوده •

ولم يكن الامير السعودي غافلا عما يجري ، فما ان علم بزحف تلك القوة الى عسير حتى بادر الى توزيع جيشه في طريق القادمين •

وكمن لهم في الطريق فوقعوا في الكمين •

واستطاع الامير السعودي ان يبطش بقسم كبير من ذلك الجيش وان يشتت شمل من نجا منهم •

وهكذا استولى الامير فيصل على عسير وولى عليها سعد بن عفيصان ، وهو من رجاله الاوفياء المخلصين وقفل عائدا الى الرياض ••

وكانت انباء انتصاراته الباهرة قد سبقته الى الرياض •

وعقدت الدهشة الالسن وقد ابى البعض ان يصدق ان فيصلا استطاع الوصول الى حرملة واقتحامها •

الا ان هناك رجلا واحدا لم تعقد الدهشة لسانه ولم يثره ذلك

الانتصار المهيب . فكأنه كان ينتظر هذه الخاتمة .

ذلك الرجل الكبير كان عبد العزيز ..

وهمس السلطان عبد العزيز ، وهو يشاهد النجل الحبيب عائدا على فوز وانتصار : « هذا ما كنت ارقبه من فيصل . هذا هو نجل عبد العزيز ، وليس لنجل عبد العزيز ان يعود الا والنصر معقود له ، واكاليل الغار تعصب منه الجبين » .

وراح الاميران حسن ومحمد عائض يضربان في الصحراء مشردين. وحاولا مرارا عديدة استعادة سلطانهما وحكمهما فأخفقا .

وعندما توفي عامل بن سعود على عسير ، سعد بن عفيصان (عام ١٣٤٢ هـ) ولى عبد العزيز على عسير احد رجاله الاوفياء عبد العزيز بن ابراهيم .

فحاول حسن ومحمد عائض للمرة الاخيرة استعادة الحكم في عسير الا ان العامل ابن ابراهيم عزم على القضاء عليهما قضاء مبرما .

وخشيا مغبة الامر فاستسلما لابن ابراهيم .

فما كان من ابن ابراهيم الا انه ارسلهما الى الرياض ..

وفي الرياض استقبلهما السلطان عبد العزيز استقبالا محترما .

فأعلنا ندمهما على ما بدر منهما واصبحا مـــن المخلصين الاوفياء للسلطان السعودي الرفيع المقام .

★

- ٣ -

عبد العزيز والشريف حسين

شعر السلطان عبد العزيز ببعض الارتياح بعد عقد رايات الصلح مع آل الرشيد وآل عائض وبعد استيلائه علـى جبل شمر وعلى عسير فانصرف الى احتلال بعض المدن والقرى والمناطق التي كانت تعتبر مناطق نجدية الا انها كانت خارج النفوذ السعودي ، ومنهـا خيبر ووادي السرحاب والجوف •

فتنبه البريطانيون للامر وخشوا امتداد نفوذ عبد العزيز لا سيما بعد ان اصبحت القوات السعودية على مقربة من عمان ••

ولم يقف البريطانيون مكتوفي الايدي حيال هذا التوسع السعودي الذي يعتبر تهديدا لنفوذهم وخطرا على مقامهم وسلطتهم فبادروا الـى شن هجوم على القوات السعودية •

وحلقت طائراتهم فوق احدى الكتائب السعودية واخذت تقذفها بالقنابل •

فهب السلطان عبد العزيز محتجا علـى هـذا الاعتداء البريطاني وارسل مذكرة شديدة اللهجة الى البريطانيين يحذرهم فيها من التمادي في الاعتداء ويبدي استعداده لمهاجمة الجيوش البريطانية الضاربة في الصحراء •

وردت السلطات البريطانية على مذكرة عبد العزيز بمذكرة اعتذار تبدي فيها اسفها لما حدث وتدعي ان الطائرات البريطانية اخطأت الهدف عندما قذفت قنابلها وانها لم تكن تريد القوات السعودية هدفا لها وترجو

السلطان عبد العزيز قبول اعتذارها وتعده بعدم تكرر هذا الخطأ .

الا ان السلطان عبد العزيز لم يلق الارتياح .

فقد كانت سنتا ١٣٤١ «١٩٢٢» و ١٣٤٢ «١٩٢٣» سنتي متاعب.

ففي هاتين السنتين وقعت عدة اصطدامات بين القوات السعودية وبين القوات العراقية .

وعادت بريطانيا الى التدخل مرة ثانية ، مدعية حماية مصالحها في العراق .

الا ان تدخلها لم يكن بواسطة الطائرات هذه المرة بل بمساعدة الجيش العراقي من جهة وبالسعي لعقد مصالحة شاملة بين السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن ، وبين الشريف حسين من جهة ثانية ، لان بريطانيا كانت تعلم ان كل ما يلاقي عبد العزيز من متاعب مصدره الشريف حسين .

واتصل الممثل البريطاني بالسلطان عبد العزيز يسأله : « ماذا تريد ايها السلطان ؟ »

فاجاب عبد العزيز : كل ما اريد هو عدم التعدي على حدودي . ان القوات العراقية تتعدى على حدود نجد وانا لن ارضي بان يدخل جندي عراقي او غير عراقي الى نجد .

قال الممثل البريطاني : الحدود غير واضحة . وما دخول القوات العراقية الى الاراضي النجدية الا خطأ لا نستطيع ان نحاسبها عليه . فلنحدد ونوضح الحدود .

قال عبد العزيز : ليكن ما تريدون .

وتم الاتفاق على عقد مؤتمر لتحديد الحدود وتسوية جميع الخلافات .

فكان مؤتمر العقير .

وقد حضر هذا المؤتمر مندوبون عسكريون ومدنيون عن نجد وعن العراق بحضور الممثل البريطاني .

الا ان هذا المؤتمر لم يسفر عن نتائج ايجابية .
وارفض المجتمعون دون ان يصلوا الى اي اتفاق .
وعادت الاصطدامات بين القوات العراقية والقوات السعودية مجددا ..

وفي سنة ١٣٤٢ هـ « ١٩٢٣ م » دعت الحكومة البريطانية الى مؤتمر آخر في الكويت لتسوية جميع الخلافات بين نجد والعراق والاردن والحجاز .
وقد حضر هذا المؤتمر مندوبون عن الحكومات الاربع بحضور الممثل البريطاني .
وتقدم كل مندوب من المندوبين الاربعة بمطالب حكومته .
وكان مطلب المندوب الاردني ان يتخلى السلطان عبد العزيز عن بعض المدن التي احتلها ، واعادة الحكم الى آل الرشيد في حائل واعادة السلطة الى آل عائض في عسير .

ورد المندوب السعودي بغضب : آل عائض وآل الرشيد اصبحوا الان من ابناء سلطنتنا المخلصين وجبل شمر « عاصمة حائل » وعسير منطقتان نجديتان وفيتان ، وما هذا الطلب الذي يتقدم به مندوب الاردن الا تدخل في شؤون نجد الخاصة ، وتحريض لآل غائض ولآل الرشيد على الثورة والعصيان ، وهذا ما لا ولن نرضى به على الاطلاق . انني احتج على هذا الاقتراح ، واطلب سحبه فورا .
وأبى المندوب الاردني ان يسحب اقتراحه .
واصر عليه .

فما كان من مندوب نجد الا انه انسحب محتجا على التدخل في

شؤون نجد الخاصة ، وعلى تحريض ابناء البلاد على الثورة والعصيان..

وفشل مؤتمر الكويت كما فشل قبله مؤتمر العقير .

واتضح ان قضية الخلافات بين عبد العزيز وبين الشريف حسين ليست قضية حدود .

ولا هي قضية جبل شمر وعسير .

بل هي ابعد واعمق وارحب من ذلك .

انها قضية تنازع على الصحراء ، وقضية نظامين مختلفين كل الاختلاف .

وحاول البريطانيون مرارا عديدة ، بعد مؤتمر الكويت ، التوفيق بين الشريف حسين وبين نجليه : الامير فيصل حاكم العراق ، والامير عبد الله حاكم الاردن من جهة ، وبين السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن من جهة ثانية الا انهم لم يوفقوا .

وكان البريطانيون يريدون ان يستتب الامن في البلاد العربية كلها ، وفي استتبابه راحة لهم ولجيوشهم النازلة في بعض الدول العربية على الرحب والسعة .

فحاول الكولونيل نوكس رئيس المعتمدين البريطانيين في الكويت وخليج فارس التوفيق مرارا عديدة بين السلطان عبد العزيز والشريف حسين الا انه لم يوفق .

وظل الخلاف قائما بين سلطان نجد وحاكم الحجاز .

وظلت الاصطدامات تتوالى بين القوات السعودية وقوات فيصل ابن الحسين على الحدود العراقية .

وظل ايضا النفور يشتد والتباعد يزداد بين عبد العزيز والحسين .

وكان الحسين يتخذ قرارات عدائية ضد نجد ، وكأنه يريد اثارة

السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن ٠

ومن هذه التدابير منع الحجاج النجديين من دخول الحجاز والقيام بفريضة الحج المقدسة ٠

٤

الزحف إلى الحجاز

كان الشريف الحسين قد عزز مركزه ووطد اركانه بعد الحرب العالمية الثانية بمساعدة اصدقائه البريطانيين ٠

وكان العثمانيون قد تخلوا عن الخلافة الاسلامية تخليا كليا بعد انهزامهم في الحرب العالمية الثانية ٠

فرأى الحسين الفرصة سانحة ليكون خليفة المسلمين ٠

واعلن نفسه ملكا للعرب وخليفة للمسلمين ٠ فما كان من البريطانيين الا انهم ايدوه واعترفوا به ملكا وخليفة ٠

هذا ما اثار بعض الرؤساء والزعماء العرب ٠

كما اثار ايضا الحكام المسلمين الذين ابوا ان يعترفوا بالشريف حسين خليفة لهم ، وهم الذين كانوا يتبرمون بادعاء العثمانيين الخلافة ٠

ايتخلصون من العثمانيين ليقعوا في يدي الشريف حسين ؟

ومما زاد في نقمة العرب على الشريف الحسين هو انه كان يتكلم باسمهم ٠

فكأنه الحاكم الوحيد في بلاد العرب ٠

وكان «يمون» على جميع الحكام العرب فيتكلم مع البريطانيين

وغير البريطانيين باسم البلاد العربية كلها وباسم الحكام العرب كلهم ، بما فيهم السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن .

واذا كان الحكام العرب لـم يظهـروا نقمتهـم وغضبهم لتصرف الشريف حسين فان عبد العزيز لم يستطع ، وهو الصريح في كـل مـا يفعل وفي كل ما يقول ، لم يستطع ان يخفي غضبه ولا ان يستر نقمته فأعلن للبريطانيين ولبعض الدول الكبرى انه وحده سلطان نجد وليس للشريف حسين ولا لغيره ان يمون عليه ويتكلم باسمه .

فاذا بالشريف الحسين يرد علـى عبد العزيز بالتشدد في منـع النجديين من الدخول الى الحجاز وتأدية فريضة الحج .

وكان موسم الحج قد اهل .

فتبرم النجديون وثاروا ، وهم يـرون انفسهم عاجزين عن القيام بالفريضة المقدسة .

وراحوا يشكلون الوفود ويزحفون الى الرياض طالبين الى سلطانهم الامير عبد العزيز بن سعود السماح لهم بالهجـوم على الحجاز للقيـام بفريضة الحج المقدسة بقوة السلاح .

الا ان السلطان عبد العزيز لم يكن يريد ان يزيـد الخلاف بينه وبين الحسين اتساعا .

وكان يأمل ان يصل معـه الى اتفـاق سلمي ضنا بالدماء العربية الزكية .

فأخذ يطيب خاطرهم ويدعوهم الى التريث والتعقل واعدا باتخاذ تدابير سريعة تؤمن لهم الوصول الى مكة المكرمة .

ووفى عبد العزيز بما وعد .

وقام بمحاولات سلمية لايصال ابناء نجد الى الحجاز .

الا انه فشل في اقناع الشريف الحسين بالرجوع عن القرار الذي

اتخذه بمنع ابناء نجد من الدخول الى الحجاز .

وفي هذه الاثناء كان بعض زعماء وشيوخ قبائل الحجاز يتصلون بالسلطان عبد العزيز شاكين له الظلم الذي يلقونه من الشريف حسين طالبين اليه النجدة والعون .

وكان على السلطان عبد العزيز ان يتخذ قرارا حاسما من الاحداث والمعضلات التي تأتيه من الحجاز .

غير انه لم يشأ ان ينفرد باتخاذ مثل هذا القرار الخطير .

ورأى ان يدعو الزعماء وشيوخ القبائل والعلماء في نجد الى مؤتمر يبحثون فيه قضية الحج والخلافات القائمة بين السعوديين والشريف حسين .

ودعا عبد العزيز الى مؤتمر يعقد في الرياض .

وهب الزعماء وشيوخ القبائل والعلماء والقادة العسكريون الى تلبية الطلب .

وعقد مؤتمر الرياض في ذي القعدة من سنة ١٣٤٢ هـ «١٩٢٣ م» برئاسة الامام عبد الرحمن والد الامير عبد العزيز .

وراح المجتمعون ، وقد ألهب صدورهم الحماس ، ينددون بقرار الشريف حسين الجائر الذي حرمهم من اداء فريضة الحج ويطالبون بالزحف الى الحجاز واحتلالها بقوة السلاح .

الا ان السلطان عبد العزيز اخذ يعمل على تهدئة خواطرهم ، طالبا اليهم التبصر والتروي قبل اتخاذ اي قرار قد يجر على البلاد العربية باسرها المصائب والويلات .

الا ان المجتمعين اصروا على مهاجمة الحجاز فورا .

فوقف السلطان عبد العزيز يقول :

ـ لا يخيلن اليكم يا ابناء نجد الاحباء انني اخشى الهجوم على

الحجاز او انني ارهب جانب الشريف حسين • فانتم تعلمون اية قوة هي قوتنا ، واية شجاعة تضرم نارها في قلوبنا ، غير انني ، ان كنت اخالفكم الرأي في الهجوم السريع على الحجاز فذلك يعود الى اسباب عديدة • اولها : الضن بالدم العربي الزكي ، وآخرها ان الحجاز الان ، والموسم موسم الحج ، يعج ويزدحم بالحجاج ، والهجوم علـى الحجاز يعرض الحجاج للخطر ويتخذه العالم الاسلامي باسره ضدنا • لقـد اوضحت لكم رأيي ولكم الان ان تتخذوا القرار الذي ترونه موافقا •

وتوالى الخطباء ، وكلهم ينـدد بمقررات الشريف حسين ويطالب بالزحف على الحجاز ••

ووقف سلطان بن بجاد « قائد لواء الغطيط » ليقول : لقد أمعن الشريف حسين في امتهان كرامتنا وفي الجور علينا • وقد خيل اليه انه حقا ملك وخليفـة المسلمين • فمضى في التكلـم باسمنا وفي اتخـاذ مقررات تسيء الينا وفي الجور على اخوان لنا في الحجاز • الا فلنرد للحسين « الجميل » ولنفهمه اننا اسياد في بلادنا وان مكة ليست وقفا على حاكم عربي دون حاكم عربي ، بل هي للمسلمين اجمعين مهما بعد بهم المقام ونأى بهم عنا للزار • انت يا مولانا الامير عبد العزيز حاكمنا واميرنا وسلطاننا ولن ننفذ امرا الا الامر الذي يصدر عنك • اما اوامر الشريف حسين فهي لا تجبرنا على التنفيذ ولا تقعدنا عن القيام بفريضة الحج المقدسة • اننا نطالبكم يا عبد العزيز يا اميرنا وسلطاننا وحاكمنا بالزحف الى الحجاز فورا •

وتكلم خالد بن منصور بن لؤى امير لواء اهل تربة والخرمة •

قال : كل ما نريد هو ان نمارس واجباتنا الدينية ، نريد ان نحج الى بيت الله الحرام • نريد ان نكون بين الحجاج الذين يؤمون مكـة المكرمة • لقـد نفذ صبرنا ولم يعـد للحسين عندنا الا هزة السيوف

البتارة المسلولة • الى متى نصبر على الحسين وقد تمادى في الظلم والارهاق ؟ هناك في الحجاز اخوان لنا يعانون الكثير من ظلم الحسين وعلينا ان نهرع لنجدتهم ، وهنا في نجد نفوس تتوق الى مكة المكرمة فلا تجد سبيلا الى ما تتوق اليه عقائدنا الدينية • وواجباتنا المقدسة ، والدين الاسلامي الشريف امانة في عنقك يا عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، يا سليل الكرام الاباة الميامين •

وتكلم سعيد بن عتيق ، وهو من العلماء المحترمين •

قال : لا بد من الوصول الى مكة المكرمة ، ان لم يكن بالحسنى، فبالسيف • ليس لمسلم ان يحول بين مسلم ومكة المكرمة • ان الحجاج المسلمين يزحفون الى الحجاز من مشارق الارض ومن مغاربها لتأدية فريضة الحج المقدسة ، ونحن هنا في نجد لا نجد لنا فيها موطأ قدم • من لنا سواك يا عبد العزيز ايهاالقائد الباسل والمسلم العريق يفتح لنا الطريق الى الحجاز لتأدية ما يأمر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم•

فالتهبت الأكف بالتصفيق •

وعلا الهتاف بحياة عبد العزيز •

وراح المؤتمرون يهتفون مطالبين بالزحف الى الحجاز •

ووقف اخيرا السلطان عبد العزيز وقد اثر به ولاء ابناء نجد وحماسهم ووفاؤهم تأثيرا كبيرا ليقول : يا ابناء نجد ! ايها الاحباء الاوفياء المخلصون ! عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ما كان يوما الا الاخ المحب الوفي لكم • وما كان يوما الا لينزل عند آرائكم الصائبة ومشورتكم النصوح ، تريدون الزحف الى الحجاز ؟ فليكن لكم ما تريدون • الا انني ، وانا المسلم المؤمن المتدين الورع ، ارفض الهجوم على الحجاز في موسم الحج المبارك • اذا كان لا بد من الزحف على

الحجاز ، فليكن ذلك بعد انقضاء موسم الحج المبين • نحن لسنا طلاب حرب ، ولا طلاب اهراق دماء • اننا طلاب سلم ، وما نستطيع تحقيقه بالسلم لا نقدم على تحقيقه بالحرب ولا نريـد لسلاحنا ، وهو سلاح الاسلام ان يشهر في وجه مسلم • اما وقد عجزنا عن الوصول الى ما نريد السلم ، فلتكن الحرب •

فعاد الهتاف يتصاعد والدعاء يتعالى ، والتأييـد المطلق للسلطان عبد العزيز ينطلق فيشق عنان السماء •

وراح المجتمعون يهتفون بحياة عبد العزيز وبحياة والده الامـام عبد الرحمن صارخين : « الحرب ! الحرب ! الحرب ! »

وكانت الكلمة الاخيرة للامام عبـد الرحمن آل سعـود ، والد السلطان عبد العزيز فارتأى ان يصدر المجتمعون بيانا يوجهونه الـى العالم الاسلامي يوضحون فيه آراءهم ويشرحون ظلامتهم ويبسطـون كل ما قام به عبد العزيز من مساع للحؤول دون جدوى •• حتى اذا ما اضطروا الى شهر السلاح في وجه الشريف الحسين والزحف الى الحجاز لا يلامون ولا يلقون من يعتب عليهم •

فوافق الجميع على اصدار البيان الذي اقترحه الامام عبد الرحمن•

واصدروا بيانا مطولا نددوا فيه بمقررات الشريف حسين ،وبمنعهم من الحج ، وباعلان نفسه ملكا للعرب وخليفة للمسلمين ، والسماح لنفسه بالتكلم باسمهم ، وبالجور والظلم النازلين باخوانهم ابناء الحجاز ••

وقالوا في بيانهم : « نحن لسنا طلاب توسع واستعمار الا اننا نأبى الخضوع لسلطان غير سلطان الامير عبد العزيز ، ونريد الوحدة الطبيعية الكاملة بين نجد والحجاز •• »

ومعنى هذا ان المؤتمرين اعلنوا الحجاز ونجد بلدا واحدا لا يتجزأ تحت سلطة الامير عبد العزيز آل سعود ••

وزع هذا البيان على جميع رؤساء وملوك وامراء العرب فقوبل بالارتيــاح .

ذلك لان زعماء العرب كانــوا ينظرون بقلق وخشية الى مقررات وتدابير الشريف حسين الا انهم لم يكونوا يجرؤون على الجهر بهذا القلق.

اما الشريف حسين فقد وقف من ذلك البيان موقف الهزء والسخرية وقد خيل اليه ان ذلك البيان تهويل وتخويف وان عبد العزيز بن عبد الرحمن لن يجرؤ على الزحف الــى الحجاز ومنازلة القوات الحسينية وهي قوات هائلة تعضدها وتساعدها وتحدب عليها السلطات البريطانية.

ونام الشريف الحسين على حرير ، وقــد ايقن ان السلطان عبد العزيز سيكتفي من العداء باصدار ذلك البيان .

وقد جهل ان عبد العزيز كان يستعد للزحف الى الحجاز بقوة هائلة رهيبة غير هياب قوات الحسين والقوات البريطانية .

وفي حين كان الشريف حسين ينام على الحرير كان عبد العزيز يدعو جيشه للاستعداد ..

وجمع عبد العزيز ستة عشر لواء من ألوية جيشه بقيادة امير لواء الغطيط سلطان بن بجاد .

واطلق يد الامير سلطان في الزحف على الحجاز .

كما عين امير لواء تربة وخرمة ، خالد بن منصور بن لؤى اميرا على القوات السعودية الزاحفة الى الحجاز ، ووكل اليه امر المصالح العامة في البلاد التي تحتلها القوات السعودية .

واما قادة الالوية الاربعة عشر فقد عهد الى كل منهم بمهمة خاصة وهم : جهجاه بن حميد ، ونافل بن طويق ، وقعدان بن درويش ، وعبد المحسن بن حسين ، وفيحان بن حامل ، وعبدالله بن صعمر ، وزهار بن الزميع ، وحزام بن عمر ، وهــذال بن سعيدان ، ومعيض بــن عبود ،

وحزام الحميداني ، وماجد بن حميد ، وهذال بن فهد .
ورسم عبد العزيز خطة الهجوم .
وتولى هو بنفسه القيادة العليا للقوات السعودية .
واقام يرقب انتهاء موسم الحج ، للزحف الى الحجاز .

- ٥ -

معارك دامية

بزغ هلال المحرم من عام ١٣٤٣ هـ « ١٩٢٤ م » فبدأ حجاج بيت الله الحرام يغادرون الحجاز بعد ان ادوا فريضة الحج المقدسة .

وما ان انتصف هلال المحرم حتى كان عبد العزيز بن عبد الرحمن قد استعد الاستعداد الكامل للهجوم على الحجاز .

واجتمعت القوات السعودية في الرياض تأهبا للزحف .

وسار قائد لواء ابناء تربة الامير خالد بن منصور بن لؤى بلوائه الى تربة ، واقام فيها يرقب اوامر عبد العزيز للزحف .

واذا بالاوامر ترد اليه : « سر يا خالد .. »

وسار الامير خالد ليلتقي بامراء الالوية الخمسة عشر ..

وزحف الجيش السعودي كالعاصفة العاتية الهوجاء الى الحجاز لا يقعده هاجس ولا يقف في وجهه خاطر او تردد .

واجتاز الجيش السعودي الحدود الحجازية دون اية مقاومة .

واحتل قلعة « كلاخ » .

ثم وثب الى « الأخيضر » دون ان يلقى اي عناء .

وهناك انضم الى القوات السعودية بعض الزعماء من بني الحارث



ومن ثقيف .

وبلغ عدد افراد الجيش السعودي زهاء ثلاثة آلاف مقاتل الا انهم كانوا في شجاعتهم وبسالتهم يضاهون العشرة آلاف .

ومضوا في زحفهم يحتلون القري ، حتى بلغوا « الحوية » التي لا تبعد عن الطائف اكثر من خمسة وعشرين كيلومترا في غرة صفر من عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) .

وفوجىء الشريف حسين بالهجوم السعودي الخاطف ، وقد بات الجيش السعودي على مقربة من الطائف ، فذعر .

واصدر اوامره الى وزير الحربية صبري باشا بالدفاع ورد الجيش السعودي على اعقابه .

واسرع صبري باشا على رأس قوة من اربعمئة جندي نظامي مزودين بالاسلحة الحربية الحديثة وبالمدافع والرشاشات والدبابات الى الحوية لرد الغزاة ..

ودارت معركة هائلة مروعة ابلى فيها الاخوان « سكان الهجر » الذين كانوا يحاربون في قوات الجيش السعودي البلاء الحسن .

وبدأ الرصاص ينهال على القوات السعودية مثل زخ المطر .

وبدأت القنابل تقذف القوات السعودية وتبطش بها .

فما كان من القوات السعودية الا انها استبسلت في الدفاع عن المناطق التي احتلتها استبسالا يثير الدهشة والاعجاب .

الا ان استبسال القوات السعودية لم يقعد القوات الحسينية عن احتلال الربى والوهاد التي تحيط بالطائف .

واقامت استحكامات منيعة خارج السور .

وتحصنت فيها .

ونظم صبري باشا القوات تنظيما دقيقا .

واقـــام البدو في المقدمـــة ليواجهوا الجيش السعودي ويردوا بصدورهم العامرة الرصاص عن الجنود النظاميين •

فاستاء البدو استياء كبيرا لهذا التدبير الا انهـم اذعنوا للاوامر على مضض •

وكان القائدان خالد بن لؤى وسلطان بن بجـاد يستعدان ايضا للمعركة •

وكان الاخوان « سكان الهجر » يندفعـون اندفاعا كبيرا للقتال ويتوقون لمنازلة الجيش الحسيني ويطلبون باصرار الاسراع في الهجوم•

وفي صباح الاثنين في الثالث من صفر التقى الجيشان عند اسوار الطائف في معركة مروعة رهيبة •

وكانت الحرب سجالا بين الجيشين •

ثم بدأت كفة النصر تميل الى جانب الجيش الحسيني •

الا انه حدثت مفاجأة لم تكن منتنظرة •

فقد انضم البدو ، الذيـن كانـوا يحاربون في مقدمـة الجيش الحسيني ، الى القوات السعودية •

وبعد ان كانوا يحاربـون في صفوف الجيش الحسيني اصبحـوا يحاربون في صفوف الجيش السعودي •

فمالت كفة النصر الى جانب جيش عبد العزيز •

وبدأت القوات الحسينية تتقهقر وتتراجـع مندحرة منهزمة حتى بلغت الطائف يوم الاربعاء في الخامس من صفر ••

ولحق الجيش السعودي الباسل بالقوات الحسينية المنهزمـة يبغي احتلال الطائف •

ووصل نبأ انضمام البدو الى القوات السعودية الى الشريف حسين فقلق •

وازداد قلقا ، وقد وصله نبأ اندحار قواته وتقهقرها الى الطائف •

وخشي ان تستطيع قوات عبد العزيز احتلال الطائف ، فبادر الى ارسال نجله علي لنجدة صبري باشا ، على رأس قوة كبيرة من الخيالة والهجانة مزودة بالاسلحة الحديثة ، وبالذخائر والعتاد •

ووصل الامير علي بن الحسين الى الطائف في حين كان الجيش السعودي يشن هجوما عنيفا على المدينة ليلة الجمعة في ٧ صفر •

والتحم الجيشان في معركة مخيفة هائلة على ابواب الطائف •

واستطاع القائد سلطان بن بجاد ان يدخل بالجيش السعودي الى الطائف •

وانتقلت ساحة المعركة من خارج الطائف الى داخلها فبطش سلطان بن بجاد بطشا ذريعا بقوات الامير علي وبابناء الطائف الذين ساندوا القوات الحسينية وساعدوها •

فصبغت الدماء البريئة احياء الطائف وشوارعها وطرقاتها •

وملأت الجثث واحاتها وساحاتها •

وخيم الدمار والخراب على المدينة المهيضة الجناح •

وتقهقر الامير علي بجيشه وقواده تاركين المدينة الجريح للقوات السعودية تحتلها وتنزل فيها على الرحب والسعة •

واحتل سلطان بن بجاد الطائف على نهر من الدماء وركام من الجثث التي تملأ جوانب المدينة الصريع •

ووصل نبأ مذبحة الطائف الى عبد العزيز في الرياض فهاله النبأ •

وحزن حزنا شديدا •

وبكى اسفا على الدماء العربية الزكية •

وأوفد رسولا الى القائد سلطان بن بجاد يؤنبه ويلومه ويدعوه الى الكف عن اراقة الدماء ويأمره بالتوقف فورا عن اطلاق النار وصون

حياة ابناء الطائف البؤساء « وعندما جاء عبد العزيز الى مكــة شخص بنفسه الى اهل الضحايا يعزيهم ثم شكل لجنة للتعويض علــى المنكوبين المتضررين » •

اما الامير علي بن الحسين فقــد شخص بجيشه وبقواده يرافقــه صبري باشا وامير الطائف الشريف شرف بن راجح الى جبل الهدى •

ثم انسحبوا من جبل الهدى الى عرفات •

وتمركزوا في عرفات استعدادا لاستئناف القتال •

واتصل بالشريف حسين نبأ سقوط الطائف في يد ابن عبد الرحمن فغضب غضبا شديدا ، وهو لا يجهل ان الطائف باب مكة المكرمة •

وما مكة المكرمة الا باب الحجاز •

وجهز حملة من زهاء ١٥٠٠ ،مقاتل اشداء زودهم باجود ما لديه من الاسلحة الثقيلة ،وبالعتاد والذخيرة والمال وارسلها الى ابنه علي طالبا اليه ان يسترد الطائف باي ثمن مهما ارتفع وغلا •

ولم يكن للامير علي الا النزول عند اوامر والده فزحف من عرفات ليحتل جبــل كرا ، والنقب الاحمر وجبــل الهدى الباسم اليانع الدائم الاخضرار •

وحل الامير علي من الهدى في قصر فخم ، كــان البريطانيون قد جهزوه بالعتاد وبالرياش وبجهاز هاتفي « لعله الجهاز الوحيد الذي كــان في الحجاز يومذاك » ••

ومن ذاك القصر راح الامير علي يتصل هاتفيا بوالده الحسين في مكة فيطلعه على حال قواته ، ويتلقى منه الاوامر •

وكانت تلك الاوامر تصر على علي بضرورة استعادة الطائف •

وفي ليلة حالكة السواد ، فيما الامير علي يستعد ويتأهب لمهاجمة القوات السعودية وطردها من الطائف فوجىء بهجوم عنيف شنه عليــه

الاخوان الذين كانوا يحاربون في صفوف القوات السعودية على بسالة واقدام .

فنشبت معركة دامية استمرت طيلة ذلك الليل البهيم .

وانجلت عند الفجر عن انتصار الاخوان واندحار القوات الحسينية الهاشمية ..

وتراجع الامير علي بعد ان فقد عددا كبيرا من جنوده بين قتيل وجريح ...

واسرع الامير علي الى الاتصال هاتفيا بوالده في مكة يطلعه على النبأ المحزن الاليم ويطلب اليه ان يسمح له ولجيشه بالعودة الى مكة المكرمة لان ليس باستطاعته التغلب على جيش ابن عبد الرحمن .

الا ان الشريف حسين استشاط غضبا وهو يسمع طلب علي .

وقال له : ليس لك ان تعود الا والنصر يكلل منك الجبين . اما اذا لم يقدر لك الانتصار فما عليك الا ان تسقط شهيدا في ميدان الجهاد .

وأطاع علي الامر ..

وانصرف الى تجهيز جيشه وتنظيمه استعدادا للعودة الى الميدان تنفيذا لأوامر والده .

وعندما تم الاستعداد والتنظيم سار في مقدمة جنوده متسلقا جبل كرا لمهاجمة الجيش السعودي .

وما ان وصل جيش علي الى سفح الجبل حتى انهال عليه رصاص الاخوان السعوديين .

فرد الجيش الهاشمي عليهم بقنابل المدافع الثقيلة وبرصاص الرشاشات والبنادق الحديثة ..

واستبسل الجيشان في الدفاع وفي الهجوم .

الا ان الاخوان كانوا على قوة يدعمها الايمان بحقهم في احتلال

الحجاز فاستطاعوا التغلب على جيش علي بعد معركة ضارية ..

واضطر علي الى الانسحاب ، والعودة بما بقي من قواده وجنوده الى مكة المكرمة .

ودخل الجيش السعودي الهدى ظافرا .

واحتل سلطان بن بجاد القصر الذي كان مقرا للامير علي بن الحسين.

وما ان استقر به المقام في ذلك القصر حتى علا رنين غريب مزعج .

فوجم سلطان بن بجاد وهو يسمع ذلك الرنين دون ان يعلم مصدره.

وتحول الوجوم في قلب سلطان الى ذعر وقد اكتشف ان مصدر ذلك الرنين كان تلك الآلة الصغيرة السوداء .

وخيل اليه ان تلك الآلة آلة سحر ، وان ذلك الرنين صوت الجن ، وان ذلك القصر مسحور .

فليتخلص اذن من تلك الآلة ويأمن شر الجن ويرتاح من صوتهم الرهيب ..

وهجم سلطان بن بجاد بسيفه المسلول على الجهاز وحطمه شر تحطيم ..

ولم يرتح سلطان الا وقد تحطمت الآلة السوداء وتوقف « صوت الجن » عن الولولة والزعيق .

وحمل سلطان تلك الآلة المحطمة الى الامير عبد العزيز في الرياض.

وقال له : « هذه آلة السحر يا مولاي ، وكان صوت الجن ينبعث منها مخيفا رهيبا .. لقد حطمتها بسيفي وقضيت على اصوات الجن » .

فاستغرق الامير عبد العزيز في الضحك .

وتمتم : لقد اضعت علينا جهازا كنا بحاجة اليه يا سلطان ، ما هذه الآلة التي حطمتها الا جهاز هاتف نستطيع بواسطته التحدث الى من يملك جهازا مثله مهما نأى عنا وبعد .

ففتح سلطان فمه دهشة واستغرابا •

وهمس : والله يا مولاي لو حمل الي هذا النبأ احد سواكم لما وجدت الى تصديقه سبيلا •

احتل الاخوان الهدى •

وأمن سلطان بن بجاد ابناء الهدى على أرواحهم واموالهم •

ولم ينزل بهم ما انزل بأبناء الطائف من الاضطهاد والتنكيل خشية ان يثير غضب الامير عبد العزيز الذي كان قد انبه ووبخه بسبب اضطهاده ابناء الطائف وبطشه بهم •

وهكذا استطاع السلطان عبد العزيز ، في احتلاله الطائف ، ان يقف على اعتاب الحجاز ، وان يجد في الهدى بابا مشرعا الى مكة المكرمة •• ما له الا ان يلجه ويسير منه، حتى يتم له احتلال الحجاز •

- ٦ -

اعتزال الشريف حسين

انتشر خبر انتصار جيش عبد العزيز آل سعود واحتلاله الطائف ووصوله الى الهدى في انحاء الحجاز فدب الخوف في القلوب •

وساد الذعر ابناء البلاد ، وقد تأكدوا من ان ابن عبد الرحمن لن يقف من هجومه عند احتلال الطائف والوصول الى الهدى •

وايقنوا انه سيواصل الزحف الى مكة ، وان البلاد ستشهد معارك دامية رهيبة ، وان الدماء الزكية ستهرق وتسفح وتسيل فتصبغ الحجاز بلونها القاني الاحمر •

فاتصل زعماء البلاد وشيوخها وعلماؤها بالشريف حسين طالبين

اليـــه مفاوضة عبد العزيز والوصول معه الى اتفـــاق يؤمن للحجاز شر الحرب وويلاتها ودمارها •

فما كان من الحسين الا ان رفض طلبهـــم واصر علـــى استئناف الحرب مع ابن عبد الرحمن واستعادة الارض التي احتلها •

وتشاور ابناء البلاد بالامر وايقنوا ان التوفيق بين الشريف حسين وبين السلطان عبد العزيز ضرب من المحال وان عليهم ان يبعدوا الشريف حسين عن الحكم فيكون ذلك بمثابة ترضية لابن عبد الرحمن •

وطالب ابناء الحجاز حكومة الشريف حسين باتخاذ قرار حاسم فـــي الامر •

فتنادى اعضاء حكومة الشريف حسين الى اجتماع سريع سري فـــي جدة لبحث طلب زعماء البلاد وشيوخها وعلمائها وتجنيب البلاد ويلات الحرب •

واجتمع منهم : الشيخ محمد الطويـــل ، ومحمـــد طاهر الدباغ والطيب السياسي وعبد الرؤوف الصبان والشيخ سليمان قابل والشيخ محمد ناصيف •

كما حضر الاجتمـــاع ايضا بعض الزعماء والعلماء والشيوخ •• وتناقشوا وتباحثوا وتداولوا •

وتم الاتفاق فيما بينهـــم بعد مناقشة طويلة علـــى ان يتنازل الملك حسين عن عرش الحجاز لابنه علي لان حجة ابن عبد الرحمن في غزو الحجاز كانت معاملة الحسين العدائية لابناء نجد ومنعهم من اداء فريضة الحج ، وهو لن يوافق على عقد الصلح مع الملك حسين •

اما اذا تولى علي الحكم فان عبد العزيز سيوافق على عقد الصلح معه وانهاء الحرب ••

هذا هو القرار الذي اجمعوا على اتخاذه ••

ولكن من تراه يستطيع تبليغ الملك حسين هذا القرار ؟
وعادوا الى التداول ..
وتم الاتفاق على ان يبلغوا الامير عليا قرارهم هذا ويتداولوا معه بشأنه .
واجتمعوا بعلي .
وبحثوا معه الامر فوافق على قرارهم .
وفي يوم الجمعة في الرابع من ربيع الاول سنة ١٣٤٣ هـ (٣ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ م) بعد صلاة الجمعة ، عادوا الى الاجتماع ليتفقوا على نص برقية يرسلونها الى الملك حسين ويبلغونه فيها قرارهم .
وبعد مداولة قصيرة وضعوا نص البرقية التالية : « صاحب الجلالة الملك المعظم الشريف حسين ـ في مكـة .. بما ان الشعب الحجازي باجمعه الواقع الان في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافـع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة، والبلاد عامة ، مستهدفة لكارثة قريبة ساحقـة ، وبما ان الحجاز بلـد مقدس يعني امره جميع المسلمين لذلك قررت الامة نهائيا طلب تنـازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الشريف علي ملكا على الحجاز فقط مقيدا بدستور الامـة ومجلسين وطنيين .. والله الموفق لما فيـه خير الامـة وصلاحها » .
ووقع على هذه البرقية جميع اعضاء الحكومة وزهاء اربعين عالما وشيخا وزعيما ..
وارسلوها الى الملك حسين .
وظلوا مجتمعين ينتظرون رد الملك ..
ووردهم الجواب في المساء بواسطة قائمقام جدة .
وقد جاء فيه : « في ربيع الاول سنة ١٣٤٣ هـ بواسطـة قائمقام

جدة •• ــ الى الهيئة الموقرة ! • مع الممنونية والشكر • وهذا اساس رغبتي التي اصرح بها منذ النهضة والى تاريخه • وقد صرحت قبله ببضع دقائق انني مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عينتم غـير ولدنا علي • واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح ــ الامضاء : الحسين » •

وعاد الزعماء والشيوخ واعضاء الحكومة الى الاجتماع •

وادركوا ان الملك حسين لا يرغب في التخلي عن العرش فاتخذوا قرارا بتحويل الهيئة المجتمعة الى حزب اطلقوا عليه اسم « الحزب الوطني الحجازي » •

وانتخبوا الشيخ محمد الطويل رئيسا للحزب ومحمد طاهر الدباغ امينا للسر •

واتخذ الحزب قرارا حاسما بضرورة تنازل الحسين عـن العرش بسرعة لتجنيب البلاد الويلات والدمار •

وقرروا الاتصال هاتفيا بالملك ، كسبا للوقت •

وكلفوا رئيس بلدية جدة الشيخ سليمان قابل الاتصال بجلالته •

ولما حاول الشيخ سليمان التحدث الى الملك بادره الحسين بقوله : « انت من اعضاء حكومتي ولا اسمح لك بالتحدث الي في مثـل هذا الامر » •

وحاول محمد ناصيف التحدث الى الملك وابلاغـه القرار الاخير فما كان من جلالته الا انه صرخ به : « انت ايضا من اعضاء حكومتي ولا يحق لك التحدث الي » •

واخيرا كلفوا امين سرالحزب محمد طاهرالدباغ ابلاغ الملك القرار•

فأمسك محمد طاهر الدباغ بسماعة الهاتف ليتحدث الى الشريف حسين قائلا : « مولاي ! ان مقامكم رفيع عندنا ومحبتكم لا تزال تحتل صدورنا الا ان الحال التي وصلت اليها البلاد اهابت بالامة الى اتخـاذ

قرار حاسم بتخليكم عن العرش ضنا بالدماء الزكية ، وانقاذا للبلاد ، ورأى ابناء الامة ان تتنازلوا عن العرش لنجلكم الامير علي » .

فقاطعه الحسين قائلا : « انا وابني واحد . فاذا كنتم ترون بي ملكا غير صالح فان ابني سيكون كذلك . انا لن اتنازل لعلي . انني لست متمسكا بالملك . ولا اريد الا خير البلاد ، فاذا شئتم ان اتنازل عن العرش فأنا على استعداد للتنازل ولكن ليس لعلي . بل لاحد الاشراف .. عندكم الشريف علي امير مكة السابق ، واخي ناصر ، وخديوي مصر عباس ، وعندكم الاشراف وهم كثيرون ، اختاروا من تريدون منهم وانا على استعداد للتنازل له عن العرش » .

كان الشريف حسين يريد ان يتنازل عن العرش لغير ابنه املا ان يتمكن بعد امد قصير من استعادة العرش ..

وحاول الدباغ اقناع الملك بالتنازل لعلي .

قال : يا مولاي !.. ان الامة التي حرصتم على وحدة صفها وعلى سلامة امنها ، هي التي اختارت الامير عليا للعرش .

فهدر الملك : لا .. لن اقبل بعلي .. اما ان تختاروا غيره واما ان اظل ملكا .

وعاد اعضاء الحزب الوطني الحجازي الى التداول .

فقرروا ان يطالبوا الملك مجددا بالتخلي عن العرش دون ان يذكروا اسم خليفته ووضعوا برقية اخرى جاء فيها : صاحب الجلالة الملك المعظم! الحالة حرجة جدا . والوقت ليس وقت مفاوضات ، والبلاد تسير الى الهاوية . فاذا كنتم لا تتنازلون للامير علي فنسترحمكم بلسان الانسانية وبلسان الامة ، ان تتنازلوا عن العرش لتتمكن الامة من تشكيل حكومة موقتة . واذا تأخرتم عن اجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم .

وارسلوا البرقية لجلالته واقاموا يرقبون الرد .

وفي الساعة الثالثة ليلا تسلموا برقية يتنازل فيها الملك عن العرش.

وقد جاء فيها : « لا بأس .. لقد قبلنا التنازل بكل ارتيـاح . اذ ليس لنا رغبة الا في سكينة البلاد وراحتها وسعادتها . عينوا لنا الان مأمورين من هنا يستلمون امور ومقدرات البلاد بكل مكان قصي . اذا تأخرتم ووقع اي حادث فأنتم المسؤولون ، والاشراف عندكم كثيرون ، ارسلوا واحدا منهم او من سواهم .. الامضاء : حسين » .

فارتاحوا بعض الارتياح وقد تسلموا برقية التنازل .

وعادوا الى الاجتماع ليكتبوا للامير علي وثيقة المبايعة .

وقد جاء في الوثيقة ما يلي : « بناء على طلب الامـة تنازل جلالة والدكم بموجب برقيته المؤرخة في ٤ ربيع الاول وقررت نهائيا البيعة لجلالتكم ملكا دستوريا على الحجاز فقط وان يكون للبلاد مجلس نيابي وطني ، وقانون اساسي تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الامـم المتمدنة ، وبما ان الوقت ضيق يحول الان دون تأسيس المجلس النيابي الوطني فقد قررت الامة ان تشكل هيئة موقتة لمراقبة اعمال الحكومة . واننا نبايعكم على ذلك ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله » .

وكان لتنازل الشريف حسين عن العرش وقع كبير في الحجاز .

فسادت الفوضى البلاد وعم الاضطراب انحاء الحجاز .

ذلك لان الحسين كان ذا سطوة رهيبة وجلال .

وكان قادرا على ادارة الامة وتنفيذ القوانين .

وكان عنيدا حازما شديد البأس .

لذلك كان الامن الداخلي مستتبا في البلاد يوم كان مليكها .

اما الان ، وقد تنازل عن العرش ، فان البلاد لتسير الى الفوضى والاضطراب .

ووصل نبأ الفوضى والاضطراب الى الشريف حسين المتنازل عن العرش فغضب وكتب الى الحزب الوطني الحجازي يقول : « ان الفوضى التي ذكرتموها ، والتي من اجل تفاديهـا تنازلنا عن العرش وقعت في البلاد • انني لا اتحمل اية مسؤولية قد تقع • وانا لست مسؤولا عما جرى وعما سيجري ، اذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى الامر ، فأنتم المسؤولون • اما نحـن فسنتوجه حالا الى الجهـة التي يختارها الباري عن طريق جدة ، وهذا ليس هربا من اي شيء تتصورونه بـل دفعا للظنون وللشبهات ــ الامضاء : حسين » •

ورد الحزب الوطني على الشريف حسين ببرقية جاء فيها : « صاحب الشرف الاسمى الشريف حسين المعظم ! جوابا على كتابكم ، بحمد الله ومساعي مولانا قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم • وقد فاوض جلالة الملك علي من يلزم في استلام البلاد وادارة شؤونها • فالمنتظر من مولانا مبارحة البلاد بكل احترام تهدئة للاحوال » •

وما ان تسلم الشريف حسين تلك البرقية حتى غادر مكة المكرمة الى جدة « في ٩ ربيع الاول » •

وهناك في جدة اعتزل السياسة •

وابى ان يستقبل اي رجل سياسي •

وظل في جدة سبعة ايام وحيـــدا ، وهو يفكر ويراقب ويتحين الفرصة للعودة الى العرش ، آملا ان يخفق علي في مهمته وان يعجز عن تهدئة الحال والسيطرة على الامن فيطلب الحزب الوطني اليه هو العودة الى العرش •

وفيما الشريف حسين ينزوي في جدة كان نجله علي يصل الى مكة المكرمة ويتسلم الحكم •

واسرع الى تشكيل حكومة جديدة برئاسة الشيخ عبد الله سراج

وعضوية تحسين الفقير ومحمد طاهر الدباغ والدكتور خالد الخطيب والشيخ محمد الطويل وعبد القادر غزاوي وعارف الادلبي والشريف محسن بن منصور والشيخ فؤاد الخطيب •

وكان تشكيل تلك الحكومة قضاء مبرما على آمال الشريف حسين وامانيه العذاب بالعودة للحكم •

فعزم على مغادرة الحجاز •

الا انه قبل ان يغادر جدة ابرق الى الرئيس الشيخ عبد الله سراج محتجا على تشكيل حكومة دستورية لان عمل الحكومة المدني في الحرمين الشريفين يناقض احكام القرآن الكريم وسنة رسول الله •

وقال في برقيته : « ان العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية تأباه شعائر الاسلام وفرائض الدين » •

وختم البرقية بقوله : « بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي ، اولا : على تحديد نفوذ الحجاز ، وثانيا : على ما فيه ابدال العمل بكتاب الله » •

وغادر الشريف حسين جدة في ١٦ ربيع الاول بحرا مستقلا مركبه « الرقمتين » الى العقبة •

لقد كان الشريف حسين في موقفه هذا شريفا نبيلا شهما فقد ابى ان يحكم الحجاز بالرغم من ارادة ابناء البلاد وفضل الاعتزال والسفر على اراقة الدماء وتفرقة الصفوف •

•

٧

عبد العزيز في مكة

كانت مهمة حكومة الملك علي بن الحسين شاقة صعبة .

فالبلاد في فوضى .

والامن الداخلي مضطرب .

والجيش السعودي يتأهب للزحف الى مكة .

وليس لدى الحكومة من وسائل الدفاع الا عدد قليل من الجنود والقليل من الاسلحة والعتاد .

وكان على تلك الحكومة ان تقوم بعمل سريع لانقـاذ البلاد من الفوضى الداخلية ، والخطر الخارجي .

فعقدت الحكومة اجتماعا مستعجلا قررت فيه طلب التوسط مـن الدول الاسلامية بينها وبين ابن عبد الرحمن .

وابرقت الحكومة الى جمعية الخلافـة في الهند ، والى المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين يشرحون لهما ما تم في الحجاز من تنازل الشريف حسين وتولي نجله علي الحكم ، وما يحيط بالحجاز من اخطار .

ويطلبون التدخل السريع لمنـع السلطان عبد العزيز مـن مواصلة الزحف الى الحجاز .

وورد جواب جمعية الخلافة .

وقال شوكت علي رئيس الجمعية في جوابه : « ان مسلمي الهند لا يقبلون تولية الحسين ولا تولية احـد اولاده ، مهما كانت الظروف ،

ويصرون على تشكيل حكومة ديمقراطية في الحجاز يشترك فيها جميع المسلمين في العالم العربي • وان جمعية الخلافة لا تعترف بعلي بن الحسين ملكا على الحجاز » •

اما المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين فقد وافق على تولي الوساطة بين حكومة الملك علي بن الحسين وبين السلطان عبد العزيز بن آل سعود •

وكتب رئيس المجلس الحاج امين الحسيني رسالة الى عبد العزيز متوسطا بينه وبين حكومة مكة راجيا منه قبول الوساطة ، وايقاف الزحف الى مكة المكرمة •

ورد عبد العزيز على رسالة الحاج امين الحسيني برسالة لطيفة جاء فيها :

« يؤسفنا ان تكون وساطتكم جاءت متأخرة ، فاننا منذ سبع سنوات نعمل بجميع الوسائل لاحلال الصلح والوفاق محل الجفاء والانشقاق ، الا ان مساعينا لم تثمر ، فقد تمادى الشريف حسين في الجفاء والعداء ، فتصريحاته المتكررة في شرق الاردن تبرهن عن نواياه السيئة ، ومنعه رعايانا من اداء فريضة الحج ، ومعاملته الحجاج وعجزه عن تقرير الامن في الحجاز • كل هذه الامور اجبرتنا على ان نتخذ التدابير الفعالة كي تستقر الحال في بلاد الحرمين ، وكي تؤمن مستقبل بلادنا وازدهارها • وكل ما نرغب فيه هو ان يستتب الامن في الحجاز ، كما نطلب اقامة ادارة جديدة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين ، وتضمن راحة الحجاج وسلامتهم » •

وفشلت وساطة الحاج امين الحسيني •

فما كان من الملك علي الا انه ابرق بنفسه الى السلطان عبد العزيز قائلا : « اننا نرغب بالسلم يسود الجزيرة كلها ، وامنيتنا الغالية هي

تسوية الخلافات القائمة بين نجد والحجاز في مؤتمر يحضره مندوبون عن نجد ومندوبون عن الحجاز لازالة الخلاف وتبديد الغمام التي تسود علاقات البلدين الشقيقين » .

ورد عبد العزيز على برقية الملك علي ، ببرقية قال فيها : « الصلح بيننا مستحيل ما دام ابناء الحسين يحكمون الحجاز ويتوارثون الحكم . ان الحجاز للعالم الاسلامي بأسره وليس لابناء الحسين . اذا شئتم ان يسود السلام الحجاز فما عليكم الا ان تعتزلوا الحكم » .

وكان من الطبيعي ان يرفض علي اقتراح عبد العزيز ، وان يرفض التنازل عن الحكم ..

ورأى علي نفسه في مأزق حرج فهو غير قادر على الحرب ، ولا يستطيع التوصل الى السلم ..

ولم يعد ثمة امامه الا بريطانيا صديقة والده التي تخلت عنه في احرج الاوقات .

وأوفد الملك علي الدبلوماسي الحاذق ناجي الاصيل الى لندن على جناح السرعة ليطلب من الحكومة البريطانية ، اما التوسط بين نجد والحجاز ، او بالاحرى بين عبد العزيز وعلي ، واما مد يد المساعدة والعون الى علي ليتمكن من مقاومة الجيش السعودي واخراجه من الاراضي الحجازية التي احتلها .

واقامت الحكومة الحجازية ترقب نتائج مباحثات ناجي الاصيل بصبر نافذ .

وجاء الجواب من لندن .

والجواب ذاك كان قاطعا الامل .

فالحكومة البريطانية لا تتدخل في النزاع القائم بين عبد العزيز وعلي على الاراضي المقدسة .

فهي على الحياد ..

ولعل الحكومة البريطانية كانت قد ادركت اية قوة هي قوة السلطان عبد العزيز ، واي احترام له في نفوس ابناء الجزيرة العربية فلم تشأ ان تعاديه وان تقف ضده في جانب خصمه علي ، وهي لا تجهل انه يسير بخطوات واسعة سريعة الى عرش الحجاز كما سار بتلك الخطوات السريعة الى عرش نجد .

وفيما علي يقف في حيرة وقلق وخوف واضطراب .

وفيما حكومته تفكر بالخروج من هذا المأزق الحرج .

وصلت الى الحجاز النجدة من شرقي الاردن .

فقد ارسل الامير عبد الله قوة من جنوده مزودة بالسلاح والعتاد الى اخيه علي لمقاومة عبد العزيز .

فاحيت هذه القوة الامل في نفس علي وفي نفوس اعضاء حكومته.

ورأوا ان يستعيدوا مقامهم الذي كانوا قد فقدوه في التماس التوسط وفي محاولة استرضاء ابن عبد الرحمن فعقدت الحكومة اجتماعا برئاسة الملك علي اتخذت قرارا بانذار عبد العزيز .

اما ان يسحب قواته من الاراضي الحجازية ويعود الى نجد .

واما : « فالسيف بيننا وبينك » .

وكتب علي الى عبد العزيز رسالة يقترح فيها المفاوضة لعقد رايات الصلح ويدعوه الى عقد مؤتمر لاكمال المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ..

وختم الملك علي رسالته بقوله : « واننا نطلب اليكم سحب قواتكم من الاراضي الحجازية فورا ، والا فنحن على استعداد لاستردادها بالقوة وبالنار » .

ورد عبد العزيز برسالة واضحة صريحة حازمة جاء فيها : « انني

احترمكم احتراما كبيرا الا ان ما نزل بنا من تصرفات والدكم اهاب بنا الى الوقوف هذا الموقف .. اذا كنتم تريدون حقن الدماء العربيــة فما عليكم الا ان تجلوا عن الحجاز فورا . وانتظروا حكم العالم الاسلامي ، فهو الذي سيقرر مصير الحجاز ويختار الحاكم في الديار المقدسة . ونحن على استعداد للنزول عنــد اختياره مهما كان هــذا الاختيار . اما اذا رفضتم اقتراحنا ، واذا اصررتم على البقاء في الحجاز ، فان مسؤوليــة ما سيقع من ويلات واهراق دماء يقع على عاتقكم » .

وايقن علي ، وهو يتلو رسالة عبد العزيز ان الحرب واقعة لا محالة. وان عليه ان يجابه قوة عبد العزيز بالقوة .

في هذه الاثناء كانت مكة المكرمة تعيش في قلق واضطراب .

وكانت القوات السعودية قد وصلت الى الزيما ، وهي لا تبعد عن مكة اكثر من اربعين كيلومترا .

وكان الملك علي واعضاء حكومته قد نزحــوا عن مكــة الى جدة ليستعدوا ويتأهبوا للقتال ، تاركــين في مكة قوة صغــيرة من الجنود للمحافظة على الامن .

الا ان الامن كان قد اضطرب في مكة .

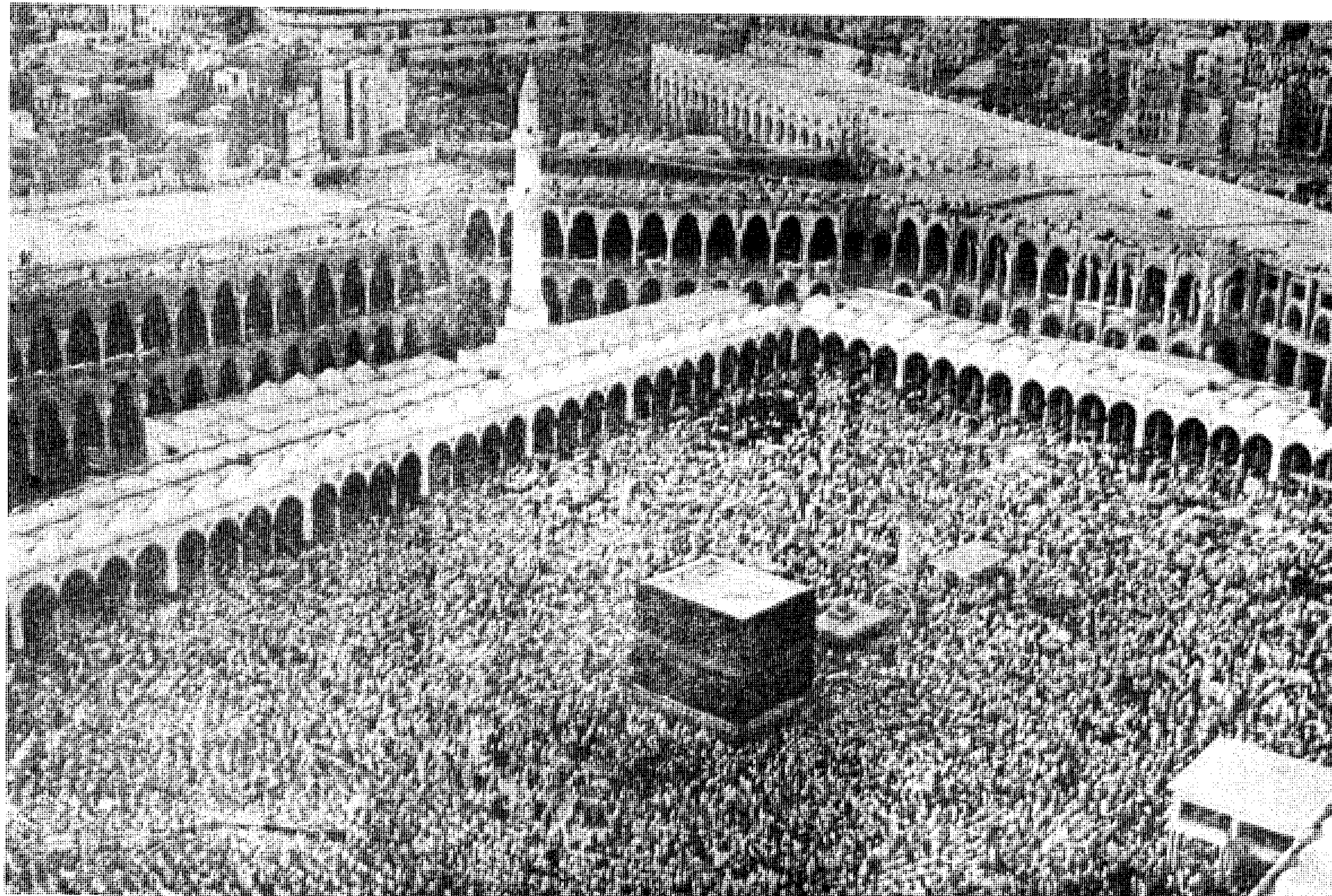
وكان بعض المتشردين واولاد الشوارع قد اغتنموا الفرصة وامعنوا في النهب والسلب والترويع .

وكان ابناء المدينة المقدسة يعيشون في خوف وقلق .

وكان البعض منهم قد نزح الى جدة او الى القرى البعيدة النائية..

وكان القائدان خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد يزحفان الى مكــة المكرمة لاحتلالها .

الا ان اوامر وردت اليهما من الرياض تدعوهما الى التوقف عــن الزحف الى مكة المكرمة ، وانتظار اوامر جديدة .



مكة المكرمة

ولم يرتح ابن بجاد وابن لؤى لهذه الاوامر .
فهما يريدان ان يحتلا مكة وان يقضيا على اي نفوذ فيها للملك علي.
غير انهما كانا مضطرين للنزول عند الاوامر الواردة اليهما من الرياض .

وتساءلا عن السبب .
فجاءهما الجواب .
وهو ان عبد العزيز لا يريد ان يصبغ الارض المقدسة بالدماء بل هو يريد ان يكون احتلال مكة سلميا .

وفي الرياض كان السلطان عبد العزيز يدرس الموقف ويحاول ايجاد وسيلة للدخول الى مكة المكرمة دون اراقة دماء .
ودعا عبد العزيز العلماء والشيوخ وقواده المخلصين الى اجتماع سريع لدرس الموقف واتخاذ القرار الملائم .

وتباحث المجتمعون في الامر : « هل يجوز للجيش المسلح الدخول شاكي السلاح الى مكة المكرمة ؟ »
واتخذوا قرارا بعد بحث طويل يقول : « لا بأس ... يستطيع الجيش ان يدخل مكة المكرمة شرط ان يكون منكس السلاح واذا اضطر الى شهر السلاح فعليه ان يعود ادراجه لان القتال في مكة المكرمة حرام » .

ونزل عبد العزيز عند رأي العلماء .
وابلغ قائديه سلطان بن بجاد وخالد بن لؤى الامر : « سيرا الى مكة منكسي السلاح . فاذا استطعتما الدخول اليها دون حرب ودون قتال فادخلاها ، والا فما عليكما الا التوقف عند ابوابها على احترام وخشوع » .
وسار القائدان الى المدينة المقدسة منكسي السلاح كما امرهما

القائد الكبير •

ووصلا بجنودهما الى « المعابدة » في ضواحي مكة والقمر في ليلة السابع عشر من ربيع الاول (١٦ تشرين الاول ١٩٤٢) •

ومع بزوغ الصباح دخل القائدان ابن لؤى وابن بجاد ، بجنودهما الى مكة المكرمة منكسي السلاح محرمين •

وطافوا وسعوا دون قتال ودون ان يلقوا اية مقاومة •

وامتلأت شوارع مكة بالجنود السعوديين •

واحتلت القوات السعودية دوائر الحكومة •

وحل القائدان ابن بجاد وابن لؤى في قصر الملك علي •

واستطاعا بسرعة فائقة ان يسيطرا على الفوضى التي كانت تسود المدينة ، وان يعيدا الامن والسلام لابناء مكة ••

واطمأن ابناء مكة وهم يرون العدل يسود مدينتهم •

واسرع الزعماء والعلماء والشيوخ الى مقابلة القائدان ، ابن لؤى وابن بجاد ، مسالمين طائعين •

واظهروا ولاءهم وطاعتهم لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود•

ووصل النبأ ــ نبأ دخول مكة وطاعة ابنائها ــ الى السلطان عبد العزيز فأسرع الى اصدار اوامره للقائدين ابن لؤى وابن بجاد باتخاذ الحكمة والعدل والرفق سبيلا لهما •

وامرهما بان يكونا رفيقين محبين لابناء المدينة : « والويل كل الويل لكما ولكل عابث اذا حل باحد ابناء مكة مكروه » ••

وطلب اليهما ان يلزما السكينة وان لا يقوما باي عمل حتى يصل هو اليهما •

فقد عزم عبد العزيز على الحضور بنفسه الى مكة ليشرف على تحرير الحجاز •

وفي الوقت نفسه كان السلطان عبد العزيز يصدر بيـــانا الى ابناء الحجاز يؤمنهم على ارواحهم واموالهم •

ثم يكتب رسائل الى رؤساء الدول الاسلامية يدعوهم فيهـــا الى الاجتماع في مكة لدرس امر تقرير مصير الحجاز •

وقد جاء في هذه الرسائل ما يلي : « ••• اما بعد فقد سرت في الطريق الى مكة المكرمة غير باغ ولا آثم • فليتفضل الاخ الكريم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حبا بنشر السلام بين امم الاسلام » •

ثم دعا العلماء والشيوخ وكبار رجال الرياض وألقى فيهـــم كلمة بليغة اوضح فيها السبب في سفره الى مكة قائلا :

« اني مسافر الى مكة المكرمـــة لا للتسلط بل لرفع المظـــالم التي ارهقت عباد الله •• انـــي مسافر الى حرم الله لبسط احكام الشريعـــة وتأييدها • فلن يكون بعد اليوم سلطان الا للشرع ، هذا الشرع المقدس الذي يجب ان تطأطيء له جميع الرؤوس •• ان مكة المكرمة للمسلمين كافة ، فيجب ان يكون امر ادارتها وتنظيمها طبق رغائب العالم الاسلامي• نحن سنجتمع بوفود العالم الاسلامي هناك ، وسنتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية ، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله • ان الحجاز سيكون مفتوحا لكل من يريد فعل الخير من الافراد والجماعات » •

وكان لهذا الخطاب تأثير كبير ليس على ابناء نجد بـــل على جميع شعوب العالم الاسلامي •

وبدأ السلطان عبد العزيز يستعد للسفر •

فراح ينظم شؤون الحكم في الرياض ليكون هذا الحكم في مأمن خلال غيابه •

وعهد الى اخلص معاونيه والى أوفى رجاله بادارة الشؤون •

فعهد الى ابن عمه عبد الله بن جلوى بالمحافظة على الحدود بين نجد والعراق .

واقام ابن مساعد عند حدود سوريا .

وجعل نجله سعود على العارض .

واقام والده الامام عبد الرحمن رئيسا ومرشدا للجميع يرجعون اليه في كل امر ويستشيرونه في كل معضلة .

وبدأ يجهز الحملة ويختار مرافقيه .

ثم كتب الى اهل عنيزة وبريدة والى الاخوان سكان الهجر ليوافوه في الطريق ويسيروا بركبه الى مكة ..

وأمن الزاد والماء للموكب .

فالطريق شاق بعيد طويل بين الرياض ومكة .

ولن يقدر لموكب عبد العزيز الوصول بموكبه قبل عشرين يوما .

والعهد ذاك ، عهد النوق والجمال والبغال والمشاة ..

وأمر عبد العزيز حامل رايته ابن مطرف ان يسبقه الى ماء يسمى « الغزير » وينتظره هناك مع من يوافيه من ابناء نجد المرافقين .

وفي صباح الاثنين في الثالث عشر من ربيع الثاني غادر السلطان عبد العزيز الرياض في موكب مهيب الى مكة فوصل الى الدرعية ، وهي بلدة آل سعود القديمة ، بعد ساعات قليلة .

ثم سار الى الملقى ثم الى الجبيلة ..

وادرك الموكب الظلام فنام عبد العزيز وصحبه في الطريق ليكملوا المسير في الصباح الى الحسيان ..

ووصل الموكب الى الغزير حيث كان ينتظره المرافقون من سكان الهجر واهل بريدة واهل عنيزة وبعض كبار الرجال والعلماء والشيوخ.

وهناك في الغزير استراح الموكب بعض الوقت .

ونظم عبد العزيز سير الموكب تنظيما رائعا •

وعند العصر سار موكب عبد العزيز يتقدمه ابن مطرف ممتطيا جملا رافعا راية آل سعود والى جانبه دليلان، ووراءه كوكبة من الفرسان الاشاوس

وكان في موكب عبد العزيز اخواه الاميران محمد وعبد الله، ونجلاه محمد وخالد وبعض امراء آل سعود وقاضي جيشه الشيخ عبدالله بن حسن والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، وفهد وسلطان ورشيد «من آل الرشيد الذين اصبحوا من الاوفياء المخلصين لعبد العزيز» وابراهيم بن سبهان، امير حائل السابق، ومحمد بن عبد الكريم السبهان، وفهد عبد الله السبهان، وبعض الكتاب والرواة والشعراء منهم الشيخ عبد الله العجيري، وعبد الرحمن النفيسة، وبعض رجال السياسة والعلم والاقتصاد والطب، ومنهم: حافظ وهبه، ويوسف ياسين، وعبد الله الدملوجي، وحمزة غوث، والدكتور محمود حمدي، ومحمد النحاس، وبشير الامين، وجمال الغزي وغيرهم من كبار رجال نجد•

وسار الموكب الى «خشم مرات»، حيث استراح وبات فيها •

وفي الصباح تابع الموكب سيره الى «مرات» بلدة الشاعر العربي الكبير امرىء القيس حيث اقام فيها يوما وليلة •

وراح الشعراء يتغنون بعبد العزيز مستوحين من امرىء القيس الشعر والخيال•وتابع موكب السلطان عبدالعزيز السير الى مكة المكرمة مارا بربع الريان حيث الهواء العليل والماء النمير، ثم بوادي الرشا ••

وفي الثالث والعشرين من ربيع الثاني كان الموكب قد وصل الى «المصلوم» ونزل فيه• وما ان وصل السلطان عبدالعزيز الى المصلوم حتى وجد ساعي بريد الحجاز في الانتظار يحمل اليه خطابا من قناصل الدول الكبرى•

ورفض السلطان عبد العزيز الرسالة على عجل •

وتلاها فاذا بها رسالة موجهة من القناصل وممثلي الدول الكبرى الى القائدين سلطان بن بجاد وخالد بن لؤى، وقد ارسلها القائدان الى السلطان عبد العزيز ليطلع عليها •

ويقول ممثلو الدول الكبرى في رسالتهم للقائدين ان حكوماتهم تقف من النزاع القائم بين السلطان عبد العزيز وبين الشريف حسين ونجله علي موقف الحياد ويطلبون حماية رعاياهم ومصالحهم في الحجاز.

ورد السلطان عبد العزيز على رسالة الممثلين بالخطاب التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ السلطنة النجدية وملحقاتها ـ في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ ـ من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرات الكرام قناصل الدول العظام في جدة : معتمد الدولة الايطالية ، ووكيل جنرال الجمهورية الفرنسية ونائب قنصل ملكة هولندا ، ووكيل قنصل شاه ايران المحترمين ـ بعد اهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام نخبركم اننا احطنا علما بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل الى اميري جيشنا خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز. كنت اود من صميم قلبي ان تحقن الدماء ، وتنفذ رغبة العالم الاسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الاخيرة. ولكن الشريف علي بن الحسين بموقفه في جدة لم يترك لنا مجالا للوصول الى اغراضنا الشريفة. ولذلك فانا حبا بسلامة رعاياكم ومحافظة على ارواحهم واملاكهم مما قد يحدث لهم من الاضرار اردنا ان نعرض عليكم ما يأتي: اولا ـ ان تخصصوا مكانا ملائما لرعاياكم في داخل جدة او خارجها وتخبرونا بذلك المكان كي نرسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم ـ ثانيا : اذا احببتم ان ترسلوها الى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن غوائل الحرب واخطارها فاننا نقبلهم على الرحب والسعة وننزلهم المنزلة اللائقة بهم ، واننا نرجوكم ان ترسلوا كتابنا طيه الى اهل جدة حتى يكونوا على بينة من امرهم ، ونحن لا نعد نفسنا مسؤولين عن اي شيء يقع بعد بياننا هذا. وتقبلوا في الختام تحية خالصة ».

وكتب عبد العزيز خطابا الى اهل جدة ارسله طي كتـابه للقناصل ليرسلوه بدورهم الى جدة ، جاء فيه : « من عبد العزيز آل سعود الى اهل جدة ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، لا بد انه بلغكم ان معظم العالم الاسلامي ابدى عدم رضاه عن الحكم في الحجـاز بواسطة الحسين واولاده . واننـا حبا بسيادة الاسلام وحقنا للدماء نعرض عليكم انكم في عهد الله وامانه مع اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة . وبالنظر الى وجود الامير علي بينكم ، ونظرا لخروجه على الرأي الاسلامي فاننا نعرض عليكم الخروج من البلد الى مكان معين او القدوم الى مكة سلامة لارواحكم ولاموالكم، او الضغط على الشريف علي واخراجه من مدينتكم . فان فعلتم غير ذلك وان ساعدتم الشريف عليا او اعلنتم الولاء له ، فنحن معذورون امـام العالم الاسلامي ، وتبعة ما يقع حوادث تقع على عاتق المسبب » .

وشكل عبد العزيز وفدا ليسبقه الى مكة ويبلغ اهل المدينة المكرمة بقدومه من ثلاثة هم عبد الله بن سليمان رئيس ديوانه ، والشيخ حافظ وهبه والشيخ عبد الله الدملوجي .

وسار الوفد الى مكة المكرمة .

وفي صباح الرابع والعشرين في ربيع الثاني غادر موكب عبدالعزيز المصلوم في طريقه الى مكة المكرمة ، صاعدا الجبال حينا وهابطا الوديان احيانا ومجتازا السهول تارة ، وطورا طاويا البيداء ..

ووصل الموكب الى « ركبة » في الرابع مـن جمادى الاول فبات فيها ليلته .

ومع الفجر البعيد استأنف الموكب سيره نحو الغرب فوصل الى « العشيرة » في الخامس من جمادى الاول ..

والعشيرة واحة خضراء تظللها الاشجار الباسقة وتنتشر في حناياها

الينابيع ويبرد النسيم العليل في العشيرة هجير الصحراء ولهيبها المحرق المرهق ..

فنصب الموكب مضاربه في تلك الواحـة الوارفة الظـلال العذبة المياه .

وما كان موكب ابن عبد الرحمن يحط في العشيرة حتى وصل اليها وفد كبير من عرب الحجاز ومن شيوخ وزعماء مكة المكرمة على رأسهم القائد سلطان بن بجاد مرحبين بالسلطان عبد العزيز ..

وكان الوفد الثلاثي الذي ارسله عبد العزيز من المصلوم « وقيل ان اسمها « المصلوق » كان ذلك الوفد الذي يضم عبد الله بن سليمان والشيخ حافظ وهبه والشيخ عبد الله الدملوجي قد وصل الى مكـة حاملا الى اهلها نبأ قدوم عبد العزيز فهب ابناء مكة لملاقاته في الطريق .

ورأى سلطان بن بجاد ان يكون على رأس الوفد ، في حين ظل القائد خالد بن لؤى في مكة ليكون في استقبال السلطان ساعة وصوله.

ورحب اعضاء الوفد بالسلطان الوقور القادم اليهم من نجد على هيبة وحكمة وجلال .

فتأثر عبد العزيز لتلك العواطف النبيلة .

وادرك انه فتح القلوب في الحجاز قبـل ان يفتح المدن والقرى والبطاح .

واقام موكب عبد العزيز في العشيرة نهارا وليلة .

ومع بزوغ فجر السادس من جمادى الاول استأنف الموكب المسير صعدا في سفح جبل شامخ عال حتى وصل الى « السيل » وقد اصبح على بعد زهاء ثمانين كيلومترا عن مكة المكرمة .

وكان وصول الموكب الى السيل في السادس من جمادى الاول .

فنزل عبد العزيز وصحبه في السيل يرتاحون من عناء السفر .

وما ان حل العصر حتى نهض السلطان عبد العزيز الى الصلاة فنزع عنه ثيابه وارتدى احرامه واحرم جميع من رافقه .

وبعد ان صلوا ساروا على بركات الله ، وهـم يهتفون ويهللون ويسبحون ويحمدون .

فتردد الجبال والوديان صدى اصواتهم على رهبة وهيبة وخشوع.

وبعد مسير ثـلاث ساعات كـان موكب السلطان عبد العزيز في « الزيمة » .

وهي قرية صغيرة خضراء تقع في الطريـق من الطائف الى مكة المكرمة .

ولم تطل اقامة الموكب في الزيمة ، فقـد دفعهم الشوق للمدينـة المكرمة الى استئناف المسير على سرعة وعجل .

فساروا وألسنتهم تلهج بالدعاء والتسبيح حتى وصلوا الى ضواحي مكة عند آذان العشاء من ليلة الجمعة في السابع من جمادي الاول .

فتعالت الاصوات مسبحة مهللة : « لبيك اللهم لبيك » ..

وكان خالد بن لؤى قد اعد مع اهل مكة استقبالا حافـلا للسلطان عبد العزيز ونصبوا السرادق على جانبي الطريق ونثروا الازهار والورود والرياحين ورفعوا الرايات .

وسار عبد العزيز وصحبه بين السراديق المزدانة بالانوار .

فاذا بأبناء مكة يحتشدون ليستقبلوا البطل الباسل هاتفين ومصفقين له .

فأدمعت عينا عبد العزيز وهو يشاهد تلك الحفاوة ويلمس العواطف النبيلة التي يستقبله بها ابناء مكة الميامين ..

واجتاز عبد العزيز باب السلام .

ودخل البيت الحرام خاشعا ورعا مبتهلا الى الله عز وجل ان يصون

نجد والحجاز ويدفع عن ابنائها الويلات والحروب •

وطاف السلطان السعودي بالكعبة سبعا وصلى في مقام ابراهيم •

وبعد ان ادى نسكه كاملا توجه الى قصر « آل بناجه » الذي كان قد خصص لنزوله •

فاذا بذلك القصر يزدحم بأبناء المدينة الوافدين لاستقبال عبد العزيز وتهنئته بسلامة الوصول وتقديم الولاء والخضوع له •

وكان عبد العزيز يستقبلهم بما فطر عليه من لطف ومحبة وعطف وحنان •

ثم نهض ليتجه الى مضارب الجيش حيث قضى ليلته بين قواده وجنوده وكأنه واحد منهم •

كان عبد العزيز ، رحم الله ثراه ، يحب جنود جيشه كما يحب اولاده ، وكان في جميع المعارك التي خاضها يتقدم الجنود ويندفع امامهم الى ساحة الوغى •

ولعل تلك المعاملة التي كان عبد العزيز يعامل بها جنوده ، قربته الى القلوب ، وحببته الى نفوس افراد الجيش •

ولعل سر انتصارات عبد العزيز الغريبة العجيبة يكمن في محبة الجيش له وفي تعلقهم به وتفانيهم في سبيله •

لقد كان افراد جيش عبد العزيز وقواده يحبونه حبا غريبا •

ويعتبرونه المثل الاعلى لهم •

ويعلقون عليه الآمال العذاب •

وينفذون أوامره بكل محبة واندفاع واخلاص •

وفي صباح السبت ، الثامن من جمادي الاول كان ابناء مكة كلهم يندفعون الى الشوارع هاتفين بحياة عبد العزيز •

وكانوا يتوقون لمشاهدة ذلك البطل الذي سمعوا عنه الكثير •

فخرج عبد العزيز اليهم بطلعته البهية وجاذبيته التي تأسر القلوب وراح يحدثهم حديث الاخ لاخوانه .

فازدادوا اعجابا به وتقديرا له .

وجرى استعراض عسكري كبير في شوارع مكة احتفاء بقدوم البطل العربي الباسل اشترك فيه افراد الجيش وقوات الاخوان سكان الهجر الذين كانوا يحاربون في طليعة الجيش السعودي .

واندفع ابناء مكة الميامين الى السلطان عبد العزيز يصافحونه ويقبلون يده ويعلنون له الولاء والوفاء فكان يلاطفهم ويسايرهم ويأبى عليهم تقبيل يده هاتفا بهم : « لقد ولى عهد تقبيل الايدي . من عادة العرب الاباة المصافحة . وقد ابى الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم ان يقبل الصحابة يده وكان يصافحهم بيده الكريمة ويصافحونه» .

وراح الشيخ عبد القادر الشيبي امين مفتاح بيت الله الحرام يقدم وجهاء مكة وشيوخها الى السلطان ويعرفه بهم واحدا واحدا .

ثم القى الشيخ الشيبي كلمة بليغة حيا فيها السلطان عبد العزيز ذاكرا مآثره وصفاته الحميدة وتعلقه بالدين وبتعاليم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ووقف السلطان عبد العزيز فألقى كلمة مؤثرة شكر فيها ابناء مكة المكرمة على تلك الحفاوة البالغة .

وأوضح للجماهير الغفيرة السبب الذي دعاه للقدوم الى مكه ، واعدا اياهم بالعدل والحرية والانصاف .

وطلب الشيخ الشيبي من ابن عبد الرحمن ان يعين موعدا لاستقبال علماء مكة وشيوخها فضرب عبد العزيز الموعد في الساعة الثامنة من مساء الغد .

وفي الموعد المضروب هرع علماء المدينة وشيوخها وفقهاؤها وكبار

رجالها الى دار الحكومة لمقابلة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن •

فغصت بهم الدار على رحبها •

واستقبلهم عبد العزيز استقبال الاخ لاخوانه •

فوقف العلماء والخطباء يخطبون معاهدين عبد العزيز على الوفاء والاخلاص طالبين الى الله تعالى ان ينصره ويوفقه ويأخذ بيده لما فيه خير الاسلام والامة العربية •

ووقف عبد العزيز يرتجل خطابا بليغا رائعا اعتبر يومذاك دستورا ووعدا صادقا من الرجل الكبير ،ليس لابناء الحجاز فحسب ، بل لابناء الامة العربية وللمسلمين في انحاء العالم العربي •

وقد جاءت في الخطاب ذاك حكم بليغة واقوال رائعة وآراء سديدة •• ومما قاله :

« الامور كلها بيد الله • والله سبحانه وتعالى ضرب الامثال لنا في القرآن الكريم ولم يترك شيئا لتأدينا الا وذكره في كتابه الكريم • ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم « الذي من احبه فقد احب الله ومن اطاعه فقد اطاع الله » يأخذ نفسه بآداب القرآن الكريم •• ان افضل البقاع بقاع يقع فيها شرع الله ، وافضل الناس من اتبع امر الله وعمل به • فهل تعرفون قبيلة افضل من قريش ؟ ولو لم يكونوا افضل العرب لما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم منهم • وهل في البلاد افضل من مكة ؟ لو لم تكن كذلك لما كان بيت الله فيها ولما نشأ الاسلام بها •• ان هذا البيت هو شرف الاسلام الخالد » •

ثم تطرق عبد العزيز الى العقائد والى الشرائع والى القوانين الاجتماعية في خطابه •

فقال : « العقائد التي جاء بها الانبياء من قبل ذات أصل واحد ، وهو اخلاص العبادة لله وحده ، وينحصر ذلك في القول : « لا اله الا

الله » ، وكل عمل لا يقوم على هذا الاساس فهو باطل • والله والله ، ورب هذا البيت ، لقد كان من احب الامور الي ان يقيم الحسين شرع الله في هذا البيت المبارك فأفد عليه مع الوافدين اقبل يده واساعده واقف الى جانبه في الملمات الصعاب • ولكن هكذا شاءت ارادة الله • ولو لم يلحق الامر الاديان والنفوس لما اقدمنا على ما اقدمناعليه • لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء • الاخلاص لله بالعبادة •• انا بذمتكم واتم بذمتي • انا منكم واتم مني •• هذه عقيدتنا في الكتب التي بين ايديكم فان كان فيها ما يخالف كتاب الله ابتعدنا عنه •• اننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره الا في ما ايدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم • اما احكامنا فنسير فيها طبق اجتهاد الامام احمد بن حنبل » •

وبعد ان شرح عبد العزيز ايمانه بالله تعالى وبرسوله وعاهد على صيانة الدين •

قال : اما محبة الاولياء والصالحين فهي واجب علينا • فان كان هذا مقبول عندكم تعالوا تتبايع على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده •

فهتف السامعون : كلنا نبايع ايها السلطان الكريم •

قال عبد العزيز :قولوا لنا صريح القول ما عندكم ، وصارحونا بما تبتغون اننا لكم سامعون •

قال الشيخ الشنقيطي : نريد ان نجتمع بعلماء نجد لنتباحث معهم في الفروع وفي الاصول كي يقف كل منا على آراء وعقائد الآخر ونقر ما تتفق عليه •

قال عبد العزيز : ما دام المرجع الاول والاخير كتاب الله ، فانكم واصلون حتما الى اتفاق نبيل صريح •

وكان قد حان موعد الصلاة • فانصرف الجميع الى تأديتها • وعبد العزيز في المقدمة •

وكان السلطان عبد العزيز مرتاحا كل الارتياح للطلب الذي تقدم به الشيخ الشنقيطي •

فهو يريد ان يجتمع علماء نجد وعلماء الحجاز ويتباحثون حتى يتفقوا على ان دين الحجاز هو دين نجد الذي هو دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كي تكون الوحدة شاملة بين نجد والحجاز ليس في الوطنية والحكم فحسب بل في الدين والمعتقد والايمان •

وتعين موعد اجتماع العلماء في الحادي عشر من جمادي الاول •

وفي الموعد المحدد اجتمع العلماء •

وكان وفد علماء مكة والمسجد الحرام من محمد حبيب الله الشنقيطي ، ودرويش عجيمي ، وعمر باجنيد ، ومحمد مرزوقي ، واحمد النجار ، وعبد الرحمن زواوي ، وجمال مالكي ، وعباس مالكي •

وتألف وفد علماء نجد من عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، وعبد الله بن حسن « وهما من احفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ومحمد عثمان الشاوي ، وعبد الرحمن بن داود ، ومبارك بن باز ، وعبد الله بن زاحم •

وراح اعضاء الوفدين يتباحثون ويشرح كل وفد عقيدته للآخر •

وتبين لاعضاء الوفدين ان ليس ثمة خلاف في الدين بينهم •

واتفقوا على ان كل من اقر بالشهادتين وعمل باركان الاسلام الخمسة فهو مسلم •

واذا اتى من الاعمال او الاقوال ما يكفر او ما يسيء الى الدين فهو كافر ، يستتاب ثلاثا فان تاب اعفي عنه ، وان اصر قتل •

واصدر الوفدان بيانا مسهبا شرحوا فيه كل ما دار بينهم من درس وتمحيص واتفاق •

ونشروا بيانهم على الملأ ليدرك الجميع ان ابنـــاء نجد مسلمون ورعون مؤمنون موحدون وان ابناء الحجاز لا يختلفون عن ابناء نجد في الاسلام والورع والتوحيد والايمان •

وارتاح السلطان عبد العزيز كل الارتيـــاح لهذا البيـــان المسهب الصريح •

وعمد الى اصدار بيان خاص الى اهل مكة ضمنه آراءه واعلن فيه التدابير التي سيتخذها للمحافظة على الامن والسلام والدين في المدينة•

وقد جاء في البيان ما يلي : « يا ابناء مكـــة ! نحن ما جئنا مـــن ديارنا البعيدة اليكم الا انتصارا للحق ولدين الله • سيكون الامر في هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين ، وقـــد ابرقنا الى المسلمين في سائر الانحاء كي يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر اسلامي عام يقرر شكل الحكم في هذه البلاد العزيزة • ان التشريع لن يكـــون الا من كتاب الله •• كل من كان من العلماء في هـــذه الديار او مـــن موظفي الحرم الشريف او المطرفين ذا مرتب معين فهو له على ما كان عليه مـــن قبل ، وان لم نزده فلا ننقصه شيئا •• لا قوي عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي الا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ، ولا اقبل فيها شفاعة » •

ومضى السلطان عبدالعزيز في شرح مبادئه وآرائه، وطريقة حكمه• ووزع بيانه على اهل مكة •

فارتاحوا له شديد الارتيـــاح وقد وقفوا علـــى نوايا عبد العزيز الصالحة وعلى تعلقه باهداب الدين •

وساد الامن والسلام ارجاء مكة المكرمة ، وقـــد بسط ابن عبد الرحمن عليها هيبته ووقاره وعدله •

واطمأن البطل السعودي الى استتباب الامن في البلاد الا انـــه

كان شديد القلق للأزمة الاقتصادية التي تعصف بالبلاد .

فالملك علي لم يترك في مكة دينارا واحدا بعد رحيله عنها .

وعبد العزيز خارج من حرب ضروس ، او بالاحرى هو خارج من عدة حروب لم تترك في خزينته ما يسد الرمق .

والمورد ضئيل في مكة المكرمة .

وليس هناك موارد الا موسم الحج فلا زراعة ولا صناعة ولا تجارة.

وكان على عبد العزيز ، وقد اضحى الحاكم المطلق ان يوفر لأبناء البلاد العيش .

كان عليه ان يؤمن لهم الرغيف ..

وخشي عبد العزيز ان يقطع الملك علي المعتصم في جدة طريق التموين عن ابناء مكة ، وهناك الطامة الكبرى .

ذلك لان ابناء مكة كانوا يستوردون معظم موادهم الغذائية من جدة ، فما كان منه الا انه اسرع الى احتلال « الليث » و « رابغ » لتأمين المواصلات البحرية .

واستطاع بذلك ان يؤمن طريق البحر لابناء مكة ، وان يخفض من وطأة الكارثة . الا ان تأمين طريق البحر لم يكن كافيا لدفع كل الفاقة عن البلاد ، فانصرف عبد العزيز الى التفكير في امر دفع العوز والفاقة عن ابناء مكة .

وفيما هو يفكر بالامر باحثا عن مورد يدفع به الغائلة عن ابناء مكة جاءه وفد من وجهاء المدينة ورفعوا اليه خطابا شرحوا فيه حالة البلاد .

وقالوا فيه : « ان مكة تزدحم بالسكان وهي تحتاج الى التموين والغذاء فنرجوكم ان تعملوا على انقاذنا من الجوع الذي يهددنا وينذرنا باوخم العواقب » .

وباحث عبد العزيز اعضاء الوفد وسألهم : ماذا تريدون ان افعل ؟

وماذا ترتأون ؟

فأجاب رئيس الوفد الشيخ عبد القادر الشيبي : « لقد كتبنا خطابا نريد منكم ان تتفضلوا بارساله الى الملك علي •

ودفع الشيخ عبد القادر بالكتاب الى السلطان عبد العزيز فقرأه •

وقد جاء فيه : « الى صاحب السمو الامير علي وفقه الله !

لا يخفاكم اننا جيران بيت الله الحرام الذي قال الله فيهم : « اطعمهم من جوع وأمنهم من خوف •• » فاين عملكم من توصية الله بنا وما هو السبب في اقدامكم على منع القوت عنا وانزال الضرر بنا ؟ هل لأن جيوش نجد دخلت الى مكة ؟ اذا كان هذا هو السبب فنحن غير مسؤولين عن ذلك ، بل انتم وحدكم المسؤولون لانكم تخليتم عنا وخرجتم من المدينة » ••

ويسترحم ابناء مكة الامير عليا طالبين اليه فك الحصار الذي كان قد ضربه عليهم •

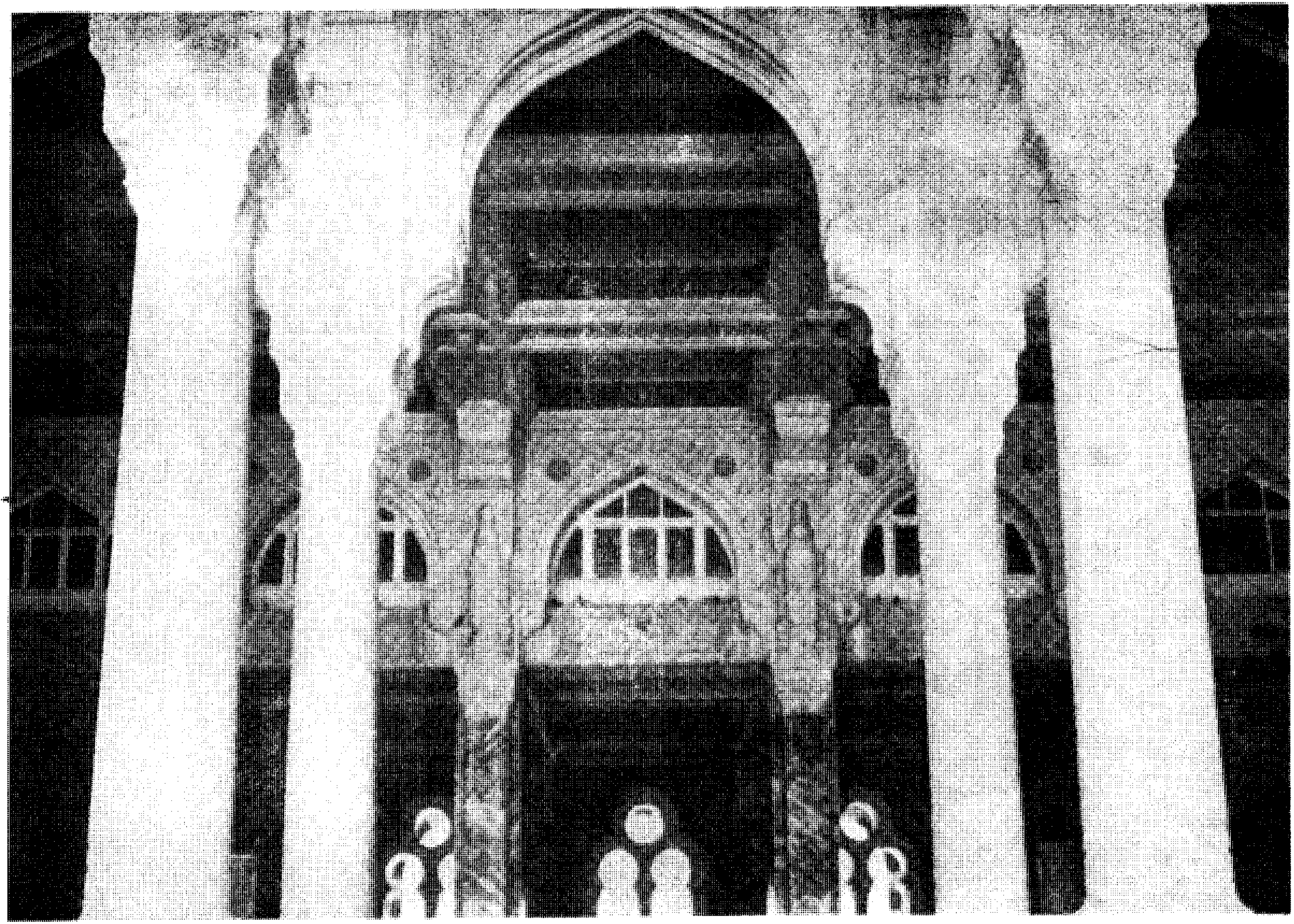
والتفت السلطان عبد العزيز ، الى اعضاء الوفد ، وقد اتم قراءة الكتاب ليقول : هذا الكتاب لن يفيدكم بشيء • انا سأبعث به الى الامير علي نزولا عند طلبكم ولكنني أؤكد لكم ان عليا لن يجيبكم الى طلبكم ولن يفك الحصار عنكم ، وستبرهن لكم الايام القليلة المقبلة صدق ظني • علينا ان نعتمد على انفسنا في درء خطر الفاقة عنا ايها الاخوان ، وليس لنا ان نطلب العون من علي بن الحسين ، وهو السبب في كل ما نزل بكم •

وبر السلطان عبد العزيز بوعده •

وارسل الكتاب الى الامير علي باسم ابناء مكة ••

وجاء رد الامير علي بعد ايام قليلة •

وقال في رده : « نحن لم نمنع الارزاق عنكم الا مكرهين ، ذلك



احد اورقة المسجد الحرام الداخلية أثر التوسعة .

لان المبادىء الحربية تدعونا الى قطع المؤن عن الجيوش النجدية النازلة في مدينتكم • اذا شئتم ان تعود الارزاق والخيرات اليكم فما عليكم الا ان تخرجوا عبد العزيز وجيشه من مدينتكم » •

وحمل ابناء مكة كتاب علي الى عبد العزيز واطلعوه عليه فقال : لقد صدق ظني • الامير علي لن يفك الحصار عن مدينتنا • بيننا وبينه السيف •

قالوا : نحن الى جانبكم ايها السلطان •

قال : ان ما يؤلمكم يؤلمني ، وما يرهقكم يرهقني • انني ابذل كل جهودي لتموين هذه المدينة العزيزة المقدسة • وها انتم ترون ان المؤن التي ترد يوميا الى مكة مخصصة لكم ، اما مؤن جيوشي فانا سأحضرها من الخارج • لن يمس جندي واحد من جنودي رغيفا لكم • سأعمل كل ما في وسعي لتأمين القوت لكم يا ابناء مكة الاعزاء فلا تخشوا الفاقة ولا تخافوا الجوع ، ولا يصيبنا الا ما كتب الله لنا •

فأكبروا في هذا القائد الكبير شهامته ونبله ،

واعلنوا له الطاعة والخضوع والوفاء •

وتابع عبد العزيز كلامه :

قال : ان جدة ليست ببعيدة عن متناول يدنا ولا هي بعاصية علينا • اننا قادرون على أخذها بحد السيف واحتلالها بالقوة ساعة نريد ، الا ان حرصنا على سلامة اهلها يهيب بنا الى التبصر والتروي قبل احتلالها وتحريرها •

فازدادوا اعجابا بهذا البطل الابي وهتفوا : الا فلينصركم الله يا عبد العزيز :

قال : انا لا اريد ان استأثر بالحكم ، وانما اريد مشورتكم ونصحكم • اريد منكم الصراحة في القول ، والاخلاص في العمل ، وانني اطلب منكم ان تجتمعوا وتنتخبوا من يمثلكم في مجلس الشورى

الاعلى الذي سيتولى ادارة الحكم في هذه المدينة المكرمة ٠

فذهلوا : ماذا يقول عبد العزيز ؟ ايدعوهم الـى المشاركة فـي الحكم ؟ هل يمكن هذا ؟

وادرك ابن عبد الرحمن ما يجول بخاطرهم فبادرهم بقولـه : اجل ان ابنـاء مكة سيشتركون في تقرير مصير مدينتهم ٠ الحكم شورى وليس استبدادا ولا ظلمـا ٠ انتم ادرى بما تحتاج اليه مدينتكم يـا اخواني الاعزاء ، الا فاسرعوا في انتخاب الذين يمثلونكم في المجلس الاعلـى ٠

فانصرفوا شاكرين داعين آمنين ٠

واسرعوا الى تلبية طلب عبد العزيز فانتخبوا وفدا يمثلهم في مجلس الشورى برئاسة عبد القادر الشيبي ٠

وبذلك عرفت مكة المكرمة للمرة الاولى منذ مئات السنين لذة الحكم الذاتي والديمقراطية السمحاء ٠

واحب ابناء مكة السلطان عبد العزيز ٠

وحملوا له في قلوبهم التقدير والوفاء ٠

لقد دخل عبد العزيز مكة فاتحا فاذا به بعد أيام قليلة يفتح القلوب والافئدة والمهج ليحتلها على الرحب والسعة والاطمئنان ٠

●

- ٨ -

مساع فاشلة

الملك علي بن الشريف حسين يقيم في جده على قلـق ووجـــوم واضطـراب .

فهو يدرك كل الادراك ان ابن عبد الرحمن لن يكتفي باحتلال مكة ، وانه سيزحف بجيشه الى جدة .

فعليه اذن ان يستعد للدفاع عن المدينة .

وراح الملك علي يجهز جيشه بالسلاح الحديث وبالقنابل وبالطائرات وقد عزم على ضرب عبد العزيز الضربة القاضية عند اسوار جدة .

وعبد العزيز لم يكن نائما على حرير وثير .

بل كان يستعد ايضا لاستئناف الحرب وتحرير جدة .

الا انه كان يفكر في طريقة مثلى يحرر بها جدة دون اهراق دمـاء ودون اعادة المأساة التي وقعت في الطائف .

وفيما عبد العزيز يفكر ويستعد ورده من جدة ظرف يحتوي على اربعة رسائل : رسالة من قناصل الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا وايران ، وفيهـا يشكرونه على رسالته التـي تعهد بها بحماية رعاياهم ، ويذكرونه بأن حمـاية رعاياهم حق دولي لهم .

اما الرسائل الثلاث فكانت من اصدقائه : المستر فيلبي البريطاني، وامين الريحاني اللبناني ، وطالب النقيب ، الزعيم العربي ..

ودهش عبد العزيز ، وقد علم ان مصدر الرسائل الثلاث جدة .

فكيف اتفق وجود الاصدقاء الثلاثة في جدة في وقت واحد ؟

وكان فيلبي والريحاني وطالب يطلبون من صديقهم الحميم عبـد

العزيز مقابلته لامر مهم جدا وبسرعة قصوى •

وادرك عبد العزيز السر وراء طلب المقابلة •

فهم يريدون دون شك التوسط بينه وبين الامير علي •

ووجودهم معا فـي جدة يثبت ان الامير علي توسطهم وطلب اليهم ان يكونوا رسل سلام بينه وبين السلطان عبد العزيز •

ورد عبد العزيز على اصدقائه الثلاثة قائلا لكل منهم : « اذا شئتم مقابلتنا لشؤون خاصة فمرحبا وسهلا ، واهلا بكم • اما اذا كانت الغاية من زيارتكم التوسط بيننا وبين الامير علي فلا فائدة مـن الزيـارة ترجـى •

وبعد أيام قليلة جاءه كتاب من فيلبي يبلغه فيه انـه عائد الـى لندن ويودعه •

ثم ورده كتاب من طالب النقيب يبلغه اسفه لعـدم تمكنه مـن مقـابلته • ويخبره انه مسافر الى مصر ••

ثم ورده كتاب من امين الريحاني يقول فيه : « ان صديقي التاجر اللبناني حسين العويني قـادم الى مكـة لاعمال تجارية ، فاذا اذنتم له بمقابلة يستطيع ان يحمل الى عظمتكم بعض ما لدي من اخبار ، وانني اثق ، كمـا تثقون انتم ، به فارجوا ان توافقوا على استقباله واني لكم من الشاكرين » •

ورد السلطان عبد العزيز على الرسائل الثلاثة بسرعة •

فكتب الى المستر فيلبي يستودعه السلامة ويرجـو له التوفيق •

وشكر لطالب النقيب بادرته الطيبة وقال : « ستصلكم اخبارنـا السارة وانتم في مصر ان شاء الله » •

وقال لامين الريحاني : « مرحبا بصديقكم وصديقنا حسين العويني فليحضر الينا ونحن على استعداد لاستقباله » •

وغادر فيلبي وطالب النقيب جدة في العاشر من جمادي الثانية « ٤ ايار عام ١٩٢٥ » •

اما امين الريحاني فقد زود حسين العويني بمذكرة الى عبد العزيز تتضمن اراءه في الصلح بينه وبين الامير علي •

كما سلمه مذكرة من وجهاء المسلمين في بيروت يتمنون فيها على السلطان عبد العزيز انهاء الحرب • حقنا للدماء العربية الزكية •

وارسل امين الريحاني مع حسين العويني ايضا رسالة الى عبد العزيز جاء فيها :

« •• اني مرسل لعظمتكم مع الصديق حسين العويني كتابا من وجهاء بيروت المسلمين ، ومذكرة ضمنتها آرائي في الحال الحاضرة • فان كنت مصيبا فمولاي وصديقي عبد العزيز لا يتبع غير الصواب • وان كنت مخطئا فحبي واخلاصي يشفعان بما قد يعتبر نقصا في علمي• اما اذا كنت في ما قد اقدمت عليه مزيج من الخطأ والصواب فانا اول من يرغب في التمحيص والدرس •• اعلموني ، يا طويل العمر ، ان كنت مخطئا ، واسمحوا لي بالرضى ان كنت مصيبا » •

وغادر حسين العويني جدة في ٢٥ جمادي الاول من سنة ١٣٤٣. « ١٩٢٥ » ودخل مكة المكرمة محرما •

« ومنذ ذلك اليوم اطلق على حسين العويني لقب : « الحاج » فأصبح يدعى الحاج حسين العويني » •

واستقبل عبد العزيز حسين العويني بالترحيب •

وتسلم الرسائل منه ورد عليها بحكمة وحذر مظهرا رغبته الصادقة في تجنيب البلاد ويلات الحرب وشرورها شرط ان يخرج الامير علي من جدة ويترك الحكم ريثما يبت زعماء العالم الاسلامي في الامر •

وما ان غادر العويني مكة ، موفقا في اداء مهمته ، حتى وقع حادث

عكر جو المفاوضات واثار الذعر في ابناء مكـــة ، والغضب في صدر عبد العزيز •

ذلك ان طائرة هاشمية حلقت في سماء مكة المكرمـة للاستطلاع والوقوف على تحركات الجيش السعودي •

واذا بالسلطان عبد العزيز يأمر جيشه بالزحف الى « حداء » وقد عزم العزم الثابت الجازم على خوض ميدان الوغى وتحرير جدة •

وما كاد الجيش السعودي يبلـغ حداء حتى تسلـم عبـد العزيز رسالة من امين الريحاني يقول فيها : « مولاي العزيز المعظم السلطـان عـبد العزيز ! احييكم اشرف التحيـات وابثكم احر الاشواق •• ان الطائرة التي اشرفت على مكة السبت الماضي تجاوزت الاوامر وعوقب الطيار بالسجن •• علمت ان رجالكـــم وصلوا الى « حداء » بصورة حربية فأخذني العجب فعسى ان يكون الخبر كاذبا •• اننـي ما زلت مرتابا بما سمعت فأرجو مـــن عظمتكم ايضاحا في اقرب وقت •• ان الحكومة والجند في جدة قلقون مما شاع هذا المساء بشأن تقـــدم جيشكم نحو جدة وهم يأبون التربص ويرغبون في القيام بعمليـــات عسكرية دفاعية وهجومية ولكني تمكنت من توقيفهم يومين آخرين اي الى مساء الاحد • فأرجوكم اذن ان تجاوبوني فور وصول كتابي هـذا اليكم ليصل الي الجواب قبل مساء الاحد فلا تخيبوا املي واسلمـوا للمخلص : امين الريحاني » •

ورد عبد العزيز على رسالة امين الريحاني برسالة جاء فيها :

« من عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل الى امين الريحاني •• كتابك وصل وما عرضت كان معلومـا لدينا •• واما ما ذكرت عـن تحمس الحكومة والجنود لما بلغهم منزلنا حـداء واغارة بعض الرايات عليهـم وانك طلبت اليهم ان يتأخروا فلا نقول الا كما قال الله سبحانه وتعالى :

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ونقول ايضا : « يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين » واما رجاؤك انهم يتأخرون فكما قال الشاعر :

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة   او كنت تدري فالمصيبة اعظم

« ولكن رجاءك لتوقيفهم عن الزحف علينا فلا نرى لجنابك فيه فضلا وانما نرجوك ان ترخص لهم بالزحف كما نرجوك ان تبلغ الامير عليا انه بلغني انه يستحرمنا الحرم ، واننا اذا لم نخرج من الحرم الشريف فهو سيقاتلنا فيه وليس في ذلك حرج . اما نحن فقد خرجنا فالرجاء فيه ان يتفضل لملاقاتنا والكريم اذا قال وفى ، ونرجو من الله تعالى ان ينصر جند الرحمن على جند الشيطان ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وكانت هذه الرسالة بمثابة قطع الطريق على كل وساطة .

او بالاحرى كانت انذارا باندلاع الحرب بين عبد العزيز بن عبد الرحمن وعلي بن الحسين .

وبدأ كل منهما يستعد لخوض غمار تلك الحرب الضروس .

وفيما عبد العزيز ينصرف الى تنظيم جيشه واتخاذ التدابير اللازمة للزحف الى جدة فوجىء ابناء مكة المكرمة بطائرة هاشمية تحلق فوق المدينة وتلقي مناشير جاء فيها ما يلي : « الى جيران بيت الله الحرام ! يا ورثة الشرف والمجد ! نحن لم نتخل عنكم زهدا فيكم . لقد كنا نود ان نفديكم بارواحنا . ولكن خوفنا من ان يقع بكم ما وقع باخوانكم ابناء الطائف من الاعتداء المروع ، وكي نحافظ على البقية من وطنكم العزيز ، اضطررنا الى الانسحاب. والآن ، لقد جمعنا شملنا واقبل الينا اخوانكم من كل حدب وصوب حتى اصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو الى نحره ، وجهزنا جنودنا بكل الوسائل الفنية

والمعدات الحربية ، وها نحن على اهبة القدوم اليكم لتطهير بلادنا من المغتصب •• وستبدأ طائراتنا بالتحليق في جوكم لتمطر العدو وابلا من القذائف والقنابل • فكونوا كما عهدناكم من قوة الثبات والشجاعة والبسالة واعملوا معنا على تخليص وطنكم بكل ما اوتيتم من قوة وبسالة وفي ذلك عزكم ومجدكم ، لان الوطن اغلى من كل شيء • اثبتوا ، رعاكم الله ، فقد قربت ساعة الخلاص ودنت ايام الطمأنينة والسلام ، وحل موعد الانتقام » •

وغضب عبد العزيز ، وقد وقف على مضمون هذا المنشور •

كما غضب من تحليق الطائرات الحربية فوق مكة المكرمة فدعا قواده وامراء جيشه الى اجتماع عقده في ٤ جمادي الثانية درس فيه معهم الامر واستشارهم في الزحف الى جدة ••

واجمع القواد والامراء على ضرورة الاسراع في تحرير جدة بالرغم من تخوفهم من الطائرات التي يملكها علي « وقيل انها تزيد على الخمس طائرات » في حين لا يملك عبد العزيز طائرة واحدة •

ولكن عبد العزيز كان يعلم ان ليس لدى علي الا طائرة واحدة تصلح للتحلق اما ما بقي فهي طائرات محطمة معطلة من مخلفات الانكليز الحربية ، لا تصلح الا للتلف •

وتم الاتفاق على ان يبدأ الزحف الى جدة صباح يوم الخميس في ٦ جمادي الاولى ••

وفي صباح ذلك اليوم زحف جيش عبد العزيز باتجاه جدة •

ووصلت القوات السعودية قرب جدة فنزلت فرقة الغطغط في جنوبي جدة وفرقة اهل دخنة في الشمال ، واهل ساجر في شرقها •

وفي غربها لواء قحطان •

وهكذا حاصر الجيش السعودي جدة •

ولم تلبث ان وصلت فرقة الخيالة ليلا فاستولت على الروابي التي تشرف على محصنات العدو .

وفي اليوم التالي تقدم الاخوان الى منطقة جدة واحتلوا موقعين هما « النزلة » و « الرويس » .

جرى كل ذلك دون ان يلقى الجيش السعودي اية مقاومة ..

وفجأة انهالت القنابل من العدو على القوات السعودية المرابضة في النزلة وفي الرويس .

فبادرتها القوات السعودية بالمثل ..

وجرت معركة قصيرة قتل فيها جندي سعودي واحد .

واستطاعت فرقة الخيالة ان تتقدم وتحتل قصر ابن منصور الفخم الذي يشرف على جدة .

واستولت قوات الاخوان على موارد المياه التي تقع خارج سور المدينة ، وقطعت المياه عن ابناء جدة .

ووصل نبأ قطع المياه عن جدة الى عبد العزيز فغضب غضبا شديدا وامر باعادة المياه الى مجاريها فورا .

فأعيدت ...

واقام عبد العزيز ينتظر هجوم الجيش الهاشمي .

الا ان الانتظار طال وجيش الامير علي لا يخرج من المدينة ولا ينبري للجيش السعودي .

وكان ابن عبد الرحمن يعلم ان لدى الجيش الهاشمي اثني عشر مدفعا وعشرة رشاشات وعددا من المدافع الصحراوية .

كما كان يعلم ايضا ان عليا استورد من المانيا عشرين رشاشا وزهاء الفي بندقية وكمية كبيرة من الذخيرة .

هذا بالاضافة الى الطائرة الحربية التي يستطيع علي بواسطتها ان

يصرع مئات الجنود السعوديين بالقنابل والقذائف ..

ومن يدري قد يكون علي استطاع ان يصلح اكثر من طائرة من الطائرات الانكليزية المحطمة المخربة ويستطيع بواسطتها ان ينزل الكوارث والويلات بالجيش السعودي ..

ولم يكن عبد العزيز يجهل ان عليا يملك عددا غير قليل من السيارات والمصفحات وانه يستطيع بواسطتها الوثوب الى المعركة .

ودهش عبد العزيز للصمت العميق الذي يحيط بعدوه .

وراح يعمل على كشف سر هذا الصمت ، وقد خشي ان يكون ثمة مكيدة نصبها علي لاستدراج القوات السعودية الى الاقتراب من اسوار جدة للفتك بها ..

وكان لعبد العزيز انصار في جدة يمدونه بالانباء ويكشفون له اسرار العدو ، فأوفد الى اولئك الانصار احد رجاله المخلصين .

واستطاع الرسول ان يتسلل الى جدة وان يعود الى عبد العزيز بأنباء سارة .

والانباء تلك تقول ان عليا يفتقر الى الوقود لادارة محركات طائراته وسياراته ، والعهد ذاك عهد الافتقار للوقود ، فلا نفط في الحجاز ولا آبار بترول في نجد .

واطمأن عبد العزيز بعض الاطمئنان .

وراح يجهز جيشه عند اسوار جدة وينظمه ..

وبدأت القوات السعودية تتجمع في ضواحي جدة حتى تجمع عند تلك الاسوار زهاء عشرين الف مقاتل بكامل معداتهم الحربية وذخيرتهم .

وكان القواد السعوديون قد وقعوا على كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر وهم في طريقهم الى الحجاز .

في الطائف وفي مكة وفي سائر المدن والقرى التي جلا عنها العدو

واحتلهـــا الجيش السعودي كانت القوات السعوديـــة تجـــد الاسلحة والذخائر والعتاد الحربي •

فأصبح الجيش السعودي قويا بأسلحته وبذخيرته وبرجاله الاشداء البواسل • في حين ان عليا كان قد خسر الكثير من معداته الحربية ومن اسلحته وذخيرته ورجاله •

ولم يكن لديه من الرجال في جدة سوى الفي مقاتل فقط يحاربون في صفوفه مرغمين غير مخلصين •

ولعل السبب الاول في انتصارات عبد العزيز ، كان يعـــود الى اخلاص رجاله والى تعلقهم بقائدهم المغوار والى تنفيذ ما يصدر منه من أوامر فورا ودون اي احتجاج •

وبالرغم من المساعدات التـــي كان الامير علي يتلقاها مـــن بعض انصاره الاجانب •

وبالرغم من السيارات والطائرات التي يملكها •

فقد ظلت القوات السعوديـــة متفوقة علـــى قواته بسبب الروح الحربية السامية التي كان الجندي السعودي يتحلى بها •

وبفضل العقيدة النبيلة التي يحارب من اجلها •

وبفضل اخلاصه لقائده الكبير عبد العزيز آل سعود •

وساد الهدوء الجبهة الحربية عند اسوار جدة اياما قليلة •

فلا الهاشميون يخرجون من المدينة للقتال •

ولا السعوديون يقتحمون اسوار المدينة ، وهم لا يجهلـــون ان حرمة جدة تشابه الى حد بعيد حرمة مكة •

وانه لا يجوز لهم ان يقتحموا الاسوار عنوة ولا ان يدخلوا جدة شاكي السلاح •

هذا فضلا عن ان المعركة داخل المدينـــة تعرض السكان للكوارث

وتنزل بالمدينة الخراب •
وهي حتما مسفرة عن عدد كبير من الضحايا •
هذا فضلا عن ان هناك عددا كبيرا من الرعايا الاجانب في جدة ويجب ان لا يتعرض هؤلاء الرعايا الى سوء •

- ٩ -

عند أسوار جدة ...

في حين كان عبد العزيز يتحفز لخوض معركة خارج اسوار جدة لا تسفر عن اراقة دماء كبيرة كان علي يجتمع بوزير حربيته تحسين باشا وبوزير البحرية عارف باشا الادلبي وبكبار القواد ليدرس معهم الموقف ويضع الخطط للانقضاض على جيش عبد العزيز وابادته •

وبعد اجتماعات مستمرة وضع مجلس الامير علي الحربي خطة للانقضاض على الجيش السعودي •

ولم تكن خطة المجلس الحربي تقتصر على رد خطر القوات السعودية عن جدة فحسب •

بل كانت ترمي الى تحرير مكة من الجيش السعودي ثم الزحف الى الطائف واحتلالها ••

وكانت تلك الخطة التي اجمع عليها قواد الامير علي تقضي بان يهاجم الجيش الهاشمي القوات السعودية المرابضة عند اسوار جدة من الشمال ومن الجنوب بالمصفحات والطائرات والمدافع والرشاشات دفعة واحدة •

وبعد ان يشتتوا شمل قوات عبد العزيز ويقضوا على قسم كبير

منها يواصلون الزحف الى الرغامة ويدهمون القوات السعودية المرابضة فيها ويقضون عليها .

ثم يقفزون الى مكة التي كان عبد العزيز قد اعلنها مدينة مسالمة احتراما لحرمتها المقدسة ، ويحتلونها دون عناء .

ومن مكة يثبون الى الطائف .

ان وضع الخطط على الورق امر سهل لا يتطلب اي عناء .

الا ان العناء والتعب في التنفيذ ..

يبدو ان عليا ووزراءه وقواده كانوا على يقين من نجاح خطتهم .

فقد كتب احد القـواد رسالة الى امين الريحاني يقول له فيهـا : « غدا سندعوك الى زيارتنا في الطائف » ..

ولكن لم يستطع القائد الهاشمي ان ينفذ وعده ولا ان يدعو امين الريحاني الى زيارته في الطائف .

وفيما القوات السعودية تحاصر جدة ، وفيما الهدوء يسود الجبهة وهو هدوء شبيه بالنار الخامدة تحت الرماد ، دوى صوت المدفع فجأة واشتعلت الحرب ...

واندلعت النار من تحت الرماد ...

كان ذلك فجر يوم السبت ١٨ شعبان ١٣٤٣ هـ «١٤ اذار ١٩٢٥ م» والجنود السعوديون نائمون يأخذون لانفسهم قسطا من الراحـة فاذا باصوات المدافع وبدوي القنابل توقظهم من رقادهم فيهبون الى السلاح.

دقائق قليلة وبدأ تبادل اطلاق النار بـين الجيشين . جيش عبد العزيز ، وجيش علي ..

واتضح للقواد السعوديين ان القوات الهاشمية تشن عليهم حربا ضروسا .

وان الجيش الهاشمي نزل الى الميدان بكل ثقله ، وبكل معداته .

والحقيقة هي ان القواد الهاشميين كانوا ينفذون الخطة المرسومة.
الخطة التي ترمي الى ابادة الجيش السعودي بكامله .

فأنزلوا الى الميدان معظم معداتهم الحربية ، رشاشات ، ومدافع وبنادق وقنابل ومصفحات ودبابات ..

وقد أرادوا ان يفاجئوا القوات السعودية وان يضربوها الضربة القاضية ..

الا ان القوات السعودية لم تكن غافلة .
بل هي كانت تنتظر هذه المفاجأة .
وعبد العزيز كان يترقب ذلك الهجوم وكان مستعدا له .
وخرجت القوات الهاشمية من جدة تحميها المصفحات والدبابات .
فاذا بزهاء الفي جندي منظم يهاجمون القوات السعودية بكامل اسلحتتهم وآلياتهم ومعداتهم .

وقسم وزير الحربية تحسين باشا الجيش الهاشمي الى ثلاث فرق :
فرقة اتجهت الى الرويس حيث ترابط قوة سعودية كبيرة .
وفرقة زحفت الى نزلة بني مالك .
اما الفرقة الثالثة فقد سارت بين الفرقتين كقوة احتياطية ..

وسار وراء هذه الفرق الخيالة تأهبا لاحتلال الاماكن التي يجلو عنها السعوديون .
وانهال الرصاص .
وألقيت القنابل .
وقذفت المدافع نيرانها دفعة واحدة ..
وكان من الطبيعي ان يرد الجيش السعودي بالمثل .
وان يثب الاخوان الى الميدان بشجاعتهم الفائقة وبسالتهم النادرة.
وان يتحرك الجنود النظاميون .

وان يهرع البدو لمساندة احوانهم الجنود السعوديين .
ودارت معركة هائلة مروعة رهيبة .
وابدت القوات السعودية بسالة فائقة .
واستطاعت ان تبلي بلاء حسنا وان تتفوق على القوات الهاشمية .
وادرك القواد الهاشميون ان الشجاعة ستغلب القوة .
وان كفة المعركة بدأت تميل الى جانب السعوديين .
فأنزلوا دباباتهم ومصفحاتهم الى الميدان ..

وبدأت الدبابات والمصفحات الهاشمية تشق طريقها الى القوات السعودية .

وخيل للقواد ان تلك المصفحات والدبابات ستحصد الجنود السعوديين حصدا ، وستفتك بهم فتكا ذريعا .
وان الانتصار المبين بات معقودا لجنودهم ..

الا ان الدهشة عقدت ألسنتهم وهم يرون الاخوان المغاوير يهجمون على الدبابات بمسدساتهم وبنادقهم غير خائفين ولا وجلين ويطلقون الرصاص على سائقي تلك الآلات .

واستطاع الجنود السعوديون ان يصرعوا سائقي الدبابات والمصفحات بسرعة فائقة ويستولوا عليها .

وساد الذهول القواد الهاشميين ، وهم يرون دباباتهم ومصفحاتهم في ايدي اعدائهم .
وادركوا انهم خسروا المعركة .
الا انهم ابوا التراجع واصدروا اوامرهم الى الجنود بمواصلة القتال .

وكان استيلاء الاخوان ، وقبائل البدو على تلك الدبابات والمصفحات اعجوبة ، ان دلت على شيء فعلى ان الله سبحانه وتعالى

اراد الانتصار لعبد العزيز .

وارادة الله عز وجل مقدسة مباركة عصماء .

واستمرت المعركة زهاء خمس ساعات استبسل فيها الجيشان .

وكان الاخوان الذين يحاربـــون في صفوف الجيش السعودي يندفعون في الميدان كالعاصفة العاتية الهوجاء لا تخيفهـم الدبابات ولا ترهبهم المصفحات ولا تقعدهم النيران والقذائف والقنابل عن مواصلة الهجوم .

وانجلت المعركة عن سقوط زهاء اربعمئة جندي هاشمي ووقــوع مئات الجرحى .

اما الجيش السعودي فكانت خسارته خمسين مقاتلا من الاخوان وزهاء خمسين جريحا ..

واستطاع الجيش السعودي ان يدمر ســـلاح الجيش الهاشمي ومصفحاته ودباباته تدميرا كاملا ..

وانسحب الجيش الهاشمي عائدا الى جدة .

وحاول قواد الجيش السعودي اللحاق بالهاشميين الى كبد المدينة ومواصلة القتال .

الا ان عبد العزيز اصدر اوامره اليهـم بمحاصرة المدينــة وعدم الدخول اليها لئلا يصاب ابناء المدينة بأذى .

وعاد الجيش السعودي ، المنتصر الى محاصرة جدة .

وعاد الجيش الهاشمي الى الاعتصام داخل المدينة .

وراح كل من الفريقين بتبادل اطلاق الرصاص .

الا ان اطـلاق الرصاص لم يتحول الى معركة بـل اتخذ طابـع المناوشات والمناورات .

وظلت الحال على هذا المنوال حتى أطل شهر رمضان المبارك فتوقف

اطلاق النار عند اسوار جدة ..

واقـام عبد العزيز ينتظر انصرام الشهر المبـارك ليضرب ضربته القاضية ويحرر جدة التحرير الناجز الكامل .

وفيما الحجاج يفدون الى الحجاز لتأدية فريضة الحج تسلم عبد العزيز رسالة من القناصل المسلمين المقيمين في جدة يرجونه فيها السماح لهم بالحضور الى مكة للاعتماد بمناسبة شهر رمضان المبارك .

وكانت الرسالة موقعة من : احمد بك لاري قنصل ايران ، وعبد الكريم حكيمون قنصل روسيا ، ورادين دانيانا قنصل هولندا .

فاذن عبد العزيز لهم بالحضور الى مكة .

وأكرم مثواهم .

وحلهم في ضيافته على الرحب والسعة .

واغتنم القناصل فرصة وجودهم في مكة واتصلوا ببعض زعماء المدينة المكرمة ليقفوا منهم على آرائهم في حكم عبد العزيز ، وفي طريقة النظام وفي ما وصلت اليه الحال بين السلطان عبد العزيز والملك علي .

واجمع الزعماء على الاشادة بعدل عبد العزيز وبحكمته .

وابدوا ارتياحهم للطريقة المثلى التي يحكم بها عبد الرحمن البلاد.

فالامن سائد في مكة المكرمة وفي جميع المدن التي يبسط عليها سلطانه .

والحرية الشخصية مؤمنة كل التأمين .

والعدل ينصب ميزانه على حق وانصاف .

الا ان الزعماء ابدوا للقناصل رغبتهم في عقد رايـات الصلح بين عبد العزيز وعلي ضنا بالدماء العربية الزكية ، ومحافظة على السلام في انحاء الحجاز .

وشخص القناصل المسلمون الى السلطان عبد العزيز حاملين اليه

آراء زعماء المدينة وتمنياتهم ، ورغبتهم في عقد رايات الصلح •

فما كان من السلطان عبد العزيز الا انه وجه للقناصل اللوم والعتب لانهم اجازوا لانفسهم القيام بمهمات سياسية ، وهم ما اموا مكة المكرمة الا لتأدية فريضة دينية •

قال : عندما طلبتم الينا السماح لكم بالحضور الى مكة لم تعلنوا انكم راغبون في العمل السياسي ، وكان عليكـم ان تقوموا بالفريضة الدينية فقط في بلاد نحتلها ويخفق فوقها علمنا وتسود فيها قوانيننا •

قالوا : رعاك الله ايها السلطان ، نحن لم نقم بما قمنا بـه بصفتنا قناصل دول كبرى • بل بصفتنا مسلمون فقط • ولم نقم بما قمنا به بصفتنا نمثل الدول التي نمثل بل قمنا بذلك بصفتنا الشخصية •

وكان في جوابهم الكثير من الدبلوماسية والحذق والمهارة •

فابتسم عبد العزيز •

وهمس : ها انتم قد وقفتم الان على آراء رعايانا فينا بصفتكـم الشخصية فعليكم اذن ان تنقلوا كل ما وقفتم عليـــه الى حكوماتكم بصفتكم الدبلوماسية •

قالوا : والصلح مع الامير علي ؟

قال : ليس لنا اعتراض على الصلح ، ونحن لم نكن يوما ولن نكون طلاب حرب بل دعاة سلام ، ولكن للصلح شروطا •

قالوا : كذلك ثمة شروط ايضا للامير علي •

قال بكل حزم وجرأة وعناد : الشروط في الصلح يمليها المنتصر لا المنهزم • ونحن المنتصرون فبات من حقنا الصريح ان نفرض شروطنا على المنهزمين •

فأعجبوا ببيانه شديد العجب • انه على حق في ما يبدي ويعرض •

قالوا : والمفاوضة ؟ هل تعارضون في اجراء مفاوضة مع علي ؟

قال : وهل يكون ثمة صلح دون مفاوضة ؟ المفاوضة نرحب بها شرط ان نعرض نحن الشروط .

قالوا : هل تأذنون للشيخ فؤاد الخطيب وزير خارجية الحجاز بالمثول بين يديكم للمفاوضة ؟

قال : على الرحب والسعة ، لن نمنع من يريد زيارتنا من الزيارة .
وعاد القناصل الى جدة .

وبعد سفرهم بايام قليلة تسلم عبد العزيز رسالة من الوزير فؤاد الخطيب يقول فيها : « حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز !.. حمل الي الاصدقاء نبأ موافقتكم على مثولي بين يديكم .. ارجو ان يكون ذلك في السابع والعشرين من رمضان المبارك او في اي يوم آخر تعينونه كما ارجو من عظمتكم ان تتفضلوا بايفاد من يرافقني في الطريق اليكم ، وتفضلوا بقبول اسمى عواطفي واحترامي » .

ورد عبد العزيز على رسالة الخطيب برسالة يسأله فيها عن الغاية من هذه الزيارة .

ويقول : « يلوح لنا ان جو المشاورات ما زال متلبدا بالغيوم وبالرغم من ذلك فنحن على استعداد لاستقبالكم شرط ان تعلمونا قبل تحديد موعد الزيارة هل انتم على استعداد للموافقة على ما نمليه من شروط مهما كانت هذه الشروط ؟ وما هو نوع التعهدات التي تستطيعون تقديمها لنا والتي تكفل تنفيذ شروطنا ؟ »

ورد فؤاد الخطيب الجواب في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك .

وقد جاء فيه : انه يرغب في مقابلة السلطان عبد العزيز للتعرف اليه اولا ، ثم لتبديد الغمام التي يمكن ان تسود جو المفاوضات .

وفي اليوم نفسه ، في الثامن والعشرين من رمضان ، رد عبد العزيز

علـى رسالة فؤاد الخطيب بقوله : « لقـد اذنا لكـم بالحضور الينا للوقوف على نواياكم ولتبديد الغمام والتمهيـــد للمفاوضات • متى ستغادرون جدة ؟ واين يستطيع رجالنا ان يوافوكم لمرافقتكم » ؟

وتسلم عبد العزيز الجواب في التاسع والعشرين من رمضان •

ويقول فؤاد الخطيب في جوابه ذاك : « سأغادر اليمانية بعد ظهر هذا اليوم فأرجو ان التقي برجالكم الكرام في مقهى القاتم » •

وعندما وصل فؤاد الخطيب الى مقهى القاتم ، وجد رجال عبـد العزيز في انتظاره •

فرافقوه الى مكة ، حيث استقبله عبد العزيز بالترحيب والاكرام •

واعلن فؤاد الخطيب لعبد العزيز انه ما جاء الى مكة المكرمـة الا لسببين :

الاول : التشرف بمعرفته •

والثاني : لتمهيد السبيل امام مفاوضات الصلح •

ورد السلطان عبد العزيز على وزير خارجية الحجاز بقوله : اننا لنشكركم على زيارتكم هذه بغية التعرف الينا • اما تمهيد السبيل امام مفاوضات الصلح فلا نرى ما يجيز لنا ولا لكم البحث فيـه ، ذلك لان كبار قوادنا ورجالنا المخلصين واصدقاءنا اجتمعوا وقرروا عـدم عقد مفاوضة الصلح بيننا وبين علي •

وتساءل فؤاد الخطيب ، وقد دهش لما يقـول ابن عبد الرحمن : لماذا يا مولاي ؟

قال : لانهم لا يثقون بوعود علي ولا بمواثيق علي •

قال فؤاد الخطيب : اطلبوا يا مولاي الضمانة التي تريدون •

قال ابن عبد الرحمن : ليس ثمة ضمانة في العالم تستطيع ان ترغم من لا يحترم مواثيقه على احترام تلك المواثيق •

وسأل عبد العزيز فؤاد الخطيب بعض الاسئلة السياسية بصفته وزيرا للخارجية •

فلم يستطع الخطيب ان يجيب على تلك الاسئلة •

واتضح لعبد العزيز ان وزير الخارجية غير مطلع على اسرار وزارته ، وان الامير علي يستأثر بجميع اسرار الدولة •

وارفض الاجتماع دون ان يستطيع فؤاد الخطيب التوصل الى موافقة السلطان عبد العزيز على البدء بمفاوضات الصلح •

وعاد فؤاد الخطيب الى جدة يجر اذيال الخيبة ، ليقطع الامل للامير علي من الوصول الى مفاوضات للصلح مع عبد العزيز •

وادرك الامير علي ان الامر خطير •

وان عبد الله عازم على ضم الحجاز الى نجد ، وهو حتما واصل الى جدة ومتوصل الى احتلالها •

وعندئذ ماذا يبقى للهاشميين من آمال وارفة واحلام باسمة العذاب؟

وايقن الامير علي ان كل ما يقوم به الافراد من مباحثات مع ابن عبد الرحمن سيبوء بالفشل •

وان هذه المهمة يجب ان تلقى على عاتق الدول لا على عواتق الافراد •

واجرى الامير علي اتصالات غير مباشرة مع البريطانيين طالبا اليهم ــ بواسطة بعض الاصدقاء ــ التوسط بينه وبين عبد العزيز آل سعود•

فأبدى البريطانيون استعدادهم للقيام بهذه الوساطة شرط ان يرضي عبد العزيز بأن يكونوا وسطاء بينه وبين علي •

وعرضوا الامر على عبد العزيز فكان جوابه : « لقد وعدت العالم الاسلامي بان يكون الحجاز ، لا سيما مكة المكرمة ، ملكا للمسلمين وما عبد العزيز بالرجل الذي ينقض عهوده ووعوده •

وكان معنى ذلك أنه يرفض اية وساطة للصلح بينه وبين الامير علي •

وفي الثالث من ربيـع الاول ١٣٤٤ « ٢١ ايلول ١٩٢٥ م » وصل الى مكة وفد مصري يحمل رسالة من ملك مصر « الملك فؤاد » للتوسط بين عبد العزيز وعلي •

ولم يشأ عبد العزيز ان يرفض وساطة مصر •

ولا ان يغضب الملك فؤاد ، وهو صديقه ، فانتدب احد رجـاله الاذكياء ، الشيخ حافظ وهبه ، للتحدث الى الوفد المصري ،

وزوده بتعليماته الرشيدة الحكيمة •

واجتمع الشيخ حافظ وهبه الى الوفد المصري ليقول لاعضـائه : « ان مولانا السلطان عبد العزيز يشكر جلالة الملك فؤاد على هذه البادرة الطيبة ، ومع كل رغبته الصادقة في اجابة طلبه فهو يرى انـه لا يجوز ان يقبل وساطة مصر الان ، في حين رفض وساطة بريطانيا منذ أيام قليلة • مهلا ريثما تنقضي مدة من الزمن على المحاولة البريطانية •

ولم يكشف الشيخ حافظ وهبه بهذا بل هـو اجرى مفاوضات مع الوفد المصري حول تعزيز الصداقة المصرية السعودية وحول نشر العلم والثقافة في نجد والحجاز •

وغادر الوفد المصري مكة مرتاحا للنتيجة التي توصل اليها ، شاكرا لعبد العزيز حفاوته وترحيبه ورعايته •

اشتد الحصار السعودي على جدة مرة ثانية ،

وبدأ جيش الملك علي المحاصر في المدينة يعاني ازمة تموين •

وبدأ بعض الجنود يفرون من صفوف الجيش الهاشمي هربا من الجوع او رغبة في الانضمام الى صفوف جيش عبد العزيز الذي كان يغدق الطعام والمال على جنوده •

وفي هذه الاثناء ، فيمـا جيش الملك علي يتناقض عددا وهمة ،

وجيش السلطان عبد العزيز يزداد قوة وبأسا بدأت المساعدات العسكرية تنهال على عبد العزيز •

ولم تلبث ان وصلت قوة عسكرية الى الميدان يقودها الامير عبدالله شقيق السلطان عبد العزيز •

ثم وصلت بعد فترة وجيزة قوة ثانية يقودها نجله الامير فيصل « جلالة الملك » الذي كان لا يزال فتى يافعا •

وكان كل ما في الافق يشير الى اقتراب نشوب معركة دامية رهيبة ، تكون فيها الغلبة حتما للسلطان عبد العزيز •

واهتمت الدول الاسلامية شديد الاهتمام لما يردها من انباء حول تجدد القتال في الارض المقدسة فعادت تلك الدول الى بذل المساعي والجهود من اجل عقد رايات الصلح بين عبد العزيز بن عبد الرحمن وعلي بن الحسين •

فقد بعث الامام يحيى بن محمد حميد الدين برسالتين الى السلطان عبد العزيز والى الملك علي يدعوهما فيها الى الصلح ويقول :

« بعد ان علمنا ما حل بالاماكن المقدسة من الكوارث بسبب الحروب التي اندلعت نارها بينكم ووصل الاستصراخ من الاهالي وعموم المسلمين لجميع ذوي العلاقة من المسلمين في الحرمين الشريفين ، فلا غرو اذا رأينا من الواجب علينا اجابة نداء المستصرخين بالتدخل في طلب انهاء الحرب بصلح يرضاه الله ورسوله وتقر به عيون المسلمين »•

ورد الملك علي على رسالة الامام يحيى موافقا على اعلان الصلح •

اما عبد العزيز فقد اجاب الامام برسالة ، يعلن فيها انه دعا الحكام والرؤساء المسلمين الى مؤتمر لتقرير مستقبل الاراضي المقدسة ويسره ان يكون الامام ممثلا في هذا المؤتمر •

واخفق الامام يحيى في مسعاه •

ولم يلبث ان وصل وفد من ايران محاولا التوفيق بين عبد العزيز وعلي الا ان مهمته لم تكلل بالنجاح .

وبدأ اليأس يتسرب الى قلب الملك علي .

فالمؤن والذخيرة في نقصان مستمر .

والرغيف الذي يؤكل لا يدخل الى جدة بديل عنه .

والرصاصة التي تطلق لا يجد ما يسد فراغها .

وجنوده لا يخلصون له الاخلاص الكامل .

وابن عبد الرحمن يطوق المدينة ويسد عليها الطريق .

ووصل نبأ ما يعاني الملك علي الى والده الشريف الحسين ، وكان يقيم في العقبة ، فغضب كل الغضب وراح يجمع المال والرجال والعتاد تمهيدا لنجدة ابنه في جدة .

الا ان النبأ وصل الى عبد العزيز فأدرك ان وجود الشريف الحسين في العقبة يشكل خطرا عليه ، لا سيما اذا استطاع ان ينجد ابنه عليا المحاصر في جدة .

فما كان من عبد العزيز الا انه ارسل قوة حربية من حائل لمهاجمة العقبة واحتلالها واخراج الشريف الحسين منها .

وعلم البريطانيون بالامر .

علموا ان جيش عبد العزيز يزحف الى العقبة لاحتلالها واقصاء الشريف حسين عنها فقلقوا كل القلق .

وخشوا ان ينزل بالعقبة ما نزل بالطائف .

وان يزحف جيش ابن عبد الرحمن من العقبة الى العراق وفي ذلك الخطر كل الخطر على المصالح البريطانية فرأوا ان يخرجوا ، هم ، الشريف حسين من العقبة قبل ان يخرجه عبد العزيز آل سعود .

وفي يوم الخميس في الخامس من ذي العقدة ١٤٤٣ « ٢٨ ايار

١٩٢٥ م » تسلم الشريف حسين رسالة من قائدة المدرعة « كورن فلاور » التي كانت ترسو في مياه العقبة يدعوه فيهـا لمغادرة العقبة قبل وصول القوة السعودية •

وغضب الشريف حسين كل الغضب ، وهو يتلو تلك الرسالة واعلن العصيان على الاوامر البريطانية ورفض مغادرة العقبة •

الا ان اصدقاءه ونجله الامير عبدالله اقنعوه بضرورة الامتثـال فامتثـل •

وغادر العقبة على متن الباخرة دلهي مع حاشيته وعائلته الى قبرص،

وقد احيط الشريف حسين بكل تكريم واجلال واحترام وودع في العقبة وداعا يليق بمقامة كملك شجاع جريء •

كما استقبل ايضا في قبرص بمثل مـا ودع به في العقبة من تكريم واجلال واحترا م•

وما كاد عبد العزيز يرتاح من خطـر اقامة الشريف حسين فـي العقبة حتى اصدر اوامره الى القوة التي تحاصر المدينة المنورة ، بعـدم الدخول الى المدينة المنورة ، حتى ولو استسلمت الحامية ، الا بعـد استئذان القيادة العليا •

وكانت الحامية التي اقامها الملك علي في المدينة المنورة تعاني الكثير مـن الفـاقة •

فالمؤن مفقودة ومرتبات الجنود لم تدفع منذ شهور ، والقـواد يكتبون الى الملك علي طالبين العون •

والملك علي ، وهـو لا يملك العـون المطلوب ، يدعوهم الـى التريث والصبر •

وكان عبد العزيز يومذاك في « بحرة » يشرف على القـوات السعودية في الحجاز بكاملها ويشدد على قواده بعدم الدخول الـى

المدينة المنورة وعدم اطلاق الرصاص على المدينة وعدم اقتحام اسوار جدة بقوة السلاح كما يعمل على تنظيم الحكم في مكة المكرمة وتوفير الاطمئنان والسلام لاهلها •

وذات صباح جاءه مصطفى عبد العال ، وهو احد ابناء المدينة المنورة حاملا اليه رسالة من ابناء المدينة يعرضون فيها تسليم المدينة المنورة للسلطان عبد العزيز شرط التأمين على حياة واموال اهلها •

واشترط ابناء المدينة المنورة ايضا في رسالتهم ان يتسلم المدينة احد افراد الاسرة السعودية •

وكان من الطبيعي ان يوافق السلطان عبد العزيز على طلب ابناء المدينة •

واوفد نجله محمدا الى المدينة المنورة •

فغادر الامير محمد مكة المكرمة في الثالث والعشرين من ربيع الثاني ١٣٤٤ مع بعض كبال آل سعود والقواد الى المدينة المنورة لاستلامها •

غير ان قادة الحامية رفضوا تسليم المدينة وأعلنوا عزمهم على مواصلة الاعتصام فيها ريثما يأتيهم العون •

فما كان من الامير محمد الا انه أمر القوة السعودية المحاصرة بتشديد الحصار على المدينة •

وطال انتظار الحامية دون جدوى •

فاضطرت الى الاستسلام في صباح يوم السبت في ١٩ جمادي الاول ١٣٤٤ « ٥ كانون الاول ١٩٢٥ م » بعد حصار دام زهاء عشرة أشهر •

وفتحت ابواب المدينة فدخل اليها الامير ناصر آل سعود والشيخ عبد الله الفضل مع بعض الجنود •

وفي اليوم التالي صباح الاحد دخل الامير محمد ورجاله الى

المدينة فتوجه الامير توا الى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث صلى •

وخرج ليستقبل اهل المدينة •

وبدأت المواد الغذائية تتدفق على المدينة •

فأرسل السلطان عبد العزيز كميات كبيرة من الدقيق والارز والسكر لتوزع على ابناء المدينة للتخفيف من حدة الضيق الذي كان يعانيه ابناء المدينة المنورة •

فقوبلت هذه البادرة الكريمة بالشكر الجزيل والامتنان البعيد الرحيب ••

وبالاستيلاء على المدينة المنورة اصبح السلطان عبد العزيز سيد الحجاز •

واصبح بيده معظم المدن الحجازية الكبرى •

ولم يعد لعلي الا جدة يتحصن فيها ويأمل ان يستعيد المدن التي احتلها الجيش السعودي •

وينتظر ان يأتيه العون من اصدقائه واصدقاء والده البريطانيين •

الا ان الانتظار طال والامل لم يتحقق ، وقواته تنهار يوما بعد يوم في حين ان قوات عبد العزيز تزداد قوة ومالا وعتادا ورجالا •

وجمع الملك علي قواده يستشيرهم في امر الصلح مع عبد العزيز •

فانقسم القواد الى فئتين :

فئة تقول بضرورة عقد رايات الصلح في العاجل الوشيك حقنا للدماء العربية الزكية •

وفئة تطلب المضي في الدفاع والاعتصام •

وكانت تلك الفئة متصلبة عنيدة •

فبلغ ببعض قواد هذه الفئة الطيش الى حد اقتراح احراق حصون

المدينة •

وقال احد القواد المتصلبين : ان احراق حصون جدة ومواقعها خير من استسلامها لابن عبد الرحمن •

وكان لعبد العزيز انصار واصدقاء في جدة فحملوا اليه ما قال ذلك القائد العنيد •

وخشي عبد العزيز ان يبلغ الطيش ببعض قواد الملك علي الى ذلك الحد فيضرموا النار في جدة •

واتخذ قرارا حاسما بضرورة اقتحام اسوار جدة واحتلالها عنوة •

وفي يوم الثلاثاء في التاسع والعشرين من جمادي الاول سنة ١٣٤٤ ﻫ « ١٥ كانون الاول ١٩٢٥ م » اصدر السلطان عبد العزيز امرا الى القوة القادمة من نجد والاحساء بالتحرك الى الرغامة •

وامر اخاه الامير عبد الله بن عبد الرحمن بان يكون على اهبة الاستعداد للهجوم على جدة •

ثم دعا اليه نجله الامير فيصل ليقول له : ليكن رجالك على استعداد يا فيصل • فنحن نتأهب الان لاحتلال جدة •

وهمس الامير الفتى : ليكن ما يريد والدنا • اننا ابدا على اهبة الاستعداد •

وكان عبد العزيز يثق ثقة كبرى بنجله فيصل ويرى فيه الامل الباسم والاماني العذاب ، ويعتمد عليه في تنفيذ بعض الخطط الحربية الصعبة ، بالرغم من صغر سنه •

ووصل نبأ الاستعداد والزحف السعودي الى مسامع الملك علي فخشي مغبة الامر •

وادرك ان عبد العزيز سيحتل جدة ان هو هاجمها •

وان لا مناص له من الاستسلام •

غير انه شاء ان يكون استسلامه مشروطا وان يوقع مع عبد العزيز معاهدة صلح لا معاهدة استسلام .

وفي مساء الثلاثاء ٢٩ جمادي الاول ، في اليوم الذي اصدر عبد العزيز اوامره الى جنوده بالتحرك ، توجه الملك علي الى دار المعتمد البريطاني طالبا اليه ان يتوسط بينه وبين السلطان عبد العزيز لانهاء تلك الحرب .

فكتب المعتمد البريطاني الى السلطان عبد العزيز يرجوه ان يتفضل بمقابلته في الرغامة للتحدث اليه في مفاوضات الصلح .

فأجابه السلطان عبد العزيز الى طلبه .

وتم الاجتماع بين عبد العزيز وبين المعتمد البريطاني يوم الخميس في اول جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ .

فبدأ المعتمد البريطاني « المستر جوردن » كلامه بقوله :

« ان الحكومة البريطانية تحتفظ بموقفها الحيادي من الصراع القائم بين عظمتكم وبين جلالة الملك علي ، وهي تعتبر نفسها صديقة لعظمتكم ولجلالته ، لذلك تسمح لنفسها بالتوسط بينكما املا في وضع حد لهذه الحرب الضروس التي تسيء الى هذه البلاد المقدسة وتضر بكما معا . لقد قابلت الملك علي وتحدثت اليه في امر الصلح فوافق واضعا بعض الشروط ، وانا ارجو ان احظى منكم ايضا بالموافقة نظرا لما نلمس بعظمتكم من حب للخير وللسلام » .

ورد عبد العزيز بقوله : اما حبنا للسلام فلا شك فيه ، واما شروط الصلح فنحن الذين نفرضها لا علي .. وعلى كل حال فنحن لا نمانع في الوقوف على تلك الشروط التي يقترحها علي .

فقدم المعتمد البريطاني شروط علي فوافق عبد العزيز على بعضها وعدل البعض الآخر .

ووضع هو شروطه ايضا •

ثم وضع اتفاق الصلح وقد جاء فيه :

« يتنازل الملك علي عن العرش ويغادر الحجاز ، ويتم تسليم جدة الى السلطان عبد العزيز وتسلم اليه ايضا الاسلحة والذخائر والطائرات والمصفحات والدبابات دون اتلاف اي منهـا ، ويطلق سراح الاسرى • وتسلم البواخر الاربـع الى عبد العزيز وهي : الطويل ، والرقمتين ، ورشدي ، ورضوى •• ويتعهد علي واعضاء حكومته بألا يبيعوا شيئا من املاك الدولة •• ولا يأخذ الملك علي شيئا معه غير امتعته الشخصية وسيارته وخيوله واثاث قصره •

ويتعهد عبد العزيز بان يعفو عن جميـع المدنيين والعسكريين وان يضمن سلامتهم وسلامة اموالهم ويؤمن ترحيل جميـع الذين يريدون العودة الى اوطانهم ، وان يظل جميع موظفي الحكومة في مراكزهـم ، وان يحتفظ ابناء الحسين بجمع ممتلكاتهم في جدة •• »

ولم يكتف عبد العزيز بهذا بل هو منح العسكريين مبلـغ خمسة آلاف جنيه وزعت عليهم بحسب رتبهم •

وبرهن عبد العزيز بذلك عن كرم وشهامة ونبل وسخاء •

وفي يوم الخميس اول جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ وقع عبد العزيز هذا الاتفـاق •

وفي الساعة السادسة من اليوم نفسه وقعه الملك علي •

وبذلك وضع حد نهائي للحرب بين عبد العزيز آل سعود وعلي بن الحسين •

واعلن وقف القتال في الحجاز •

مضى يوم الجمعة وتلاه السبت ثم الاحد ، والهدوء التام يخيم على جده ، والاطمئنان يغمر نفوس ابناء المدينة ، والقادة ينصرفون الى التسلم

والتسليم ..

وفي الساعة الرابعة من صباح الاحد الرابع من جمادي الثـــانية استقل علي بن الحسين زورقا بخاريا الى البارجة البريطانية كورن فلاور التي تقرر ان تقله الى عدن ثم يتابع من عدن سفره الى العراق .

ولم يلبث ان لحق به افراد حاشيته وخدمه .

وقبل ان يغادر علي جده اذاع بيانا مؤثرا على ابناء البلاد يودعهم فيه ويوضح لهم اسباب عقد الصلح مع عبد العزيز ، ويرجو لهم ولبلادهم مستقبلا زاهرا وحياة سعيدة هانئة .

وفي الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء ٦ جمادي الثانية « ٢٦ كانون الاول ١٩٢٥ » غادرت البارجة كورن فلاور جدة حاملة على متنها علي بن الحسين وحاشيته .

ودخل عبد العزيز آل سعود الى جدة فاستقبل استقبالا رائعا واقيم له احتفال كبير اشترك فيه جميع ابناء البلاد .

الفصل الخامس

المملكة العربية السعودية

السلام والاطمئنان يخيمان على جدة ، المدينة العصماء التي عـانت الكثير من ويلات الحرب وكوارثها .

وعبد العزيز آل سعـود ينصرف الى تنظيـم شؤون جدة خاصة ، وشؤون الحجاز عامة .

فهو يريد ان تنال تلك البلاد المقدسة الجميلة ما نالت بلاد نجد من الازدهار والطمانينة والسلام .

وكان ابناء جدة قد اطمأنوا الى السلطان عبد العزيز .

ووجدوا فيه الحاكم العادل والمنقذ الكريم فأخلصوا له ووفوا .

الا انهم ارادوا ان تكون لهم حرية القول والعمل ، وهي حرية لـم يكونوا ينعمون بها من قبل .

وشخص وفد منهم الى السلطان عبد العزيز يطلبون اليه اقـرار مصيرهم وتشكيل حكومة يكون لهم فيها نصيب كبير .

فاجابهم السلطان بن عبد الرحمن الى طلبهم ومنحهم كل ما طلبوا من حرية القول والعمل .

وازداد ابناء جدة الميامين اخلاصا ووفاء لعبد العزيز وهم يلمسون فيه الدعة والعطف والعدل والحنان .

وراحوا يعملون على تقرير مصيرهم .

واتصلوا بابناء مكة المكرمة طالبين اليهم ايفاد وفد يمثلهم لتقرير مصيرهم .

فلبى ابناء مكة المكرمة الطلب وانتدبوا محمد نصيف ومحمد علي زينل ، وقاسم زينل ، وسليمان قابل ، وعبدالله رضا .

وعقدوا اجتماعا مطولا بحثوا فيه مصير الحجاز وطريقة الحكم فيه ، واختيار الحاكم .

وبعد بحث طويل قرروا ان تظل الحجاز مملكة .

ثم انتقلوا الى اختيار الملك فأجمعوا على ان يكون ملك الحجاز عبد العزيز آل سعود لانهم رأوا فيه الحاكم الصالح والقائد المخلص الجريء والعربي الاصيل .

فما كان منهم الا انهم وضعوا نص المبايعة ، وقد جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله وحده ، الصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود على ان تكون ملكا على الحجاز ، على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الاربعة رحمهم الله . وان يكون الحجاز للحجازيين . وان اهله هم الذين يقومون بادارة شؤونه . وان تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز . والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم » .

ورفعوا المبايعة الى عبد العزيز فوقع عليها بما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى اخواننا الموقعين اسماءهم .. سلام عليكم ، وبعد. لقد اجبناكم الى ما طلبتم . ونسأله سبحانه وتعالى المعونة والتوفيق للجميع ـ التوقيع الملكي » .

وفي صباح يوم الجمعة في الخامس والعشرين من جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ « ٨ كانون الثاني ١٩٢٩ » ادى المؤمنون الصلاة في المسجد الحـرام •

وخرجوا بعد الصلاة ليشتركوا في حفلة المبايعة •

وفي الساعة السابعة والنصف من ذاك الصباح اقبل موكب الملك عبد العزيز فراح المجتمعون يهتفون بحياته معلنين ولاءهم لـه ووفاءهم لعرشـه •

وكانت حفلة البيعة رائعة ، توالى الخطباء فيها على الاشادة بالملك واعلان الطاعة له •

ثم القى الملك عبد العزيز خطابا مطولا ابدى فيه رغبته في ان يسود العدل والسلام والطمأنينة تلك البلاد المقدسة الجميلة •

واوضح آراءه في الحكم وفي ادارة دفة البلاد •

وراح الحجازيون يندفعون في مبايعة الملك وكان اول من بايعه الشرفاء ، والشيوخ والعلماء ثم اعضاء المجلس الاعلى ، وقضاة المحكمة الشرعية ، والأئمة واعضاء المجلس البلدي ثم مختلف وفود ابناء البلاد •

وانتقل الملك ، بعد الطوف ، الى دار الحكومة حيث اخذ يستقبل المهنئين ••

وفي المساء دعا الملك اعضاء المجلس الاعلى والعلماء والشيـوخ والوجهاء الى المجلس الملكي وطلب اليهم البدء بالعمل لتنظيـم شؤون البـلاد •

وتلا مستشار الملك الدكتور عبدالله ملوجي بيانا ملكيا يحدد انواع العمل الذي يجب البدء بها •

وقد جاء في البيان : « ان تشكل هيئة من مندوبي مكة وجدة تسمى هيئة التأسيس ، ثم ينضم اليهـا مندوبو باقي بلدان الحجاز للبحث

في الامور التالية :

اولا : وضع اسم لرئيس الحجاز .

ثانيا : وضع نظام لتحديد العلاقات بين نجد والحجاز .

ثالثا : تعيين شكل الحكومة ووضع اسس تشكيلاتها الداخلية والبحث في موقف الحجاز من الاحداث الدولية .

رابعا : تعيين شكل العلم والنقود .

وبعد بحث طويل قرر المجتمعون ان يكون لقب رئيس الحجاز « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها » .

كما قرروا تكليف الهيئة التأسيسية بدرس واقرار البنود الثلاثة الباقية .

وهكذا اصبح لقب عبد العزيز بن عبد الرحمن منذ ذلك اليوم «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها » .

وانصرف الملك عبد العزيز الى الاهتمام بتنظيم شؤون البلاد ووضع الدساتير والقوانين ومكافحة الجرائم وتوطيد دعائم العدل ، ورفع مستوى ابناء الحجاز ثقافيا واجتماعيا .

وكان لا بد من اصدار بعض القوانين والدساتير فبدأ الملك باصدار عدد من القوانين بعد استشارة العلماء والفقهاء ورجال الدين والقضاة.

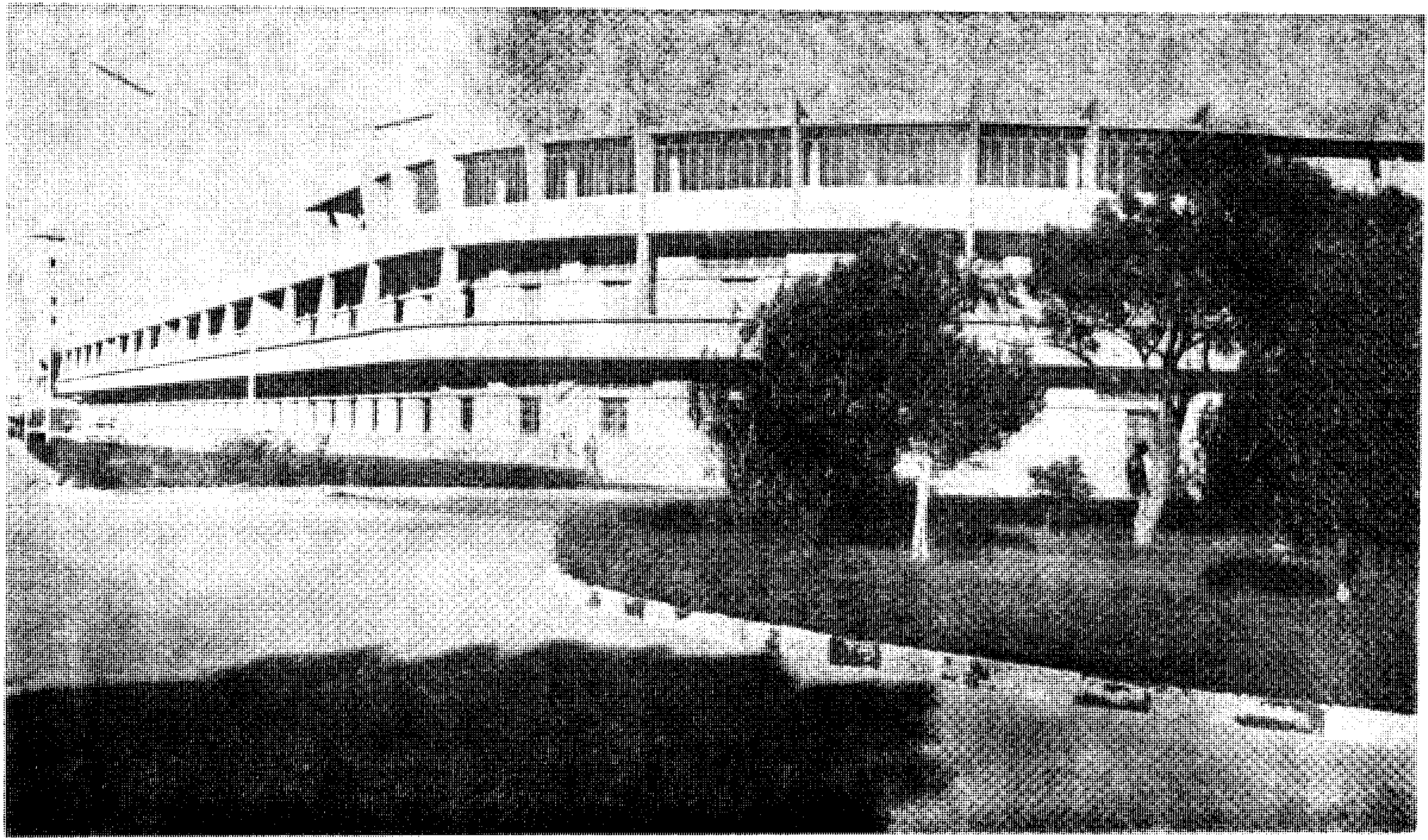
وكان اول قانون اصدره قانون المحظورات .

وقد حظر فيه على قبائل البدو فرض الخوة على المسافرين وعلى السياح وعلى الحجاج .

وكانت تلك القبائل تفرض خوة على كل من يجتاز مناطق نفوذها .

وتنفذ استيفاء هذه الخوة بالقوة ان لم يكن بالحسنى .

فما كان من الملك عبد العزيز الا انه دعا اليه شيوخ تلك القبائل واكرمهم وقدم لهم الهبات والهدايا وابلغهم قرار حظر فرض الخوة .



مدينة الحجاج القادمين عن طريق البحر .

وافهمهم ان الحكم الآن للدولة ، وان للحكومة وحدها ان تفرض الضرائب والرسوم .

وقال لهم : ان كل شيخ منكم مسؤول عن قبيلته ، وسأنزل العقاب الشديد بكل من تسول له نفسه مخالفة هذا القرار .

وانصرف شيوخ القبائل وهم يدعون بألسنتهم للملك بالعمر الطويل، اما في قلوبهم فلم يكونوا راضين كل الرضى عن هذا القرار الذي حرمهم من مورد عذب كبير ، وان يكن موردا غير شريف .

ثم حظر الملك السلب والنهب ، والغزو .

كما أصدر عدة قوانين رادعة تفرض العقوبات الصارمة على كل من يخالف القوانين للمحافظة على الامن والسلام والطمأنينة في تلك البلاد المقدسة الرائعة الجمال .

وبدأ السلام يخيم على الحجاز ، وبدأ الحجازيون يعرفون لذة الحرية والطمأنينة والاستقرار .

واطمأن الملك الى الامن السائد في الحجاز فراح يدرس تحضير البلاد وادخال الآلة الحديثة اليها .

وكان مشروع ادخال الالة الى الحجاز مشروعا خطرا لان الحجازيين كانوا يعتبرون الآلة « لاسيما الهاتف واللاسلكي والسيارة » من رجس الشرير ومن اختراع الكفرة الاجانب وضربا من ضروب السحر .

فلجأ الملك الى الفقهاء والعلماء يدرس معهم امكانية تحضير البلاد وتزويدها بالآلات والمعدات والاختراعات الحديثة .

وادخل الملك عبد العزيز السيارة الى الحجاز فوفر الراحة للحجاج ولابناء البلاد .

ثم ادخل الهاتف .

وعندما حاول ادخال اللاسلكي ارتفع الاحتجاج من بعض الرجال

المسنين الذين رأوا في اللاسلكي احجية لا يستطيعون حلها وسرا من الاسرار لا يعلمون كنهه .

ومن يدري قد يكون هذا السحر بعينه .

فما كان من عبد العزيز الا انه اجل مشروع ادخال اللاسلكي الى الحجاز مراعاة لشعور اولئك الرجال المسنين .

الا انه لم يلبث بعد مدة قصيرة ، وبعد ان هدأ تيار الاحتجاج ان ادخل اللاسلكي الى البلاد .

وكان ادخال الالة والاختراعات الحديثة الى الحجاز سببا في اثارة بعض القبائل واحداث متاعب للملك .

فمن لم ير في هذه الاختراعات والالات بدعة تخالف الدين رأى فيها اساءة الى مصالحه الشخصية وضررا بمورد رزقه .

فالبدوي الحجازي رأى في السيارة مزاحمة لنوقه ولجماله ، وهي مزاحمة كبيرة ، قد يقدر فيها الانتصار النهائي لتلك الالة الغريبة العجيبة التي تطوي البيداء بسرعة جنونية وتجتاز في ساعة ما لا تستطيع النوق ان تجتازه في يوم .

كما رأى البدوي الضارب في الصحراء ، على بداوة بعيدة كل البعد عن الحضارة ، رأى في تحريم الغزو والسلب قطعا لمورد رزقه .

ورأى ايضا في سن القوانين وتطبيقها حدا من حريته التي كان يمارسها في العهد العثماني، وفي العهد الهاشمي دون مراعاة حرية الاخرين ودون ان يردعه قانون او يحول بينه وبينها نظام او دستور .

ومما لا شك فيه ان اقدام الملك عبد العزيز على اتخاذ هذه القرارات وتنفيذ تلك القوانين يعتبر جرأة كبيرة ، لم يكن باستطاعة اي حاكم ان يقدم عليها غير عبد العزيز .

فقد مرت الحجاز بعهود كثيرة وبحكام عديدين دون ان يجرؤ حاكم

على العرض لتصرفات قبائل البدو الضاربة في انحاء الحجاز .

وبدأ بعض الطامعين في الحكم ، وبعض انصار علي بن الحسين القلائل يحرضون القبائل الحجازية على الثورة والعصيان .

وكان في طليعتهم فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير .

ولم يكن فيصل الدويش راضيا عن التطور السريع الذي احدثه الملك عبد العزيز في الحجاز لاسباب عديدة اهمها موالاته للامير علي بن الحسين ، كما قيل ، فهو قد رأى في انشاء الابنية الحديثة والتطور السريع في الحضارة والثقافة والعدل والسلام والطمأنينة في الحجاز انتصارا كبيرا لعبد العزيز .

وهذا ما يسيء الى سمعة الحسين وابنه علي .

وقيل ايضا ان ثورة فيصل الدويش لم تكن بسبب ولائه لعلي بل كانت عن عقيدة راسخة وعن معارضته لادخال الآلة الى الحجاز .

كما قيل ان فيصلا الدويش عارض سياسة الملك عبد العزيز في عقده المعاهدات مع الاجانب الذين يعتبرهم فيصل كفرة ملحدين .

وقيل ايضا : ان فيصلا كان يفرض الخوة على السياح وعلى الحجاج فجاء ابن عبد الرحمن يقطع رزقه بتحريم فرض الخوة والغزو والسلب .

وسواء اكان فيصل الدويش معارضا لادخال الآلة الى الحجاز او الى ولائه للهاشميين ، او لعقد المعاهدات مع الاجانب ، او لمعارضته قرار تحريم الغزو والخوة ، فالمهم ان فيصلا اعلن العصيان وراح يحرض بعض القبائل والقادة على الثورة والتمرد والعصيان .

واستطاع ان يجمع حوله بعض رجال البدو وان يعلن التمرد ويقوم ببعض الاعمال العسكرية على الحدود النجدية العراقية .

وهاجم اتباعه مخفر « البصية » وفتكوا ببعض رجال الشرطة . فخشيت السلطات البريطانية مغبة الامر .

وخيل اليها ان القوة التي تقوم بالمشاغبات والمناورات والاعمال العسكرية على حدود العراق هي قوة سعودية وان عبد العزيز سيدهـا وآمرها ومولاها ، فما كان من تلك السلطات الا انها امرت بقصف تلك القوات بالقنابل من الطائرات .

وجرت مفاوضات بين السلطات البريطانية وبين الملك عبد العزيز. واتضح للسلطات البريطانية ان عبد العزيز لا يعلم بالامر ولم يأمر بمهاجمة المخافر ،

فطلبت السلطات البريطانية من عبد العزيز ان يتوسط بينها وبين تلـك القوات .

فما كان من عبد العزيز الا انه اتصل بقادة تلك القوات وامرهم بالابتعاد عن الحدود العراقية النجدية لئلا تورطه فـي مشـاكل مـع البريطانيين .

وابتعدت تلك القوات عن الحدود العراقية النجدية .

الا ان فيصل الدويش مضى في تمرده وفي عصيانه واخذ يتأهب لمنازلة عبد العزيز ، وقد خيل اليه انه قادر بما لديه من سلاح ورجال وعتاد ، على قهر ابن عبد الرحمن والانتصار عليه .

وعلم الملك عبد العزيز بالامر ، فابتسم .

وزحف بجيشه لتأديب العصاة المتمردين .

واستطاع ان ينتصر انتصارا باهرا في «معركة السبيلة» .

واسر فيصل الدويش وابنه وبعض كبار رجاله ومساعديه .

ولكنه لم يلبث ان عفا عنهم واطلق سراحهم ، وقد خيل اليه ان عفوه الكريم عنهم سيعود بهم الى الصواب ويردعهم عن التمرد والعصيان .

ولكن فيصلا لم يتب ولم يردعه عفو الملك عبد العزيز عن المضي فـي غيه .

فانطلق مع بعض رجاله الى قطع الطرق وشن الغارات وغزو القبائل الآمنة وسلب المسافرين اموالهم وامتعتهم والتنكيل بهم وترويع الاطفال

وعلم امير حائل عبد العزيز بن مساعد بامرهم فجد في اثرهم واستطاع ان يحظى بأبن فيصل الدويش في محلة تسمى « طيارات » وكان عائدا من غزو على رأس قوة من زهاء مئتي بدوي يحملون ما غنموه من مال وامتعة وابل •

فطاردهم ابن مساعد واشتبك معهم في معركة انجلت عن مقتل ابن الدويش وعدد كبير من رجاله •

ووصل النبأ الى فيصل الدويش فنقم على امير حائل •

وانطلق برجاله يحارب ويغزو ويقاتل ويقطع الطرق ويسلب المسافرين •

وضجت البلاد من اعماله فطارده جيش الملك عبد العزيز •

وهناك وقع في يد البريطانيين فسلموه الى الملك عبد العزيز •

وحوكم الدويش وحكم عليه بالسجن ، مع بعض رجاله مدى الحياة •

وقد مات الدويش في السجن سنة ١٣٥١ •

●

- ٢ -

الفيصل نائب الملك...

وادرك الملك عبد العزيز ان مورد الحجاز يقتصر على الحج فاهتم اهتماما بالغا بتأمين راحة الحجاج وسلامتهم وبتأمين المياه والطعام والمواصلات والمعالجة الصحية لهم .

كما اهتم بالامن .

فغمرت الطمأنينة نفوس الراغبين في تأدية فريضة الحج وتوافدوا من جميع الاقطار الاسلامية لاداء الفريضة الكريمة .

وبلغ عددهم في السنة الاولى لاستلام عبد العزيز مقادير البلاد زهاء مئة وخمسين الفا وهو رقم قياسي لم تعرفه الحجاز من قبل .

وظل الملك عبد العزيز سنتين متواليتين في الحجاز دون ان يقوم بزيارة عاصمة سلطنته في نجد « الرياض » تاركا امر ادارة شؤون نجد لوالده الامير عبد الرحمن ، الذي ظل يدير امور الحكم في نجد حتى انتقل الى رحمات الله .

وبعد ان اطمأن الملك الى مصير البلاد والى تنظيم شؤونها غادر الحجاز عائدا الى الرياض ، بعد ان اقام نجله الفيصل « جلالة الملك » نائبا له في الحجاز ورئيسا لمجلس الشورى .

وكان ذلك في اوائل شهر صفر سنة ١٣٤٥ « أواخر آب سنة ١٩٢٦ م » .

وبرهن الامير فيصل عن مقدرة وحكمة في تسيير امور الدولة ، بالرغم من صغر سنه .

فاستتب الامن في سائر انحاء الحجاز .
وساد العدل .
ونشرت الحرية والطمأنينة والسلام اجنحتها الوارفة على ارض الحجاز الخيرة المعطاء .

وانصرف الملك الى توطيد دعائم ملكه في الحجاز واركان سلطنته في نجد .

فعزز علاقاته بالدول العربية خاصة ، وبالدول الغربية عامة .
واصبح لبلاده مقام دولي رفيع .
ووحد الملك عبد العزيز القوانين في نجد والحجاز .

وكان ابناء الحجاز يخلصون له شديد الاخلاص ويكنون للامير فيصل ، نائب الملك في الحجاز ، الاحترام والتقدير فرأوا ان يعلنوا الوحدة بين نجد والحجاز .

يا لغرائب الايام .

يوم حرر عبد العزيز الحجاز وبسط سلطانه عليه كان الحجازيون يخشون النجديين ويحذرونهم .
وقد خيل اليهم انهم بعيدون عنهم دينا ومعتقدا .
فاذا بعبد العزيز يقرب بين الاخوان النجديين والحجازيين .
ويزيل ما علق في الاذهان من خشية وحذر .
وها هم الحجازيون قد ركنوا لاخوانهم النجديين وأخلصوا لمليكهم عبد العزيز يطالبون بالوحدة بين نجد والحجاز .

وعقد مؤتمر كبير في مكة المكرمة حضره العلماء والفقهاء ورجال الدين والسياسة بحثوا فيه قضية توحيد نجد والحجاز واختيار اسم للبلدين الموحدين .

وبعد بحث طويل اتفقوا على ان يوحد الشقيقان نجد والحجاز تحت الراية السعودية وبقيادة الملك عبد العزيز .

وتم الرأي على ان يطلق على البلدين الموحدين اسم « المملكة العربية السعودية » .

وابرقوا الى عبد العزيز يبلغونه قرارهم ، ويرجونه الموافقة عليه .

ولم يكن لعبد العزيز ان يرفض امنية الحجازيين الغالية .

فأصدر مرسوما في الحادي والعشرين من جمادي الاول ١٣٥١ هـ « ١٨ ايلول ١٩٣٢ م » يعلن فيها قيام المملكة العربية السعودية .

وعمت الفرحة البلاد .

وأقيم مهرجان كبير في مكة المكرمة .

كما اقيمت المهرجانات في الرياض وفي سائر المدن الحجازية والنجدية احتفاء بالحدث التاريخي العظيم .

واصبح عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية .

وعلى اثر اعلان المملكة العربية السعودية تمت مبايعة الامير سعود اكبر انجال الملك عبد العزيز بولاية العهد .

ولعقد ولاية العهد للامير سعود ، رحمه الله ، قصة رواها احد اقطاب رجال السياسة اللبنانيين .

قال : كان عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، ينوي تعيين نجله فيصل ، « جلالة الملك فيصل » ، وليا للعهد ، نظرا للحنكة السياسية والمقدرة والذكاء والموهبة التي يتمتع بها الامير فيصل .

وقد برهن عن مقدرة وحزم وذكاء في ادارة شؤون الحجاز عندما تولى نيابة الملك فيها .

الا ان العرف المتبع كان يقضي بان يكون كبير انجال الملك وليا للعهد .

فرأى عبد العزيز ان يسير على ذلك العرف ٠

وقال عبد العزيز لذلك السياسي اللبناني الكبير الذي زاره في الرياض بعد ايام قليلة من مبايعة الامير سعود بولاية العهد قال عبد العزيز رحمه الله :

ـ كان بودي ان يخلفني في الحكم فيصل لا سعود ٠ ان سعودا تقي ورع خلوق ، الا ان فيصلا شجاع باسل ، جريء حازم ، وهو ابعد من سعود حكمة واشد ذكاء ، واطول باعا في ادارة الحكم والمحافظة على العرش ، وهو لا يقل عن سعود تقى وورعا وخلقا حميدا ٠ غير ان العرف المتبع هو ان يكون الابن الاكبر وليا للعهد ، وهذا ما اهاب بي الى تعيين سعود وليا للعهد كي لا اخرج عن العرف المتبع ، ولكنني لا اشك في ان فيصلا سيعاون اخاه في ادارة الحكم ، ويخيل الي ان فيصلا سيخلف أخاه يوما في تسلم العرش ، وستعيش المملكة في عهده اجمل واروع وازهى ايامها الهانئة ٠

وقد تم كل ما قال عبد العزيز رحمات الله عليه ٠

ـ ٣ ـ

أزمات بين مصر والسودان ...

بعد ان اعلن الملك عبد العزيز قيام المملكة العربية السعودية استتب له الامر ٠

وفيما هو منصرف الى تنظيم شؤون مملكته وتوطيد اركانها ، وتعزيز صلاتها بالدول الخارجية وبالدول العربية وقعت له عدة مضايقات

واحداث ومشاكل ، عالجها بالحكمة حينا وبالحزم وبالقوة احيانا .

وكان اول تلك المشاكل الازمة التي نشبت بينه وبين الملك فؤاد ملك مصر .

وكان سببها حادثة المحمل المصري ايام الحج .

وتفصيل الحادث ان المحمل المصري وصل الى عرفات تحيط بـه قوة عسكرية مصرية مسلحة وتتقدمه فرقة موسيقية عسكرية .

فرأى ابناء الحجاز في تلك البادرة ما يخالف اصول الدين ويمس كرامتهم القومية فهجموا على الجنود المصريين وعلى الموسيقيين .

وانهالوا عليهم بالضرب .

وكان مـن الطبيعي ان يغضب الملك فؤاد وان يطالب بمحاكمـة المعتدين والاقتصاص منهم .

وعرض الملك عبد العزيز الامر على رجال الشرع والفتوى فافتوا بأن وصول المحمل المصري ايام الحج على هذه الصورة بدعة لا يقرها الدين ولا يعترف بها الاسلام ..

وازداد الملك فؤاد غضبا وقد وصلت اليه هذه الفتوى .

وأمر بايقاف ارسال الكسوة الى الكعبة الشريفة التي كانت مصر ترسلها هدية في مطلع كل موسم حج .

فلم يأبه الملك عبد العزيز للامر وأمر بان تصنع الكسوة في الحجاز وان يشرف بعض كبار صناعيي الهند المسلمين على صنعها .

ولم يكتف الملك فؤاد بذلك ، بل هو رفض الاعتراف بالوكالـة السياسية السعودية التي كان الملك عبد العزيز قد اقامها في مصر تمهيدا لتحويلها الى قنصلية .

ورد الملك عبد العزيز على ذلك القرار المصري باقفـال القنصلية المصرية في جدة ..

وظلت تلك القنصلية مقفلة حتى توفي الملك فؤاد عــام ١٣٥٥ هـ « ١٩٣٦ م » •

وعندما تسلم ابنه فاروق الحكم قام بزيارة رسمية للملك عبدالعزيز•

وعادت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين •

وفيما الازمة تحتدم بين الملكين عبد العزيز وفؤاد ، فوجيء الملــك عبد العزيز وفؤاد بثورة الادريسي •

الا انه استطاع ان يخمدها بالقوة وان يحول دون اندلاع تلــك الثــورة الغاشمة •

ونشبت ازمة جديدة بين المملكة العربية السعودية واليمن •

وكان سبب تلك الازمة الاختلاف على الحدود •

وقد بدأ ذلك الاختلاف عندما اغتنم الامام يحيى حميد الدين، امام اليمن ، فرصة انصراف عبد العزيز الــى الاهتمام بتحرير الحجاز فحاول ضم نجران ، وهي منطقة تقع بين اليمن والمملكة السعودية ، الى اليمن•

وعندما انتهى الملك عبد العزيز من تحرير الحجاز حاول صرف الامام يحيى عن فكرة ضم نجران الى اليمن ، الا ان الامــام كان مصرا علــى تنفيذ فكرته •

فبدأت المفاوضات السعودية اليمنية •

ودامت هذه المفاوضات اكثر من عامين دون ان يصل المفاوضون الى نتيجة حاسمة •

فما كان من الملك عبد العزيز ، وقد عيل صبره ، الا انــه انذر الامام يحيى بالزحف الى اليمن واحتلالها اذا لم يتم توقيع الاتفاق علــى الحدود اليمنية السعودية خلال مدة حددها في انذاره •

وانقضت مدة الانذار دون ان يتلقى الملك عبد العزيز أي جواب من الامام يحيى •

فما كان من عبد العزيز الا انه نفذ تهديده •

واوعز الى نجله الامير فيصل « جلالة الملك » بالزحف على رأس قوة عسكرية من الحجاز الى اليمن •

كما اوعز الى ولي العهد الامير سعود بالزحف من نجد •

وسار الاميران ، سعود وفيصل ، على رأس قوتين عسكريتين كبيرتين الى اليمن •

الا ان الامير سعود لم يستطع الوصول الى الحدود بالسرعة المطلوبة لاسباب طبيعية وجغرافية في حين استطاع الامير فيصل ان يصل الى « الحديدة » ويحتلها يوم السبت في الحادي والعشرين من محرم ١٣٥٣ •

فاضطر جيش الامام يحيى الى الانسحاب واخلاء المدينة •

وما ان استتب الامر للامير فيصل في الحديدة ، حتى اقام اتصالا لاسلكيا بينها وبين المملكة العربية السعودية •

وبدأ بتنظيم شؤونها •

فأقام مراكز للشرطة وللمالية وللاوقاف وللمعارف وللقضاء تمهيدا لجعل الحديدة مدينة سعودية •

ووجم الامام يحيى لهذا الانتصار السعودي السريع •

وادرك ان ليس هناك «مزاح» مع آل سعود •

وان القضية ستتطور الى ما لا تحمد عقباه •

فأرسل الى الملك عبد العزيز رسالة يطلب اليه فيها استئناف المفاوضات ورد الملك عليه برسالة يظهر فيها استعداده للمفاوضة شرط ان يبت بالامر بسرعة ودون مماطلة وتسويف •

فنزل الامام يحيى عند طلب الملك السعودي •

واظهر استعداده التام للبت بالامر بصورة سريعة •

ثم طلب اليه ان يأمر جنوده باخلاء الاماكن والمدن اليمنية تمهيدا

لبـدء المفاوضات .

وتم الاتفاق بين الملك عبد العزيز وبين الامام يحيى على اخـلاء نجران ، والجلاء عن الجبال ، واطلاق الرهائن ، وتسليم الادارسة الذين كانوا قد هربوا من السعودية الى اليمن بعد محاولتهم اعلان الثورة ، واخلاء الاماكن اليمنية التي احتلتها القوات السعودية .

وتوقفت العمليات العسكرية .

وتم الاتفاق على الحدود .

وعاد السلام يخيم بين المملكة العربية السعودية واليمن .

٤

اكتشاف النفط ...

واجه الملك عبدالعزيز ازمات مالية حادة بعد قيـام المملكة العربية السعودية ،

لا سيما في السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، تلك السنوات التي عانى فيها العالم باسره ازمات اقتصادية ومالية خانقة.

ولم يكن في المملكة العربية السعودية الفتية التي تبلغ مساحتهـا المليونين ونصف المليون كيلومترا ، من مورد ثابت الا مورد الحج .

وهو مورد ضئيل لا يمكن ان يسـد النفقات الباهظة التي تحتاجها دولة لا تزال في طور التأسيس ثقافيا وعلميا وسياسيا واقتصاديـا وزراعيا .

وبدأ الملك عبد العزيز يبحث عن مورد جديد يستطيع بواسطته ان يقوم بالعبء الثقيل الذي القي على عاتقه .

وخيل للملك السعودي انه سينوء تحت هذا العبء الثقيل •

الا ان الله عز وجل ، الذي نصر عبد العزيز في جميع حروبه ومعاركه لم يتخل عنه في ايجاد المورد الذي يكفل سد الحاجة المطلوبة من المال •

فقد تلقى الملك عبد العزيز ذات يوم ، وهو في صميم الازمة الخانقة ، رسالة من رجل اميركي اسمه « المستر كراين » يطلب فيها تحديد موعد لمقابلته •

وسأل الملك : من هو المستر كراين هذا ؟

فقيل له : انه رجل اعمال اميركي ثري •

وعين الملك الموعد لرجل الاعمال الاميركي •

وفي الموعد المحدد استقبل الملك عبد العزيز المستر كراين •

فاذا به رجل ذكي حاذق لبق •

وسأل الملك الرجل الاميركي عن حاجته •

فاجاب : يخيل الي ان في أرض المملكة العربية السعودية ثروات هائلة طائلة من المعادن ، لا سيما النفط ، وهي ثروات لا تقل عن الثروة النفطية التي اكتشفت في ايران •

فرد الملك عبد العزيز بقوله : لقد سبق للخبراء البريطانيين ان اجروا ابحاثا ودروسا • ونقبوا وبحثوا ، ثم اعلنوا ان ارض المملكة العربية السعودية تخلو من المعادن •

فاجاب المستر كراين : سنجرب • فهل تسمحون بان نقوم بالدرس والبحث على نفقتنا الخاصة ؟

قال الملك : ليس ثمة اي مانع لدينا • تستطيعون ان تجروا الابحاث التي تريدون •

وبعد أيام قليلة من هذه المقابلة وصل الى المملكة العربية السعودية

« المستر توتشل » وهو خبير اميركي في الجيولوجيا كان قد اكتشف النفط في بعض الدول وبدأ بحثه على نفقة المستر كراين .

واذا بالمستر توتشل يؤكد وجود النفط في ارض المملكة العربية السعودية .

وشاع الخبر فتهافتت الدول للحصول على امتياز التنقيب عن البترول .

وبدأ التنافس بين بعض الشركات الكبرى للحصول على الامتياز.

ثم انحصر التنافس بين شركة « ستندرد اويل اوف كاليفورنيا » الاميركية وبين شركة البترول الشرقية العمومية البريطانية .

فما كان من الملك عبد العزيز الا انه وضع شروطا صريحة حازمة لم توافق عليها الشركة البريطانية مدعية ان التنقيب عن البترول يعتبر مغامرة مجهولة المصير .

في حين وافقت على شروط الملك الشركة الاميركية .

وتم الاتفاق بين الحكومة السعودية وبين الشركة الاميركية على ان تدفع الشركة سلفة للحكومة السعودية قدرها خمسون الف جنيه ذهبي وان تلحقها بقرض قدره خمسون الف جنيه اخرى عند اكتشاف البترول .

وفي اواسط عام ١٣٥٢ هـ « ايار ١٩٣٣ » وقعت الحكومة السعودية اتفاق الامتياز مع الشركة الاميركية « شركة ستندرد اويل اوف كاليفورنيا » .

وبدأت الشركة التنقيب عن البترول ، باذلة الاموال الطائلة .

الا از تلك الاموال لم تذهب هدرا لانها استطاعت ان تكتشف كميات كبيرة من النفط في الارض السعودية الطيبة المعطاء .

وقبل انقضاء خمس سنوات على توقيع الاتفاق كانت الشركة

تكتشف سابع بئر بترولية .

كما استطاعت ان تتأكد من وجود حوض يعتبر احد الاحواض البترولية الكبرى في العالم .

وقبل ان تكتمل اعمـــال التنقيب استطاعت الشركة الاميركية ان تبيع اربعين بالمئة فقط من اسهمها بمبلغ خمسمئة مليون دولار .

واصبحت المملكة العربية الناشئة في بحبوحة واسعة .

واستطاع الملك عبد العزيز ان يؤمن المال الكافي للمضي بمملكته الناشئة في طريق الحضارة والعلم والثقافة والرقي والازدهار .

ولم يقتصر خير النفط على المملكة العربية السعودية .

بل هو تعداها الى الدول العربية الشقيقة ايضا .

فلم تلبث الشركة ان وسعت اعمالها ، وانبثقت عنها عدة شركات منها شركة ارامكو التي مدت انابيب النفط الى البحر الابيض المتوسط عبر الاردن وسوريا ولبنان عام ١٣٧١هـ « ١٩٥١ م »

ونالت الدول الثلاث حصتها من خيرات النفط السعودي .

وبدأ الملك عبد العزيز ، وقد توفر لديه المال الكافي ، باحيـــاء المشاريع العمرانية والثقافية والزراعية والصناعية في مملكته .

الا ان انصرافه الى الاهتمام بشؤون مملكته لم يصرفه عن الاهتمام بشؤون الدول العربية الشقيقة .

فكان السباق الى مد يـــد المساعدة والعون الى كل دولة عربية بحاجة الى العون والمساعدة .

كما كان لنجله الامير الفيصل « جلالة الملك » يد سخية معطاء في انشائها وفي وضع ميثاقها .

يوم انشئت الجامعة العربية كان للملك عبد العزيز اليد الطولى في تدعيم اركانها وجمع شمل الدول العربية تحت لوائها .

وفيما الملك عبد العزيز منصرف الى درس وتحقيق المشاريع الكبرى في بلاده وقعت الحرب الثانية •

واندلعت النار في العالم •

فكان لا بد من ان تتأثر الدول العربية بهذه الحرب •

لا سيما وهناك فرنسا في لبنان وسوريا، وبريطانيا فيمصر والاردن وفلسطين والعراق •

ولاميركا مصالح وشركات في جميع البلدان العربية •

وكان من الطبيعي ان تنال المملكة العربية السعودية ، وهي الدولة الفتية نصيبها من ويلات الحرب ومصائبها •

فقد تدنى عدد الحجاج الذين يؤمون الارض المقدسة من سائر اقطار العالم الاسلامي •

وفي ذلك تدني موارد الخزينة السعودية •

الا ان الملك عبد العزيز استطاع بحكمته وذكائه ان يجنب بلاده نيران الحرب فأعلن المملكة العربية السعودية دولة حيادية ، بالرغم من العروض المغرية التي عرضها عليه الحلفاء والتي عرضها عليه الالمان •

ومن هذه العروض عرضا تقدمت به الحكومة الالمانية تعهدت فيه للملك عبد العزيز بتنصيبه ملكا على جميع البلدان العربية اذا وقف في جانب دول المحور •

ذلك لان المتحاربين ، الحلفاء ودول المحور ، كانوا يدركون اية قيمة استراتيجية وبترولية للملكة العربية السعودية •

ووقوف الملك عبد العزيز الى جانب احدى الفئتين دعامة كبرى لتلك الفئة التي يناصرها الملك السعودي •

ووقفت المملكة العربية السعودية من الصراع القائم بين الحلفاء ودول المحور على الحياد •

الا ان حيادها لم يمنع كبار الرجال الرسميين والعسكريين البريطانيين والاميركيين من زيارة المملكة العربية السعودية حاملين لعاهلها الكبير رسائل المحبة والود والاحترام والاجلال .

ورأى الملك عبد العزيز ان يرد تلك البادرة الطيبة بالمثل فأوفد نجليه الاميرين فيصلا « جلالة الملك » وخالدا الى الولايات المتحدة الاميركية والى بريطانيا لزيارة روزفلت وتشرشل .

وأرسل الملك العربي مع الاميرين هدايا ثمينة الى الرئيسين الاميركي والبريطاني منها سيفين عربيين جميلين مرصعين بالاحجار الكريمة .

واجريت للاميرين فيصل وخالد استقبالات رسمية وشعبية رائعة في واشنطن ولندن برهنت فيها الحكومتان الاميركية والبريطانية وشعباهما عن عاطفة صادقة واحترام واكرام للمملكة العربية السعودية ولملكها ولامرائها « وكان ذلك في شوال ١٣٦٢ — ايلول ١٩٤٣ » .

واجرى الاميران السعوديان مباحثات سياسية واقتصادية وثقافية في واشنطن وبريطانيا .

واستطاع الاميرفيصل ان يثير اعجاب تشرشل وروزفلت بدبلوماسيته اللبقة وبذكائه وسعة اطلاعه على الاحداث العالمية .

وكان بين المواضيع التي اثارها الامير فيصل بن عبد العزيز «جلالة الملك» يومذاك مع روزفلت وتشرشل قضية فلسطين وضرورة المحافظة عليها .

ولفت الامير الرئيسين الاميركي والبريطاني الى ان الصهيونية العالمية طامعة في فلسطين وان تحقيق مطامع الصهيونية تثير العرب كلهم ضد اميركا وبريطانيا ، ويؤدي الى حرب ضروس لا يعلم الا الله ماذا تكون نتائجها .

ولم يهتم الرئيسان الاميركي والبريطاني ، يومذاك ، لتحذير الامير

فيصـــل •

ربما لصغر سنه •

الا ان تشرشل ذكر ، بعد زهاء عشرين سنة ، في خطاب له فـــي مجلس العموم تلك التحذيرات وقال « ان الامير فيصل بن عبد العزيز حذرنا منذ سنوات بعيدة من الكارثة وها نحن قد وصلنا الى ما حذرنا منه ذلك الامير العربي الذكي » •

وبعد الحرب العالمية الثانية ، فيمـــا دول الحلفاء المنتصرة تتقاســـم ــ كالعادة بعد كل حرب ــ النفوذ في الدول الصغيرة وتتقـــاسم ارض دول المحور المنهزمة ، انصرف الملك عبد العزيز الى الاهتمام بالقضيـــة الفلسطينية ، وبقضايا العرب القومية •

واجرى اتصالات مع الرئيس الاميركي روزفلت ، ومع رئيـــس وزراء بريطانيا تشرشل ليقف منهما على ما ينويان الاقدام عليـــه فـــي فلسطين •

واذا بالرئيس روزفلت يوجه للملك عبد العزيز دعوة للاجتماع به في مصر « وكان ذلك عام ١٣٦٥هـ « ١٩٤٥م » •

وارسل اليه طرادا اميركيا لينقله الى مكان الاجتماع •

ودار البحث بين الملك العربي والرئيس الاميركي حول القضايـــا العربية لا سيمـــا القضية الفلسطينية •

وسأل الرئيس روزفلت الملك عبد العزيز عن الحل •

فأجاب : الحل الوحيد هو ان يعود الصهيونيون الى بلادهم التي ارغموا على النزوح عنها لا سيمـــا بعد ان هزمهم هتلر الذي كان يناصب الصهيونية العداء •

ولم يكتف الملك عبد العزيز بابداء هذا الرأي الصريح بل هـــو حذر الرئيس الاميركي من تحويل فلسطين العربية وطنا قوميا صهيونيا •

وقد اعجب الرئيس روزفلت بآراء الملك العربي فوعده بأن الولايات المتحدة الاميركية لن تقف ضد العرب في قضية فلسطين •

وبعد هذا اللقاء تبادل الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت عدة رسائل •

وكان عبد العزيز في كل رسالة من رسائله الى روزفلت يحذر اميركا من التورط في مساعدة الصهيونية وتحويل فلسطين الى وطن قومي صهيوني على حساب العرب •

وكان الرئيس الاميركي يؤكد لصديقه الملك عبد العزيز ان اميركا لن تفرط في حقوق شعب فلسطين العربي ولن تساعد الصهيونيين على العرب •

ولكن من المؤسف ان الرئيس روزفلت توفي قبل ان تعرض القضية الفلسطينية على الامم المتحدة •

وحل مكانه في الرئاسة الاميركية الرئيس ترومن الذي تجاهل جميع الوعود والعهود التي كان سلفه الرئيس روزفلت قد قطعها للملك عبد العزيز •

واجتمع الملك عبد العزيز الى عدد كبير من رجال العالم العظام أمثال تشرشل وديغول والى جميع الرؤساء والملوك العرب ، أمثال الملك فاروق والملك عبد الله والرئيسين بشارة الخوري وشكري القوتلي وغيرهم في محاولة لقيادة ثورة عربية ضد الصهيونية توصلا للمحافظة على حقوق العرب في فلسطين •

ان الجهدو التي بذلها الملك عبد العزير ، رحمات الله عليه ، من اجل فلسطين جهود جبارة ، وقد تابع رسالته تلك الملك فيصل الذي ما زال حتى الان يعمل ويجاهد ويبذل المال والنفوذ والجهود من اجل فلسطين العربية الجريح •

ولم يقتصر جهاد الملك عبد العزيز على القضية الفلسطينية الحقة، بل هو تعداها الى جميع القضايا العربية .

وقد وقف مع لبنان وقفته الجريئة الصريحة في نكبة تشرين ، يوم اعتقل بشارة الخوري ، ورياض الصلح ، وكميل شمعون ، وعبد الحميد كرامي ، وعادل عسيران ، وصبري حمادة ، والامير مجيد ارسلان ، وسليم تقلا .

تلك النكبة التي كانت نعمة ، والتي اسفرت عن استقلال لبنان .

كما وقف ايضا الى جانب سوريا في خلافها مع الفرنسيين .

ووقف الى جانب مصر في خلافها مع البريطانيين .

وكان يمد يد المساعدة فورا لكل بلد عربي بحاجة الى مساعدة .

وهكذا استطاع الملك عبد العزيز ان يوطد اركان مملكته ، داخليا وخارجيا .

وان يعزز اتصالاته وصداقاته بالدول الكبرى وبالدول العربية .

كما استطاع ان يجعل من المملكة العربية السعودية دولة عريقة غنية ، حرة ابية متينة الاركان .

★

- ٥ -

هوى الصقر

هوى الصقر من الاعالي •
فوجمت النفوس •
وهلعت القلوب •
وعم الاسي البلاد العربية بأسرها •
فالمملكة العربية السعودية على اسى ولوعة ودموع •

وكان وفاة الملك عبد العزيز في السادس عشر من ربيع الاول ١٣٧٣ه «١٢ تشرين الثاني ١٩٥٣» •

فنزل نعيه على العرب نزول الصاعقة •
وبكته مملكته بكاء مرا •
ولقد بكت المملكة العربية السعودية في عبد العزيز الملك الصالح والفارس الباسل ، والقائد الحكيم •
وبكت الدول العربية فيه الصديق المخلص والعربي الابي والمساعد السخي الكريم •

ووري جثمان الملك عبد العزيز الثري قبل ان يصل نعيه الى الملوك والرؤساء العرب نزولا عند السنة الاسلامية التي تعتبر ان تكريم من يفتقده المسلمون هو التعجيل بدفنه •
ودفن جثمان الملك الكبير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في أرض الرياض الطيبة المعطاء التي احبها وغامر وناضل وجاهد في

سبيل تحريرها .

دفن الملك الكبير في قبر صغير لا يختلف عن قبر اي سعودي .

وقد قال الرسول العربي صلى الله عليه وسلم « خير القبور الدوارس » .

وما قبر عبد العزيز الا خير القبور .

وكان عبد العزيز رحمات الله على ثراه ، قد عين نجله الاكبر سعودا وليا للعهد ، ونجله الثاني فيصلا وليا لسعود « كما تقدم » .

وحرص ان تكون هذه البيعة مشروطة ، حتى اذا اخل الملك بهذه الشروط حل خلعه .

ولم يقدم الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، على هذه الخطوة الا ليجنب المملكة بعد وفاته ، وبعد وفاة من يخلفه ايضا الخلاف والنزاع على العرش مما قد يؤدي الى انقسام الاسرة المالكة .

لقد كان رحمه الله ينظر بعين الحكمة والذكاء الى البعيد البعيد .

وكان من الطبيعي ان يجتمع الامراء السعوديون وينادوا بالامير سعود ملكا على المملكة العربية السعودية .

هذه هي مشيئة الراحل الكبير والدهم عبد العزيز .

ومشيئته مباركة لا تنقض ولا ترد .

وحرص الامراء على المناداة بسعود ملكا على السعودية في نفس اليوم الذي توفي فيه والدهم دفعا لاي خلاف .

وكان هذا الرأي هو رأي الامير فيصل « جلالة الملك » الحكيم الذي اراد ان ينفذ وصية والده الراحل دون اي تأخير .

وقد وافق جميع الامراء السعوديين على رأي الفيصل .

واصبح الامير سعود ملكا على المملكة العربية السعودية .

- ٦ -

عهد سعود

من هو الملك سعود ؟

انه اكبر انجال الملك عبد العزيز الاحياء •

الا انه ليس بكر اولاده •

ذلك ان الملك عبد العزيز رزق بولدين قبل ان يرزق بسعود ، هما تركي وخالد ، الا ان الله اختارهما الى جواره فتوفيا •

واصبح ابنه الثالث سعود اكبر اولاده •

وقد ولد سعود في الثالث من شوال سنة ١٣١٩ هـ « ١٥ كانون الثاني ١٩٠٥ م » وأمه من كريمات النساء من آل عريعر من القبائل العربية المحترمة ومنهم شيوخ بني خالد من قحطان •

وكان الملك سعود كريم الخلق ، سخي الكف ، وقد نشأ ، كما نشأ جميع ابناء عبد العزيز ، نشأة عربية صحيحة •

لذلك فقد رحب ابناء المملكة بتسلمه العرش وارتاحوا اليه كل الارتياح •

والتف الامراء السعوديون حول الملك سعود واحاطه اخوانه الامراء بمحبتهم وعونهم •

فهو الملك الذي اختاره والدهم وليس لهم الا مساعدته ومد يد العون له في الملمات الصعاب •

وكان ولي العهد الامير فيصل « جلالة الملك » اسبق الامراء الى

مساعدة ومعاونة اخاه الملك .

وقد عرف فيصل بحنانه وعاطفته الصادقة وغيرته على اخوانه وانسبائه ومد يد العون لكل محتاج منهم .

فراح يساعد اخاه الملك على ادارة شؤون الرعية بكل وفاء وصدق واخلاص .

وكانت السنوات الخمس الاولى لتسلم الملك سعود الحكم سنوات عمل وجد ونشاط واطمئنان في المملكة العربية السعودية .

واستطاع الملك سعود بمساعدة اخوانه واعمامه الامراء ان يحكم بالعدل ، وان يبدأ بانشاء بعض المشاريع العمرانية والثقافية والادارية .

الا ان سعودا بدأ يهمل شؤون مملكته بعد مضي سنوات قليلة على تسلمه العرش .

فدبت الفوضى في الادارات .

وتوقف العمل في المشاريع العمرانية .

وهدرت مبالغ كبيرة من الاموال هدرا مروعا .

وساءت علاقات المملكة العربية ببعض الدول العربية الشقيقة وببعض الدول الاجنبية الكبرى .

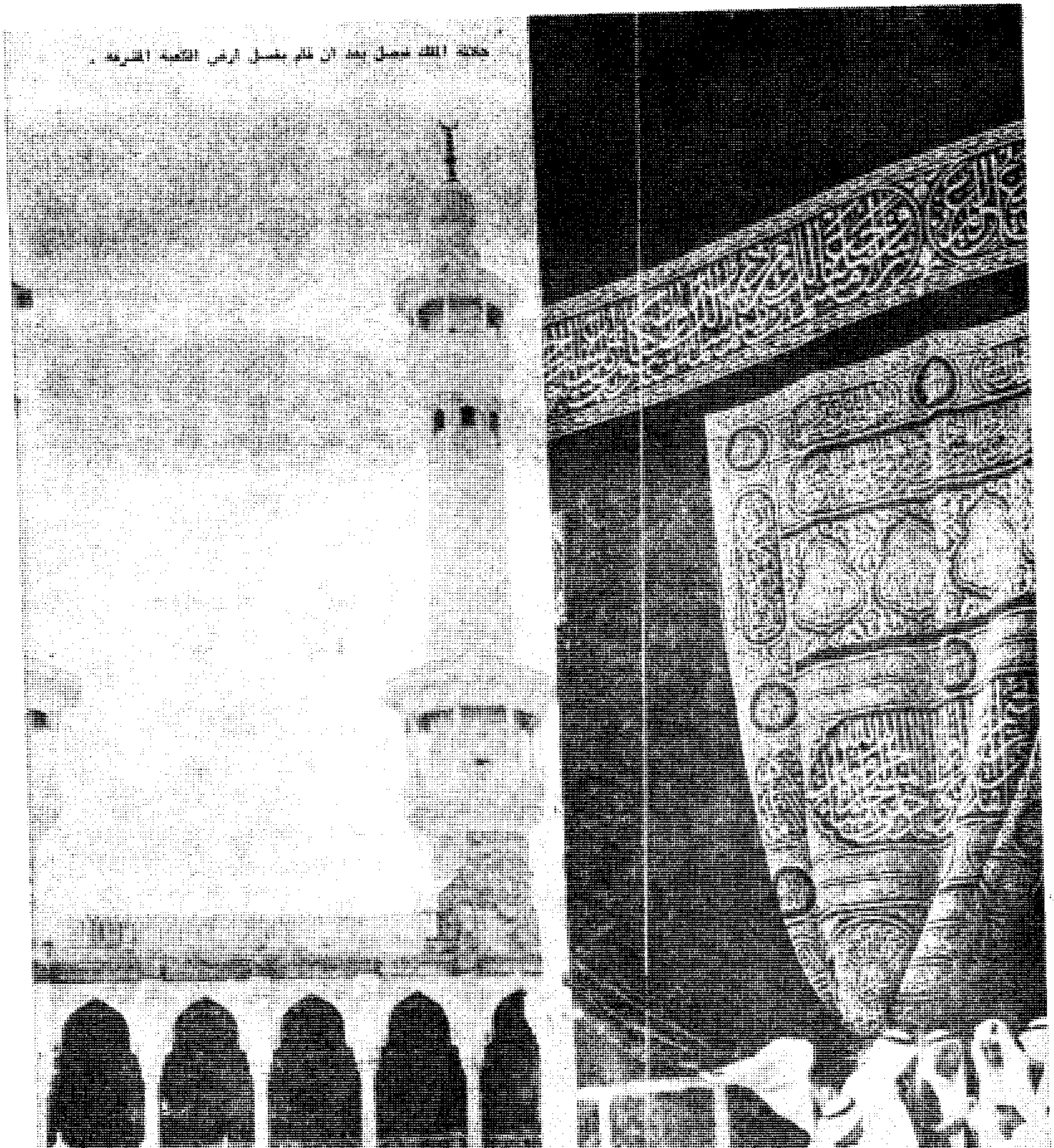
فبدأ العرش يهتز وبدأ نجم سعود يأفل رويدا رويدا .

وتنبه ولي العهد الامير فيصل للامر فشخص الى شقيقه الملك ينبهه للامر ويدعوه الى الاهتمام بشؤون المملكة .

الا ان سعودا كان يعد ولا يفي مما اهاب بالامراء الى التفكير بخلع الملك .

غير ان الامير فيصل طلب الى اخوانه والى اعمامه التريث ، فقد يفيق سعود ، ويعود الى اهتمامه بالمملكة ..

وعاد ولي العهد ، الامير فيصل الى التحدث مع اخيه الملك آملا



جلالة الملك فيصل بعد أن قام بغسل أرض الكعبة المشرفة .

ان يثبت ملكه وان يوطد عرشه وان يبقى التاج فوق رأسه •

الا ان مساعي ولي العهد ذهبت ادراج الرياح •

ورأى الامير فيصل نفسه في مأزق •

انه بين نارين •

ويله ان هو مضى في الوقوف الى جانب الملك •

والف ويل ان هو وقف في جانب الامراء •

ورأى الامير فيصل ان العرش الذي شيده والده على قطرات دمعه ودمه والذي ضحى بعمره كله في سبيله بدأ يتأرجح في الهواء •

وان المملكة التي بذل عبد العزيز حياته كلها في سبيل انشائها وتوطيدها اصبحت في مهب الرياح •

وان بقاء سعود على العرش يهدد العرش بالانهيار •

فكان لا بد له من انقاذ ذلك العرش •

وبدأ البحث الجدي بين الامراء السعوديين في امر انقاذ المملكة وصيانة العرش •

او بالاحرى بدأ البحث في خلع سعود •

فالبيعة التي اقرها الملك عبد العزيز لسعود كانت مشروطة « حتى اذا اخل الملك بتلك الشروط حل خلعه » •

وتقرر خلع الملك سعود للمحافظة على العرش •

وفي السابع والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) اجتمع مجلس الوزراء السعودي ومجلس الشورى وقرر اعضاء المجلسين خلع الملك سعود ، بعد انقضاء احد عشر عاما على تنصيبه ملكا •

واذاع وزير الاعلام البيان التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم

في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة ١٣٨٤ ﻫ اجتمع اعضاء مجلس الوزراء واعضاء مجلس الشورى برئاسة صاحب السمو الملكي الامير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء واطلعوا على نص الخطاب المؤرخ في ١٣٨٤/٦/٢٢ الموجه من كافة افراد اسرة آل سعود الى اصحاب السماحة والفضيلة العلماء الذين اعلنوا خلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود عن الملك ومبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكا للبلاد واماما للمسلمين وطلبهم النظر في ذلك من الوجهة الشرعية اللازمة . وقد اطلع المجتمعون ايضا على الفتوى الشرعية الصادرة من اصحاب السماحة والفضيلة العلماء الذين اجتمعوا برئاسة سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية المؤرخة في ١٣٨٤/٦/٢٦ المستندة الى الفتوى الشرعية السابقة الصادرة في تاريخ ١٣٨٣/١١/١٦ والى مبررات واقعية مقنعة وقواعد شرعية وقرروا فيها :

اولا : خلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل عن الملك.

ثانيا : مبايعة ولي العهد الامير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملكا شرعيا على المملكة العربية السعودية . وعليه في ذلك تقوى الله ، وتحكيم شريعته في جميع الشؤون والزام الرعية بذلك . وقد ايد المجتمعون بالاجماع قرار اسرة آل سعود والعمل بالفتوى الشرعية الصادرة من اصحاب السماحة والفضيلة العلماء المؤرخة في ١٣٨٤/٦/٢٦ وقرروا :

اولا : مبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكا شرعيا على المملكة العربية السعودية واماما للمسلمين .

ثانيا : ان يطلب من حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود قبول البيعة واعلانها .

ونسأل الله ان يجعل عهد جلالته مقرونا باليمن والخير والتقدم والازدهار ، وان يوفقه لخدمة شريعته واعلاء كلمته والله ولي التوفيق» .

ونزل الملك سعود عند قرار مجلس الوزراء ومجلس الشورى والعلماء وقد ايقن ان اقصاءه عن الحكم تدعيم للعرش وصون للمملكة وخير للشعب ، فوجه لأخيه الملك فيصل كتابا مؤرخا في ١ شعبان ١٣٨٤ « ٢ كانون الثاني ١٩٦٥ م » بايعه فيه بالملك وقد جاء فيه :

« من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل .

الى جناب الاخ جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز سلمه الله .

بعد السلام عليكم وبركاته ، بناء على ما اقرته الاسرة والعلماء بتنصيبكم ملكا على البلاد فاننا نبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله ملكا للبلاد راجيا لكم التوفيق وللشعب السعودي الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام .

التوقيع — سعود »

ووجه الملك فيصل الى الشعب بعد قبوله المبايعة الخطاب التالي :

« اخواني وابناء وطني !

نحمد الله اليكم ونستعينه ونستغفره ونصلي ونسلم على نبيه محمد هادي البشرية ومنقذ الانسانية ، ونسأله تعالى ، لنا ولكم ، التوفيق والسداد .

اخواني ! لقد شاء الله جل وعلا ان يضع على عاتقنا هذا اليوم مسؤولية الملك ونحن الذين حرصنا بكل ما وسعنا من جهد ان تجري الامور في مجراها الطبيعي والا تصل الى الحد الذي وصلت اليه .

وحاولنا في السنوات الاخيرة ان نكف عن بلادنا وامتنا ما قد تتعرض له من نتائج وخيمة • غير ان العامة قد انتابها الجزع قبل الخاصة ، وتتالت الاحداث التي تعرفونها • وما نحن الان بصدد التعرض لها •

وجاء قرار اسرة آل سعود اجماعا يلزمنا البيعة ، ثم تبعته فتوى اصحاب السماحة والفضيلة العلماء ورؤساء المحاكم والقضاة ثم قرار اعضاء مجلس الوزراء واعضاء مجلس الشورى ، فلم يسعنا وقد ألح اهل الحل والعقد على وضع مسؤولية الملك في عنقنا الا القبول • وما كنا طوال المدة السابقة نرفض حتى مجرد التفكير في ذلك تهربا من المسؤولية ، وانما عزوفا عن مظاهرها ورغبة صادقة في ان تجري الامور — كما اسلفنا — في مجراها الطبيعي •

والآن ، وقد شاءت ارادة الله الكبير ان نقوم بهذا الواجب المقدس فاننا نسأله تعالى العون والتوفيق والسداد ، حتى نحقق لكم ما عقدتموه من آمال ، وحتى تصل بلادنا العزيزة الى المستوى المنشود والهدف المرسوم • ثم اسألكم بعد ذلك فردا فردا ابناء شعب هذا البلد الكريم ان تعينوني بكل جهدكم على اداء واجباتنا وتحقيق ما نصبو اليه• واول ما نرغب فيه منكم تقوى الله سبحانه وتعالى والتمسك بتعاليم دينه واحكام شريعته ، فهي اساس عزتنا ، وهي مرد حكمنا وسر قوتنا ونطلب منكم ان يضاعف كل واحد منكم جهده في حقله الذي يعمل فيه ، وان نحس جميعا اننا في معركة للبناء تتطلب صبرا وجهدا ستكون نتيجته بعون الله ثمرات يانعات ننعم بها ، وتنعم بها من بعدنا اجيالنا القادمة •

اما موظفو الدولة وكافة اجهزة الحكومة فيقع عليها عبء خاص في هذه المعركة ، قوامه مخافة الله والامانة المطلقة ، والشعور بالمسؤولية •

اخواني ! لسنا في حاجة الى تكرار سياستنا الاصلاحية الداخلية التي سبق ان اعلنا عنها ، والتي نسير سيرا حسنا في تنفيذها في حدود

امكانياتنا وبكل طاقاتنا ، ولكننا نؤكد لكم اننا وقد منحنا الله نعمة الاستقرار ــ سنضاعف الجهد نحو تحقيق اهدافنا الاصلاحية في جميع مجالاتها السياسية والادارية ، والاجتماعية والاقتصادية ، وسنبذل جهدنا في تدعيم الاساس الديني الذي تقوم عليه هذه الدولة التي شرفها الله فجعل فيها بيته ، ووصفها بذلك في مركز قيادي خاص منذ بزغ فجر الاسلام وانطلق مشعل الهداية وركب العروبة من ارضنا الطاهرة .

اخواني ! ولسنا ايضا في حاجة لتكرار الاساس التقليدي الذي تسير عليه سياستنا الخارجية ، فنحن ، منذ اسس هذه الدولة بانيها وواضع اساس نهضتها المغفور له الملك عبد العزيز ، قد اثبتنا في المجال الدولي ايماننا بالسلام العالمي ورغبتنا في دعمه وتقويته ونشره في ربوع العالم . وكنا ولا نزال نفعل ذلك بوحي من تعاليم ديننا وتقاليدنا العربية الاصيلة . ونحن نؤيد الان في سبيل ذلك نزع السلاح ، وتجنيب البشرية مخاطر الاسلحة الفتاكة ، وندعو الى حرية تقرير المصير لكل الشعوب ، وحل المنازعات الدولية بالوسائل المرتكزة على الحق والعدل .

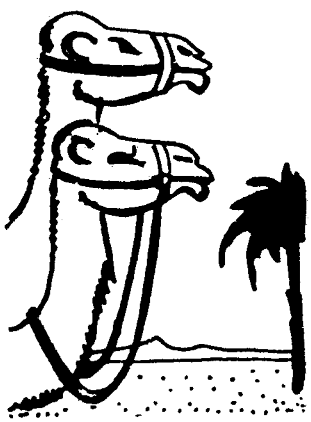
ومن اهداف سياستنا الخارجية المعروفة التعاون الى اقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة ، وتنفيذ مقررات مؤتمري القمة العربيين ، والسعي الى تحرير جميع اجزاء الوطن العربي التي لا تزال تحت الاستعمار ، والسير مع الدول الاسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعة شأنهم . ونؤيد ميثاق جامعة الدول العربية وندعمه ونسنده . ونؤيد ميثاق هيئة الامم المتحدة ومقررات مؤتمر باندونغ ودول عدم الانحياز ، ونسعى بكل ما اوتينا من قوة الى ان يسود العالم سلام عادل وحرية وطمأنينة دائمة .

اخواني ! ونحن اذ نختم خطابنا هذا نعود فندعو الله جل جلاله وعلا ان يكون لنا عونا وسندا وان يحقق لنا آمالنا ، انه نعم المولى ونعم

النصير » •

وهكذا القي العبء الثقيل على عاتق فيصل بن عبد العزيز •

وهو عبء مرهق كبير لا سيما وقد تسلم الملك فيصل الحكم والمملكة في فوضى والعرش على شفير الانهيار ، فكان ان اعاد للمملكة سلامتها وطمأنينتها وازدهارها ، ووطد دعائم العرش السعودي العريق •



الفصل السابع

العهد الفيصلي ...

من هو الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية الذي حملته الامة السعودية الى العرش ؟

انه رابع اولاد عبد العزيز بعد تركي وخالد ، اللذين توفاهما الله ، وسعود .

وثاني انجال عبد العزيز بعد سعود ، وقد اختاره والده المغفور له عبد العزيز ليكون وليا للعهد بعد سعود .

وكأنه طيب الله ثراه ، كان يعلـم ان سعودا سينوء تحت العبء الثقيل ، وانه لن يستطيع ان يدير دفة الحكم طويـلا ، فاختار فيصلا ليخلف سعودا في تسلم العرش السعودي الكبير .

وكان عبد العزيز ، رحمه الله ، يحب فيصلا ، ويؤثره على سعود في تسلم الملك بعد موته .

الا انه ابى ان يخرج عن العرف المتبع في ان يكون الكبير من اولاد الملك وليا للعهد .

ولذلك فقد اختار عبد العزيز قبل موته سعودا وليا للعهد وفيصلا خلفا له .

ولد الفيصل في الرياض بعد انتصار والده الباهر على آل الرشيد.

فكأن طالعه طالع خير وبركة •

امه من كريمات النساء العربيات ابنة الزاهد الورع عبد الله بن عبد اللطيف من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مجدد النهضة الدينية ومصلحها في نجد •

فكان من الطبيعي ان ينشأ فيصل في رعاية آل امه ، مسلما تقيا ورعا •

اما والدته الفاضلة ، الاميرة طرفة ، فقد توفاها الله سبحانه وتعالى وولدها فيصل لما يبلغ الاشهر الخمسة من عمره •

فنشأ فيصل في كنف آل والدته وفي بيت عريق في التقوى والدين محافظا على تقاليد عشيرته ومواظبا على الفروض الدينية الاسلامية الكريمة •

ولعل السبب الاكبر في توطيد دعائم عرش فيصل وفي تثبيت اركان المملكة العربية السعودية يعود الى تمسك الملك والامراء باهداب الدين والتقوى ، والله سبحانه وتعالى يأخذ بيدهم ويوطد اركان مملكتهم •

وفيصل اديب واسع الاطلاع يتذوق الشعر ويطرب له •

ويحفظ الكثير من الشعر العربي القديم والحديث •

ويقرب الى مجالسة الشعراء والعلماء والادباء •

وهو خطيب مفوه يملك موهبة الخطابة كلها من صوت جهوري وطلاقة لسان وحجة وبرهان واقناع •

وهو محدث لبق يجيد اللغة الانكليزية ويتقن الفرنسية •

وقد اثار اعجاب الملوك والرؤساء والعظماء والاجانب الذين اجتمع بهم بلباقته ودبلوماسيته وحديثه المشوق وآرائه الصائبة •

والملك فيصل يستسيغ النكتة ويرتاح اليها ويجيدها •

وقد روى المستر ارمور انه جلس في مأدبة عشاء قرب جلالة الملك

فيصل ، وكان يومها لا يزال اميرا ، ولم يكن قد تسلم العرش ، فراح الامير يتحدث عن اهداف العرب •

وقال : ان العرب يعدون العدة للهجرة الى اسبانيا لانشاء دولة عربية هناك •

ودهش المستر ارمور لهذا الخبر •

وقال للامير السعودي : هل ابلغتم الجنرال فرنكو بذلك ؟

فأجاب الامير : لا • ولن نبلغه ذلك • فليس من الضرورة ان نستأذن رئيس اسبانيا في ذلك • ان اسبانيا لنا ، وقد عشنا في جنوبها نحو الف عام ، وليس هناك مايمنعنا من العودة الى وطننا التاريخي •

وازداد المستر ارمور دهشة ، وقد خيل اليه ان الامير فيصل جاد في ما يقول •

ولكنه ادرك ان الامير يمزح عندما قال له : أليست هذه هي النظرية التي تؤيدونها بتشجيعكم توطين الصهيونيين في فلسطين ؟

ولجلالة الملك فيصل ثمانية اولاد ذكور •

هم الامراء : عبد الله ، محمد ، خالد ، عبد الرحمن ، سعود ، سعد ، بندر ، تركي ، وهم على ثقافة عالية ، يحملون شهادات جامعية •

والامير عبد الله شاعر كبير ، يتسم شعره بالعاطفة العميقة والشعور البعيد ، والالوان الزاهية الرؤى المتلألئة الانوار ، الفواحة العبير •

وله ديوان شعري رائع اطلق عليه اسم « وحي الحرمان » •

وعرف الامير عبد الله الفيصل باسم الشاعر المحروم •

وقد قال فيه امير الشعراء الاخطل الصغير بشارة الخوري : « أأمير ومحروم » ؟

ويحتل عبد الله الفيصل مقاما رفيعا بين الشعراء العرب •

وشعره عاطفي متين سلس ذو اسلوب خاص تتدفق العاطفة فيه

وينساب الشعور بين ثناياه كالجدول الصافي الرقراق .
ويأبى الملك فيصل ان يطلق يد اولاده في شؤون الحكم .
فهو يريدهم ان يكونوا من الحكم كأي سعودي آخر .
يريدهم سعوديين فقط .

ومن مآثر جلالته ، ورغبته في معاملة اولاده كأفراد الشعب ، ان احد انجاله الامراء نال شهادة جامعية عالية في الفنون العسكرية والتحق بالجيش السعودي فأرسله رؤساؤه الى بلدة نائية بعيدة .

فلم يرتح الامير للاقامة في تلك البلدة .
ورغب في ان تكون له معاملة خاصة ، كابن ملك ، وان ينتقل من الثكنة الى دار تتوفر فيها وسائل الراحة والاطمئنان .

ووصل النبأ الى الملك فرفض طلب ولده رفضا باتا .

وكتب اليه يقول : « اذا اردت ان تكون ضابطا فكن كسائر الضباط والعسكريين ، اما اذا اردت ان تكون اميرا وابن فيصل فقط ، فاعتزل عملك وتعال الي اسكنك القصر الذي تختار وتحب » .
وكان ان رضخ الامير لما ارتأى والده .

وكتب اليه قائلا : « انا عسكري سعودي ، وسأعيش كما يعيش زملائي يا صاحب الجلالة » .

وللأمير عبد الله الفيصل قصة مع والده الملك ان دلت على شيء فانما تدل على ان انجال الملك انفسهم كانوا يتصرفون لا كأمراء اثرياء ابناء ملك بل كانوا ، وما زالوا يتصرفون كأعضاء من افراد الشعب السعودي .

فقد كان الامير عبد الله الفيصل يتولى منصب وزير الداخلية في الحجاز عند ما جاء الى والده قائلا : ارجو يا صاحب الجلالة ان تسمحوا لي بالاستقالة من منصبي الوزاري .

وعندما سأله الملك عن السبب قال : لانني اريد ان اعمل في حقل المهن الحرة .

وفكر جلالة الملك بالامر .

وخشي ان يستغل نجله عبد الله لقبه كأمير وكابن للملك في عمله الحر .

وبعد تفكير طويل قال : سيقال انك تعمل في مهنة حرة لانك تعتمد على مركز ابيك وهذا ما لا ارضاه ولا اقبل به .

فقال الامير الشاعر : وهل يجوز ان اقصي عن العمل الحر لانني ابن ملك ؟ ان ذلك ما لا يرضيك ايضا يا صاحب الجلالة .

وتم الاتفاق ، بعد هذا الحديث الصريح بين الوالد والابن على ألا يعتمد الامير على والده في اي عمل يتعلق بعمله الحر ، وعلى ألا يقف الاب في سبيل مهنة ولده الحر .

وهكذا رفض الامير عبد الله ان يستغل مقام والده الرفيع في تولي منصب الوزارة .

ووافق جلالة الملك على اقصاء ولده عن المنصب الرفيع والدفع به الى العمل الحر دون اي سلاح .

وهناك مأثرة اخرى تثبت تجرد الملك فيصل عن الاهواء الشخصية، وحتى عن العاطفة الابوية النبيلة التي يتحلى بها ، عندما يتعلق الامر بشؤون الحكم .

فقد اكمل نجله محمد علومه العليا في الاقتصاد في الولايات الاميركية .

وعندما اسند اليه منصب في مؤسسة النقد حاول رئيسه ان يمنحه درجة استثنائية ومرتبا يفوق مرتب زملائه .

فما كان من الملك الا انه غضب واصر على ان يعامل محمد كما

يعامل اي موظف في المؤسسة .

كما اصر الملك على ان يكون مرتب نجله محمد « ٩٧٥ » ريالا في الشهر ، وهو المرتب الذي يتقاضاه اي موظف يحمل الشهادة التي يحملها الامير محمد .

هكذا يعامل الملك فيصل انجاله ، معاملة لا تختلف بشيء عن معاملته لجميع افراد شعبه .

وهذا لعمري ، منتهى الديمقراطية والنبل والشهامة .

والملك السعودي الكبير اخذ الكثير عن والده المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود .

فهو قد اخذ عنه الجرأة والشجاعة والحزم والوطنية والاخلاص للعقيدة العربية السمحاء .

كما اخذ الكثير عن جده ، والد امه ، الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف حفيد المصلح الكبير الامام محمد بن عبد الوهاب .

ورث الملك عن جده الكثير من الفضائل والتقوى والورع وتعلقه بأهداب الدين .

– ٢ –

فيصل القائد الباسل

خاض فيصل بن عبد العزيز معارك وحروبا كثيرة كان فيها المنتصر دائما .

فقد تمرس في فنون الحرب على عهد والده عبد العزيز فأصبح فارسا مغوارا وبطلا من ابطال الميدان .

وكانت الموقعة الاولى التي خاضها فيصل موقعة « ياطب » .
وهي موقعة عبد العزيز مع خصمه ابن الرشيد .

ففي عام ١٣٣٦ هـ وكان عبد العزيز سلطانا على نجد وحدها اراد ان يلقي على ابن الرشيد درسا لا ينسى فزحف على رأس قوة عسكرية الى مقر ابن الرشيد .

واصطحب عبد العزيز معه نجله فيصل ، وهو لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره .

وقد اشترك الفتى اليانع فيصل في المعركة وبرهن عن شجاعة فائقة وبسالة لا توصف .

وكانت تلك الموقعة اول تجربة حربية لفيصل بن عبد العزيز .
وفي عام ١٣٣٩ عزم عبد العزيز على الزحف الى حـائل والاستيلاء عليها والقضاء على نفوذ ابن الرشيد قضاء مبرما .
فحشد قوات كبيرة من البادية والحاضرة وقسمها الى ثلاث قوات جعل على رئاسة احداها اخاه محمدا وعلى رأس الثانية نجله سعودا .
وقاد الثالثة نجله الثاني فيصل .
وقد سجلت القوات الثلاث انتصارا رائعا على قوات ابن الرشيد .
وابلت القـوة التي كانت بقيادة الامـير الفتى فيصل بلاء حسنا واستولت على كثير من القرى والمناطق التابعة لابن الرشيد .
مما جعل لقائدها الامير فيصل مكانا حربيا مرموقا ، لا سيما وهو لم يدرج في السادسة عشرة من عمره .
وفي عام ١٣٤٠ قاد الامير فيصل الحملة الى عسير .
فقد قامت فتنة في عسير استغلها الامير حسن بـن عائض وراح يضرم نارها ليثأر من عبد العزيز .
وخشي الامير عبد العزيز ان تلتهم نار الفتنة عسير وتمتد الى سائر

انحاء نجد فجهز جيشا كبيرا عقد لواء قيادته الى نجله فيصل « قيل ان عدد ذلك الجيش كان ستة آلاف مقاتل من نجد ثم انضم اليهم اربعة آلاف مقاتل من عرب قحطان وزهران » .

وسار القائد الفتى فيصل بن عبد العزيز على رأس ذلك الجيش الى عسير في شهر ذي القعدة ١٣٤٠ هـ.

وما كاد يصل الى حدود « بيشه » حتى كان ابن عائض يجهز جيشا من القبائل ليصدوا الجيش السعودي .

وتابع القائد فيصل زحفه الى « ابها » فصادف في طريقه « في مكان يسمى العين » قوة من بني شهر فقاتلها وفتك بالكثير من جنودها ثم تابع سيره الى ابها ودخلها .

« وقد جئنا على ذكر هذه الوقائع في مكان آخر من صقر الصحراء » .

وعاد القائد فيصل الى الرياض ظافرا في ٢١ جمادي الثانية عام ١٣٤١ هـ.

فجرى له استقبال حافل رائع .

واطلق النجديون عليه لقب « بطل ابها » .

وقد خرج جده الامام عبدالرحمن لاستقباله خارج اسوار الرياض.

وازدحم ابناء المدينة لتحية بطل ابها العائد على نصر وضاح الجبين.

ومرت فرقة من الفرسان .

ثم اطل فيصل على رأس كوكبة من رجاله الاشاوس شاهرا سيفه، مرتديا ثياب الميدان يطل من عينيه وميض الذكاء ، ويرتسم على جبينه وقار القائد الحازم « وهو فتى يانع يافع » .

وترجل الامير ليحيي جده .

فما كان من الامام عبد الرحمن ، وقد ادمعت عيناه لمرأى حفيده

الباسل الظافر ، الا انه قبله وعانقه طويلا .

اما والده السلطان عبد العزيز فلم يستقبل الفيصل كوالده ، بل هو استقبله كقائد أعلى يستقبل احد قواده العائد من ساحة الوغى .

وكانت دموع الفرح والاعتزاز تموج في عينيه .

وفي فتح الحجاز واحتلالها كان للامير فيصل شأن كبير .

فقد وصل الامير السعودي الفتى فيصل بن عبد العزيز الى مكة المكرمة صباح الثلاثاء في الثامن من جمادي الاولى عام ١٣٤٤ هـ « ١٩٢٥ م » على رأس ألوية عديدة من الجيش نشرت مضاربها حول مكة المكرمة .

وكان الامير فيصل يومذاك في الثامنة عشرة من عمره .

ولم يلبث الامير السعودي ان تابع زحفه الى جدة .

فنزل اولا في « الرغامة » حيث كان عمه الامير عبد الله بن عبد الرحمن معسكرا فيها .

ثم تقدم ليحاصر جدة .

ويوم ثار الادريسي واستولى على بعض مناطق عسير عام ١٣٥١ وتجاوز الامام يحيى ، امام اليمن حدود بلاده ودخل الى السعودية كان للامير فيصل دور كبير في ميادين القتال .

فقد زحف الامير فيصل على رأس قوة مقاتلة من مكة المكرمة الى « جيزان » فاستقبله اهلها استقبالا رائعا .

ومن جيزان تابع زحفه الى « ميدي » فاضطر حاكمها « العرشي » الى الهرب .

فأرسل وجهاء ميدي رسولا الى الامير فيصل يعرضون عليه تسليم بلدتهم تجنبا للقتال والدمار ، فأمر الفيصل بارسال قوة صغيرة من الجيش الى ميدي لحفظ الامن ، وباستبقاء الجيش خارج المدينة دفعا

لاحتكاكه حول المدينة لحراستها ومنع دخول المتسللين من الخارج اليها.

ودخل الامير فيصل البلدة .

واستولى على كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر .

ثم طار العرشي ورجاله واعتقلهم كلهم .

وبعد ان احتل الامير فيصل « ميدي » عرض سكان « اللحية » وقبائل « مور » الاستسلام والخضوع .

فأرسل اليهم بعض رجاله واحتل بلادهم .

وما ان وصل النبأ الى الامام يحيى حتى امر جنوده بالانسحاب من « تهامة » خشية الاصطدام بالجيش السعودي الذي يقوده الامير فيصل .

وتقدم الفيصل بجيشه الى « الحديدة » .

واحتلها بسرعة فائقة مساء الاحد في ٢٢ محرم ثم تابع زحفه الى جنوب الحديدة واحتل مركزي باجل والحسينية .

كما استطاع ان يقتحم معاقل قبائل « الزرانيق » التي اشتهرت بضراوتها وبأسها واخضعها وروضها .

ثم راح يتنقل من نصر الى نصر ويحتل القرى والمناطق قرية بعد قرية ومنطقة بعد منطقة مسجلا النصر تلو النصر والفوز بعد الفوز .

وهكذا نرى ان جلالة الملك فيصل بطل من ابطال الوغى وفارس مغوار وقائد منصور .

٣

فيصل السياسي الحاذق

والملك فيصل سياسي حكيم ، ودبلوماسي حاذق •

قام بمهام سياسية كبيرة وبمهمات دبلوماسية عديدة برهن فيها عن مهارة وحذق وذكاء •

كان جلالته اول وزير خارجية سعودي •

ففي ٢٨ رجب عام ١٣٤٩ هـ « ١٩ كانون الاول ١٩٣٠ م » صدر امر ملكي بتحويل مديرية الشؤون الخارجية الى وزارة •

واطلق عليها اسم « وزارة الخارجية » •

وأسند منصب الوزير الى الامير فيصل •

« وكان يومذاك نائب الملك العام » •

وهكذا كان جلالة الملك فيصل اول وزير خارجية في المملكة العربية السعودية •

وقد احتفظ بهذا المنصب مدة طويلة واستطاع ان يوطد علاقة المملكة بجميع البلدان الغربية والشرقية ، العربية منها والاجنبية •

وكانت السياسة الخارجية التي اتنهجها وزير الخارجية السعودية سياسة حكيمة رشيدة •

مهدت امام المملكة العربية السعودية خاصة ، وامام شقيقاتها الدول العربية عامة سبل التفاهم مع الدول الكبرى على كثير من القضايا التي تهم العرب •

ويوم تولى الامير فيصل بن عبد العزيز الشؤون الخارجية في

المملكة لم يكن ثمة في السعودية وزارات .

غير ان الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، اصدر امرا ملكيا في رجب عام ١٣٤٩ هـ « كانون الثاني ١٩٣٠ » بتحويل اسم مديرية الشؤون الخارجية الى اسم وزارة الخارجية وباسناد منصب الوزير للوزارة الجديدة الى صاحب السمو الملكي الامير فيصل بالاضافة الى منصبه نائب عام لجلالة الملك .

وفرض الامير فيصل ، بوصفه وزيرا للخارجية السعودية هيبة بلاده على الدول الكبرى .

وكان والده الملك قد اطلق يده في تسيير دفة السياسة الخارجية بعد ان لمس فيه المقدرة والحكمة والعزم والذكاء .

وكان اول عمل قام به وزير الخارجية الامير فيصل بن عبد العزيز، هو تحرير سيادة البلاد الخارجية من تهمة الارتباط بالسياسة الانكليزية.

فكانت سياسته الخارجية منطلقة من السيادة المطلقة ومرتكزة على مصلحة المملكة اولا .

ثم على المصلحة العربية ثانيا .

بعيدة كل البعد عن المصالح الاجنبية .

ومتحررة كل التحرر من الارتباطات والمواثيق الاجنبية .

واصبح الامير فيصل الساعد الايمن لوالده الملك ومستشاره الخاص ، وامين سره ، يتمتع بصلاحيات واسعة ويحمل على عاتقه مسؤوليات جساما .

وفي ٧ رمضان ١٣٥٠ هـ « ١٩٣٢ م » اصدر الملك عبد العزيز نظاما عرف باسم نظام الوكلاء .

وكان هذا النظام محاولة لتنظيم الحكم وتنسيق دوائر الحكومة « وذلك قبل توحيد البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية » .

وبناء على هذا النظام صدرت الارادة الملكية بتعيين الامير فيصل رئيسا لمجلس الوكلاء وألحقت به الدوائر التالية : الديوان الملكي ، الخارجية ، المالية ، العسكرية ، الشورى ، الداخلية ، رئاسة القضاء ، امراء الملحقات •

وكان مجلس الوكلاء يتألف من الرئيس والوكلاء ، وهم وكلاء الخارجية والمالية والشورى •

وقيل ان سلطة هذا المجلس كانت تنحصر في وضع المشاريع ودرسها ورسم خطوطها وعرضها على الملك •

اما رئيس مجلس الوكلاء الامير فيصل فكان مقربا جدا من الملك• وجلالة الملك عبد العزيز يستشيره في كل مشروع او قرار قبل اصداره •

وكان الفيصل ينوب عن والده الملك خلال غيابه ، ويمارس صلاحياته كاملة •

ولعل جلالة الملك فيصل ، كان اول امير سعودي يقوم برحلات سياسية الى البلاد الاوروبية والاميركية •

ففي عام ١٩٤٣ م• دعا فرنكلين روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة يومذاك ، جلالة الملك عبد العزيز لزيارة الولايات المتحدة الاميركية •

فاختار الملك نجليه الاميرين فيصل وخالد للقيام بهذه الزيارة نيابة عنه ترافقهما حاشية من كبار الموظفين •

ووصل الاميران والحاشية الى ميامي في اواخر ايلول •

فجرى لهما استقبال رائع •

ونزلا في دار زعيم اميركي كبير يدعى « شارل سبركس » حيث لقيا حفاوة بالغة •

وأثار الامير فيصل اعجاب صاحب الدار •

وعندما وضع ذلك الزعيم الاميركي « شارل سبركس » مذكراته جاء على ذكر تلك الزيارة التي قام بهـا الاميران السعوديان .

وخص الامير فيصل ، بفصل كامل من مذكراته جاء فيه : « فيصل بن عبد العزيز شاب وسيم انيق ظريف ، في عينيه شعلة من ذكاء ، وفي جبينه سمرة لوحتها شمس الصحراء الدافئة .

خصة الله بمواهب عديدة ، أهمها الذكاء الخارق .

فهو يستطيع ان يقف على نوايا الاخرين .

ويستطيع بذكائه ان يكتشف خبايا النفوس .

ومن هذه المواهب موهبة الاقناع ، فهو قادر على ان يقنع الآخرين بآرائه .

وهي آراء صائبة تدل على شجاعة فائقة وعلى جرأة يفتقر اليهـا الكثيرون من القادة والزعماء .

صريح الى ابعد حدود الصراحة .

لا يعرف الرياء والتمويه .

سياسي حاذق .

ونظامي في جميع اعماله .

قريب الى القلب .

متواضـع .

ينسجم بسرعة مع كل من يجالسه ، سواء أكان هذا الجليس حاكما أو محكوما، عظيما او ضعيفا ، ثريا او فقيرا .

يرتدي الزي العربي ويفاخر به .

ويخيل الى من يراه انه بدوي يجهل التمدن والحضارة ، حتى اذا تحدث المرء اليه اكتشف فيه التمدن والحضارة اكثر منا نحن الاميركيين الذين ندعي الحضارة والتمدن .

ان هذا الامير العربي يستطيع ان يفهمنا اكثر من أي عربي آخر •
فهو واقف على جميع تطورات الغرب •
ولعله واقف ايضا على مآرب حكام الغرب •
يخيل الي ان هذا الامير سيحكم يوما بلاده •
وانه سيكون بين القادة العرب في المقدمة » •
هذا بعض ما جاء في مذكرات شارل سبركس حول الامير فيصل•
ولم يلبث ان سافر الاميران فيصل وخالد وحاشيتهما الى العاصمة الاميركية ، الى واشنطن •

فاستقبلا استقبالا حافلا يليق بنجلي الملك عبد العزيز •

وفي واشنطن قابل الامير فيصل الرئيس الاميركي روزفلت مرتين• وأهداه سيفا جميلا مرصعا بالذهب والماس •

فأقام الرئيس روزفلت مأدبة عشاء في البيت الابيض على شرف الاميرين العربيين القادمين اليه من الصحراء •
كما أقام وزير الخارجية ايضا مأدبة على شرفهما •
واجرى الاميران محادثات مع الرجال الرسميين الاميركيين كانت موفقة كل التوفيق •
ثم قام الاميران السعوديان وحاشيتهما بزيارة المدن الاميركية الكبرى •
واطلعا على تطورات الحياة الاميركية في مختلف حقولها ، فزارا المعامل والمصانع ، والمعاهد والجامعات والمزارع ، والمطارات ، ومصافي البترون ، والقواعد العسكرية •
وكان الامير فيصل يبدي اهتماما كبيرا بكل ما يشاهد ويطلع على كل شيء بمزيد من التدقيق •
وفي كل بلد اميركي يصل اليه الاميران العربيان كانت الجاليات

العربية تتهافت لاستقبالهما وتكريمهما واقامة المآدب على شرفهما والحفلات الخطابية والتكريمية لهما .

واجتمع الامير فيصل بأعضاء مجلس الشيوخ الاميركي وبكبار رجال الحكم .

ومما يروي ان احد مجلس الشيوخ الاميركي سأل الامير فيصل : هل شاهدتم كل شيء في بلادنا ؟

اجاب الامير : اجل . شاهدنا كل شيء .
قال الشيخ الاميركي : وهل شاهدتم الصحراء الاميركية ؟
قال : اجل شاهدناها وقمنا برحلة فيها .
فسأل الشيخ الاميركي : وهل تختلف صحراؤنا عن صحرائكم ؟
فابتسم الامير واجاب : اجل ، تختلف كثيرا . ان صحراؤنا ابعد وارحب واعمق جمالا من صحرائكم .
فدهش الشيخ الاميركي .
ودهش كل من سمع جواب الامير .
وسأل الشيخ الاميركي : لماذا ؟ وبماذا تمتاز صحراؤكم عن صحرائنا ؟
فرد الامير فيصل مبتسما : ان صحراءنا تزينها الابل .
وكانت نكتة ضحك لها الجميع .
وكانت الحرب العالمية الثانية محتدمة يوم كان الاميران فيصل وخالد في الولايات المتحدة الاميركية ، فوردتهما دعوة لزيارة لندن .
الا ان بعض رجال الحاشية نصحوا الاميرين بالاعتذار عن تلبية الدعوة لان العاصمة البريطانية كانت يومذاك ، هدفا للغارات وللقنابل الالمانية .
وفي تلبية تلك الدعوة خطر كبير على حياة الاميرين .

ولكن الامير فيصل اصر على تلبية الدعوة .

وهمس : « ولن يصيبكم الا مـا كتب الله لكم » .

وسافر الاميران والحاشية الى لندن ، حيث قابل الامير فيصل كبار رجال الحكم فيها .

واجرى محادثات معهم وصفت بأنها محادثــات توطـد العلاقــة التجارية بين البلدين .

وفي لندن وقعت حادثة للامير فيصل ان دلت على شيء فانما تــدل على متانة اعصاب ذلك الشاب السعودي الوسيم وعلى قــوة ارادتــه وشجاعته النادرة .

فقد صادف ان كان الامير فيصل عائدا من زيارة أحد كبار الزعماء البريطانيين الى الفندق .

وكان يرافقه عدد من افراد الحاشية ، ومن كبار الموظفين البريطانيين عندما دوت صفارات الانذار معلنة قدوم الطائرات الالمانية «بالسلامة» وبدء غارة جوية .

ووجم مرافقو الامير .

ونصحوا الامير بالاسراع الى اقرب الملاجيء .

الا ان الامير فيصل ظل يسير بخطى ثابتة دون ان يظهر عليه مـا ظهر على مرافقيه من القلق والاضطراب .

واذا بالطائرات الالمانية تحلق في سماء لندن .

واذا بالقنابل تنهال على مدينة الضباب .

واذا بمرافقي الامير وقد انتابهم الهلع ، وهم يشاهدون القنابل تتساقط حولهم والدمار ينتشر والحرائق تتعالى ، يهرعون مسرعين الى الملاجيء .

وظل الامير السعودي الجريء يسير بخطاه الثابتة ، وكأنه لا يرى

ولا يسمع شيئا .

وكأن ليس ثمة قنابل وحرائق ودمار حتى وصل الى الفندق .

وقال المستر « ده غوري » وكان في موكب الامير يومذاك : لم أر في حياتي شجاعة ومتانة أعصاب تضاهي شجاعة ومتانة اعصاب هذا الامير السعودي الجريء .

في اذار عام ١٩٤٥ تلقت الحكومة السعودية دعوة من دول الحلفاء لحضور مؤتمر الامم المتحدة الذي سيعقد في ٢٥ نيسان من ذلك العام في مدينة سان فرنسيسكو .

فقبلت الدعوة .

واتتدب جلالة الملك عبد العزيز ، الامير فيصلا ليمثل المملكة في المؤتمر .

وسافر الامير الى سان فرنسيسكو على رأس وفد من الامراء وكبار موظفي الحكومة .

وهناك في سان فرنسيسكو اشتـرك الامير فيصـل بالمباحثـات والمحادثات التي اسفرت عن انشاء منظمة الامم المتحدة .

ووضع المجتمعون اول بيان اسموه : « بيان الامم المتحدة » .

وقد وقعه الامير فيصل باسم بلاده ، ثم القى خطابا جاء فيه : «انني شديد السعادة بوجودي هذا اليوم ممثلا لبلادي السعودية العربية بينكم لتوقيع بيان الامم المتحدة ذلك ان الحكومة السعودية تؤمن ايمانا صادقا بتلك المباديء السامية التي ناضلت الامم المتحدة ولا تزال تناضل فـي سبيل صيانتها ، والتي لا بـد من ان تنقلب على الجور والاستعباد اللذين حاول العدو فرضهما على كافة البشر ، وان الحكومة العربية السعودية لتنضم الى الامم المتحدة في تصريحها القائل بأن مباديء السلم والعدالة يجب ان تسود انحاء العالم ، وان العلاقات الدولية يجب ان تقوم على

هذه المباديء •

وان من دواعي اغتباطي ان اقول ان هذه المباديء تطابق الدين الاسلامي الذي يعتنقه اربع مئة مليون في العالم وهي التعاليم التي اتخذت الحكومة السعودية منها دستورا تسير على هديه • ولا غرو فان الاسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والرخاء •

وان الحكومة السعودية في هذا الوقت الذي ايقنا فيه بتحقيق النصر النهائي ، وتوشك ان تجتمع في سان فرنسيسكو لوضع أساس سلم وأمن مقيمين ، لترجو مخلصة ان يوفق المؤتمر المقبل لتحقيق هدفه في اقامة عهد جديد يعم فيه الرخاء والحق والسعادة جميع انحاء العالم» •

واجتمع المؤتمرون في سان فرنسيسكو •

وانتهى المؤتمر في ٢٦ حزيران من ذلك العام « ١٩٤٥ » الى اقرار ميثاق الامم المتحدة •

وقد وقع عليه الامير فيصل باسم بلاده ، والقى كلمة جاء فيها :

« ان هذا الميثاق ، لا يدل على الكمال ، كما كانت تتوقع الامم الصغيرة ، التي كانت تأمل ان يحقق المثل العليا ، على انه كان خطوة كبيرة اليها ، وسنعمل كلنا للمحافظة عليه ، وسيكون الاساس المتين الذي يبنى عليه صرح السلام العالمي » •

وهكذا ساهمت المملكة العربية السعودية بتأسيس منظمة الامم المتحدة ، وكان الامير فيصل من مؤسسي هذه المنظمة الدولية الكبرى•

وقد كانت المملكة العربية السعودية ولا تزال ، تعمل في هذه المنظمة وتساهم مساهمة فعالة من اجل السلام العالمي ، ومن اجل المحافظة على حقوقها وحقوق شقيقاتها الدول العربية ايضا •

ومنابر تلك المؤسسة العالمية ، تشهد للخطباء السعوديين بالنضال

والجهاد والعمل من اجل القضية العربية ، لا سيما قضية فلسطين الحقة.

من المعلوم ان المغفور له الملك عبد العزيز ، كان في بدء تأسيس المملكة العربية السعودية يمارس وحده جميع السلطات .

وكان رحمه الله ، الحاكم العادل الحاذق .

ثم اخذ ، طيب الله ثراه ، يستعين بنجله الفيصل ، ويعتمد عليه في تقرير مصير البلاد ، وفي اصدار القوانين ، وتثبيت دعائم الحكم ، واقرار العدل ، واشاعة الطمأنينة بين اقراد الشعب ، وفي تسيير دفة السياسة الخارجية .

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله ، يأخذ آراء نجله الفيصل بعين الاعتبار .

ذلك لان الامير فيصلا لم يكن يدلي برأي الا بعد ان يشبعه درسا وتمحيصا .

فهو لا يرتجل المقررات المصيرية ارتجالا .

وكان الامير فيصل ، وهو الذي أطلع على انظمة الحكم الديمقراطية ، في العالم ، قد نصح والده الملك بانشاء مجلس للوزراء في المملكة العربية السعودية ، يتولى ادارة دفة الحكم ، ويقوم باعباء الادارة .

فوعد الملك نجله الفيصل بدرس هذا الاقتراح .

وفي اليوم الاول من شهر صفر ١٣٧٣ هـ (تشرين الاول ١٩٥٣ م) نفذ الملك عبد العزيز اقتراح نجله فيصل وانشأ مجلسا للوزراء .

وعهد الى ابنه الاكبر ولي عهده سعود برئاسة مجلس الوزراء .

واشترط عليه ان يكون شقيقه الفيصل نائبا للرئيس .

الا ان هذا المجلس لم يقم بأي عمل جدي فيحياة الملك عبدالعزيز.

لان عبد العزيز رحمه الله ، توفي بعد انشاء هذا المجلس بشهر

واحد فقط .

وبعد ان تسلم سعود الحكم لم يدع الوزراء الى الاجتماع الا في الثاني من رجب سنة ١٣٧٣ اي بعد اربعة اشهر من استلامه الحكم .

ولم يكن الملك سعود يحضر اجتماعات مجلس الوزراء الا فيما ندر.

لذلك فقد كان سمو الامير فيصل يتولى رئاسة المجلس وينظم الجلسات ويدير المناقشات .

وفي السادس عشر من ذي الحجة ١٣٧٣ هـ « ١٥ آب ١٩٥٤ م » تخلى الملك سعود لاخيه الفيصل رسميا عن رئاسة مجلس الوزراء فأصبح الامير فيصل الرئيس الرسمي لمجلس الوزراء .

وراح ينظم شؤون المملكة تنظيما رائعا محاولا الارتفاع بالحكم السعودي الى المستوى الرفيع ممهدا السبيل الى نهضة عمرانية وثقافية واقتصادية ترفع مستوى الشعب والحكم في المملكة .

وفي هذه الاثناء دب خلاف صامت بين الملك والامير فيصل ، سببه رغبة سعود في السيطرة والاستئثار بالحكم وبالمال وبالنفوذ .

فخشي الامير فيصل ان يتحول الحكم في المملكة من الديمقراطية الى الدكتاتورية وان ينهار ذلك العرش المتين الذي شيده والده الملك عبد العزيز بالجهاد الطويل وبالدماء وبالدموع فحاول ان يعود بشقيقه الملك الى الطريق القويم .

ولما عجز فضل الابتعاد عن المحرقة التي كان الملك يضرم نارها بتصرفاته وتصرفات حاشيته ، وقدم استقالة وزارته .

وفي الثالث من شهر رجب عام ١٣٨٠ اصدر الملك سعود امرا بتشكيل وزارة جديدة برئاسته هو ، وكان اعضاؤها :

الامير عبد المحسن عبد العزيز ، وزير الداخلية . الامير طلال بن عبد العزيز : وزير المالية والاقتصاد الوطني . الامير بدر بن عبد العزيز:

وزير المواصلات • الامير محمد بن سعود : وزير الدفاع والطيران • الشيخ عبد العزيز آل الشيخ : وزير المعارف • الشيخ ابراهيم السويل : وزير الخارجية • الشيخ عبد الله الحمود الطريقي : وزير البترول والثروة المعدنية • الشيخ احمد شطا : وزير التجارة • الشيخ عبد الله الدباغ : وزير الزراعة •

ولم يشترك الامير فيصل في هذه الوزارة بل هو فضل الابتعاد عن السياسة وقد ادرك ان السفينة تسير في مهب الرياح وان تلك الوزارة لن يكتب لها النجاح لان الانسجام مفقود بين اعضائها •

وصح ما توقع الفيصل •

فلم تستطع تلك الوزارة ان تحقق ما تصبو اليه البلاد في حقول الامن والازدهار والثقافة والاقتصاد •

والحقيقة التي يجب ان تقال هي ان الملك سعود حاول ان يجعل وزارته تلك وزارة ناجحة لعدة اسباب ، اولها : ليبرهن للاسرة السعودية انه قادر على الحكم دون معاونة ومساعدة شقيقه الامير فيصل •

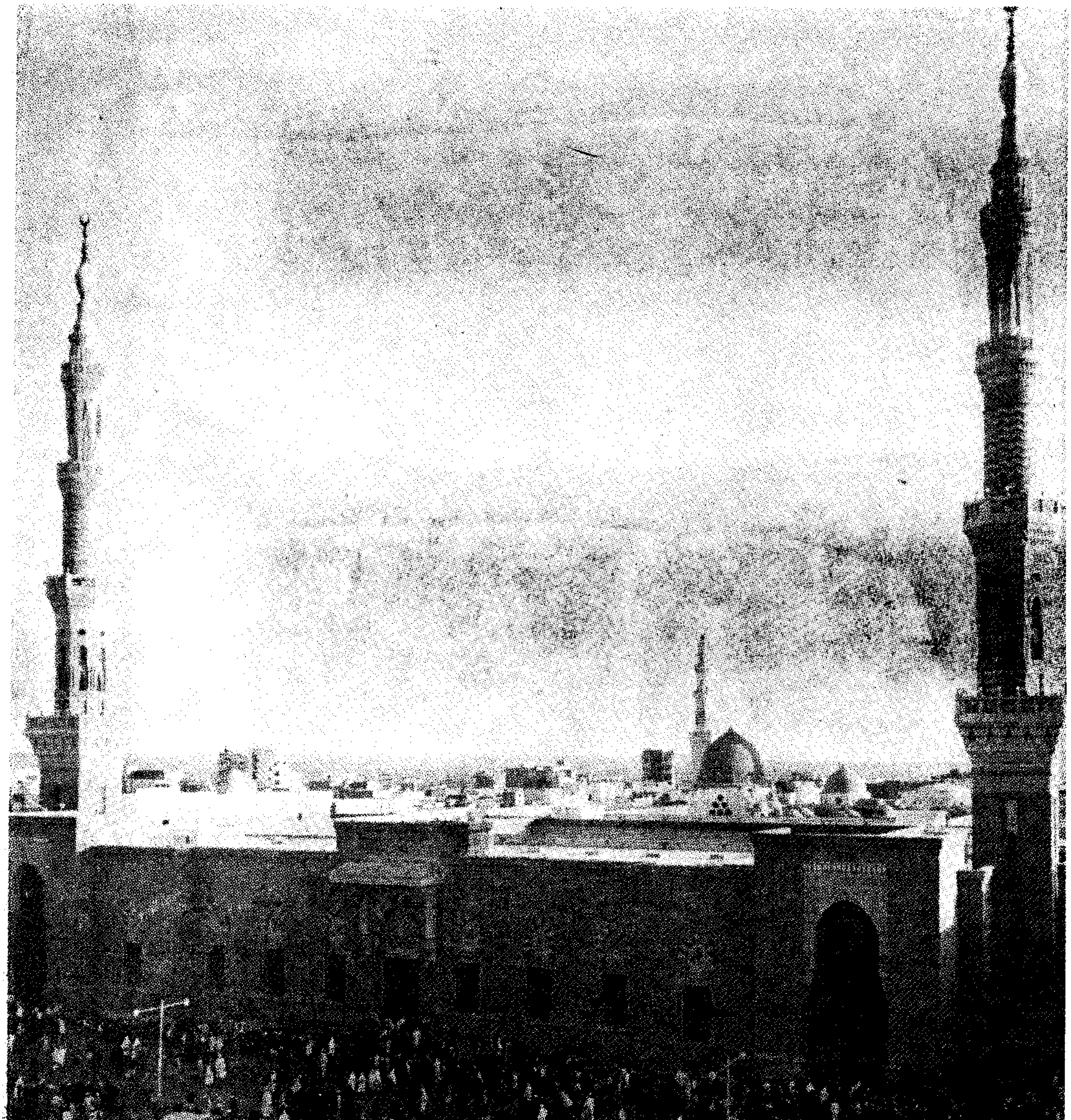
وآخرها ليخرج من عدة مآزق كانت الحاشية قد اوقعته بها •

الا ان محاولته باءت بالفشل •

وجاءت نتائج المحاولة معكوسة •

فقد أيقنت الاسرة السعودية ان الملك لن يستطيع ان يحكم ولا ان يقود البلاد الى واحة السلام والاطمئنان والازدهار الا اذا كان شقيقه الامير فيصل الى جانبه ، وهو الامير الحكيم الحازم الذكي المحنك ، وان البلاد لن تستطيع ان تعرف الامان والسلام والاطمئنان والازدهار في ذلك الجو العابق بالفوضى والتبذير والاسراف واللامبالاة •

ولذلك فقد نقم افراد الاسرة المالكة ، لا سيما الامراء ابناء عبد العزيز ، على سياسة شقيقهم الملك •



المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة . شهد في عهد آل سعود اكبر توسعة عرفها المسجد في تاريخ الاسلام .

وحاولوا صرفه عن تلك السياسة المخطئة التي يسير ، ويدفع البلاد الى السير بها •

الا انهم لم يوفقوا الى ذلك •

لان الملك سعود كان عنيدا •

وقد ابى ان يمد يد التعاون الى شقيقه فيصل بالرغم من انه ادرك ان ليس له ان ينجح في الحكم الا اذا كـان الفيصل الى جانبـه نظرا للخبرة الطويلة التي تمرس بها الفيصل ونظرا للمحبة التي يحفظها ابناء المملكة لولي العهد •

والامير فيصل يحتل مكانة مرموقة في قلوب ابناء المملكة •

فهو يسير على خطى والده الكبير عبد العزيز ، طيب الله ثراه •

وهـو امير شعبي ، لا يتورع عـن الاختلاط بالشعب ولا عـن الاستماع الى شكوى كل فرد من افراد الشعب وعن مشاركتهم افراحهم واحزانهم •

وكان للفيصل ، وهو امير ، ما له اليوم وهو ملك ، مـن شعبية كبيرة ومن تأييد كامل ، ومن محبة واحترام عند جميع افراد شعب المملكة العربية السعودية •

ولم يستطع الملك ان يحقق ما يصبو اليه •

ولا استطاعت وزارته ان تحكم •

وفي هذه الاثناء اصيب الملك بمرض اقعده في السرير ، وقيـل يومذاك انها وعكة صحية بسيطة الا ان الاطباء وقفوا واجمين حيـال « تلك الوعكة الصحية » وقد ادركوا ان مرض الملك خطير •

وامروا بنقل الملك الى المستشفى • فنقل جلالتـه الى المستشفى الاميركي في الظهران حيث اجريت له فحوصات وتحاليل وعولج معالجة دقيقة •

واحيطت اسباب وحقيقة مرضه بكتمان شديد •

وما ان وصل نبأ مرض الملك الى مسامع الامير فيصل حتى هب لعيادة شقيقه •

ووصل الامير فيصل فجأة الى المستشفى الاميركي ، والشوق الى شقيقه المريض ، والعطف والحنان والمحبة تطل من عينيه ، وقد نسي الفيصل ، او بالاحرى تناسى كل ما بينه وبين شقيقه الملك من خلاف وخصام وفتور ، واضعا عاطفة الاخوة فوق كل عاطفة •

ولم يلبث ان لحق جميع افراد آل سعود بالفيصل الى المستشفى لعيادة الملك والاطمئنان الى سلامته •

وكانت تلك البادرة النبيلة التي اقدم عليها الفيصل كافية لنزع كل حقد من قلب الملك سعود •

الا ان جلالته لم يستطع ان ينزع الحقد من قلبه ، وثمة من يسول له ان الفيصل يحاول انتزاع الحكم والسلطان من يده •

ولم تعط المعالجة التي لاقاها الملك سعود في المستشفى الاميركي في الظهران نتائجها المرجوة •

فقرر الاطباء ان يسافر الملك الى اوروبا للمعالجة واجراء عملية جراحية ، لانه مصاب بالقرحة في معدته — كما قال الاطباء — •

وبدأت الاستعدادات لسفر الملك •

وكان على جلالته ان يعين نائبا عنه ليدير دفة الحكم في المملكة اثناء غيابه •

وتطلعت الانظار الى سمو الامير فيصل •

فهو ولي العهد •

وقد كان نائبا للملك عبد العزيز ، الملك الكبير القادر الحازم الواعي ، فليس من الغريب ان يكون نائبا لشقيقه الملك سعود •

وأيقن الجميع ان الملك سعود سيصدر قرارا بتعيين الفيصل نائبا عنه اثناء غيابه ، لا سيما بعد ان برهن الامير فيصل عن محبة فائقة وعن نبل وشهامة في قيامه بزيارة الملك في المستشفى واحاطته بالمحبة والعطف والحنان •

الا ان الجميع دهشوا عندما علموا ان الملك قرر تعيين مجلس وصاية اثناء غيابه من اربعة اشخاص ، وان فيصلا ليس بين الاشخاص الاربعة الذين وقع اختيار الملك عليهم •

وهب الامراء السعوديون ينصحون جلالته بصرف النظر عن تعيين مجلس الوصاية •

وبضرورة انابة ولي العهد وتسليمه الحكم اثناء غيابه عن البلاد ، شارحين له المخاطر والمآزق التي ستقع فيها البلاد بسبب هذا الاجراء الغريب العجيب •

فالامير فيصل صاحب حق في النيابة عن الملك اثناء غيابه •

وهو ولي العهد •

وليس ثمة من يستطيع الحكم غيره •

ومجلس الوصاية لن يستطيع ان يدير دفة الحكم ولا ان يجنب البلاد ما قد يعصف بها اثناء غياب الملك •

ولقيت رغبة الملك في تعيين مجلس الوصاية معارضة شديدة من الامراء السعوديين ومن العلماء والفقهاء ورجال السياسة والاقتصاد والمال •

وأيقن الملك ان تنفيذ رغبته تلك وانشاء مجلس وصاية سيعرض المملكة الى هزة كبرى لا يعلم الا الله ماذا ستكون نتائجها ، فعدل عن تنفيذ تلك الرغبة •

وقبل ان يغادر الملك البلاد الى اوروبا ، عاد الامير فيصل الى زيارته

لوداعه .

وقيل ان عتابا شديـد اللهجة جرى بين الملك وبين الامير ، وان الفيصل كان شديد الصراحة مع شقيقه الملك وانه بسط له الخطر البعيد المدى العميق القرار الذي يهدد المملكة بسبب تصرفات الملك واستجابته مطالب الحاشية والانحراف عن الخط القويـم الذي رسمه والدهـا الراحل الملك عبد العزيز .

واخيرا نزل الملك عند ارادة الاسرة المالكة ، وعنـد آراء الفقهاء والعلماء .

واصدر امرا في جمادي الثانية من عام ١٣٨١ هـ « تشرين الاول ١٩٦٠ م » بان ينوب عنه الامير فيصل في ادارة شؤون الدولة خلال غيابه وقد جاء فيه :

« نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود .

نظرا لسفرنا الى الخارج للعلاج .

ونظرا لما تقتضيه المصلحة العامة من تعيين نائب لنا يدير شؤون الدولة باسمنا اثناء غيابنا .

ونظرا لما نعهده في ولي العهد الاخ فيصل من اصالة رأي واخلاص للوطن ولذاتنا .

امرنا بما هو آت :

المادة الاولى : ينـوب الاخ فيصل عنا في ادارة شؤون الدولـة باسمنا اثناء غيابنا ويرئس مجلس الوزراء نيابة عنا .

المادة الثانية : يعمل بأمرنا هذا من تاريخه ويبلغ من يلزم تبليغه وينشر في الجريدة الرسمية .

صدر عن الظهران : سعود » .

وكان هذا الامر الملكي بمثابة اعتراف صريح من الملك باخلاص

وحكمة واصالة رأي الامير فيصل •

وبرهن الملك سعود باصداره هذا الامر عن نية طيبة وعن حكمة ، وعن تحرره من سيطرة « الانصار والمحاسيب » الذيـن كانوا يلتفون حوله ويحاولون الايقاع بينه وبين اخيه •

وخيل للجميع ان الصفاء قد عاد بين الشقيقين وان الملك سعـود قد عاد الى السبيل القويم الذي رسمه والده المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن •

الا ان كل ما خيل للجميع كان سرابا لان الملك عـاد يفتح اذنيه للحاشية بعد شهور قليلة •

وسافر الملك ، وتسلم الامير فيصل الحكم •

فراح يعمل على ما فسد ويهتم اهتماما كبيرا بتنظيم شؤون الادارة وباشاعة العدل والطمأنينة والازدهـار في البـلاد ، دون ان يلجأ الى الاقتصاص من اعدائه الذين كانوا يثيرون الملك ضده •

وقد كان باستطاعة الفيصل ان يحل مجلس الوزراء وان يقيل كبار الموظفين الذين كانوا يعملون على الايقاع بينه وبين شقيقه الملك •

الا انه لم يفعل شيئا من ذلك ولم يشأ ان يسيء الى شقيقه الملك باقالته بعض اخصائه و « محاسيبه » •

وبذلك برهن الامير فيصل عن شهامة ونبل •

وعن تجاوزه الاحقاد الشخصية •

وعن رغبة صادقة في التعاون حتى مع اعدائه •

كما برهن ان غايته الاولى والاخيرة لم تكن الاقتصاص والانتقام وتفجير الاحقاد بل هي الرغبة الصادقة في صون العرش ، وفي النهوض بالحكم من الوهدة التي وقع فيها •

وفيما كان الملك سعود يتنقل في اوروبا من بلد الى بلد ومـن

مستشفى الى مستشفى كان بعض افراد الحاشية ، الذين ساءهم تسلم الامير فيصل الحكم ، يرسلون له التقارير ويوغرون صدره على الامير فيصل محاولين اقناعه بان الفيصل يحاول اغتصاب الحكم منه .

وسعود بالرغم من طيبة قلبه ، ومن اصالته وعروبته ، كان ضعيف الارادة حيال الحاشية ، وكان يصدق كل ما يقال له .

فاذا به ينهي معالجته بسرعة ويعود فجأة الى البلاد ليذيع على الشعب بيانا شرح فيه اسباب سفره .

واغفل ذكر اسم الامير فيصل وتوجيه الشكر له لقيامه بادارة الحكم خلال مدة غيابه .

وحز هذا التجاهل في قلب الامير الشهم النبيل .

الا انه تجاهله .

واقام يرقب التدابير التي سيقدم بها الملك على اتخاذها .

وكان يأمل ان يتخذ الملك بعض التدابير التي تدعم العرش وتشيع الازدهار في المملكة .

الا ان الملك لم يقدم على شيء من ذلك .

وكان الامراء والعلماء والسياسيون ينتظرون ايضا من الملك حل مجلس الوزراء وتشكيل وزارة جديدة برئاسة الامير فيصل بعد ان لمسوا في سمو الامير العدل والحزم والمهارة في ادارة الحكم .

ولم يصدر عن الملك ما يشير الى رغبته في اتخاذ مثل هذه التدابير.

فبدأ الامراء ينوهون له بضرورة حل مجلس الوزراء وتشكيل وزارة جديدة يكون رئيسها ولي العهد .

وجرت اتصالات بين الملك والامير فيصل .

واقترح الملك ان يشكل وزارة جديدة يكون هو رئيسها ، ويكون الامير فيصل نائبا لرئيس الوزارة .

فوافق الامير فيصل على الاقتراح ، ذلك لان الفيصل لم يكن ليهتم بالمناصب اهتمامه بالاعمال .

فالغاية القصوى التي يتوخاها الامير هي تدعيم المملكة ، واشاعة العدل بين افراد الشعب ، ورفع مستوى الفرد في المملكة ، وتحسين اوضاع الحكم ، وتنظيم امور الادارة .

كان الامير فيصل ينظر الى الحكم بمنظار المستقبل في حين كان الملك ينظر الى ذلك الحكم بمنظار الحاضر .

الامير يريد ان يجاري الزمن في تطوير الحكم .

والملك يريد ان يبسط سلطانه الكامل وان يستأثر بالسلطة وان يجمد الاوضاع .

وصدر ، في التاسع من شوال عام ١٣٨١ مرسوم ملكي بتشكيل الوزارة برئاسة الملك سعود على الشكل التالي :

صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية .

صاحب السمو الملكي الامير مساعد بن عبد الرحمن : وزير المالية والاقتصاد الوطني .

صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن تركي بن عبد العزيز : وزير الداخلية .

صاحب السمو الملكي الامير محمد بن سعود : وزير الدفاع والطيران .

احمد جمجوم : وزير التجارة والصناعة .

زكي يماني : وزير البترول والثروة المعدنية .

محمد المرشد الزغيبي : وزير المواصلات .

محمد الحمد الشبيلي : وزير العمل والشؤون الاجتماعية .

حسن بن عبد الله آل الشيخ : وزير المصارف .
عبد الرحمن بن الشيخ : وزير الزراعة .
الدكتور حامد مرساني : وزير الصحة .
حسين عرب : وزير الحج والاوقاف .

وهكذا اصبح الملك سعود رئيس مجلس الوزراء اسما واصبح الامير فيصل رئيسه فعلا لانه اخذ يعمل بكل ما وهبه الله من حكمة وذكاء ومقدرة على رفع مستوى الشعب والسير بالمملكة الى واحة السلام والازدهار .

وفيما الامير فيصل يعمل جاهدا على تنظيم شؤون المملكة ورفع مستوى الحكم واشاعة الازدهار في البلاد عقدت منظمة الامم المتحدة مؤتمرها في نيويورك .

وقرر وزراء الخارجية العرب عقد اجتماع ايضا في نيويورك .

فكان على الامير فيصل ان يسافر الى نيويورك بوصفه وزيرا للخارجية للاشتراك في جلسات مؤتمر الامم المتحدة والدفاع عن القضايا العربية ــ كعادته ــ ولحضور اجتماع وزراء الخارجية .

فغادر الفيصل المملكة الى نيويورك .

ولم يمض على سفر الامير فيصل الا قليل حتى وقع انقلاب اليمن.

وكانت المفاجأة عندما نزل الجنود المصريون بدباباتهم ومصفحاتهم في الاراضي اليمنية على مقربة من حدود المملكة العربية السعودية .

وبدأت الطائرات تحلق فوق الاراضي السعودية المجاورة لليمن وتلقي عليها قذائفها ، في حين كانت اذاعات القاهرة تكيل الشتائم للملك سعود وتدعو ابناء الشعب للثورة عليه .

ووجم الملك وقد لمس الخطر الداهم الذي يهدد المملكة .

وادرك ان ليس ثمة من يستطيع ان يجابه الاحداث الجسام التي

تهب عليه من القاهرة الا شقيقه الفيصل ، فأرسل يستدعيه من نيويورك على جناح السرعة .

وأسرع الامير فيصل بالعودة الى البلاد ، وقد بلغته الانباء المؤلمة المؤسفة .

واجتمع فور وصوله بشقيقه الملك فاذا بالملك يطلب الى الفيصل تدبير الامر ، وانقاذ البلاد من تلك العاصفة الهوجاء العاتية التي تهب عليها من القاهرة .

واجاب الامير شقيقه الملك الى ما اراد .

فالمملكة في خطر ، والخطر يأتيها من احدى الشقيقات العربيات ، وليس له ان يتقاعس عن انقاذ المملكة .

ومرة ثانية ، ينسى او بالاحرى يتناسى الامير الابي خلافاته مع اخيه الملك .

ويضع مصلحة البلاد قبل كل مصلحة اخرى .

ويهب لمعالجة الاوضاع ومجابهة الاحداث بما عرف فيه من شجاعة وجرأة وحكمة وذكاء .

غير ان الفيصل اشترط في قبوله تحمل المسؤوليات شروطا عادلة فوافق الملك على تلك الشروط .

واقال الوزراء من مناصبهم .

وكلف الفيصل تشكيل وزارة جديدة واضعا في يده جميع السلطات ، حتى سلطاته هو نفسه كملك .

وغادر البلاد الى الخارج طلبا للمعالجة ، ملقيا على شقيقه الفيصل المسؤوليات الكبيرة الجسام .

وقام الفيصل بالمهمة الملقاة على عاتقه خير قيام .

فأسرع الى تشكيل وزارة جديدة .

واصدر بيانا مسهبا الى الشعب اوضح فيه سياسة حكومته .

وقطع عهدا ببذل الجهود لتدعيم كيان الدولة وتطويره ورفع مستوى الشعب المادي والادبي والمعنوي والصحي والثقافي والاجتماعي.

وكان على الفيصل ان يجابه صعابا قوية في سبيل القيام بما ألقي على عاتقه .

فهناك صعاب داخلية ، وصعاب خارجية ، لا سيما والثورة في اليمن المجاورة للمملكة ، تنشب وتضرم نارها .

والحكومة المصرية تلقي في اليمن الزيت فوق النار .

وجحافل الجيش المصري تحتل معظم الحدود التي تفصل بين المملكة السعودية واليمن .

واصوات التهديد باحتلال اراضي المملكة تتصاعد من اذاعات القاهرة .

ووسائل الاعلام المصرية تبذر الشكوك في نفوس ابناء الشعب السعودي وتدعوهم الى اعلان التمرد والعصيان .

وادرك الامير فيصل ان الخطر من الداخل سيكون اشد وادهى منه في الخارج .

وان عليه ان يعمل جاهدا على ايضاح الحقائق لشعبه .

وان يقوم بحملة توعية ليبدد ما علق في الاذهان وما بذرته الاصوات المنطلقة من القاهرة في النفوس وفي القلوب .

وقام الفيصل بحملة توعية في صفوف الشعب موضحا الحقائق مبددا الاوهام .

فالتف حوله الشعب .

وعاد الايمان بالسلطة يغمر النفوس السعودية .

ولم يلبث ان اقام الفيصل بحملة تطهير في دوائر الدولة ، بعد ان

اكتشف ان ثمة فسادا ومفسدين •

فعزل كبار وصغار الموظفين الذين كانوا يفسدون اجهزة الدولة ، واستبدلهم برجال اكفاء مخلصين •

وعندما اطمأن الى تدعيم وتوطيد دعائم الجبهة الداخلية ، انصرف الى تدعيم الجبهة الخارجية ، والى تحصين الحدود التـــي كانت مهددة بالاجتياز •

وهب الشعب بأسره يقف الـــى جانب الفيصل والى جانب جيشه الباسل المقدام •

- ٤ -

ثورة اليمن

كيف وقعت ثورة اليمن ؟

وكيف ارغمت المملكة السعودية على التدخل ؟

وما هو دور مصر في نشوب الثورة اليمنية ؟

خطوط الثورة اليمنية لم ترسم في اليمن •

بل هي رسمت في القاهرة •

وبعد ان نفذت الخطة وقامت الثورة ونزلت الجيوش المصرية في اليمن ، واحتل بعض هذه الجيوش الحدود السعودية ، رأت الحكومة السعودية ، وعلى رأسها الامير فيصل ، الخطر يهدد اراضي المملكة •

ذلك لان بين المملكة واليمن حدودا مشتركة ، متاخمة ، متداخلة من الشرق « نجران » ومن الشمال « الحجاز » و « عسير » •

وبين الحكومتين السعودية واليمنية معاهدات وعهود ومواثيق •

وبين الشعبين السعودي واليمني صلات مودة وصداقة واخوة قائمة منذ اجيال بعيدة •

ومعنى هذا ان كل خطر يهدد اليمن ، يهدد السعودية •

وبالرغم من هذه المعاهدات والمواثيق والمودة والصداقة والعهود لم تكن المملكة السعودية العربية تتدخل في شؤون اليمن الداخلية •

ولم تكن تريد ان تتدخل اية دولة عربية في شؤون دولة عربية اخرى •

ولكن ما حدث في اليمن لم يكن يجري لمصلحة اليمن •

ولا هو من صنع اليمنيين ••

وماذا جرى ؟

قام العقيد التلايا ، مفتش الجيش اليمني بثورة على الامام احمد بالاتفاق مع الامير عبد الله •

واستطاع ان يرغم الامام على توقيع وثيقة تنازل عن العرش لاخيه•

فما كان من الرئيس جمال عبد الناصر ، رحمه الله ، الا انه قام بيادرة طيبة دلت على رغبته الاكيدة في التعاون مع المملكة العربية السعودية في القضاء على اية فتنة او ثورة قد تنشب في اليمن نتيجة هذا التنازل •

وأوفد الى الرياض وفدا في شهر اذار من عام ١٩٥٥ م برئاسة العقيد حسين الشافعي وزير الشؤون الاجتماعية للبحث في قضية الثورة اليمنية والاتفاق مع الحكومة السعودية على اخمادها •

فقوبلت بادرة الرئيس عبد الناصر بارتياح شديد في الرياض •

وجرت ابحاث بين وفد سعودي والوفد المصري وتم الاتفاق على اتخاذ موقف، موحد من ثورة اليمن •

الا ان الحكومة المصرية لم تسلك السبيل الذي سلكته في ثورة العقيد التلايا ، عندما قامت ثورة السلال .

بل هي عمدت الى تأييد الثورة .

وارسلت الجيوش المصرية الى اليمن وراحت تعمل على تقويض العرش السعودي بشتى الوسائل العسكرية والاعلامية .

وقد ثبت ان خطوط ثورة السلال رسمت في القاهرة وتمت بمعرفة وقيادة خبراء مصريين .

وكانت بداية الثورة اليمنية يوم الخميس في الثامن والعشرين من اذار ١٩٦٢ عندما وصل الامام احمد الى مستشفى « الحديدة » لتفقد المرضى .

فوثب اليه ثلاثة ضباط كانوا يكمنون له وامطروه وابلا من الرصاص واصابوه بعدة رصاصات .

واقام الامام في المستشفى اياما قليلة حاول الاطباء فيها انقاذ حياته الا انهم فشلوا .

فمات الامام في ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٢ وبويع الامام محمد البدر بالامامة فورا .

وقبل ان يستتب الامر للامام البدر .

وقبل انقضاء اسبوع على تسلمه العرش قام بعض الضباط باضرام نار الثورة .

فسار العميد حمود الجايفي مدير المدرسة الحربية بطلاب المدرسة، في الساعة الخامسة من صباح الاربعاء ٢٦ ايلول ١٩٦٢ م . من مبنى المدرسة الى مقر الامام البدر في قصر البشائر في صنعاء وطوق القصر وقطع الاسلاك الهاتفية والبرقية .

وقطع كل اتصال بينه وبين الخارج .

وبدأ الهجوم ...

واستفاق كل من في القصر .

وراحوا يقاومون ، وقد اشترك البدر نفسه في المقاومة التي دامت زهاء اربع عشرة ساعة .

وكاد الامام البدر وجنوده وحرسه يتغلبون على الثائرين .

الا ان الثائرين استنجدوا ببعض انصارهم .

واذا بثلاث دبابات تصل من « الحديدة » لنجدة الثائرين .

وراحت الدبابات الثلاث تنفث قنابلها على قصر الامام فهدمت بعض جدرانه ، وصرعت عددا من الجنود والحراس .

واقتحم الثائرون القصر فاعتقلوا من سلم من الجنود .

وراحوا يبحثون عن الامام البدر الا انهم لم يقفوا له على اثر فخيل اليهم ان الامام قتل وان جثته دفنت تحت الانقاض .

واذاع المتمردون نبأ مصرع الامام البدر .

وابرق مدير وقائد الثورة عبد الله السلال الى الرئيس عبدالناصر، رحمه الله ، ينبئه بمصرع الامام البدر وبنجاح الثورة .

فرد عليه الرئيس المصري ببرقية يهنئه فيها ويبدي استعداده لتقديم اية مساعدة للثائرين ، في حين راحت وسائل الاعلام المصرية تهاجم السعودية ومليكها وامراءها وحكامها .

ورأى الرئيس المصري ان يساهم مساهمة فعالة في نجاح الثورة وقيادتها ويثبت اركانها فأوفد عددا من الجنود المصريين الى اليمن مزودين بالطائرات والاسلحة والذخائر ، وقد خيل اليه ان اولئك الجنود لن يضطروا لخوض المعارك واطلاق النار ، وانهم سيقومون بنزهة الى اليمن للتهويل على السعودية وارهابها .

وقد جهل الرئيس المصري كما جهل الجميع ، ان الامام البدر لم

يست ، وانه ما زال حيا يرزق •

والحقيقة هي ان الامام البدر ، تنكر بثوب جندي ، عندما شاهد قصره يتداعى تحت قنابل المتمردين •

وتسلل تحت جناح الظلام الى دار مجاورة للقصر •

ومن تلك الدار لجأ الى الضاحية ، ونزل في مضارب احدى القبائل فأجارته واوصلته الى الحدود السعودية •

وهب انصار الامام البدر ، وقد علموا ان الامام لا يزال على قيد الحياة ، هبوا لنصرته •

ونشبت معارك دامية في جبال اليمن ووديانها وبطاحها وسهولها بين انصار الامام البدر ، من جهة وبين المتمردين والقوات المصرية من جهة ثانية •

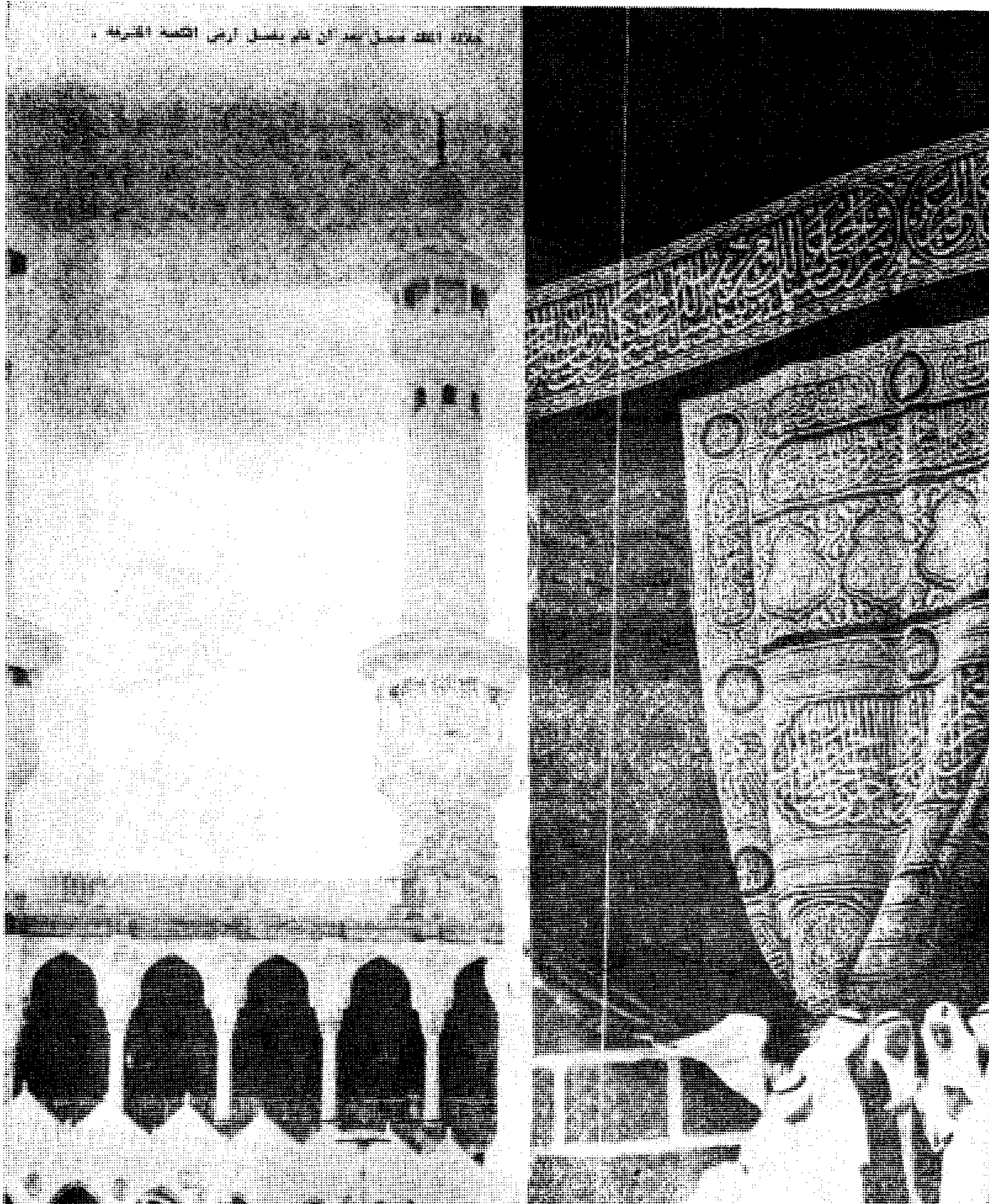
في هذه الظروف القاسية الشديدة الوطء كان رئيس الوزراء الامير فيصل بن عبد العزيز يعمل بكل ما لديه من حكمة وذكاء وشجاعة وجرأة على تفادي اصطدام الجيش السعودي بالقوات المصرية المرابضة على الحدود اليمنية السعودية والتي كانت تهدد امن وسلامة المملكة •

لا سيما والطائرات المصرية تواصل قذف الحدود والاذاعات المصرية ماضية في كيل الشتائم للملك سعود ولحكومته وفي تحريض الشعب السعودي على التمرد والعصيان •

وكان الامير فيصل يحاول جاهدا اخماد النار التي تضرمها القاهرة•

ويعمل على تهدئة خواطر القادة والضباط في الجيش الذين كانوا في حال غضب شديد يريدون الرد بالمثل على القنابل المصرية المنهالة على الحدود •

وقد وفق الامير فيصل الى حد بعيد في تهدئة الخواطر ، فهو لا يريد ان تنشب الحرب بين المملكة السعودية وشقيقتها مصر •



جلالة الملك يتحمل بعد أن قام بغسل أرض الكعبة الشريفة .

ولا يريد ان يقال يوما ان المملكة العربية ردت على النار بالمثل ٠
وراح الامير فيصل يعالج الوضع بحكمته المعهودة ٠
فالامر خطير ٠
ولعل مشكلة اليمن كانت اخطر ما واجه الامير فيصل يومذاك ٠
وادركت القاهرة ان ذهاب بعض افراد جيشها الى اليمن لم يكن ، كما توهمت ، نزهة جميلة ٠

وان وجود الامام البدر علـى قيد الحيـاة معناه مجابهة عنيفة شديدة الوطء ٠

فبدأت القوات المصرية تتدفق على اليمن حتى بلغ عـدد الجنود المصريين الذين وصلوا الى اليمن زهاء سبعين الف جندي ٠
ولم تكتف القاهرة بارسال النجدات العسكرية الى اليمن بل هي عمدت الى عقد معاهدات ومواثيق مع قادة الثورة ٠

فقد وصل نائب رئيس الجمهورية السيد انور السادات الى اليمن في التاسع من ايلول ١٩٦٢ ليوقع مع قائد الثورة عبد الله السلال ميثاق دفاع مشترك تعتبر بموجبه مصر واليمن كل اعتداء مسلح على احداهما اعتداء عليها ٠

وينص الميثاق ايضا علـى تأليف مجلسين : مجلس اعلى ومجلس حربي مشترك ٠
وقد وقع الميثاق عبد الله السلال بوصفه رئيسا للجمهورية اليمنية التي كان قد نصب نفسه رئيسا عليها ٠
كما وقعه انور السادات بالنيابة عـن رئيس الجمهورية العربيـة المتحدة ٠
واحتدمت المعارك عنيفة في اليمن ٠
وراح الامام البدر يطالب المملكة العربية السعودية بمد يد المعونة

اليه ، كي يستطيع مجابهة الوضع في بلاده واستعادة حكمه •

ورأت الحكومة السعودية ان الشهامة العربيـة ، تقضي بنجـدة المستنجد فرسمت خطة حكيمة تنحصر في بذل مساعدة محدودة للامام البدر تساعده على النهوض للدفاع عـن امارته ورد العدوان عنهـا • والمطالبة بجلاء الثوار المصريين عن اليمن •

لان وجود تلك الثوار ، لا سيما على الحدود السعودية ، لا يهدد اليمن فحسب بل هو يهدد امن وسلامة المملكة العربية نفسها ، واستفتاء الشعب اليمني في امر نظام الحكم الذي يريده ، وعدم ارغامه على قبول حكم لا يرضاه ، وانشاء حكومة حيادية ، بعـد جلاء الجيش المصري وانتهاء الثورة ، تنظم استفتاء حرا تحت اشراف لجنة دوليـة ليقـول الشعب اليمني كلمته ويختار مصيره في جو حر بعيد كل البعد عـن العنف والضغط والارهاب •

وراح الامير فيصل يعمل عربيا ودوليا بما عرف فيه من حكمة وذكاء ودبلوماسية على تنفيذ هذا المخطط السليم •

واهتمت الدول الكبرى شديد الاهتمام لما يجري في اليمن •

كما اهتمت ايضا للامر منظمة الامم المتحدة •

ذلك لان الوضع في اليمن كان يهدد بانفجار مروع •

ولو ان المملكة العربية السعودية بادلت الجمهورية العربية المتحدة بالمثل •

ولولا حكمة الفيصل •

لكان ذلك الانفجار قد وقع ولكانت الدول العربية قـد جابهت معضلات جسيمة •

ولم يكن من المستبعد « لولا حكمة الفيصل » ان تكون مشكلة اليمن يومذاك سببا في اندلاع حرب عالمية كبرى •

وتوسطت الولايات المتحدة الاميركية •
وراحت تسعى للصلح ، بعد ان لمست الخطر الداهم في اليمن •
واوفدت احد سفرائهـا المحنكين « المستر بنكر » الى الشرق للتوسط والسعي للصلح •
فزار المستر بنكر الرياض والقاهرة ساعيا للصلح •
فتم على يده عقد اتفاق دعي « اتفاق فك الارتباط » وينص هذا الاتفاق على الامور التالية :
اولا : يكف السعوديون عن تقديم اية مساعدة للاماميين •
ثانيا : ينسحب المصريون مقابل ذلك من اليمن تدريجيا •
ثالثا : تقام منطقة حياد بين الفريقين مساحتها عشرون كيلومترا •
رابعا : يمنع اي تدخل اجنبي في شؤون اليمن •
خامسا : ترسل الامم المتحدة مراقبين دوليين للاشراف على سحب القوات المصرية » •
ووضعت الامم المتحدة هذا الاتفاق موضع التنفيذ اعتبارا من يوم الرابع من حزيران ١٩٦٣ •
وأرسلت عشرين مراقبا للاشراف على تنفيذه •
وقامت المملكة العربية السعودية بتنفيذ كل ما جاء في هذا الاتفاق فورا •
الا ان مصر اخذت تسوف وتماطل في تنفيذ بعض بنود هذا الاتفاق •
ولم يستطع « اتفاق فك الارتباط » ان ينهي القتال في اليمن •
وعادت المعارك الى الاحتدام •
وعادت القنابل المصرية تنهال في اليمن ، مهددة الحدود السعودية وعاملة على قهر الاماميين ونصرة المتمردين •
وعاد الوضع الى التأزم •

وبزغت وساطة ثانية •

الا ان تلك الوساطة جاءت من الجامعة العربية هذه المرة •

فقـد ارسلت الجامعة العربيـة وفودها الى الرياض والى صنعاء محاولة انهاء القتال في اليمن •

الا ان المشكلة لم تكن في الرياض ولا هي في صنعاء بقدر ما هي في القاهرة •

وفي اوائـل تشرين الاول من عـام ١٩٦٤ م « ١٣٨٤ هـ » دعت الجامعة العربية الامير فيصل لحضور مؤتمر التضامن العربي الذي عقد في الاسكندرية •

فلبى الفيصل الدعوة وسافر الى الاسكندرية •

فما كان من هيئة الامم المتحـدة الا انها اغتنمت فرصة اجتمـاع القطبين العربيين الامير فيصل والرئيس جمال عبد الناصر ، رحمه الله ، فأرسل امينها العام رسالة اليهما يناشدهما حل المشكلة اليمنية •

وجرت اتصالات ومحادثات بين الامير فيصل والرئيس عبد الناصر اسفرت عن اصدار بيان ، في الثامن من جمادي الاول ١٣٨٤ هـ « ١٤ تشرين الاول ١٩٦٤ م » يؤكد عزم المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة على التعاون التام لحل الخلافات بـين الاطراف المختلفة في اليمن وتصميمهما على منع الاشتباكات المسلحة ، وان تقوم الدولتان بالاتصالات اللازمة والتوسط لدى الاطراف المعنيـة لتهيئة جو مـن التفاهم للوصـول الى حل الخلافات بالطرق السلميـة • وان تتمسك الدولتان الشقيقتان بالتعاون التام فيما بينهما في جميع الشؤون وشتى الميادين •

ويعلن البيان تأييد كل من الدولتين للأخرى في جميـع الظروف سياسيا وماديا ومعنويا •

وفي اوائل شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٦٤ م « ١٣٨٤ هـ » قام الفيصل بزيارة القاهرة للاشتراك في مؤتمر دول عدم الانحياز فجرى له استقبال حافل .

واستؤنفت بينه وبين الرئيس عبد الناصر المفاوضات والمحادثات التي كانت قد بدأت في الاسكندرية قبل شهر واحد .

وقد اسفرت تلك المحادثات عن اصدار بيان جاء فيه :

« كانت زيارة سمو الامير فيصل بن عبد العزيز آل سعود نائب الملك ورئيس الوزراء في المملكة العربية السعودية للاسكندرية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربية الثاني فرصة طيبة كي يتبادل مع الرئيس عبد الناصر وجهات النظر في كل ما يهم الامة العربية عامة والدولتين الشقيقتين بصورة خاصة . وقد تمت عدة اجتماعات بين الطرفين اشترك فيها سمو الامير سلطان بن عبد العزيز آل سعود وزير الدفاع في المملكة العربية السعودية ، والمشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة اسفرت عن الاتفاق على النقاط الآتية :

اولا : عزم المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة على التعاون التام في حل الخلافات القائمة بين الاطراف المختلفة في اليمن وتصميمها على منع الاشتباكات المسلحة .

ثانيا : ان تقوم الدولتان بالاتصالات اللازمة والتوسط لدى الاطراف المعنية لتهيئة جو من التفاهم للوصول الى حل الخلافات القائمة بالطرق السلمية على ان تستمر هذه الاتصالات الى ان تزول تلك الخلافات وتستقر الامور في اليمن .

ثالثا : تتمسك الدولتان الشقيقتان بالتعاون التام فيما بينهما في جميع الشؤون وشتى الميادين ، وتعلنان تأييد كل منهما للاخرى في

جميع الظروف سياسيا وماديا ومعنويا » •

وقد لقي هذا البيان ارتياحا وتأييدا في جميع الدول العربية •

وخيل للجميع ان البيان وضع حدا للصراع القائم على ارض اليمن•

وتم الاتفاق على عقد مؤتمر مصالحة في مدينة « اركويت » في السودان •

وقد عقد المؤتمر في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٦٤

وكان وفد الاماميين برئاسة احمد الشامي وزير الخارجية •

وفد الجمهوريين برئاسة القاضي محمد محمود الزبيري •

وأوفدت الحكومة السعودية ممثلين عنهـا للمراقبة هما الدكتور رشاد فرعون والزعيم محمود عبد الهادي •

كما اوفدت ايضا الجمهورية العربية المتحدة ممثلين عنها للمراقبة هما احمد شكري وزيرها المفوض في صنعاء والعميـد محمد محمود قاسم •

وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار في اليمن وعلى ان تكون اليمن لليمنيين •

وعلى ان يتم الاتفاق النهائي في مؤتمر اكبر وأوسع يعقد في مدينة حرض في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٦٤ ويشترك فيه ١٦٨ مندوبا يمثلون جميع الفرقاء •

الا ان ذلك المؤتمر لم يعقد •

واطلاق النار لم يتوقف •

ومضى الفريقان في مواصلة الحرب •

وعادت القوات المصرية تساند الجمهوريين •

وعادت النار الى الاندلاع •

وعاد الساعون بالخير يعملون على عقد رايات الصلح •

ولكن دون جدوى .

في هذه الاثناء وقع الحدث الكبير في المملكة العربية السعودية .

فخلع الملك سعود .

وبويع الامير فيصل .

وبعد ان كان الامير فيصل يعالج المعضلة اليمنية بوصفه نائبا للملك ورئيسا لمجلس الوزراء اصبح يعالج تلك المعضلة بوصفه الملك .

« وقد اشرنا الى اسباب خلع سعود ومبايعة الفيصل في مكان آخر من هذا الكتاب » .

هذه الحوادث كلها وقعت في عهد الملك سعود ، ولم تقع في عهد الفيصل الا اننا اثبتناها في هذا الباب « عهد الفيصل » لنوضح ان عهد الفيصل بدأ قبل ان يبدأ .

وان جلالته كان الركن المتين للمملكة .

وانه انقذ المملكة العربية السعودية من مآزق عديدة .

وانه كان يعالج جميع المعضلات بحكمته وذكائه قبل ان يتسلم العرش .

وانه كان ، وهو امير ، مثله وهو ملك ، يعمل — ولا يزال — على توطيد العلاقات الطيبة بين سائر الدول ، وعلى جلاء الغيوم التي تتلبد من حين الى آخر في الجو العربي .

- ٥ -

الفيصل يحل معضلة اليمن

بعد ان تسلم الامير فيصل العرش ، واصبح ملك المملكة العربية السعودية لم ينقطع عن معالجة المعضلة اليمنية •

ولم تشغله مهام الملك وتبعاته ومسؤولياته الجسام عن العمل على اقرار السلام في اليمن •

فمضى في العمل على حل المعضلة في اليمن بكل ما اوتي ووهب من حكمة وذكاء •

واسفرت مساعيه الحميدة عن تقريب وجهات النظر بين الاماميين والجمهوريين •

وفي أوائل شهر آب ١٩٦٥ وصل الى المملكة العربية السعودية وفد من زعماء الجمهوريين حيث اجتمعوا باخوانهم الزعماء اليمنيين •

وتباحث اعضاء الوفدين في قضية حل المشكلة اليمنية وحقن الدماء الزكية في الارض اليمنية •

واتنهت المباحثات بينهم بالاتفاق على المبادىء التالية :

اولا : يصبح اسم اليمن « الدولة اليمنية الاسلامية » •

ثانيا : يكون للدولة اليمنية الاسلامية مجلس امامة يملك ولا يحكم يتألف من بعض احفاد آل البيت الذين تتوفر فيهم شروط الامامة «قيل ان عدد اعضاء المجلس لا يقل عن ثمانية بينهم اثنان من آل حميد الدين ثم ينتخب الاعضاء رئيسا لمجلس الامامة » •

ثالثا : يشكل مجلس شورى ويتولى جميع الصلاحيات التشريعية.

رابعا : يتولى مجلس الوزراء الصلاحيات التنفيذية .

خامسا : تقسم اليمن الى سبع ولايات ، ويجري حكمها على اساس اللامركزية الادارية .

ويوم الجمعة في السابع عشر من ربيع الثاني ١٣٨٥ « ١٤ آب ١٩٦٥ م » حمل زعماء اليمن الاماميون والجمهوريون نبأ اتفاقهم الى الفيصل .

فهنأهم الملك السعودي على ما وصلوا اليه من اتفاق ميمون وامر فأدبت لهم مأدبة غداء سخية في ضواحي مدينة الطائف حضرها الامير عبد الرحمن بن يحيى رئيس الوفد الامامي ، والشيخ علي بن ناجي القوسي رئيس الوفد الجمهوري وعدد غفير من رجال اليمن وزعمائها الاماميين والجمهوريين .

وتبارى الخطباء في شكر جلالة الملك على المساعي الكريمة التي قام بها لمصالحة ابناء اليمن ووضع حد لتلك المجزرة الرهيبة التي صبغت ارض اليمن بالنجيع .

وتكلم احمد الشامي ، وزير خارجية الامام باسم الاماميين فشكر الملك فيصل على مساعيه الحميدة وعلى روحه الطاهرة الداعية للخير وقال : « ان نصائح جلالته كانت الدليل والحادب .. ولذلك فان ابناء اليمن يقفون اليوم صفا واحدا بين يدي جلالته داعين الى الخير والسلام».

ثم تكلم ابراهيم بن الوزير باسم الجمهوريين فخاطب جلالة الملك بقوله : « يا صاحب الجلالة ! ايها الاب الاكبر ! هذه هي اليمن برجالها وقادتها وزعمائها ووجوهها ، جاؤوا اليك من اجل اشاعة السلام وتوطيد الاخاء ، لقد خبرنا كثيرا من النوايا ، وتبينا اين يجب ان نكون . ان

الشعارات ليست دائما حقيقية ، وانها لتنطوي في كثير من الاحيان على زيف ظاهره الرحمة وباطنه العذاب •• يا صاحب الجلالة ! لم نجد غير يديك تمتدان الى الجميع لتمسحا الدم ، وتضمدا الجراح ، غير متحيز الا للحق، وغير مستهدف الا اليمن، ووحدته الوطنية وضمان مستقبله» •

هذا الكلام الصريح ، ينطق به زعيم من زعماء اليمن الجمهوريين ان دل على شيء فانما يدل على ان الجمهوريين ادركوا الحقيقة الناصعة الجبين وعلموا اي قلب نبيل هو قلب الملك فيصل ، واي روح طاهرة هي روحه ، وان جلالته لم يكن يهدف الا الى خير اليمن وسعادة ابناء اليمن الميامين •

وألقى جلالة الفيصل كلمة بالضيوف تفيض بالمحبة والعطف والشعور والحنين داعيا ابناء اليمن الى العمل يدا واحدة في سبيل بلادهم وشعبهم •

وتجلت في كلمة الفيصل موهبته الخطابية فكانت كلمته تلك من اروع الخطب وابلغها وابعدها بيانا •

ومما قال جلالته في خطابه ذاك : « اخواني ابناء اليمن الكرام ! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •• في مثل هذه الايام وفي هذا المكان ، من قبل اثنين وثلاثين عاما وقعت اتفاقية الاخوة والصداقة بين اليمن والمملكة العربية السعودية • وانني حين اتذكر تلك الايام ، وهذه الايام لأجد شيئا من التشابه » •

الى ان يقول : « •• علينا ان ننظر الى المستقبل فماذا اعددنا له ؟ يجب ان نستعد ونهيء انفسنا لمواجهة المستقبل باخلاص وباتجاه الى الله ، سبحانه وتعالى ، كي يوفقنا لان نسلك سبيل الصواب ، وان تتناسى كل ما مر ، وكل ما انتهى من آلام ومن جروح دامية ، وان

نكرس جهودنا لمستقبلنا الزاهر ، بحول الله وقوته لنبني ، ولنشيد ، ولنتقدم ، ولنتطور متكاتفين ، ومتعاونين مخلصين لله ، ثم لوطننا ولأمتنا في كل ما يتطلبه منا واجب خدمة البلاد والامة والمحافظة على معتقداتنا وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله » .

وهكذا نرى الفيصل مؤمنا بالله وبالوطن محافظا على المعتقدات السماوية السامية داعيا للاعتصام بالتقوى وللاخلاص في خدمة الوطن والامة .

ثم يقول : « .. أيها الاخوة الكرام .. لي رجاء واحد ، وهو ان تتناسوا كل ما مر من آلام واحزان وان تشدوا على ايدي بعضكم ، وان تنهضوا بوطنكم ، غير ملتفتين الى ما يجركم او يدفعكم الى ما ليس فيه خيركم وخير وطنكم ، ولا خير دينكم ولا خير امتكم » .

ووصلت انباء اجتماعات الطائف الى القاهرة .

واذيعت مقررات الزعماء اليمنيين واتفاقهم على الملأ .

فاهتم الرئيس عبد الناصر ، رحمه الله ، شديد الاهتمام لهذه الانباء ، لا سيما وثمة في اليمن قوات كبيرة من الجيش المصري .

فأعلن عن رغبته في السفر الى المملكة العربية السعودية والاجتماع بالملك فيصل .

ورد الفيصل على رغبة الرئيس المصري بالموافقة والترحيب .

وقال : انا وشعبي على استعداد لاستقبال سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، فهو ان زارنا يحل بيننا اهلا وينزل سهلا .

وطار الرئيس المصري الى المملكة العربية السعودية .

فوصل الى جدة في الثاني والعشرين من شهر آب ١٩٦٥ .

واستقبل استقبالا رائعا .

وبعد ان تناول طعام العشاء ارتدى الاحرام وتوجه الى مكة المكرمة معتمرا •

وبعد ان أدى فريضة الحج وصلى صلاة الصبح في المسجد الحرام بجوار الكعبة ، عاد الى جدة •

وجرت مباحثات اخوية ودية بين جلالة الملك فيصل وبين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر استمرت ست وثلاثين ساعة •

وانتهت باصدار بيان صريح مسهب يحمل الى العرب بشرى الاتفاق على انهاء معضلة اليمن ووضع حد لهدر الدماء الزكية في تلك البلاد العربية بصورة نهائية •

وتم الاتفاق على انسحاب القوات المصرية من اليمن •

وتدعيما لأواصر الاخوة والصداقة دعا الرئيس عبد الناصر الملك فيصل لزيارة الجمهورية العربية المتحدة •

فوعد الفيصل بتلبية الدعوة •

وفي الثامن والعشرين من ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ «٢٦ آب ١٩٦٥ م» اذاعت القاهرة ان القيادة العسكرية العليا في الجمهورية العربية المصرية امرت القيادة المصرية في صنعاء بالانسحاب حالا من المواقع الامامية التي ترابط فيها وبايقاف اطلاق النار •

وهكذا استطاع جلالة الملك فيصل ان يحرز انتصارا سياسيا باهرا،

وان ينقذ اليمن من الدمار والخراب •

وان يضع حدا لتلك المجازر الدامية في اليمن •

وان يعيد الود الذي انقطع بين المملكة العربية السعودية والجمهورية المصرية بما عرف فيه من حكمة ونبل وشهامة وذكاء •

وقام جلالة الملك فيصل بتلبية الدعوة التي وجهها اليه الرئيس

عبد الناصر فزار القاهرة في التاسع من شهر تشرين الاول ١٩٦٥ •

فاستقبله الشعب المصري والحكومة المصرية استقبالا شعبيا ورسميا رائعا •

وحل في قصر القبة على الرحب والسعة والتكريم •

وأدى جلالته صلاة الجمعة في الجامع الازهر مع الرئيس عبد الناصر •

وتبادل الملك والرئيس اقامة المآدب •

ودارت بينهما ابحاث صريحة انتهت باصدار بلاغ مشترك •

وجاء في البيان : « توثيقا لعرى الود والاخاء وتدعيما للتعاون البناء بين البلدين الشقيقين لما فيه خير العروبة والاسلام وتلبية للدعوة التي وجهها الرئيس جمال عبد الناصر الى جلالة الملك فيصل آل سعود لزيارة الجمهورية العربية المتحدة واستمرارا لروح اتفاق جدة الموقع في ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٥ الموافق ٢٤ آب ١٩٦٥ وتعزيزا لأسلوب اللقاء الاخوي كما تمثل في زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للمملكة العربية السعودية في آب الماضي ، قام جلالة الملك فيصل بزيارة الجمهورية العربية المتحدة يوم ١٣ جمادي الاولى سنة ١٣٨٥ الموافق ٩ ايلول ١٩٦٥ ولقد استقبل الرئيس جمال عبد الناصر وشعب الجمهورية العربية المتحدة الضيف الكبير بالحفاوة البالغة والترحيب الحار • كما ساد الزيارة شعور عميق من الجانبين بأهمية هذا اللقاء الاخوي في دعم النضال الشامل للامة العربية لتحقيق اهدافها النبيلة •

واعلن البيان التأكيد على التزام الجانبين بتنفيذه اتفاقية جدة ، واتفاق وجهات النظر على ان القضية المقدسة للشعب العربي الفلسطيني

ما زالت قضية المصير بالنسبة للامة العربية كلها •• وتجديد العهد على مواصلة كفاح الشعب العربي الفلسطيني ضد الاستعمار الصهيوني •• واهتمام الجانبين بدراسة الموقف الخطير بين الباكستان والهند ، ونظرهما ببالغ الاسف لوقوع الصدام المسلح بين البلدين الصديقين •

وانتهى البيان الى ان جلالة الملك فيصل والرئيس عبد الناصر اتفقا على مواصلة اللقاءات والزيارات بين المملكةالعربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة لما تقدمه من فرص لدعـم العلاقات بين البلدين ودعم النضال العربي الشامل •

•

ثم انتقل الملك فيصل من القاهرة في الثاني عشر من ايلول ١٩٦٥ الى الدار البيضاء لحضور مؤتمر القمـة العربي الثالث يرافقه الامـير سلطان بن عبد العزيز والسادة عمر السقاف ، وجواد زكريـا ، وطاهر رضوان ، والدكتور رشاد فرعون ، والفريق عبد الله المطلق ، والشيخ محمد المنصور الرميح ، والشيخ محمد النويصر ، والشيخ احمد عبد الوهاب ، والفريق مرزوق التركي ، والدكتور رفعت السيد علي •

كما رافق الوفد سبعة مستشارين سياسيين وعسكريين هم السادة: عبد الرحمن القاضي ، وفؤاد الحسيني ، وزين العابدين الدباغ والزعيم عثمان الحميد ، والزعيم علي قباني ، والقائدان سعد زهير وعبد الله ابن الشيخ •

وقد استقبل الملك فيصل ، والوفد المرافــق ، في الدار البيضاء استقبالا رسميا وشعبيا رائعا •

وافتتح المؤتمر يوم الاثنين في الثالث عشر من ايلول ١٩٦٥ •

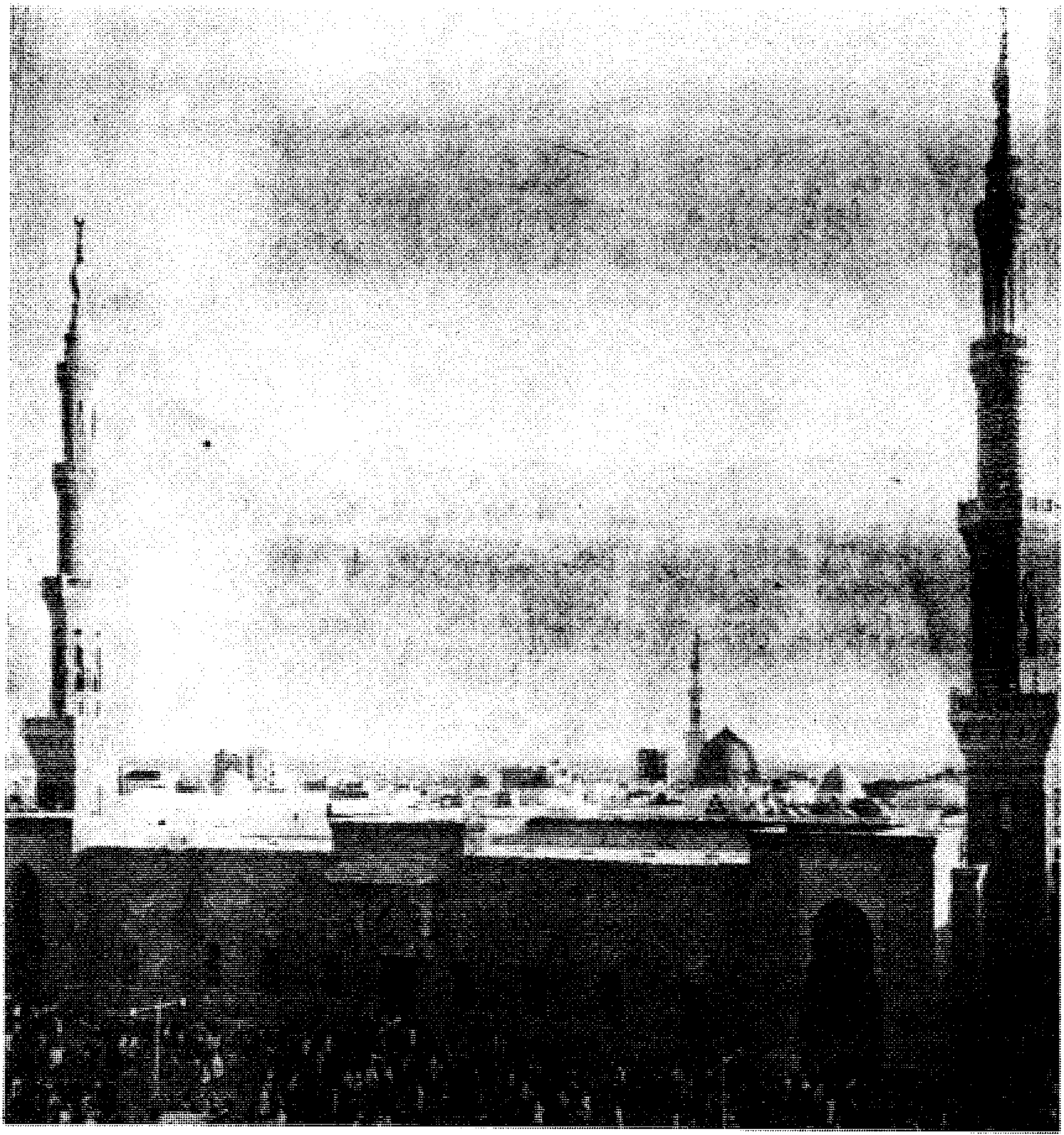
وكان الملك فيصل الشخصية البارزة في المؤتمر يعمل جاهدا على تقريب وجهات النظر بين اخوانه الملوك والرؤساء العرب ويبدد ما ينتشر في جو المؤتمر من غيوم دكناء •

وبحث المجتمعون في مؤتمر الدار البيضاء القضايا العربية العامة •

وفي طليعتها القضية الفلسطينية وقضية ايقاف اطــلاق النار بين مصر واسرائيل وقضية اليمن •

وصدر عن المؤتمر بيان مسهب طويل •

وهكذا كان الملك فيصل ، ولا يزال يعمل بكل ما وهبه الله مــن حكمة وذكاء وجرأة واخلاص على شد أواصر الاخوة بين الاشقاء العرب ، وعلى الدفاع عن المصالح العربية في العالم بأسره •



المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة . شهد في عهد آل سعود اكبر توسعة عرفها المسجد في تاريخ الاسلام .

٦

عهد هدم وبناء

الاعمال الخيرة التي قام بها الملك فيصل ، ان في الحقول الخارجية ام في الحقل الداخلي كثيرة .

فهــو رائد النهضة العمرانية والثقافية والاقتصادية في المملكــة العربية السعودية .

وهو جامع شمل العرب يوم يتفرق الشمل .

وموحد كلمتهم يوم تتناثر الكلمات .

ومقرب اهدافهم يوم تتعارض الاهداف .

وما ان تقع دولة عربية شقيقة في معضلة ، حتى تشخص الابصار الى الفيصل .

وما ان يذر قرن خلاف بين دولة عربية ودولة عربية ، حتى تلجأ الدولتان الى الفيصل .

اما القضية الفلسطينية فقد خصها العاهل السعودي بكل اهتمامه.

فراح يدافع عن حقوق العرب في فلسطين دوليا وعربيا .

وخطبه في هيئة الامم ما زالت ملء الاسماع .

ومواقفه الجريئة في الدفاع عن فلسطين لا تزال ملء الابصار .

وفي الحقل الداخلي ، سار الفيصل بالمملكة العربيــة السعودية

مئات السنين الى الامام •

فعندما تسلم الملك فيصل الحكم كانت المملكة العربية السعودية لا تزال منجذبة الى الحياة القبلية •

ذلك لان الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمات الله عليه ، اسس مملكة ووطد عرشا الا انه لم ينشىء دولة •

فكانت حياته الطاهرة سلسلة من البطولات والمعارك والحروب والانتصارات •

فلم يكن لديه الوقت الكافي لانشاء دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى بعيد عميق فسيح الارجاء •

وجاء بعده عهد الملك سعود فكان ــ في البدء ــ عهد محاولة انشاء دولة ثابتة الاركان صريحة القوانين ، مركزة الانظمة ، الا ان المحاولة لم تتكلل بالنجاح بسبب الفوضى التي اجتاحت ذلك العهد ، كما تقدم •

وتسلم الفيصل الحكم ليبدأ بالهدم وبالبناء •

يهدم الانظمة البالية ليبني على اطلالها انظمة جديدة تلائم العصر وتوافق مجتمع القرن العشرين •

ويعمل معوله في تلك التقاليد البدائية ليشيد مكانها قوانين وشرائع ترتفع بالمملكة وبشعبها الأبي الى مستوى الشعوب الراقية المتمدنة •

وكانت المهمة صعبة الا ان الملك استطاع ان يتغلب على تلك الصعاب ، وان يمضي بالمملكة وبالشعب في طريق الرقي والتمدن والثقافة والانطلاق •

وكان اول عمل قام به الفيصل بعد تسلمه العرش المناداة بالمملكة العربية السعودية دولــة عربية اسلاميــة ذات سيادة دستورها القرآن والسنة النبوية •

واعلن ان الملك ، الامام ، يجب ان يكــون المسؤول الاول عــن مواطنيه وعن رفع مستواهم وتقدمهم وحياتهم وأمنهم وعيشهم •

وان النظام يجب ان يكون شورى ليسهم ممثلو الشعب في بنــاء الدولة الجديدة ومراقبة اعمال السلطة اسهاما مع التطور الذي تهدف اليه الدولة •

وأعار الفيصل قضية الحريات اهتمامه الكامل •

فقال ان نظــام الدولة الاساسي يجب ان يضمن حريــة المواطن السعودي وان ينص صراحة عن حق ذلك المواطن في التعبير عن رأيه •

واطلق الحريات الى اقصى حدودها •

واعلن الملك فيصل ان الشرط الاساسي للحكم الصالح يقوم على اساس تحقيق العدالة الأجتماعية لجميع افراد الشعب •

وان النظام الجديد في المملكة العربية السعودية يقوم على تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع افراد الشعب ، ويجعل من الحكم مسؤولية واداء واجب •

وقال الملك : ان مسؤولية الحكم لا تعطي الحكام اية ميزة ليست لأفراد الشعب •

وان المساواة بين افراد الشعب تفرض ان يكون الجميع اخوة ، لا فرق بين الحاكم واصغر مواطن من ابناء الشعب •

وقال الملك : « نحن لا نؤمن باشتراكية ، ولا نؤمن بشيوعية ، ولا نؤمن بأي مذهب آخر ، لا نؤمن الا بالشريعة الاسلامية ، وهذه الشريعة

توجب تحقيق العدالة الاجتماعية » .

ولم يكتف الملك بمعالجة النظام وبوضع التشاريع والقوانين الاصلاحية بل هو بدأ بالثورة على التقاليد الرجعية التي كانت تسيء الى الشعب والى الدولة .

وبذلك بدأ عهد الاصلاح في المملكة .

فكانت الثورة على تقاليد العلم والصحة والادارة والعمران ، والزراعة والاقتصاد والمال والعدالة .

انها ثورة بيضاء تسير في طريق التطور والارتقاء .

وبدأ عهد البناء الشامل في شتى حقول الدولة .

واذا بالشعب السعودي ، وقد لمس في مليكه العطف والمحبة والاهتمام بقضاياه يهب للالتفاف حول مليكه ويعلن عن حبه له وتعلقه به والوقوف الى جانبه في تلك الثورة العصماء التي تهدف الى رفع مستوى الشعب وتدعيم اركان الدولة .

ومما لا شك فيه ان تلك الثورة التي قام بها الملك فيصل تحتاج الى جرأة نادرة والى اخلاص عميق، والى حزم وعزم وعدالة وتجرد واهتمام.

ولم يكن ثمة من يستطيع تحقيقها غير الملك فيصل .

وبدأت الحكومة بسن التشريعات والقوانين التي تنظم العلاقات بين الشعب والدولة وبين افراد الشعب ببعضهم .

فضمنت للعامل كامل حقوقه .

وضمنت لرب العمل كل حقوقه .

كما أمنت للعامل الخدمات الاجتماعية في حقول التعليم والتطبيب والعلاج المجاني ووفرت له الضمان الاجتماعي ضدالبطالة والعجز واليتم.

واهتمت الحكومة السعودية ــ بتوجيه الملك وباشرافه ــ بتوطين

البدو والانتقال بهم من طور الرعي والارتحال الى طور الزراعة والاستقرار .

وفي حقل التربية والتعليم سارت المملكة العربية السعودية شوطا بعيدا .

فضمنت التعليم المجاني في جميع مراحله فأصبح لكل مواطن سعودي الحق في تحصيل العلم سواء داخل المملكة او في خارجها .

ولم يقتصر الضمان على توفير العلم للطالب السعودي بل هو تعداه الى تأمين جميع النفقات من ثمن كتب ودفاتر واقلام وكل ما يحتاجه الطالب .

وبالاضافة الى كل ذلك يمنح الطالب السعودي الفقير والمتوسط الحال منحا ومكافآت سخية تعينه على الاستقرار وتحصيل العلم والانصراف الى الدرس والتخصص .

ولم يقتصر اهتمام الحكومة السعودية في عهد الفيصل على انقاذ الشعب السعودي من الجهل بل تعداه الى انقاذ هذا الشعب الطيب الورع التقي النبيل من المرض .

فضمنت الحكومة السعودية المواطن السعودي ضد المرض .

وقدمت له التطبيب المجاني والعلاج المجاني .

وقد شمل هذا الحق كل مقيم في المملكة العربية السعودية من اي بلد كان .

كما أمنت الحكومة السعودية لكل سعودي المعالجة في الخارج عندما يستعصي شفاؤه في المملكة .

وبدأت المستشفيات تشيد في المملكة .

واخذ عدد الاطباء السعوديين يتزايد .

وراح عدد كبير من اطباء الدول العربية يشخصون الى المملكة السعودية للعمل في مستشفياتها الحديثة الفخمة .

وفي الحقل الاقتصادي سارت المملكة العربية السعودية شوطا بعيدا في العهد الفيصلي .

فازدهرت التجارة والصناعة ازدهارا كبيرا لم تعرفه المملكة في حياتها ، ولم يعرفه الكثير من البلدان العربية .

ذلك لان الحكومة السعودية انتهجت النظام الاقتصادي الحر .

وسارت على قواعده واسسه المتينة في حرية التملك ، وحرية العمل « الى جانب حرية الرأي ايضا » ، وهذه الاسس تقوم على دعائم النظام الاقتصادي الاسلامي الذي يقره الشرع وتحميه تعاليم الاسلام الكريمة .

وبفضل هذا النظام الحر ازدهر الاقتصاد في المملكة ازدهارا كبيرا .

فانشئت فيها المؤسسات التجارية الكبرى والمصارف والفنادق والمحال التجارية والمصانع .

وشهدت المملكة السعودية في العهد الفيصلي نشاطا اقتصاديا وازدهارا تجاريا وصناعيا لم تكن لتحلم بمثله .

ولعل السبب الاكبر في بزوغ هذا الازدهار الاقتصادي النادر يعود الى الامن الذي يسود المملكة .

لانه من المعلوم ان الازدهار الاقتصادي لا ينتشر الا حيث ينتشر الامن والاطمئنان ، والعدل والسلام .

والجدير بالذكر ان العدل السائد في المملكة العربية السعودية والحزم الذي يتحلى به العهد الفيصلي جعلا من المملكة دولة مثالية في الامن والاستقرار .

فأصبحت الجرائم فيها شبه معدومة .

وأعارت الحكومة السعودية الزراعة اهتمامها الكامل .

فسعت لتأمين مياه الري الى المناطق الزراعية ومدت المزارعين بكل ما يحتاجون اليه من نصائح ووسائل ومعدات .

واهتمت الحكومة بمد شبكة من الطرق المعبـدة في سائر انحاء المملكة فربطت المدن والقرى ، حتى النائية منها ، ببعضها .

واستطاعت السيارة ان تحل محل الناقة والجمل وان تؤمن النقل والانتقال في جميع انحاء المملكة .

كما انشأت المطارات في المدن الكبرى من المملكة فأصبح السفر من المملكة الى جميع اقطار العالم ، ومن جميع اقطار العالم الى المملكة امرا ميسورا سهلا تؤمنه الطائرات بالسرعة التي يتطلبها العصر الحديث.

اما في حقل السياسة الخارجيـة فقـد احتلت المملكة العربيـة السعودية مكانة مرموقة بين الدول الكبرى في العالم .

واقامت الحكومة السعودية صلات متينة من الصداقة والتعاون مع تلك الدول كما وطدت علاقاتها مع الدول العربية .

وقد قال الصحافي الفرنسي ادمون لاغار بعد ان قام بزيارة صحافية الى معظم الدول العربية .

قال : « لقد انتقلت الزعامة العربية من القاهرة الى الرياض » .

وما كل ذلك الا بفضل الملك فيصل الذي يتحلى بوطنية صادقة ، وبمواهب عديدة اهمها الحزم ، والعزم والورع والتقـوى ، والعدل والنزاهة والاخلاص .

صقر الصحراء

هذه هي قصة المملكة العربية السعودية .

او بالاحرى هذا هو تاريخها المجيد .

هذا التاريخ الاسطورة .

الذي خط صفحاته الخالدة عبد العزيز آل سعود ، طيب الله ثراه ، قبل ان يتوفاه الله سبحانه وتعالى ... قبل ان يواريه الثرى .

صقر الصحراء توفي .

أليس ثمة في الصحراء صقر بعد موت عبد العزيز ؟

لا ... صقر الصحراء لم يتوف .

من قال صقر الصحراء توفاه الله ؟

صقر الصحراء ما زال يبسط جناحيه فوق الرمال الباسمة السمراء.

فوق النخيل الدائم الاخضرار .

فوق نجد والحجاز .

فوق المملكة العربية السعودية .

فوق بلاد العرب .

صقر الصحراء ، فيصل بن عبد العزيز يحلق في الصحراء خفاق الجناحين ، عالي الهمة ، وضاح الجبين .

فيصل بن عبد العزيز ، صقر الصحراء ، ابن الكرامة المئناف والشرف الاثيل .

من فيصل بن تركي ، الى فيصل بن عبد العزيز صفحات خالدة من البطولة والشهامة والعدل والعز والامجاد .

— تمت —